بسم اللّٰہ الرحمن الرحیم

معارف الدين

الجزء الأوّل

سماحة آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني دام ظله

سرشناسه	: صافی، لطف الله
عنوان و نام پدیدآور	: معارف الدین (ج۱)/ لطف الله صافی گلپایگانی
مشخصات نشر	: قم، دفتر تنظیم و نشر آثار حضرت آیت‌الله العظمی صافی گلپایگانی ۱٤٤٤ق.=۱٤۰۱.
شابک	: ۳۰۰۰۰۰۰ ریال ۷ـ٦٦ـ۵۱۰۵ـ٦۰۰ـ۹۷۸
وضعیت فهرست‌نویسی	: فیپا
یادداشت	: کتاب‌نامه
موضوع	: پرسش و پاسخ پیرامون مسائل: اعتقادی، قرآن، احادیث، دعا، فلسفه احکام، تصوف، گناهان، توبه
موضوع	: اسلام ـ پرسش‌ها و پاسخ‌ها
موضوع	: شیعه ـ عقاید ـ پرسش‌ها و پاسخ‌ها
رده‌بندی کنگره	: ۱۳۹۱ ٦ م ۲ ص BP
رده‌بندی دیویی	: ۲۹۷/۰۷۶

دفتر تنظیم و نشر آثار حضرت آیة الله العظمی الصافي الگلپایگاني

- اسم الكتاب: معارف الدين/ ج1
- المؤلّف: آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الگپايگانى
- الناشر: دفتر تنظيم و نشر آثار آية الله العظمي الصافي الگلپايگاني
- الطبعة الأُولى: جمادى الأُولى ١٤٤٤/ ١٤٠١
- الكمّية: ٣٠٠٠
- السعر: ٣٠٠٠٠٠ تومان
- رقم الإيداع الدولي: ٩٧٨ـ٦٠٠ـ٥١٠٥ـ٣٨ـ٤
- الدورة: ٩٧٨ـ٦٠٠ـ٥١٠٥ـ٣١ـ٥
- موقع الإنترنتي: www.saafi.net
- البريد الإلكتروني: saafi@saafi.net
- هاتف: ٣٧٧٥٥٥٤٣ (٠٢٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

مسيرة الإنسان التكاملية تحتاج إلى برنامج كامل ودقيق مبتنٍ على أساس الحكمة، وإلى مرشدين أُمناء يريدون الخير لهذا الإنسان. والسبيل الوحيد لذلك هو التمسّك بحبل الله المتين وهو القرآن الكريم، تلك المعجزة الإلهية الخالدة، وبأهل بيت العصمة والطهارة، آل محمدﷺ، فهما المنهج الكامل لنيل الكمال الإنساني والوصول إلى مقام القرب إلى الله.

وفقهاء الشيعة المبرّزون، وعلى طول تاريخهم الحافل بالزهد والإخلاص والمجاهدات المتواصلة، حاولوا سدّ هذه الحاجة عند الإنسانية أداءاً لتكليفهم الخطير ورسالتهم الكبيرة، مبتدئين بالاغتراف من عين معارف الدين الصافية، ومن ثمّ تقديم زاد طريق معرفة العلوم والمعارف الإلهية العميقة، بكلّ إخلاصٍ لعشّاق الكمال وطلّاب النجاة والهداية.

ولإشباع حاجة المجتمع الإسلامي الملحّة، وتلبية رغبات سالكي طريق الرشد والهداية، تقدّم هذا السفر الشريف الموسوم بـ «معارف الدين» والمتضمّن لمجموعة من الاستفتاءات القيّمة الخالدة في موضوعات متنوّعة وبسبك رائع، بقلم مفكِّر الإسلام العلّامة فقيه أهل بيت العصمة والطهارة سماحة المرجع الدينيّ الكبير، آية الله العظمى الشيخ الصافي الگلپايگاني، لتكون منهجاً قوياً لكلّ أصحاب الفضيلة وطلّاب طريق التعبّد وعشّاق زلال معارف أهل بيت النبيّ الأكرم صلوات الله عليهم أجمعين.

بمَنّه وكرَمِه.

مركز تنظيم ونشر آثار آية الله العظمى

الصافي الگلپايگاني

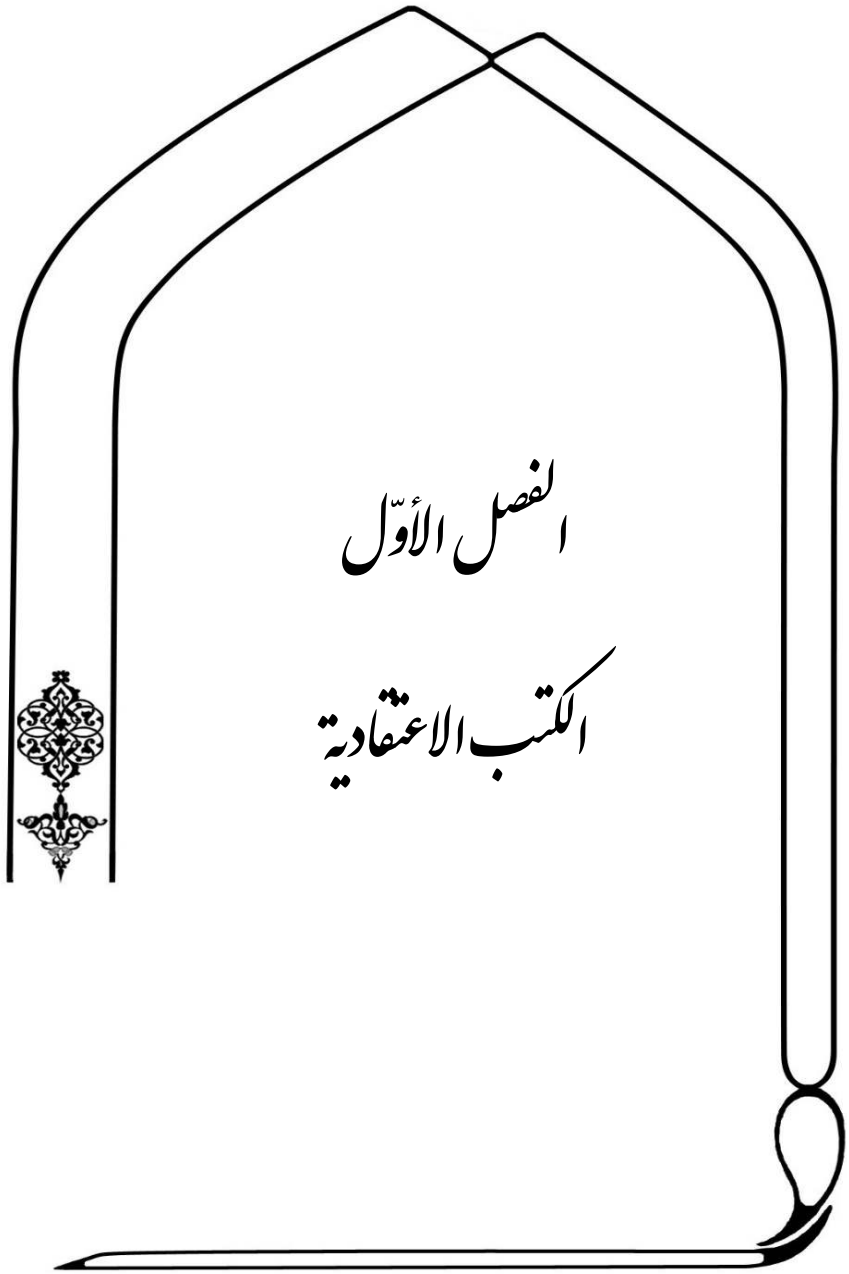

الفصل الأوّل

الكتب الاعتقادية

أهمّ الكتب الاعتقادية

س1 : ما هي أهمّ الكتب المعتبرة في المسائل الاعتقادية، والّتي تحظى بتأييد سماحتكم؟

ج: إنّ الكتب الّتي كتبها كبار العلماء في هذا المضمار كثيرة، وهي متفاوتة بلحاظ الإيجاز والتفصيل وبلحاظات أُخرى، وبنحو الإجمال قد وصلتنا كتب معتمدة عن قدماء العلماء في مجالات الاعتقاد بعضها صُنِّف مستقلّاً في مجال أهمّ الأُمور الاعتقادية، وبعضها في قسم خاصّ منها، وبعضهم كَتب مقدّمةً لتأليفاتهم تناولوا فيها المسائل الاعتقادية بنحو مشروح أو مختصر.

وبعد هؤلاء الأكابر، انبرى العلماء وحتّى يومنا هذا إلى التأليف في العقائد،

وكان لكلّ واحدٍ منهم سهمٌ في إثراء المكتبة الإسلامية بالبحث في المعتقدات وبلغات متعدّدة كالعربية وغيرها.

ومن جملة أشهر كتب هذا المجال، كتاب «تجريد الاعتقاد» للخواجة الطوسي، وشرح العلّامة الحلّي عليه «كشف المراد» وسائر كتب العلّامة وكلّها مفيدة ونافعة. كما أنّ كتب العلّامة المجلسي﵀ معتبرة أيضاً.

والكتب الّتي صنّفت بالفارسية في الاعتقادات كثيرة، مثل كتاب «كفاية الموحدين» وكتب «فخر الإسلام» مثل «أنيس الأعلام» وكتب كثيرة أُخرى كتبت في الردِّ على اليهود والنصارى والصوفية والفرق الباطلة كالبهائية، يمكنكم الاستفادة منها جميعاً. والله العالم.

الطريق الصحيح في الأبحاث العقائدية

س2: مع وجود المشارب والطرق المختلفة والمتنوعة في الأبحاث العقائدية ما هو الطريق الصحيح بنظركم كفقيه، والّذي ينسجم مع القرآن الكريم والسنّة الصحيحة لنبيّ الإسلام الأعظمﷺ؟

ج: أفضل الطرق لذلك هو نفس الكتاب والسنّة اللّذين يقدّمان لنا أكثر الأدلّة منطقيةً وعقلانيةً في هذا المجال، مع مراجعة كتب القدماء والمشاهير من علمائنا الّذين ثبتت أقوالهم في العقائد.

هل أنّ الكتب العقائدية الموجودة كافية لحلّ الشبهات

س3: هل أنّ ما كُتبَ في العقائد لحدِّ الآن كافٍ لحلّ كلّ الشبهات والإبهامات الموجودة في المسائل الاعتقادية أم توجد بعض الثغرات في ذلك؟ وإذا وجدت ثغرات فما هي رجاءاً؟

ج: في المجموع تعدّ الكتب المؤلّفة لحدّ الآن في العقائد كافيةً للردّ على كلّ الشبهات المتصوّرة، ولا توجد شبهة لا يمكن الإجابة عليها من تلك الكتب مع التفاوت في القدرة العلمية وقوّة البيان عند مؤلّفيها.

اعتبار وحجيّة العقل في المسائل الاعتقادية

س٤: نحن المسلمون ندافع عن أُصول ثابتة ـ خلافاً للعالم الغربي الّذي يفتقد إلى أُصول عقائدية ثابتة ـ فإذا ما حاول الغربيون الخدشة في أُسس أُصولنا الثابتة وإظهارها بمظهر الضعف، فأيّ وسيلة وأُسلوب نتّبع للدفاع عن أُصولنا؟ فمثلاً إذا لم يقبلوا حجّية العقل، فكيف نثبت لهم المسائل المبتنية على تلك الحجّة؟

ج: إذا ما أنكر أحدٌ حكم العقل والأُصول الأوّلية الّتي يدرك صحّتها كلُّ عاقل (مثل القواعد البديهية المنطقية والرياضية)، فإنّ مثل هذا الشخص محروم بنظر العقلاء من الاستقامة الفكرية، ولا يُعتَنى بقبوله أو ردّه في المسائل العلمية.

ففي مقام الاستدلال، يرى كلّ شخص نفسه طرفاً للحوار مع العقلاء في كلِّ ما يطرحه، نعم هناك مسائل لا طريق للعقل في إثباتها، فينحصر الطريق لمعرفتها بطريق الوحي الّذي يحكم العقل بوجوب قبوله. والله العالم.

حكم قراءة الفلسفة والكلام

س٥: ما هو حكم قراءة الفلسفة؟

ج: قراءة علم الكلام لتصحيح وتكميل العقائد الحقّة أمرٌ مستحسن، بل هو لازم لرفع الشبهات. والله العالم.

اعتبار كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق

س٦: هل يكفي كتاب «الاعتقادات» لشيخنا الصدوقﷺ لتصحيح اعتقاد المسلم الشيعي؟

ج: يكفي تطبيق أُصول الاعتقادات مثل التوحيد والعدل والنبّوة والإمامة والمعاد، مع كتاب «الاعتقادات» للصدوقﷺ وكتاب «الاعتقادات» للعلامة المجلسيﷺ كما أنّ مطالعة مثل كتاب «حقّ اليقين» للسيّد عبد الله شبّر مفيد في هذا المجال.

وللداعي الحقير رسالة حول «اعتقادات» الصدوق، مطالعتها لا تخلو من فائدة. والله العالم.

أحسن الكتاب

س7: بعد التحية والسلام، نلتمس نظركم المبارك في بيان اسم أحسن كتاب نراجعه.

ج: للجواب عن هذا السؤال أقول: من الواضح أنّ القرآن الكريم ونهج البلاغة والكتب المعتبرة والجامعة للأحاديث الشريفة، هي خارجة عن مورد سؤال السائل، إذ أنّ مقامها أرفعُ وأجلُّ وأقدس من قرنها بمرتبة الكتب الأُخرى الّتي يُسأل عنها، فالفاصلة بينهما كالفاصلة بين الخالق والمخلوق وبين عامّة أفراد المجتمع مع الرسول الأكرم وبين الأُمّة والإمام المعصوم عليه السلام.

وبناءً على ذلك، فالسؤال إنّما هو حول النمط الثاني من الكتب وهذا النمط بدوره متعدّد ومختلف باختلاف المواضيع الّتي تناولها، ولـمّا كانت أغراض الأشخاص من مطالعة هذه الكتب مختلفة أيضاً، فإنّه لا يمكن الإشارة إلى كتاب واحد لجميع الأشخاص، ولكن بنحو الإجمال، تعتبر كتب التفسير مثل «تفسير التبيان»، «مجمع البيان»، «تفسير روض الجنان للشيخ أبي الفتوح الرزاي» و «تفسير الشريف اللاهيجي»؛ ومن الكتب الكلامية، كتاب «التجريد» للخواجة الطوسي وشرحه للعلّامة، وكذلك كتب الشيخ المفيد والفاضل المقداد؛ ومن الكتب المؤلّفة بالفارسية «كفاية الموحدين» ومن شروح نهج البلاغة «شرح ابن

أبي الحديد» و «الإلهيات في نهج البلاغة»؛ ومن كتب الفقه «كتب القدماء» و «الجواهر»؛ ومن كتب الإمامة «الشافي» و «عبقات الأنوار» و «المراجعات» تعتبر كلّها مفيدة.

والحاصل أنّه يجب مراجعة كتب فحول العلماء في كلِّ فنٍّ من التاريخ والسيرة والمقاتل والرجال والدراية والطبقات والفنون الأُخرى، مضافاً إلى كتب العلّامة المجلسي الكثيرة غير «بحار الأنوار» فإنّها نافعة جدّاً.

وفي مجال الأخلاق يراجع كتاب «معراج السعادة» و «جامع السعادات»، وفي مجال الدعاء يراجع «مصباح المتهجد» و «الإقبال» ومئات الكتب الأُخرى.

ولله الحمد، فإنّ المكتبة الشيعية غنيَّة في كلّ المجالات ولكلّ طبقات القرّاء.

الفصل الثاني

التوحيد

هدف الخلقة

س8: ما هو الهدف من الخلق والإيجاد؟

ج: إنّ هذا السؤال طُرِحَ قديماً ومنذ أن رأى الإنسان نفسه من خلال الفهم والتعقّل وحينما بدأ يتأمّل في الكون وآياته وظواهره، فقد سأل نفسه مراراً وتكراراً، ما هي الفائدة من وجودي ووجود الملايين بل المليارات من أمثالي من الظواهر الكونية؟ وما هو الهدف من خلق كلِّ هذه الصنائع البديعة والرائعة وتلك العوالم الصغيرة والكبيرة؟

فهذا السؤال يتبادر إلى ذهن كلِّ إنسان لم يغفل عن نفسه وعن العالم المحيط به وظواهره.

ويمكن طرح هذا السؤال ببيانين:

الأوّل: ما هو الهدف من الخلق والإيجاد بمعناه المصدري، وهو فعل الخالق والموجِد؟ وما هي غايةُ خالق وموجد هذا العالم من حيث المجموع ومن حيث أبعاضه وأجزائه؟

الثاني: ما هي فائدة هذا الخلق بمعناه الاسم المصدريّ أي (الموجَد والمخلوق)؟

وبعبارة أُخرى: ما هي نتيجة خلق كلّ العالم؟ وما هي نتيجة إيجاد أجزائه وأبعاضه، والمجموعات الكونية الّتي نطلق على مجموعها اسم «العالم» ونتيجة خلق الوجودات الكبيرة والصغيرة والأصغر من الصغيرة؟

وعليه يكون عندنا سؤالان، ولكن ولارتباط بعضهما ببعض ولإمكان وحدة الهدف، سوف نجيب عن السؤالين معاً بجواب واحد.

وهذا الجواب يمكن دراسته على أساسين: أحدهما على أساس حكم العقل، والثاني على أساس حكم الشرع، وهو الأجمع والأشمل والأنجح، والّذي سيوافقه العقل أيضاً.

وقبل البدء بدراسة الجواب لابدَّ من الالتفات إلى أنّ العقل لوحده وبدون استعانة بإرشاد الأنبياء عليهم السلام لا يتمكّن من تعيين الهدف والفائدة من خلق مجموع العالم، كما أنّه عاجز عن معرفة وتحديد الهدف والفائدة من خلق وإيجاد كلِّ الأشياء، ذلك أنّ البشر وعلى الرغم من سعة إحاطته ومعارفه ومعلوماته الواسعة حول خواصّ وفوائد الأشياء، مع تقدّمه العلمي ـ حيث استطاع فلق

الذرَّة وتسخير الفضاء إلى حدٍّ مّـا ـ ولم يـتمكّن إلى الآن مـن كشـف أسرار هـذا الكون، ولا زال في المرحلة الأُولى من دراسته الّتي لا حدّ ولا حصر لمراحلها.

فما الّذي فهمه البشر من العالم؟ وإلى أين وصل؟ فإنّ العوالم اللامتناهية، الظاهرة والخفيّة، والغيب والحضور وكلٌّ منها أوسع من أن يتصوّرها البشر العاديون فضـلاً عن دركها ومعرفتها؟

فمن الواضح، أنّ كلّ ما يقال في خصوص الشيء المجهول لا يتجـاوز دائـرة الاحتمال والظنّ، كمثل مجموعة من العُمي الّـذين يصـلون في مسـيرهم في ليلـة ظلماء إلى جبل أشمٍّ تعلو سفحه أشجاراً سـامقة وتتفجّـر مـن صـخوره العيـون والينابيع، وتكسوه المزارع والمراتع وتقطنه الناس والحيوانات، فإنّ مثـل هـؤلاء العُمي الّذين لا يرون شيئاً والّذين لا يقدرون على درك ما عدا بعض الأمتار من الحجارة الّتي يلمسونها بأيديهم، مـع ذلـك نجـد أنّ كـلّ واحـد مـنهم يحلِّـق في وصف كلّ شيء موجود هناك ويشبهه بأشياء لا تمتّ إلى الجبل والعيون والينابيع والمراتع والأشجار بصلة وشبه.

وقد لا يتجاوز عقل البشر في إدراكه لعظمة العالم حدود درك الرجل الأعمى لهذا الجبل الكبير، فالإنسان ولحدّ الآن لم يتوصّل إلى معرفة سعة العـالم، وهـو لا يعرف مبدأ البعد الزماني والمكاني للعالم، ولا يعـرف منتهـاه، بـل هـو لا يعـرف كيف يتصوّر مبدأ شروع وختم البعد الزماني والمكاني، أي أنّه لا يقدر على تصوّر

ما بعد الزمان والمكان ولا ما قبلهما، حيث لا فضاء هناك، ولا يهتدي إلى كيفية اتّصال الفضاء باللافضاء، ولا أن يهتدي إلى سعة ذلك المكان الّذي هو خال من الهواء وممّا هو ألطف من الهواء، وإن كان له حدٌّ فما هي حدوده؟ وماذا يوجد وراء تلك الحدود؟ وإن لم يكن هناك شيء ما وراء الحدود فكيف يكون ذلك؟ وهل كان هذا الخلاء موجوداً عندما لم يكن هناك شيء في الوجود؟ وأنَّ عالم الإمكان موجود في أيّ مكان؟ وإن كانت الأشياء مع الفضاء الكائنة فيه قد خُلقت في وقت واحد فأين صنعت تلك الأشياء مع ذلك الفضاء؟ وما هو الفضاء والفراغ والخلاء أصلاً؟ هل هو وجودٌ أم عدم؟ وهل يصحّ أن نقول إنّها ظرف؟ وهل أنَّ لها مظروفاً أم لا؟

وأمثال هذه الأسئلة كثيرة جدّاً، والأفضل أن لا نتناولها ونحكم بحكم ذلك الأعمى على ذلك الجبل وتلك المراتع والأشجار والبحار.

وأفضل وسيلة للجواب المقنع لهذه التساؤلات هو منطق الوحي ومنطق الأنبياء والقرآن الكريم الّذي يقول: ﴿**اَللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾،[1] وأما طريقة ذلك الخلق فإنّها خافية علينا، لقصور إدراكاتنا.

ولإعطاء نموذج واحد للسعة المكانية ولطول الزمان في الكون نذكر الأرقام التالية:

---

١. سورة الرعد، الآية ١٦؛ سورة الزمر، الآية ٦٢.

ذكروا: أنّ الشمس واحدة من ملياري نجمة مستقرّة في المنظومة الشمسية وتأتي في الدرجة الرابعة أو الخامسة من بين الكواكب المكتشفة لحدّ الآن.

قطر الشمس يقارب ١,٣٩٠,٠٠٠ كيلومتر، ووزنها يقارب ٢,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ.

هذا الكوكب الّذي يستمرّ في تبديل ذرّات «الأُوكسجين» إلى «الهيليوم» ويرينا سرَّ قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾،[1] وحرارة مركزها ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ درجة سانتيگراد، وحرارة سطحها ٦٠,٠٠٠ درجة، ويصل ارتفاع أعمدة النار المتأجّجة على سطحها إلى ٦٠٠,٠٠٠ كلم.

ولقد قيل في بيان عظمة الشمس كلام وكلام، ولتقريب حجمها الحقيقيّ إلى الأذهان قالوا: لو فرضنا أنّ الشمس كرة خالية فإنّها تسع لمليون كرة أرضية في داخلها.

وقالوا أيضاً: إنّ سعة الفضاء الّذي تستقرّ فيه المنظومة الشمسية عبارة عن خمسين مليار مليار مرّة بحجم الكرة الأرضية، أي ما يعادل حاصل ضرب ١,٠٨٢,٨٤١,٢١٠,٠٠٠ كيلومتر مكعّب* ٥٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠.

وبطبيعة الحال فإنّ كوكب الشمس أصغر بكثير من الكثير من الكواكب الأُخرى. فإنّ كوكب «الشعراء اليمانية» أكبر من الشمس بثمانية وعشرين مرّة، وإن

---

١. سورة الأنعام، الآية ٩٦؛ سورة يس، الآية ٣٨؛ سورة فصّلت، الآية ١٢.

«الجبّار» أكبر من بـ ١٦٠٠٠ مرّة وإنّ «قلب العقرب» أو «أنتارس» أكبر من الشمس بمليار مرة.

ولا نريد الخوض أكثر من هذا في بيان نسبة حجم الشمس إلى حجم المنظومة الّتي تنتمي إليها ولكن نذكر فقط بأنّ حجمها يقارب النصف من واحد بالمليار بالقياس إلى حجم المنظومة، وبتصوير البعض لذلك فإنّنا لو فرضنا أنّ المنظومة الشمسية تعادل مساحة قارة أُوروبا فإنّ مساحة الشمس لا تتجاوز مساحة حبّة رمل في سواحل بحرٍ في هذه القارّة.

وما المنظومة الشمسية إلّا واحدة من آلاف أو ملايين الملايين من المنظومات الشمسية الّتي لا يمكن للإنسان أن يتصوّر حجمها فضلاً عن حسابها.

وما أعظم القرآن الكريم حين يقول: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾.[1]

وما أروع ما قاله أمير البيان ولسان المعرفة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بيان تنزيه الباري عزّ وجلّ عن كلّ نقص وعجز حيث يقول: «**سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ**».[2]

---

١. سورة الكهف، الآية ١٠٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩ (ص١٥٨ـ١٥٩).

هذا ما يرتبط بالسعة المكانية، وأمّا ما يتعلّق بطول الزمان فيكفي القول بأنّ العلماء يعتقدون ومن خلال الإشعاعات الذرّيّة لليورانيوم وتبدّلها إلى الهيليوم أو القصدير. بأنّ عمر الصخور الموجودة في الأرض لا يقلّ عن ٥٠٠ مليون سنة وهذا عمر الصخور لا عمر نفس الأرض.[١]

وأمّا علم عمر الشمس والمنظومات الأُخرى فإنّ الله وحده العالم بذلك ولعلّها تتجاوز ـ على هذا القياس ـ آلاف الملايين بل المليارات من السنين، ولا شكّ في عجز الإنسان عن تعيين بداية هذا العالم أو التكهّن بأجل نهايته وهل هي بعد عدّة قرون أو آلاف أو ملايين السنين: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾.[٢]

وعليه فإنّ عامّة البشر عاجزون عن تشخيص الهدف ونتيجة مجموع عالم الخلقة، نظير شخص يريد أن يشرح تفاصيل منتوج من منتوجات مصنع كبير ومتشعّب وهو قبل ساعة لم يكن له فرصة زيارة هذا المصنع والتعرّف على كيفية عمله وخصوصيات مكائنه وأجهزته. فمثل هذا الشخص عليه إمّا أن يصبر ـ إن كفى عمره لذلك ـ حتّى ينتهي عمل المصنع ويخرج محصوله وإنتاجه إلى عالم الوجود أو أن يطلب من صاحب المصنع أن يبيِّن له طبيعة عمل هذا المصنع وإنتاجه.

---

١. هناك نظرية تقول أنّ عمر الأرض يتجاوز الأربعة آلاف مليون سنة.

٢. سورة الإسراء، الآية ٨٥.

كما أنّه في عالم الأرحام لا يتمكّن من تعيين نتيجة خلقة الجنين وأعضائه كالأسنان والفم والأُذن والعين والرجل وغيرها من أعضاء جسده، فما دام الجنين لم ينتقل من عالم الأرحام إلى عالم الدنيا لا يمكن تشخيص وظائف أعضاء جسده، ولا يمكن معرفة أهمّيّة التغيرّات الّتي تحصل عليه في عالم الرحم إلّا بعد خروجه إلى عالم الدنيا، فكذلك فوائد عالم الدنيا لا يمكن معرفتها إلّا في عالم الآخرة ويوم القيامة.

وبعد هذه المقدّمة نقول:

وإن كان العقل البشري عاجزاً ـ بدون الاستعانة بإرشاد الأنبياء وبالهداية السماوية ـ عن معرفة الهدف ونتيجة خلق مجموع هذا العالم وكلّ الأشياء، لكنّه يدرك جيّداً أنّ نظام الخلقة لم يكن عبثياً ولا لعباً ولهواً.

إنّ العقل ومن خلال ارتباط الكائنات المتنوعة، وأنظمة عالم الخلق المتعدّدة، وعلاقة كلّ ظاهرة صغيرة وكبيرة وارتباط المخلوقات الثابت بعضها بالبعض كأعضاء العائلة الواحدة وأجزاء الشجرة والحيوان والإنسان، وهي في حركة ثابتة ومنسجمة وتشكّل مجموعة كبيرة مترابطة نسميّها «العالم»، ويفهم أنّ الخلق ليس بلا هدف وليس باطلاً وعبثاً، وأنّ احتمال لغوية الخلق احتمال باطل مردود ومخالف للعقل.

فكلّ القواعد والقوانين الحاكمة لهذا العالم، تثبت أصل وجود الهدف وإن لم تكن معيِّنةً لماهيته وكيفيته.

فالمسألة المهمّة والرئيسية في هذا البحث هي هدفية وغائية الخلقة، والّتي يشهد لها النظام الحكيم والثابت للكائنات والعالم والإمكان.

فلو أنكّ دخلت إلى مصنع كبير ورأيت أنّ نظماً دقيقاً يحكمه وأنّ أجهزته ومكائنه تعمل وتتحرّك بدقّة وأنّها مترابطة فيما بينها وأنَّ معدّاته المختلفة متناسقة بعضها مع البعض الآخر ومتكافلة فيما بينها يكمّل بعضها عمل البعض الآخر وأنّ سلامة عمل أحدها مرهون بسلامة عمل الآخر أو عيبه فماذا ستفهم؟ وبأيّ حكم ستحكم؟

ستفهم أنَّ هذا المصنع الكبير أُوجد لغرض وهدف كبيرين حتّى لو جهلت أنت ذلك الغرض أو الهدف، ولأذعنت بكلّ وجودك بحكمة وإبداع صانع هذا المصنع الكبير ولصرخت بأعلى صوتك بالثناء عليه وتمجيده.

ومضافاً إلى كلّ ذلك، فإنَّ هنا سؤالاً يطرح نفسه وهو: ما هو الهدف من خلق موجود من الموجودات وبلحاظ ذاته هو؟

الجواب هو: لابدّ أن يكون الهدف من إيجاده هو ظهور أثره ونتيجة وجوده وثمرته، فمثلاً، شجرة التفّاح تنمو وتثمر وتعطينا التفّاح، والشمس تنير لنا الفضاء ليستفيد الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة من حرارتها وضوئها، وأن

تصير مركزاً للمنظومة الشمسية الكبيرة وغير ذلك من الفوائد، وما هي فائدة العين والأُذن في الإنسان وما هو الهدف والغاية من إيجادها؟

الهدف من خلقها هو الرؤية والسماع ولا يحقّ للعين وللأُذن أن تسألا عن الهدف من خلقهما، لأنّ الجواب سيكون واضحاً وهو أنّ العين عينٌ ووسيلة للرؤية وأنّ الأُذن أُذنٌ ووسيلة للسمع.

وبطبيعة الحال فإنّ بعض الأشياء مثل الهواء قد تحقّق الهدف من إيجاده، كما أنّ البعض الآخر يتحقّق الهدف من إيجاده تدريجياً، ولكنَّ المسلَّم هو أنّ العقل يمكنه وبنحو الاستقلال أن يدرك خواصّ بعض الموجودات الّتي حصلت خواصّها بالفعل، كما أنَّ بإمكانه إدراك خواصّ كثير من الموجودات الأُخرى عن طريق اختبارات وتجارب الآخرين.

وأخيراً نقول: إنَّ الإنسان إذا صنع شيئاً ما، كبناء دارٍ أو صنع سيّارة، فهل له هدف غير أن تكون تلك الدار محلّاً لاستراحته وأن تكون تلك السيّارة وسيلة لتنقّله وتنقّل الآخرين من مكان إلى مكان؟

فكذلك نتيجة وهدف خلق الإنسان هي أن تظهر منه المعرفة والعلم والخير والإحسان واكتشاف أسرار العالم.

والمسألة الأُخرى هنا هي أنّ الكثير من الناس الّذين يتعمّقون في التأمّل والبحث في أسرار الخلقة والهدف من الإيجاد ونتائجه، يُبتلون بحالات الشكّ

والتردّد والضياع، وذلك بسبب قصورهم الذهني ورؤيتهم المادّيّة ومعلوماتهم المحدودة، أو بسبب انحيازهم لمنافعهم الشخصية والذاتية الضيّقة.

فهؤلاء يفترضون أنّ عالَم الوجود ومبدأ ومنتهى سيرهم هو خطٌّ يبدأ بولادتهم أو قبل ذلك بقليل ـ كعالم الأرحام أو المنوية ـ وينتهي بموتهم، أضف إلى ذلك عدم صبرهم، وأنانيّتهم وحبّهم لأنفسهم الّذي يجعلهم يتضجّرون من أصغر بليّة تصيبهم في الحياة ـ وهو من لوازم عالم الطبيعة والمادّة ـ فيسرعون إلى إنكار الهدف من الخلق ويهرعون إلى معاداة الكائنات، فتسيطر عليهم نظرة تشاؤمية للحياة، غافلين عن أنَّ «من أمعن النظر لم يخطئ الحكم».

فلو أنَّ هؤلاء أيقنوا أو احتملوا بأنَّ عالم الدنيا هو أحد العوالم الّتي يطويها الإنسان وأنّ عليه أن يرحل منها إلى عوالم أُخرى، لما وصلوا إلى ذلك الشكّ والتشاؤم، وعليهم أنّ يعرفوا أن عالم الطبيعة هو عالم التنازع وأنّ الابتلاء من لوازمه الّتي لا ينفكّ عنه فإنّ ذلك من نواميس تكامل كلّ موجود، فعليهم أن لا يكتفوا بملاحظة جزء من أجزاء حركة وسير الإنسان وهو عالم الدنيا ليحكموا بلاهدفية الخلق وأن لا يتأثّروا ببعض الحوادث المُرَّة الّتي يصاب بها الإنسان في الحياة ويعتبروها معلّماً وحيداً على إلغاء النتائج والغايات الكبيرة من الإيجاد.

فكما أنّنا لا يمكننا تعيين هدف خلق الجنين ـ الّذي يطوي عالم الأرحام ـ قبل انتقاله إلى عالم الدنيا، فكذلك لا يمكننا تعيين الهدف من خلق الإنسان وخلق

كلّ الموجودات والكائنات الأرضية والسماوية والمنظومات والمجرّات الّتي لا زالت في منتصف طريق سيرها المستقبلي بدون الاعتماد على وحي السماء وأقوال الأنبياء فلا يمكننا إلغاء الهدف من وجود كلّ واحد منها أو إلغاء الهدف من مجموعها، فهو كإلغاء الهدف من نبتة لم تصل إلى مرحلة الإثمار والنتاج وإن كنّا نجهل ثمرتها، فما لم تصل إلى المرحلة الأخيرة من مراحل تكاملها لا يمكننا الحكم عليها نفياً أو إثباتاً، فالهدف النهائي من الخلق بحكم العقل سيظهر بعد طيّ العوالم اللاحقة لعالم الدنيا، بالضبط كهدف رحلة الطائرة أو السيّارة، فإنّه لا يتعيّن إلّا بعد وصولها إلى آخر محطّات الرحلة مع أنّنا نعرف من البداية أنَّ لها مقصداً أو أن يخبرنا سائق السيّارة أو قبطان الطائرة بمقصدهما.

وإذا قال قائل: هذا الكلام صحيح ونحن نقبل أنّ الهدف من خلق الشيء هو خاصّيته الوجودية وفائدته، وأنّ أهداف أفعالنا وأعمالنا هي نفس خواصّ ومنافع أعمالنا الّتي نستفيد منها، لكن ما هو الهدف من فعل الله؟ وما هي الفائدة الّتي يحصل عليها من هذا الخلق؟

الجواب: إنّ أفعال الإله الحكيم المتعال لا تعلّل بالأغراض والأهداف الّتي ترتبط بالاحتياج، فإنّ الله عزّ وجلّ غنيّ مطلق بالذات.

ولتوضيح الفكرة ـ ولا مناقشة في الأمثال ـ أضرب لكم مثلاً: إنَّ المعلّم والأُستاذ، يدرّس تلامذته ويجهد نفسه بتعليمهم وتربيتهم لكي يتعلّموا ويصبحوا علماء في مختلف المجالات.

وإنّ بعض الخيّرين يبني مستشفى ليستفيد منها الناس ويتداوى فيها المرضى.

فلو سأل سائل عن هدف هذا الأُستاذ من التدريس وهدف هذا الإنسان المحسن من بناء المستشفى ـ وكانت نيّتهما خالصة ومنزّهة عن جلب المنفعة الخاصّة ـ لم يكن لذلك السؤال معنى، وهو سؤال في غير محلّه، بل هو إهانة لذلك الأُستاذ ولذلك المحسن أن يُسأل عن هدفه ومصلحته في التدريس وبناء المستشفى، إذ لا يجتمع الإحسان مع الرغبة في المنفعة الشخصية بحال من الأحوال، فما كان من أجل المنافع الذاتية فهو ليس بإحسان، وما كان إحساناً فهو ليس منفعة شخصية.

فالمنافع الشخصية والاسترباح شيء، والهدف شيء آخر فحساب المنافع الشخصية هو حساب النفس والاستثمار والاستفادة، والله تعالى وأولياؤه المقربّون منزّهون عنها، فهدف المحسن والمعلّم المخلص هو مداواة المرضى وتعليم الجهّال، وهذا الهدف إذا كان هدفاً حقيقيا فهو هدف سامٍ ومقدّس، وإذا كان هناك من لا يعتبر هذا هدفاً، وإنّما يفسّر الهدف بما يقوم به بعض المعلّمين من التدريس من أجل الأُجرة والنقود أو ما يقوم به بعض الناس من بناء المستشفيات من أجل الربح المادّي والتجارة، فإنّ الله تعالى وأولياؤه مقدّسون ومنزّهون عن مثل هذه الأهداف.

إنّ الشخص الفيّاض، الجواد، الكريم، العطوف، الغافر، القابل للعذر، الرؤوف، يفيض ويجود ويعفو ويعطف، ويترحّم على الناس، ويأخذ بيد المحتاجين ويعطف عليهم، ليس من أجل المال أو العوض أو الشكور.

دراسة الموضوع من وجهة نظر المصادر الإسلامية

ما قمنا به لحدّ الآن هو دراسة القضية من وجهة النظر العقلية المستقلّة، ونحاول الآن تحقيق الموضوع بحسب نظر الشرع المقدّس، وننبّه هنا مسبقاً على أنّ هذا لا يعني أنّنا نجعل الشرع في مواجهة العقل أو أن نُحكِّم أحدهما على الآخر، فإنّنا نعتقد جازمين بعدم مخالفة أحدهما للآخر، فإن الإسلام يؤيّد أحكام العقل، وبناءاً على قاعدة «الواجبات الشرعية ألطاف في الواجبات العقلية» فإنّ الإسلام شرّع الأحكام العقلية على صورة إلزام (وجوب أو حرمة) أو استحباب وكراهة، وفي كثير من النواحي الّتي يَعتبرُ العقلُ الشرعَ مرشداً مستقلّاً يكون الشرع هو الطريق لكشف الحقائق، ولذا فإنّ العقل يرجع في هذه الموارد إلى الشرع ويستفيد من نور هدايته ويقنع بأمره.

وفي هذا السياق، فإنّ آيات القرآن المجيد والأحاديث الشريفة تؤيّد المدركات العقلية، كما أنّها تهدي العقل إلى ما يعجز عن إدراكه مستقلّاً.

وقد وردت آيات عديدة في القرآن المجيد فيما يرتبط بهدفية الخلق وعدم عبثيته، منها:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الّذين كَفَرُوا﴾.[1]

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.[2]

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.[3]

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾.[4]

ومن جملة الآيات الصريحة الدالّة على وجود غاية حكيمة في خلق المخلوقات وإيمان ذوي العقول والألباب بهذه الحقيقة، هي قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[5]

وقد وردت آيات كثيرة في بيان الهدف من خلق كثير من الأشياء والأعضاء وصرّحت بأنّ الهدف من إيجادها هو نفس تلك المنافع الّتي تظهر منها والخواصّ

---

١. سورة ص، الآية ٢٧.

٢. سورة الدخان، الآية ٣٨.

٣. سورة الحجر، الآية ٨٥.

٤. سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

٥. سورة آل عمران، الآية ١٩٠ـ١٩١.

الّتي تمتلكها، وبعض هذه المنافع ظاهرة وتزداد ظهوراً يوماً بعد آخر، وبعضها لا زالت خافية علينا، مثل هذه الآيات:

﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾.[1]

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾.[2]

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾.[3]

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[4]

وأمثال هذه الآيات الدالّة على الهدف من خلق الأشياء ومنافعها، والهدف من الأفعال الإلهية كالوحي والنبوّات، التكوينيات، التشريعيات وخلق القمر والشمس والكواكب والنجوم والبحار والأنهار والغيث والأشجار والحيوانات والجبال، كثيرة يحتاج بيانها وشرحها وتفسيرها المختصر إلى كتابة مجلّدات.

ولكن وبنحو الإجمال والاختصار أقول: إنّ مَن تلا القرآن بتدبّر وتمعّن وتفكّر، كانت تلك الآيات الكريمة أفضلَ مرشد له إلى معرفة الهدف من الخلقة

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٩.

٢. سورة الرحمن، الآية ١٠.

٣. سورة طه، الآية ٥٣.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٢.

ومعرفة فوائد ومنافع الأشياء ومعرفة نعم الله الكبيرة ونعمه الّتي تبدو لنا صغيرة والّتي وضعها عزّ وجلّ تحت اختيار الإنسان للاستفادة منها، ومع ذلك فإنّنا غافلون عن فوائدها وخواصّها ونتائجها، بل وقد نتصوّر عدم الفائدة منها.

يقول القرآن الكريم في صدد بيان الهدف من خلق الإنسان:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾.[1]

وقد يكون تفسير هذه الآية هو: أنّ العبادة هي خاصّية هذين النوعين وأنّ مقتضى العبادة موجود في وجودهما، لذلك خلقهما للعبادة وإن كان المانع في بعض الموارد يمنع من تحقيق نتيجة هذا المقتضى وعدم تجلّي نور الفطرة، أي أنّ الإنسان مخلوقٌ لأنّ فيه خاصّية العبادة وإطاعة الحقّ تعالى، وأنّ الهدف من خلقه هو هذه العبادة الّتي لا يوجد كمالٌ أعلى منها.[2]

---

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦ـ٥٧.

٢. لا يخفى أن معنى العبادة والطاعة لا ينحصر في الأعمال العبادية الّتي تتوقّف صحّتها على قصد القربة مثل الصلاة والصوم والحجّ، لأنّ المعنى الجامع والواسع للعبادة هو إخلاص الطاعة لله تعالى، والتوحيد في العبادة معناه الصحيح والمؤثّر هو إخلاص الطاعة لله فقط والائتمار بأوامره ونواهيه وعدم الانقياد لغير الله وأحكامه ونظامه، وهذا هو أعلى مراتب الكمال في الفرد والمجتمع، يقول تعالى في قرآنه الكريم: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ (البيّنة، الآية ٥).

ولعلّ هذا هو نفس الهدف الّذي خفي أمره على الملائكة عندما تشرّفوا بخطاب الباري عزّ وجلّ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[2] فكأنّهم يتساءلون عن الهدف من خلق الإنسان فجاءهم الجواب من جانب الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[3]

أي صحيح أنّ البشر سيفسد ويسفك الدماء لكنّ الهدف من خلقه ليس هو سفك الدماء والفساد وإن صادف أنّه أفسد وسفك الدماء، فحوادث السير وقتل المظلومين واحتباس اللقمة في البلعوم ليس هو الهدف من صنع السيّارة والسيف والفم، فالهدف هو التسبيح والتحميد والتقديس والعبادة، والّتي تعدّ خاصّية البشر أعلى مراتبها وأكمل درجاتها والّتي هي: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أو أنَّ المراد من ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو أنَّ ذلك الشخص الّذي سأنتخبه لمقام الخلافة، لن يفسد في الأرض ولا يسفك الدماء، فإنّي سوف أختار محمّداً وعليّاً والحسن والحسين والمهدي وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى الّذين سينشرون منهج التوحيد والفضيلة والحرّية والأخلاق والصلاح وصيانة دم

---

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.

٢. سورة البقرة، الآية ٣٠.

٣. سورة البقرة، الآية ٣٠.

الإنسان والشرف، ويخلِّصون المجتمعات البشرية من الفساد وعبادة الأصنام والأشخاص والجبابرة والفراعنة، وينجّوهم من ذلّ الاستعباد، ويدخلونهم في جنّة عزِّ طاعتي.

أو أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ هو أنّ هذا البشر والخليفة له قابلية الوصول إلى مقام العلم والمعرفة وأنّه يستطيل إلى منصّة تعليم الأسماء.

هذه الأسباب والمقدّمات هي من أجل أن تظهر خاصّية العلم والمعرفة في هذا البشر وهي من أعلى مراتب الخاصّية، وهذا هو نفس ذلك الهدف والنتيجة الّتي يعبّر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿**اَللهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾.[1]

تقسيم الوجود

س9: قرأت كتابكم الموسوم بـ «به سوي آفريدگار» واستفدت منه في تدريس «أُصول العقائد» كثيراً، فأرجو أن تجيبوني عن هذه الأسئلة الثلاثة:

1. ورد في بعض الكتب أنَّ بعض الأُوربيّين قد أشكلوا على القاعدة العقلية القطعية القائلة «إنّ كلّ ما يتصوّره الذهن لا يخرج عن أحد أُمور

---

١. سورة الطلاق، الآية ١٢.

ثلاثة وهي: ممكن الوجود، واجب الوجود، ممتنع الوجود» وإنّ علماءنا قد أجابوا عن هذا الإشكال.

فأرجو أن توضّحوا لي هل أنّ إشكالهم هو نظير إشكال تصوّر موجود اللااقتضاء ـ الّذي ليس فيه اقتضاء واجب الوجود ولا اقتضاء ممكن الوجود ـ (والّذي يعني بالدقّة العقلية الخلق بين الواجب والممكن والمحال) أو أنه أمرٌ آخر؟

ج: تارةً يقال بأنّ ما يتصوّر في الذهن بأنّ الوجود الذهني ليس أمراً خارجياً، فإن لم يلزم من وجوده أو عدمه في الخارج محال، كان ذلك الشيء «ممكن الوجود»، وإن لزم من عدمه في الخارج محال كان ذلك الشيء «واجب الوجود»، وإن لزم من وجوده محال كان ذلك الشيء «ممتنع الوجود».

فيقال بأنّ التقسيم بالنسبة إلى الموجود الخارجي ليس ثلاثياً وإنّما هو تقسيم ثنائي بأنّ الموجود الخارجي إمّا «ممكن الوجود»، وهو الّذي لا يلزم من عدمه محال، أو هو «واجب الوجود»، وهو الّذي يلزم من عدمه محال، وهذا هو التقسيم الّذي ذكره الخواجة نصير الدين في أشعاره حيث يقول:

موجود منقسم به دو قسم است نزد يا واجب الوجود ويا ممكن الوجود

أي أنّ كلّ موجود منقسم بحكم العقل إلى قسمين، إمّا واجب الوجود أو ممكن الوجود إلى آخر ما جاء في شعره.. وكذلك ما جاء في «التجريد» حيث

يقول: «الموجود إن كان واجباً، وإلّا استلزمه؛ لاستحالة الدور والتسلسل».[1]

وأمّا أنّ نسبة وجوب الوجود والإمكان هي نسبة الوجود اللااقتضائي وأنّه يحمل فقط اقتضاء الوجود وأنّه واجب وممكن، يعني أنّه ممكن يلزم من عدمه محال في الخارج ولا يلزم محال في الخارج، فهو غير قابل للتصوّر، لأنّه تناقض واضح وصريح وأنّ استحالته لمن البديهيات الأوّلية.

المادّة والحركة

2. إنَّ بعض الماديّين مثل «هيغل» وآخرين قالوا بكلّ غرور: «أعطنا مادّة وطاقة وسنصنع لكم عالماً»، فما هو مرادهم من هذا الكلام؟ (فلو اجتمعت الجنّ والإنس على أن يخلقوا ذباباً لم يستطيعوا»، فهل أنّ مرادهم هو أنّ العالم وجد بواسطة المادّة والحركة؟ (والّذي أجبتم عليه في كتابكم «به سوي آفريدگار»).

ج: إذا كان مرادهم أنّ العالم وجد بواسطة الطاقة والمادّة فإنّه على فرض قبول هذه النظرية من قبل البعض لا يستلزم ذلك نفي وجود الله تعالى وعالم الغيب، لأنّ ذلك يعني أنّ الله تعالى قد خلق كلّ هذه المركّبات من شيئين وهما الطاقة والمادّة، وعلى فرض قبول أنّ شخصاً بإمكانه أن يصنع العالم من مادّة وطاقة وأن

---

١. الخواجة نصير الدين الطوسي، تجريد الاعتقاد، ص١٩٠؛ العلّامة الحلّي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٢٨٠ (المقصد الثالث في إثبات الصانع تعالى).

يوجد موجوداً حيّاً فإنَّ ذلك لا يشكّك في الإيمان بالله تعالى وخالق الكون، إذ أنّه حتّى في تلك الحالة يكون الفضل لله الّذي خلق المادّة والطاقة.

وفي الوقت الحاضر وحتّى في الماضي كان الإنسان يجري بعض العمليات الجرّاحية الّتي تصير سبباً في ولادة بعض الحيوانات، فإنّ يد الإنسان قادرة على إبراز وإظهار كثير من المظاهر المادّيّة، ولكنّ الجميع يعلم أنّ قدرة البشر على التصرّف في عالم المادّة والطبيعة، مرتبطة بعلمه واطّلاعه على بعض القوانين والسنن الجارية في هذا العالم. فليس بمقدور أحد أن يصنع المادّة الأوّلية، وإذا استطاع أن يهيّئ الأرضية المناسبة لولادة موجود حيّ فإنّه لا يستطيع أن ينسب حياة ذلك الموجود إلى نفسه، فالبشر لا يستطيع أن يصنع شيئاً لم يأخذ مادّته من هذا العالم، ولا يتمكّن من استحصال شيء من خارج عالم الطبيعة أو أن يصنع شيئاً من مادّة خارجة عن عالم الطبيعة، وإنّما كلّ ما يقوم به هو من هذا العالم، حاله حال البنّاء الّذي يأخذ الطوب والإسمنت ويبني بهما بيتاً، فكلّه من هذا العالم المخلوق لله تعالى.

وكلّما ازدادت معارف الإنسان وتقدّم في علومه وكلّما قام بصنع شيء، كان عليه أن يستفيد من نفس هذا العالم وهذه هي الحقيقة الّتي أشار إليها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾،[1] ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا**

---

١. سورة الطور، الآية ٣٥.

تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾،[1] **﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾**.[2]

ومع كلّ ذلك، هل يستطيع أحد، وبدون الاستفادة من هذه المـوادّ وتلفيقهـا والتصرّف فيها، أن يوجد نبتةً صغيرة باتّباع قوانين غير القـوانين الّتـي سـنّها الله تعالى للزراعة في هذا العالم؟!

فإن قالوا بأنّ المادّة والطاقة قديمان، فجوابنا هو نفس ما ذكرناه في كتابنـا «بـه سوي آفريدگار» و «الإلهيات في نهج البلاغة»، مضافاً إلى أنّ عليهم أن يفسّرـوا علّة تركيب المادّة والطاقة وارتباطهما وانسجامهما في صنع العالم وهو بحـدّ ذاتـه ظاهرة ملفتة للانتباه.

كيفية التعامل مع الأشخاص الّذين يثيرون الشبهات

3. هل يجوز لنا تجاهل الأشخاص الّذين يثيرون الشبهات والشـكوك في القضايا البديهية، أو معاملتهم بحدة؟ كـما أنّـه لـو قيـل: إنَّ مـن البـديهيات العقلية، أن يكون لكلِّ معلـول علّـة، وحتّـى الأُمـور الّتـي تحصـل صـدفة

---

١. سورة الواقعة، الآية ٥٨ـ٥٩.

٢. سورة الواقعة، الآية ٦٣ـ٦٤.

والمعجزات فإنّها تحصل بإرادة إلهية خاصّة، وفي النهاية فإنَّ سبب الأسباب وعلّة العلل هو «واجب الوجود» فإنّ أُولئك الأشخاص يجادلون بغير حقّ.

ج: إذا كان هؤلاء الأشخاص ينكرون الواضحات والمسلّمات العقلية فإنّ البحث معهم سيكون عقيماً ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**﴾،[1] ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾،[2] ومع كلّ ذلك فإنّه وكما أمرنا القرآن الكريم ينبغي أن نعاملهم بصفح جميل وبالّتي هي أحسن، إذا لم يكن لهذا النوع من المعاملة أثرٌ سلبي.

الاسم الأعظم

س10: أيّ الأسماء هو الإسم الأعظم؟ وهل يمكن تعيينه من خلال الرموز الموجودة في منظومة المرحوم الشيخ البهائي﵀ والّتي يقول في المقطوعة 87 منها في المصرع الأوّل: ثمان حروف بترتيب ونظام وحتى البيت 95 منها؟

---

١. سورة البقرة، الآية ٦ـ٧.

٢. سورة الحجر، الآية ٣.

ج: هناك أقوال وآراء متعدّدة في خصوص «الاسم الأعظم»، فقد ذكر الكفعمي في «المصباح» أنّ الأقوال في هذا الموضوع كثيرة قد لا يسعها مصنَّفٌ مستقلّ، ثمّ ذكر ما يقرب من الستّين رأياً وقولاً في ذلك.[1]

وروي في «بصائر الدرجات» عن الصادق عليه السلام بأنّ الله تعالى قد جعل الاسم الأعظم في ٧٣ حرفاً وقد أعطى نوحاً ١٥ حرفاً وأعطى إبراهيم ٨ حروف وأعطى موسى ٤ حروف وأعطى عيسى حرفين، فأحيى عيسى بالحرفين الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص وأعطى لمحمّد صلى الله عليه وآله ٧٢ حرفاً وأبقى حرفاً لنفسه.

وقد ورد ما يقرب من هذا المضمون في «شرح الصحيفة السجادية»، الدعاء الخمسين، وما رواه الصفّار في «بصائر الدرجات» عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وأنّ الاسم الأعظم ٧٣ حرفاً، وكان عند آصف بن برخيا حرف واحد منه وتمكّن أن يأتي بعرش «بلقيس» بتلك السرعة الّتي ذكرها القرآن المجيد وأحضره عند «سليمان» وأنّ عند الأئمّة عليهم السلام اثنان وسبعون حرفاً واختصّ الله تعالى لنفسه بحرف واحد ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

ولهذا الحديث الشريف شروح منها ما ورد في «شرح الصحيفة» وكذلك في كتاب «شرح الأسماء الحسنى» للهمداني.

---

١. الكفعمي، المصباح، ص٣٠٦ـ٣١٢.

وقد ورد عن الإمام الرضاﷺ بأنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها.[1]

وفي «مجمع البيان» في تفسير سورة الحشر، روي عن رسول اللهﷺ بأنّ الاسم الأعظم في الآيات الستّ الأخيرة من سورة الحشر.

وقد ذكر في كتاب «الكلم الطيّب» علامات الاسم الأعظم وقال: إنَّ الاسم الأعظم في خمس آيات من خمس سورة من القرآن وهي: البقرة، آل عمران، النساء، طه والتغابن.[2]

وقال البعض بأنّ «الحيّ القيّوم» هو أعظم الأسماء الحسنى.

وفي «المصباح» قال الكفعمي: روي أنّ الاسم الأعظم موجود في دعاء «الجوشن الكبير» ودعاء «المشلول» ودعاء «المجير».[3]

وقد روي في بعض الروايات عن الرضاﷺ بأنّ «العليّ العظيم»، هو «الاسم الأعظم»، لأنّ الله تعالى هو العالي على كلّ شيء، والأعظم من كلّ شيء.[4]

---

١. العيّاشي، تفسير، ج١، ص٢١؛ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج١، ص٨.

٢. الطيّب، الكلم الطيّب، ص٥٩.

٣. الكفعمي، المصباح، ص٣١٢.

٤. المجلسي، بحار الأنوار، ج٤ ص١٧٥.

وروى الصدوق في «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السلام أنَّ الاسم الأعظم موجود في ثنايا سورة الحمد «فاتحة الكتاب» وأنّ حروفه كلّها موجودة في هذه السورة.[1]

وأمّا فيما يرتبط بطريق التعرّف على الاسم الأعظم فإنّ بعض الأبيات الشعرية المتضمّنة لطريقة معرفة هذا الاسم، منسوبة إلى الشيخ الكبير والنابغة الشهير «بهاء الدين محمّد العاملي» ـ كما ذكرت في سؤالك ـ وقد ثُبِّتت هذه الأبيات في كتابه «كليات الشيخ البهائي»[2] وكتاب «بيان الآيات في علم الزبر والبيّنات»[3] وكتاب «روائح النسمات»[4] مع الشرح والتوضيح ولكن:

أوّلاً: إنّ هذه النسبة غير ثابتة وقد شكّك بها البعض.

ثانياً: أعتقد أنّ سلوك هذا الطريق بقصد كسب القوّة والقدرة للاستفادة من آثار «الاسم الأعظم» للأغراض الدنيوية ولكي تظهر العجائب والخوارق على يد هذا الشخص، هو بنفسه حجابٌ ما بين الإنسان وربِّه، وسببٌ لزيادة الكدورات الباطنية المنافية للإخلاص وصفاء القلب.

---

١. الصدوق، ثواب الأعمال، ص١٠٤.

٢. البهائي، كليّات، ص٩٣.

٣. النجفي الجيلاني، بيان الآيات، ص٤١.

٤. الميرجهاني الطباطبائي، روائح النسمات، ص٥٧.

فالتعمّق في هذا الوادي يصير سبباً في أن يتلف الإنسان عمره مع الحروف والحساب والنظر في الزبر والبيّنات الحرفية وما يرتبط بها، وأن يتأخّر عن كمال القوّة العلمية والعملية، والّتي تحصر عن طريق العبادة والطاعة والتفكّر والمطالعة والتأمّل في الآيات الآفاقية والأنفسية، والنظر والتدبّر في معاني القرآن المجيد والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وأنّه سوف يتوقّف عند هذه المرحلة، وبعد أن يصرف عمره العزيز في هذه الأُمور سيندم على تضييع الفرص الثمينة لنيل الكمالات.

أجل، إذا كان بالإمكان تحقّق العلم بهذا الاسم ـ بالمقدار الّذي يمكن لغير الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ـ فإنّني أعتقد أنّ هذا المقدار من العلم إنّما يكسبه الإنسان عن طريق التعبّد والعبادة والالتزام بالأحكام الشرعية وفعل الواجبات والمستحبّات، وترك المحرّمات والمكروهات والتخلّق بالأخلاق الحميدة والتجنّب عن الصفات الذميمة، والالتزام بذكر الله تعالى، وبشرط أن يكون الغرض من ذلك هو الطاعة وامتثال الأوامر الإلهية والتقرّب إلى ساحة القدس الإلهي، وتكميل النفس وتهذيب الأخلاق ورفع الحجب، لا الأغراض الدنيوية.

وفي هذه الصورة، فإنّ معرفة «الاسم الأعظم» ليست لازمة، فإنّ السالك إلى الله إذا تفكّر في نفس هذه الأسماء الشريفة الّتي عرَّفتها الروايات بأنّها هي الاسم الأعظم، وتعرّف على معانيها بالمقدار المتيسّر، وجعلها ورد لسانه، فإنّه سيحصل بلا شكّ على فوائد وبركات كثيرة.

وثالثاً: إنَّ هذا (الاسم الأعظم) الّذي ورد في الحديث أنّه ٧٣ حرفاً وأنّ الله تعالى علّم عيسى بن مريم - على نبيّنا وآله وعليه السلام - حرفين منه فقط، لم يحصل لأحد من الخلق معرفة تامّة بكلّ حروفه، بحسب ما جاء في الحديث، فإنّ الله تعالى قد اختصّ لنفسه بحرف واحد وعلّم رسول الله محمّداًﷺ اثنين وسبعين حرفاً وعلّم آدم خمساً وعشرين حرفاً وعلّم نوحاً خمسة أحرف وإبراهيم ثمانية وموسى أربعة أحرف إلّا إذا قال القائل بأنّه يمكن أن يحصل النخبة من المؤمنين كسلمان الفارسي وأبي ذرّ وميثم التمّار ورُشَيد الهجري، على حرف واحد منه كما حصل آصف بن برخيا عليه، فإنّ الله تعالى أعرف بمحالّ ومواضع تفضّله ومنّه على الناس.

وينبغي الالتفات هنا إلى أمر وهو أنّه ليس بالضرورة أن يكون لهذه الحروف أثر واحد وخاصّية منفردة، فقد يكون لكلّ واحد من حروفه أثر متفاوت عن أثر الحرف الآخر، فقد يكون الحرفان اللذان حصل عليهما عيسى ذا أثر أكبر من أثر الحروف الخمس والعشرين الّتي تعلّمها آدم ومن الحروف الخمسة الّتي تعلّمها نوح، وقد يكون الحرف الوحيد الّذي منع عن الخلق أعظم بكثير من مجموع كلّ الحروف الّتي أُعطيت لهم، وإنّ أحداً من الخلق ليس له تلك اللياقة للحصول عليه وتعلّمه.

ورابعاً: يذهب بعض العلماء وأهل النظر إلى أنّ هذه الحروف الّتي يتشكّل منها الاسم الأعظم هي ليست من حروف الهجاء، وإنّما هي حقائق يكون

لدركها وفهمها آثار كبيرة ومهمّة، ويقول هـؤلاء الأعـلام: إنّ الـدليل عـلى أنّ الاسم الأعظم ليس تركيباً لفظياً لثلاثة وسبعين حرفاً من حروف الهجاء هو: أنّ هذه الحروف لم تعط لأيّ شخص بمجموعها، وإنّما أُعطي البعض حرفاً واحـداً والبعض اثنين، وأربعة وثمانية واثنـين وسـبعين، فـإن كـان المـراد هـو المجمـوع التركيبي لهذه الحروف فإنّه لم يكن معنى هذا الاسـم قـابلاً للفهـم مـن قبـل أيّ شخص ـ فيما لو كان ناقصاً حرفاً واحداً، كما في الرواية ـ اللّهمّ إلّا أن يقـال بـأنّ هذه الحروف تكتسب شرافة وموضوعية من جهة تركّب الاسم الأعظـم منهـا، فمن تعلّم حرفاً منها، فإنّه سيحظى بآثار هذا الشرف والموضوعية.

والوجه الآخر الّذي اعتقده أنا في هـذا المجـال وتأييـداً لعـدم هجائيـة حـروف الاسم الأعظم، هو أنّه إذا كان المراد من الحروف هو حروف الهجاء فإنّه لن يتجـاوز الثمانية وعشرين حرفاً، في حين أنّنا نرى بأنّ الروايـات تقـول بـأنّ الاسـم الأعظـم ثلاث وسبعين حرفاً ومن البعيد أن يكون الاسم مركّباً من حروف مكرّرة.

الوجه الآخر الّذي أتصوّره هو أنّ آصف بن برخيا كان يعلم حرفاً واحداً من الاسم الأعظم كما ورد في الروايات، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله تعـالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**﴾[1]، فمن البعيد أن يكـون المـراد مـن الكتـاب،

---

١. سورة النمل، الآية ٤٠.

الاسم الأعظم ـ المركّب من حروف الهجاء ـ وأنّ آصف كان عنده حرف هجائي واحد من هذا الاسم.

إذن، فمن الممكن أن يكون المراد من الاسم الأعظم في الروايات هو مجموع عالم الكون وما سوى الله وأنّ المراد من العلم هو تلك العلوم الكونية، والنظرة الكونية ومعرفة العالم والاطّلاع على علل ترابط المخلوقات بعضها بالبعض، وحجم ووزن الكواكب والكرات والمنظومات، وخواصّ قاطبة الموجودات في هذا الكون، وظاهر وباطن وروح وجسم الأرض والسماء والملائكة، المكتشفة وغير المكتشفة.

فكلّ من اطّلع على مقدار من معرفة المقادير الإلهية في هذا النظام الكبير المتقن، أمكنه أن يقوم ببعض الأعمال الّتي يعجز عن القيام بها أُولئك الّذين لم يتعرّفوا على تلك المقادير، ولـمّا كان آصف قد تعلّم مقدار جزء من ثلاث وسبعين جزءاً من علم العلاقات الكونية وعلل الظواهر الوجودية الطبيعية وما وراء الطبيعية، تمكّن من إحضار عرش «بلقيس» بتلك السرعة.

والمراد من حصول بعض الأنبياء عليهم السلام على عدد من هذه الحروف هو بيان سعة وضيق دائرة معلوماتهم حول الكون وعلل الظواهر الكونية.

والدليل على ذلك هو هذه الآية الشريفة: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[1]، والّتي ورد في بعض التفاسير بأنّ المراد من ﴿**مَنْ عِنْدَهُ**

---

١. سورة الرعد، الآية ٤٣.

﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فإنّ آصف كان عنده علم ومعرفة من ذلك الكتاب وأنّ أمير المؤمنين عنده علم ومعرفة بكلّ الكتاب، فليس عجيباً منه عندما يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالله إنّي لأعرف بطرق السماء من طرق الأرض».[1]

ولا يخفى بأنّ ما ورد في بعض الروايات في أنّ الاسم الأعظم هو «الحيّ القيّوم» لا ينافي ما ورد في البعض الآخر منها من أنّ الاسم الأعظم هو «العليّ العظيم» فقد يكون المراد من هذه الإطلاقات هو أسماء تشمل الأسماء الأُخرى بشكل وأنّها فوق جملة من الأسماء الأُولى، أو هي أسماء تدلّ عليه بشكل أصرح وأصدق فتسمّى بهذا اللحاظ الاسم الأعظم.

وبعبارة أُخرى: إنّ أسماء الله الحسنى وبملاحظة دلالتها على الذات والصفات الإلهية للباري تعالى، وبالقياس إلى نفسها وبحسب السعة وعموم الدلالة فإنّ بعضها أعظم من البعض الآخر، وبعضها يقع في ضمن دائرة البعض الآخر، حتّى تصل إلى اسم الله الأعظم الّذي يشمل كلّ هذه الأسماء، وعلى هذا التفسير واستناداً إلى هذه الملاحظات، قد يكون عندنا أكثر من اسم أعظم واحد.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩ (ص٢٨٠).

كما أنّه يمكن إطلاق الاسم الأعظم على هذه الأسماء حقيقة أو مجازاً بملاحظة قرب معاني هذه الأسماء إلى الاسم الأعظم، أو بلحاظات تركّب هذه الأسماء من حروف الاسم الأعظم.

وكما قلنا، فإنَّ من جملة هذه الإطلاقات هو اهتمام الناس بحفظ هذه الأسماء الشريفة والالتزام بذكرها والالتفات إلى معانيها وتفسيرها، وأن لا يُحرموا من فوائد هذه الأسماء إذا ما عرفوا وشخّصوا نفس الاسم الأعظم من بين كلّ الأسماء.

وأخيراً يجب أن لا يغفل القاري عن أنّ الاسم الأعظم إذا كان عبارة عن أصوات وحروف، فإنّها لا تؤثّر بنفسها وإنّما المؤثّر والفاعل هو ذات المسمّى الإلهية الأزلية الّتي تستجيب الدعاء حين الدعاء بهذا الاسم.

وممّا سبق اتّضح أنّ هذا البحث من البحوث العلمية الدقيقة والّتي يصعب الفصل فيها بضرس قاطع، إذ كلّما كتبنا فيه وحقّقنا حوله، فإنَّ دائرته تتّسع وتخرج عن أُفق الأفهام البشرية، كما لو قلت بأنّ البحث والفحص يزيد من القضية غموضاً وعمقاً. ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

فمن الأفضل للضعفاء من أمثالي أن نذعن بأنّنا لم نصل إلى معرفة حقيقة هذه القضية ليس لأمثالي فقط وإنّما حتّى لكبار المحقّقين، فإنّ استعدادنا العلمي والعملي ناقص وأصغر من أن يوصل هذا البحث إلى خاتمة مستوفاة ومطمئنّة.

عدد الأسماء الحسنى

س11: نرجو أن تتفضّلوا علينا ببيان عدد «الأسماء الحسنى»؟

ج: ما وردنا من الأسماء الحسنى في القرآن الكريم هو ١٢٧ اسم بحسب ما جاء في بعض التفاسير.

وقد خصّ العلّامة المجلسي﵀ الباب الثالث من أبواب أسماء الله تعالى من كتاب «التوحيد» لعدد أسماء الله تعالى وفضل إحصائها وشرحها.[1]

وبحسب الروايات المنقولة في الكتب المعتبرة مثل «مجمع البيان»[2] و «التوحيد» للصدوق[3] وفي كتب شرح الأسماء الحسنى، فإنّ أسماء الله الحسنى هي ٩٩ اسماً، ومن أحصاها دخل الجنّة، وقد ذكرت هذه الأسماء في الروايات.

يقول الصدوق﵀: ليس المقصود من إحصائها، عدّها، بل أنّ المقصود هو معرفتها والاطّلاع على معانيها.

وقد ورد تفسير وشرح هذه الأسماء التسع والتسعين في كتب شرح الأسماء الحسنى، وإنّ الصدوق شرحها أيضاً في كتابه «التوحيد» كما ورد شرحها في

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص١٨٤.

٢. الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٦.

٣. الصدوق، التوحيد، ص١٩٤ـ٢١٩.

«مصباح الكفعمي» و «عدّة الداعي»[1] لابن فهد الحلّي، وشرحها آخرون وإنّ مراجعة هذه الشروح والتفاسير مفيدة لزيادة المعرفة ويستفاد من بعض الأخبار أنّ عدد الأسماء الحسنى هو ٣٦٠ اسماً.[2]

وبحسب ما رواه المجلسي والسيّد علي خان والكفعمي فإنّ عدد الأسماء الحسنى ٤٠٠٠ اسم.

وقد يكون المراد من التسع وتسعين اسماً الواردة في الطائفة الأُولى من الروايات هو الأسماء الأشرف أو الأظهر والأوفق والأسبق والأصدق إلى المسمّى.

كما يمكن أن ترجع الأسماء الأُخرى إلى هذه الأسماء التسع والتسعين.

وأحياناً، تتصوّر كثرة الأسماء بملاحظة اللغات المختلفة، وبهذا اللحاظ يتجاوز عدد الأسماء أربعة آلاف اسم.

وتارة تتولّد الكثرة بلحاظ الإضافة إلى صفات أُخرى، وبهذا اللحاظ لا يمكن حصر وحدّ الأسماء، مثل «الخالق» الّذي هو اسم واحد ولكنّه يتعدّد بإضافته مثل خالق الأرض، خالق السماوات، خالق الشجر، خالق الجبال، خالق الإنسان و... وكذلك اسم الفاطر، البارئ، الرزّاق، الكافي، الربّ، الكاشف، وأكثر الأسماء الحسنى.

---

١. ابن فهد الحلّي، ص٢٩٨ـ٣١٦.

٢. الصدوق، التوحيد، ص١٩١. لاحظ شرح هذا الحديث في بحار الأنوار (ج٤ ، ص١٦٧ـ١٧٢).

عباراتنا شتّى وحسنك واحدٌ وكـــلٌّ إلى ذاك الجـــمال يشـــير

ومن جهة أُخرى، فإنّ كلّ الموجودات والمخلوقات هي أسماء الله، ذلك أنّ الاسم هو الدالّ على المسمّى وطريق معرفته وعلامة صاحبه. فوجود المخلوقات هو آيات وجود الله، وكلماته وآثاره، وإنّ أكمل وأشرف هذه الأسماء هم الأنبياء والأولياء وخاصّة خاتم الأنبياء محمّدﷺ والأئمّة الاثنى عشر صلوات الله عليهم أجمعين، فإنّه وكما ورد في الرواية عن الصادقؑ أنّه قال:

«نحن أسماء الله الحسنى الّتي لا يقبل من أحد طاعة إلّا بمعرفتنا، قال: ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا**﴾»،[1] ولأنّ هؤلاء الأطهار هم ـ من حيث الذات والصفات والأفعال والأقوال ـ وسائل معرفة الله، وعلائمه والأدلّة عليه وآياته الكبرى وأسماؤه الحسنى.

المراد من الهداية العامّة

س12: إذا كان أكثر الناس أو القسم الأعظم منهم على ضلال، وينحصر المهتدون بالأُمة الإسلامية بل وبالفرقة الناجية من المسلمين، أفلا يتنافى ذلك مع الهداية العامّة لله تعالى ولاسم «الهادي» الشريف الّذي يشمل كلَّ البشرية؟ ثم إنّه ألا يوجب ذلك حرمان الأكثرية من الهداية الإلهية؟

---

١. الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج١، ص٦٢٨.

ج: إنّ مفهوم اسم «الهادي» ومعنى الهداية الإلهية، لا يعني الإجبار على الهداية وسلوك الصراط المستقيم.

فالهداية بالمعنى العامّ ـ الشامل للجميع ـ هي الهداية التكوينية الشاملة لجميع موجودات عالم الخلق من الجماد والنبات والحيوان وحتّى الإنسان، وكلّ هؤلاء يسيرون بواسطة تلك الهداية نحو كمالهم الوجودي، وقد يكون هذا المعنى هو المقصود في قوله تعالى: ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[1]، وكذلك يعني الهداية التشريعية والإرشادات الإلهية الموحاة إلى الأنبياء لإيصالها إلى الناس، فهي هداية عامّة شاملة لجميع الخلق، الصالحين منهم والضالّين، فهي شاملة لفرعون وقارون والشمر ونمرود وغيرهم من الأشقياء، كما أنّها شاملة للصلحاء، ولا يحرم منها أحد من العالمين.

وعلى هذا، لا ينحصر المهتدون بالمسلمين، بل إنّ عامّة أفراد البشر أيضاً يهتدون بهذه الهداية بحسب الفطرة وهداية العقل والوحي والشرع المبين، كما ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾،[2] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾.[3]

---

١. سورة طه، الآية ٥٠.

٢. سورة فصّلت، الآية ١٧.

٣. سورة الإنسان، الآية ٣.

وفي هذا المضمار يوجد نوع من الهداية الخاصَّة والإمداد الإلهي واللطف والعناية والتوفيق الربوبي، يشمل بعض الأشخاص وفي ظروف معيّنة، ويستند أكثرها إلى إقبال الإنسان نحو طلب الهداية، والجهاد والمجاهدة، وكما يعبّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1] والمقصود منها الهداية الخاصّة.

انتساب اللفظ الجلالة (الله) إلى المعصومين عليهم السلام

س13: تقرأ في بعض المحافل الدينية بعض القصائد الشعرية المتضمّنة للفظ الجلالة «الله» ويضاف إلى الذوات المطهّرة لأهل بيت العصمة والطهارة، فمثلاً يقال: «عليّ اللهي» أو «حسين اللهي» أو «زينب اللهي» وحتّى «أكبر اللهي، والمقصود علي الأكبر عليه السلام»، وأحياناً يقرأ اللفظ المبارك «هو» بنحو خاصّ وبصورة جماعية وبصوت عالٍ، مباشرة بعد ذلك اسم «يا حسين» أو «زينب» فمثلاً يقال: «يا زينب هو» وأمثال ذلك.

نلتمس حضرتك ولتنوير الأذهان، إبداء رأيكم المبارك بهذا الخصوص فإنّه من الأُمور الملحَّة اليوم. كما نسأله سبحانه وتعالى أن يمنّ علينا جميعاً بتوفيق الطاعة والتبعية الكاملة للأحكام الإلهية، وأن ينجينا من الفتن.

---

١. سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

ج: من الواضح أنّ قول هذه العبارات بقصد جادّ وإرادة مفهومها الظاهر، هو شركٌ وكفر. وفي حالة الشكّ في إرادة اللافظ لهذه الألفاظ المعنى الظاهر منها أو معنى آخر ـ بدون نصب قرينة صارفة عن المعنى الظاهر ـ فأيضاً يحمل على الكفر.

ولكن وبملاحظة كون الأفراد الموحّدين المؤمنين إنّما يتلفّظون بهذه الألفاظ وهم غافلون عن معناها الحقيقي، ولكونهم يعتقدون بأنّ الأئمّة عليهم السلام هم عبادٌ مكرمون مقرّبون من الله وأنّهم أولياء الله، أو أنّ هؤلاء الأشخاص لم يقصدوا أبداً تأليه الأئمّة عليهم السلام والقول بأنّهم الله، فلا يمكن الحكم بكفرهم.

بيد أنّه لابدّ من التنبيه على ضرورة اجتناب التلفّظ بهذه العبارات لما تسبّبه من إساءة للدين والمذهب ولإدراك ومعرفة المجتمع.

فالمسلمون الّذين يشهدون في كلّ صلاة يصلّونها بأنّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله الّذي هو خير وأفضل أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين هو عبد الله ورسوله، ينبغي أن لا يقولوا «أنا محمّد اللهي» أو «عليّ اللهي» أو «حسين اللهي».

وعلى هذا يجب أن تتنزّه مجالس المؤمنين عن مثل هذه العبارات والألفاظ، وأن تتزيّن بذكر فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام الواردة في الأحاديث الصحيحة، وعليهم أن يحيوا أمر ولاية أهل البيت عليهم السلام وأن يراعوا حدود التوحيد والنبوّة والإمامة وأن يحفظوا حرمة مقامات آل محمد صلى الله عليه وآله.

أسأل الله تعالى أن يحفظ كلّ أعمالنا وأفعالنا العبادية من وسوسة الشياطين وتخرّصات الجهّال، وأن يوفّقنا لتعظيم الشعائر والتأسّي الكامل والصحيح بأهل البيت عليهم السلام.

وينبغي الالتفات هنا إلى أنّ تنبيه هؤلاء الأشخاص إلى خطأهم يجب أن يتمّ بشكل صحيح وبروح أخوية ناصحة مشفقة وبكلّ صفاء وشفافية، لكي تتحقّق الثمرة وتنفع الذكرى.

العلم والإرادة الإلهية

لماذا نقول «إن شاء الله» كلّما أردنا القيام بعمل معيّن

س14: أليس الله سبحانه وتعالى يريد الخير لعباده؟ يريد للعبد أن يسير نحو الكمال ويهتدي للرشاد؟ فلماذا إذن نقول: «إن شاء الله» كلّما أردنا القيام بعمل معيّن؟ فمثلاً إذا أردنا أن نبني مسجداً ليكون ذخيرة لآخرتنا نقول: سنبني المسجد إن شاء الله، فما هي فلسفة قوله هذه العبارة المباركة؟

ج: لا منافاة بين قول «إن شاء الله» وبين الوصول إلى الكمالات، بل إنّ قولها من الكمال بحدّ ذاته، وذلك أوّلاً: إنّه ورد الحثّ على قولها في القرآن الكريم وفي الروايات، وثانياً: إنّ معنى هذه العبارة هو أنّ تحقّق الأُمور مرهونٌ بالمشيئة الإلهية، بمعنى أنّه إذا لم يشأ الله تعالى تحقُّق هذا الأمر في الخارج فإنّه لن يتحقَّق أبداً.

وقول «إن شاء الله» في أُمور الخير يعود في الحقيقة إلى أنّ القائل يطلب من الله تعالى رفع الموانع المحتملة لهذا العمل أو منع تلك الموانع، وأن يوفّق لذلك العمل، وهذا دليل على كمال التوحيد لله من قبل القائل. والله العالم.

الإرادة الإلهية وإرادة الإنسان

س15: هل نحن مستغنون في أفعالنا عن الإرادة الإلهية وأنّنا نقوم بها بإرادتنا واختيارنا؟

ج: تعلّقت الإرادة التكوينية الإلهية بأن نقوم بأعمالنا وأفعالنا بنحو الاختيار، فنحن نشعر بالوجدان بأنّنا مختارون في أفعالنا، وإن كان هذا الاختيار الموجود عندنا هو بإرادة الله تعالى.

علم الإلهي والأنبياء والأئمّة واختيار الإنسان

س16: ألا يكون العلم الإلهي وعلم الأنبياء والأئمّة بأفعالنا، موجباً لسلب اختياراتنا في الأفعال؟

ج: إنّ علم الله تعالى وعلم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام بالوقائع والأحداث، لا يسلب اختيار الأشخاص وعلل وقوع الحوادث، إذ في غير هذه الحالة ـ والعياذ بالله ـ سيلزم نفي علم الله تعالى بكلّ الوقائع الكلّية والجزئية، وهو خلاف الضرورة والبداهة، أو القول بالجبر وهو أيضاً مخالف للضرورة والوجدان، ومستلزمٌ لتبعية المعلوم للعلم.

والحلُّ الإجمالي لهذه الشبهة هو: أنّ العلم الإلهي والعلم الّـذي حصـل عليـه الأنبياء والأولياء من الله، متعلّق بوقوع الحوادث بتسلسلها الطبيعي، والّتي مـن جملتها، أفعال الأشخاص بإرادتهم واختيارهم، فلو وقعت تلك الأفعـال مـنهم بلا إرادة واختيار لتخلّف العلم الإلهي وهو محال.

وعلى كلّ حال فإنّ المسألة مسألة وجدانية، فـإذا رجـع الإنسـان إلى وجدانـه ومدركاته لوجد أنّ أفعاله تتمّ بصورة اختيارية وبإرادته ولا يمكن لألف شـبهة أن تغيّر هذا الشعور الوجداني بالاختيارية.

ومن جهة أُخرى، فإنّ علم الله تعالى بكلّ الأُمور والحوادث، وإخبار الأنبياء، خاصّة الرسول الأكرم محمّدﷺ، والأئمّة الطاهرين عن الوقائع والحوادث، ثابت مسلّم، وإنّ الكثير من تلك الأخبار قد تحقّق وظهرت، وإنّ ما يـرتبط بالمسـتقبل سيقع أيضاً ويتحقّق، وهذه الإخبـارات ثابتـة وواضـحة كوضـوح الشـمس في رابعة النهار ولا يمكن إنكارها ولا يرتبط بمسألة الجبر والاختيار.

فائدة خلق الإنسان وتشريع التكليف

س17: ما هي فائدة خلق الإنسان وتشريع التكاليف إذا كان أكثر الناس هم من أهل جهنّم؟

ج: إنّ الهدف من خلـق البشرـ هـو الوصـول إلى المقامـات الكماليـة العاليـة بالاستفادة من اختياريّتهم وبالاستهداء بهداية الله تعالى، ونيـل رضـوانه وجنّتـه

ونعمه فإن كان أكثر الناس ـ كما تقولون ـ هم من أهل جهنّم وإنّهم انتخبوا النار بدل الجنّة، فإنّ هذا إنّما هو لسوء اختيارهم.

والحاصل أنّ البرنامج الامتحاني المعقّد جدّاً، والاختبارات المتعدّدة، تمارس مع هذا الخلق، وهي في الحقيقة تشخيص وتخليص، لاختيار الأكفاء والصلحاء، وهذا البرنامج في الواقع لا يختصّ بالإنسان بل هو بمعنى من المعاني وبدرجات متفاوتة موجود في كلّ عالم الطبيعة، مع فارق واحد وهو وجود الاختيارية عند الإنسان في ناحية التشريعيات والأُمور التكليفية.

على أنّه ليس من الثابت والمسلّم أنّ أكثر البشر هم من أهل جهنّم أو من المخلّدين فيها، بل أنّ التعبير القرآني يقول: ﴿**كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾[1]، والمقدار المتيقّن هو أنّ الأشخاص المقصّرين والملتفتين إلى تقصيرهم، إذا ماتوا في حال الكفر فإنّهم يستوجبون جهنّم، وإنّ الخلود في جهنّم هو للمعاندين فقط.

دور الاختيار في الإنسان

س18: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه أجاب سعد بن أبي وقّاص الّذي استهزأ بعلم أمير المؤمنين عليه السلام، وأخبره بأنّ ولده (عمر بن سعد) سيقتل ابنه الحسين عليه السلام.

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

وسؤالي هو: إذا كان مصير مثل هذا الشخص معّيناً من قَبل، فما هو دور «الاختيار» في الإنسان؟ وعلى فرض تراجع أمثال «عمر بن سعد» و «شمر» عن ضلالهم ومع الأخذ بنظر الاعتبار القضاء الإلهي باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فهل أنّ هذا القضاء الإلهي سيتحقّق أيضاً أم أنّه سيتخلّف؟

ج: المخاطب بكلام أمير المؤمنين هو «سعد بن أبي وقّاص» أبو «عمر بن سعد»، والأخبار باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام الواردة عن رسول الله وأمير المؤمنين - صلوات الله عليهم - كثيرة، وهذه الشبهة الّتي عنيتموها هي شبهة الجبريّين، وقد وردت هذه الشبهة في بعض أشعار «الخيّام» أيضاً.

إنّ القول بأنّ العلم الإلهي هو علة العصيان لهو عند العقلاء أقصى مراتب الجهل.

إنّ العلم الإلهي بأنّ عمر بن سعد أو الشمر هو قاتل سيّد الشهداء عليه السلام لا يعني سلب الاختيارية عنهما وإجبارهما على قتل الحسين عليه السلام بل إنّ العلم الإلهي متعلّق بعملية القتل الصادرة عن اختيارهما، وإنّ القتل والفعل الصادر عن غير اختيارهما وإرادتهما ليس متعلّقاً للعلم الإلهي، كما أنّه لم يقع.

وعلى أيّ حال، فإنّنا نعلم بالوجدان والبداهة أنّ عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وكلّ ظالم وكلّ شخص عادل يفعل ما يفعل باختياره وإرادته، كما أنّنا نعلم بأنّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على يد قتلته قد ورد في الأخبار على لسان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام. والله العالم.

إرادة الله في عالم الوجود

س19: منذ أربع سنوات أنا أُواجه أمواجاً فكرية وعقائدية ودينية متلاطمة، وعجزت عن التخلّص منها بمفردي، فراجعت عدّة أشخاص لاستشارتهم، ولكن لم أحصل على الجواب الشافي، وأودّ الآن مشاورة مرجع ديني ومن له رؤية جديدة ومنفتحة للإسلام وللتشيّع والإيديولوجية، ومن له اطّلاع بأُمور العصر ـ وبطبيعة الحال فإنّ رغبتي الملحّة هي أن أُبيّن لكم علّتي مشافهة، ولكن بُعد المسافة يمنعني من ذلك.

في البدء أقول لكم صراحة: إذا لم ترغبوا في إبداء الجواب المنفتح الشافي فإنّي سأنسحب ولن آخذ من وقتكم، وإن كان المقدّر من عمري يسمح لي فإنّي سآخذ جوابي من آخرين.

إنّ ما أُريده هو جواب عالم مطّلع، فأرجو أن تجيبني بجواب صريح وواقعي غير متأثّر باحتمال ضلالي إذا ما سمعت الحقيقة، إذ أنّ الخلاص من المتاهات له طريق صحيح.

أنا غير راضٍ من أجوبة من سألتهم سابقاً، لأنّهم بدلاً من أن يجيبوني عن أسئلتي، أو على الأقلّ يعتذرون من الجواب، فإنّهم كانوا يقولون لي: «أُترك الخوض في هذه الأُمور، فإنّ الأمر أمرٌ إلهي»، وما كانوا ليقنعوني بهذه الأجوبة، إذ لا يعقل أنّ الأوامر الإلهية ليس لها دليل مقنع بل لكلّ أمر حكمة.

أنا وعدّة أنفار من أصدقائي نواجه معضلة فكرية أي أنّنا نعيش في برزخ فضيع. أرجو أن لا تكون هذه المقدّمة قد أزعجتكم، فإنّ ذكرها كان ضرورياً.

وأمّا موضوعنا الأساسي فهو مرتبط بالله تعالى، وأهمّ قسم فيه هو البحث في الإرادة الإلهية.

فإنّي قد سمعت عنها آراء متضاربة ومختلفة، ولذا فإنّي أودّ التعرّف على نظركم الجامع أيضاً، وأُريد أن أعرف بأنّ الإرادة الإلهية أين محلّها من عالم الوجود؟ وفي أيّ جهة من حياة الإنسان ومستقبله؟ وما هو الارتباط بين الإرادة الإلهية وإرادة الإنسان؟ فإنّ الارتباط الطولي والعرضي في هذا المورد الخاصّ، لا يمكنني قبوله (علماً بأنّني إنسان منطقي اعتمد على الاستدلال العقلي والمنطقي في أكثر الأحيان، كما أنّني مؤمن بالمعنويات وما وراء الطبيعة ولعلّ ذلك هو السبب في هذا التلاطم الفكري الّذي أعيشه).

ثمّ إنّه: كيف تتدخّل الإرادة الإلهية في تغيير حياة الإنسان؟ (فإنّ مصير الإنسان وإرادة الله وإرادة الإنسان موجودات في آن واحد، ومع ذلك فإنّها متنافية في نفس الوقت، أي أنّ قبول أحدها يستلزم إنكار الثاني، فإن كان هناك إرادة إلهية فإنّ هذا يعني الجبر، وإن كانت إرادة الإنسان فإنّ الإرادة الإلهية ستكون مشكوكة).

إنّ القضاء والقدر والتقدير والمصير، كلّها متأثّرة بالدعاء والطلب، ومع ذلك فإنّ إرادة الله ـ الّتي يفترض أنّها هي التقدير ـ ستتبدّل على أثر دعاء الإنسان وتوسّلاته، ويحصل التقابل بين إرادة الله وإرادة البشر.

وعلى هذا الأساس، سيكون مصير الإنسان بيده، وعليه سيكون علم الله بمصير الإنسان وإرادة الله متأثّرة وتابعة لأفعال الإنسان (غير الدعاء)، أي أنّ الإنسان هو الّذي يحدّد مصيره بأفعاله.

لا أدري أن كنت قد تمكّنت من إيصال الفكرة إلى سماحتكم أم لم أتمكّن، وعلى أيّ حال فإنكّم بالخيار في بيان مطلب جامع كامل حول هذه الأُمور، ليزيح الإبهام والتشكيك عن نفسي، فإنّ حلّ هذه الأُمور واتّضاح الموضوع مهمٌّ جدّاً بالنسبة إليّ، بل هو حياتيّ.

علماً أنّ أسئلتي كثيرة ووقتي قليل، أرجو أن تحلَّ إجاباتكم العقد العقائدية العمياء عندي، وأن تبطل كلَّ ما سمعته لحدّ الآن من إجابات غير شافية ولا كافية من بعض الناس.

ج: وصلتني رسالتك الحاكية عن حبِّ اطّلاعك وبحثك عن الحقيقة، والموضوع الّذي تبحث عنه ذو شعب متعدّدة ومستحقّ لتساؤلات عديدة واجهها الإنسان على مرِّ تاريخه، وحاول حلّ رموزها، وكم من مسألة بقيت

عالقة بلا حلّ، كما أنّ الكثير من مسائله قد فُصِّلت وبُيِّنت وفُكَّت رموزها، وأُجيب عنها، وكم من مسألة سيُجاب عنها في المستقبل.

إنّ معلومات الإنسان مهما كانت كثيرة وكثرت وكثرت، فإنّها قليلة بالقياس إلى مجهولاته، وكلّما ازدادت معلوماته كثرت تساؤلاته، ولا نتصوّر أنّ البشر سيستغني يوماً عن البحث والتحقيق في الأُمور والإشكالات لدفع جهله وحيرته، ولذا فإنّ حبّ اطّلاعه وبحثه لن يقف عند حدٍّ معيّن.

ومن هنا نجد بأنّ الكثير من كبار المحقّقين والباحثين والعقول النادرة والنوابغ الّذين أجابوا عن الكثير من الأسئلة الّتي تدور في خلدي وخلدك، قد وصفوا العالم المليء بالاستفهامات بأوصاف تدلّ على اعترافهم بأنّ مجهولاتهم لا يمكن قياسها بمعلوماتهم من جهة كثرتها، فها هو أحدهم يقول:

دل گرچه در اين باديه بسيار شكافت　　يك موى ندانست و بسى موى شكافت

انـدر دل من هزار خورشيد بتافت　　ليكن به كمال ذرّه‌اى راه نيافت

ويقول آخر:

هرگز دل من ز علم محروم نشد　　كم ماند ز اسرار كه مفهوم نشد

هفتاد و دو سال جهد كردم شب و روز　　معلومم شد كه هيچ معلوم نشد

وهذا لا يعني أنّه يقصد بأنّ معلوماته مجهولات، بل يقصد أنّ اثنين وسبعين سنة بل سبعين ألف سنة لا تكفي للتحقيق في كل أُمور العالم، فإنّ مجال العلم لا متناهٍ.

ويقول آخر:

ما للـتراب وللعلـوم وإنّـما يسعى ليعلم أنّـه لا يعلـم

وها هو القرآن الكريم يأمر الإنسان في كل مكان ومهما كانت مرتبته العلميـة بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[1]، فلا تتوقّف أيّها الإنسان في طريق كسب العلم.

إنّ أسئلة الإنسان إذا كانت من قبيل الأسئلة الّتي في ذهن جنابك، فـإنّ هـذه الأسئلة علامة على محدودية الإنسان، وعندما يصل إلى مرتبة من العلم يعرف أنّه لا ينبغي له الخوض في مثل هذه الأُمور.

والقسم الثاني من الأسئلة، هي الأسئلة الّتي يمكنه الحصـول عـلى إجاباتهـا، لكن لا عن طريق عقله فإنّ عقله يعجز عنها وإنّما يحصل على أجوبتها من خلال الوحي والعلم الواصل عن طريق عالم الغيب، وعليه بطبيعة الحال أن يرجـع إلى العلماء المتخصّصين في فنّ التفسير والحديث والعلوم الإسلامية.

والقسم الثالث هو الأسئلة الّتي يمكن للعقل والفكر السليم الإجابة عليها، وهذا القسم بنفسه على أنواع ومراتب، ولا يمكـن الإجابـة عـلى أسـئلة مراتبـه العليا إلّا من قبل كبار العلماء والعقلاء الّذين قضوا أعمارهم في العلـوم العقليـة والنقلية أمثال «الخواجة نصير الدين الطوسي» و «العلّامة الحلّي».

---

١. سورة طه، الآية ١١٤.

والقسم الرابع هو الأسئلة الّتي تجيب عنها العلوم الطبيعية المتداولة كعلم الكيمياء والفيزياء وعلم معرفة الأعضاء والنبات والحيوان و... .

وعليه، إذا كانت الأسئلة من قبيل القسم الأوّل وما قاربها فلابدّ أن نعرف جيّداً أنّنا غير قادرين على الإجابة عنها كما أنّنا نعجز عن الحصول على جواب صحيح من أيّ أحد.

والعلم والمعرفة هنا هي أن نتيقّن أنّ هذه الأسئلة لا جواب عليها، نظير السؤال عن حقيقة كنه ذات الله وصفاته الذاتية عزّ وجلّ.

وإن كانت الأسئلة من القسم الثاني، فإنّ إجاباتها مختصّة بمدرسة الأنبياء، وإنّ العقل عاجز عن الإجابة عليها، نظير السؤال عن كيفية الحشر والنشر ومواقف يوم القيامة.

وقد بيّنت الإجابات عن هذه الأسئلة من قبل المدرسة الفكرية الإسلامية، كما بيَّنت حدود هذه الأسئلة ونطاقها، وإنّ هذه الأجوبة لابدّ أن تكون موافقة للعقل والمنطق، ولا ندري ما تقصد من قولك بأنكّ تبحث عن أجوبة منفتحة ومتحضّرة وموافقة للمنطق والعقل، فإنّني قلت لكم: إنّ بعض الأسئلة تنحصر إجاباتها عند النوابغ وذوي العقول المنفتحة، وأُولئك المطّلعين على أوضاع العالم والواقفين على تفسير وقائع العالم تفسيراً معقولاً وسليماً وواضحاً، والّذين يعتقدون بهدفية الخلق لا أُولئك الّذين قضوا أعمارهم بالحيرة والتيه والتشكيك،

والّذين سيطروا اليأس على أرواحهم ونفوسهم، ولم يقنعوا بأيّ تفسير لظواهر هذا الوجود، والّذين يعتقدون بعبثية الخلق وعدم هدفيته، والّذين يشكّكون بكلّ الظواهر الكونية ويرجّحون الموت على الحياة ويقدمون على الانتحار، فإنّ هؤلاء ليسوا متحضّرين ولا هم مفكّرين فلا يُعتمد على آرائهم.

نحن نتّبع مدرسة القرآن الكريم الّذي تعدُّ هدايته أفضل وسيلة للاطمئنان والاستقرار النفسي والنجاة من الحيرة والضلالة، وإنّ الإيمان بالقضاء والقدر ـ بتفسيره الصحيح ـ يثبِّت الاستقرار الروحي ويُحكِّم الاطمئنان النفسي عند الإنسان.

أخي العزيز: إنّ المطالب العلمية كثيرة، وإن كنت قد ذكرت في رسالتك بأنّ «الأسئلة كثيرة والوقت قليل» فإنّي أقول لك وللأسف أو لحسن الحظّ، بأنّ وقتي أقلّ بكثير، ومع كلّ ذلك، ومع أنّ رسالتك تضمّنت بعض الآراء والأُمور والإبهامات العالقة بذهنك والّتي لم تتّضح لي بشكل كامل، ولو أنّك طرحت أسئلتك عن كلِّ موضوع موضوع بشكل واضح لكان أفضل، فإنّك ستحصل على إجابات وافية وشافية، ولكن مع كلِّ ذلك أقول:

أمّا فيما يرتبط بإرادة الله تعالى، فإنّ إرادته عزّ وجلّ قد شملت كلّ العالم، فإنّ العالم وجد بإرادته وهو قائم بإرادته أيضاً، وكما يقول المحقّق الطوسي ذلك العقل الكبير النادر:

هر چيز كـه هسـت آن چنـان مـى‌بايـد وآن چيز كه آن چنان نمى‌بايد نيسـت

كلّ شيء موجود فهو موجود كما ينبغـى ومـا لا ينبغـى وجـوده غـير موجـود

فهذا العالم بكلّ ما فيه من المرئيـات ومـا فيـه مـن اللامرئيـات ـ مـن الجـماد والنبات والحيوان والإنسـان (الإنسـان المختـار) ـ كلّـه قـائم بـإرادة الله تعـالى، فإرادته عزّ وجلّ موجودة في كلِّ مكان من عـالم الخلـق، وفي كـلّ أوضـاع حيـاة الإنسان، هو فاعل بالاختيار وبالإرادة الإلهية، وارتباط إرادة الله بإرادة واختيـار الإنسان هو أنّه خلق الإنسان مريداً مختاراً وليس كما خلق الحيوانـات الـبهم بـلا اختيار، وليس كما خلق الجماد والنبات بلا إرادة، ومن هنا يتّضح المعنـى الـدقيق والعرفاني لقوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً**﴾[1]، فإنّه لا يوجد جبر، بل هو عين الاختيار.

ولعلّ هذا هو أحد معاني الكلام الإعجازي لأمير المؤمنين عليه السلام والهداية التامّـة لأهل بيت الوحي عليهم السلام حيث ورد عنهم قولهم: «**لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ بَل أَمـرٌ بَـيْنَ أَمْرَيْنِ، وَمَنْزِلَةٌ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ**».[2]

---

١. سورة النساء، الآية ٧٩.

٢. الكليني، الكافي، ج١، ص١٦٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص١٩٧؛ ج٥، ص٥٤.

والبيان الآخر لإرادة الله تعالى هو: أنّ الإنسان إذا ما اضطرّ إلى اختيار أحد خيارين وانتخاب طرف من طرفي السلب والإيجاب، فإنّه يكون مجبَراً في ضرورة اختياره لأحدهما، ومختاراً في تعيين طرف الاختيار، وهذا هو المعنى الثاني لقوله: «أمرٌ بين أمرينِ».

والبيان الثالث: هو أنّ الإنسان مختار في مجال التشريعيات ومجال التقنين والعقاب والتوبيخ والتشويق والتقدير، وأمّا في التكوينيات والأُمور الّتي لا يحاسب عليها فإنّه مجبَر وليس مخيّراً، وهذا معنى آخر لـ «أمرٌ بين أمرين».

والبيان الرابع: هو أنّ الإنسان وفي مجال الاختيار المجمل، لا يكون مختاراً بنحو الإطلاق فإنَّ تحقّق وحصول كلّ أمر من الأُمور والأفعال، مشروط بشرائط كثيرة، وتحفّ به موانع خارجة عن إرادة الإنسان، وأنّ القليل منها فقط يكون تحت اختياره وإرادته، فهو مختار في تحقّقها أو عدم تحقّقها.

فهنا يوجد جبرٌ ويوجد اختيار، فمن جهة تحقّق الشرائط والمقتضيات والموانع يكون الإنسان مجبَراً، ومن جهة تحقّق الفعل وعدم تحقّقه في الخارج ـ بعد تحقّق شرائطه ـ هو مختار، وهذا هو المعنى الآخر لقولهم «أمرٌ بين أمرين».

وهناك بيان آخر أيضاً: وهو حفظ القضاء والقدر وعدم منافاته لاختيارية الإنسان وعدم منافاته للعدل الإلهي وللقواعد العقلية الأُخرى.

إنّ اختيارية البشر (لا بنحو الإطلاق) ثابتة بالوجدان وغير قابلة للإنكار. كما أنّ الجبر وعدم الاختيارية (لا بنحو الإطلاق) وفي الموارد المذكورة، ثابت وهو الآخر بالوجدان ولا يقبل الإنكار، وعلى الإنسان في هذا المضمار أن يطوي سيره نحو الله بالاستعانة بالعلم والفكر والعمل الصالح، وأن يصحّح تفسيره لأمثال هذه الأُمور لكي يصل إلى برِّ السعادة الدنيوية والأُخروية.

وبطبيعة الحال، فإنّ هذه البيانات والإيضاحات قد لا تكون جامعة وشاملة لكلّ أبعاد المسائل الّتي تشغل ذهنك، ولكنّي أرجو أن تساعدك للوصول إلى مقاصدك، ومن الله التوفيق وعليه التكلان، والسلام عليكم ورحمة الله.

علّة ضعف الفطرة وخمولها

س20: إنّ الله تعالى خلق الإنسان على فطرة طاهرة، فلماذا نجد بعض الناس على غير هدى وصلاح؟

قد تقولون في الجواب: إنّهم حجبوا فطرتهم السليمة بستائر وحجب نتيجة احتكاكهم بعالم الطبيعة، لكنّ السؤال هو: لماذا يصير الإنسان سيّئاً بعد أن كان صالحاً في بداية أمره؟

ج: إنّ ضعف الفطرة وخمولها مرتبط بعدّة جهات وأُمور، وقد لا نكون محيطين بكلّ تلك الأسباب، فمن جملة تلك الجهات سوء التربية وفساد المحيط

العائلي والاجتماعي، ولوجود أسباب موضوعية أُخرى، فقد ورد في الحديث: «**كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه**»[1].

ولكن هذه الأُمور ـ وكما أشرنا سابقاً ـ متعدّدة ولا يمكننا حصر كلّ المقتضيات والشرائط والموانع الموجودة في هذا الطريق فإنّها مختلفة باختلاف الأشخاص وظروفهم. ولكن إجمال المطلب هو أنّه بحسب ما جاء في الآية الشريفة: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾،[2] إنّ فطرة الإنسان قائمة على الاستقامة وقبول الدين الحنيف والوسطية (الإسلام).

كما أنّ هناك أموراً دقيقةً نستفيدها من قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾.[3]

وعلى أيّ حال، فإنّ البحث والتحقيق في هذه المسألة بالنحو الّذي يوصل الإنسان إلى الوقوف على كلّ العوامل المرتبطة بإضعاف الفطرة، صعبٌ جدّاً، وإنّ الاعتراف بالعجز عن إدراك أسرار القضاء والقدر الإلهيّين ـ بعد الإيمان بالعدل الإلهي ـ لهو من علامات البلوغ العرفاني.

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٦١، ص١٨٦.

٢. سورة الروم، الآية ٣٠.

٣. سورة الإنسان، الآية ٢.

إنَّ على الإنسان أن يستغلَّ عقله وفكره في الطرق الّتي دُلَّ عليها ليزداد معرفة بعلم وحكمة الباري عزّ وجلّ، ولكي تصير معلوماته دليلاً على تفسير مجهولاته الجمّة.

عندما نراجع أنفسنا نجد أنّ فطرتنا ترجّح العلم على الجهل، والعدل على الظلم، والإحسان والبرّ على الإيذاء والتعدّي.

فنحن نحبّ أن تدرج أسماؤنا في عداد العلماء، والصلحاء والكرماء والمتواضعين والصادقين والمؤتمنين والورعين، وهذا واضح لا يمكن إنكاره، كما أنّه لا يمكننا إنكار عدم رغبتنا في عدِّنا من الظلمة والجّهال والأشقياء والقساة والخائنين والمتكبّرين والكذّابين و...، حتّى لو كنّا ـ معاذ الله ـ منهم، فإنّنا نتألّم إذا ما دُعينا منهم. فكلّ ذلك دليل على سلامة الفطرة، ويدلّ على أنّ التعاليم الدينية والاعتقادية والأخلاقية والأحكام الاجتماعية والنظم الإسلامية، كلّها موافقة للفطرة السليمة.

ومن جهة أُخرى، نعلم جيّداً أنّ الإنسان مختار ومريد، وأنّه باختياره ينتخب أحد الطريقين، طريق الشكر والعبودية والطاعة، أو طريق الكفران ونكران الجميل وعدم شكر النعمة، ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[1].

وبهذه المعرفة وبالإيمان بعدالة الله العالم الحكيم نتيقّن أنّ أحداً لن يتعرّض للظلم بواسطة القضاء والقدر الإلهي، وأنّ الله عزّ وجلّ يعاقب أو يثيب العباد

---

١. سورة الإنسان، الآية ٣.

بما يستحقّون، فإنّه تعالى عليم بكلّ الظروف الّتي تحيط بعباده، ولسنا نحن الّذين نحاسب خلق الله لكي نحتاج إلى معرفة كلّ العلل الّتي تؤثّر على الفطرة سلباً أو إيجاباً، فإنّ الّذي سيجازي الجميع بحسب ظروفهم، عالم بتلك الظروف.

وعلى هذا، فوظيفتنا هي التسليم والاعتقاد بالعدل الإلهي، واختيارية البشر، وبالقضاء والقدر والعمل بالتعاليم الإلهية، ذلك التسليم الّذي رأيناه في إسماعيل عليه السلام ـ عندما أُمر أبوه بذبحه ـ وقال: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[1] ولا نشكّك في أفعال الله تعالى وأحكامه، ونجادل في أوامره ونواهيه، وإنّما علينا أن نترقّى في سلّم العبادة والعمل. والله العالم.

ما هو الهدف من خلقة العالم وخلقة الإنسان

س21: لماذا خلق الله العالم؟ وما هو الهدف من خلق الإنسان خاصّة؟

ج: إنّ الهدف من خلق الإنسان هو إيصاله إلى الكمال وتنعّمه بالحياة الخالدة الدائمة، والّتي يصل إليها عن طريق عبادة الله. والله العالم.

س22: نعتقد بأنّ الله تعالى خلق الإنسان للامتحان، أوليس الله عالماً بما سيكون عليه كلّ إنسان فيحتاج إلى خلقه؟

---

١. سورة الصافّات، الآية ١٠٢.

ج: إنّ الله تعالى لم يخلق الإنسان للاختبار، وإنّما خلقه ـ وكما قلنا في جواب السؤال السابق ـ للوصول إلى الكمال والسعادة الأبدية، ولكنّه عزّ وجلّ يجعله معرضاً لامتحانات متعدّدة في الدنيا، لا لكي يتّضح أمر هذا العبد لله تعالى، فإنّه عزّ وجلّ يعرف عاقبة أمر عباده، وإنّما لتربية هذا العبد، ولتبرّز مظاهر العبودية والربوبية، ولإكمال مقام العبد وإتمام الحجّة عليه، لكي لا يتوسّل بأعذار واهية ولكي تتّضح الحقيقة له ولا يشتبه عليه الأمر. والله العالم.

علم الإلهي ومجازاة العاصين

س23: إنّ الله تعالى يعلم من الأزل بأنّ بعض الناس سيرتكبون المخالفات، فكيف يعاقبهم عليها؟

ج: إن مجازاة الله تعالى لا تنافي العلم المذكور، لأنّ المعاصي إنّما تقع من العبد باختياره فمع أنّه قادر على تركها لكنّه يرتكبها، والّذي يتنافى مع العذاب هو الجبر على المعصية، وهو باطل عقلاً ونقلاً. والله العالم.

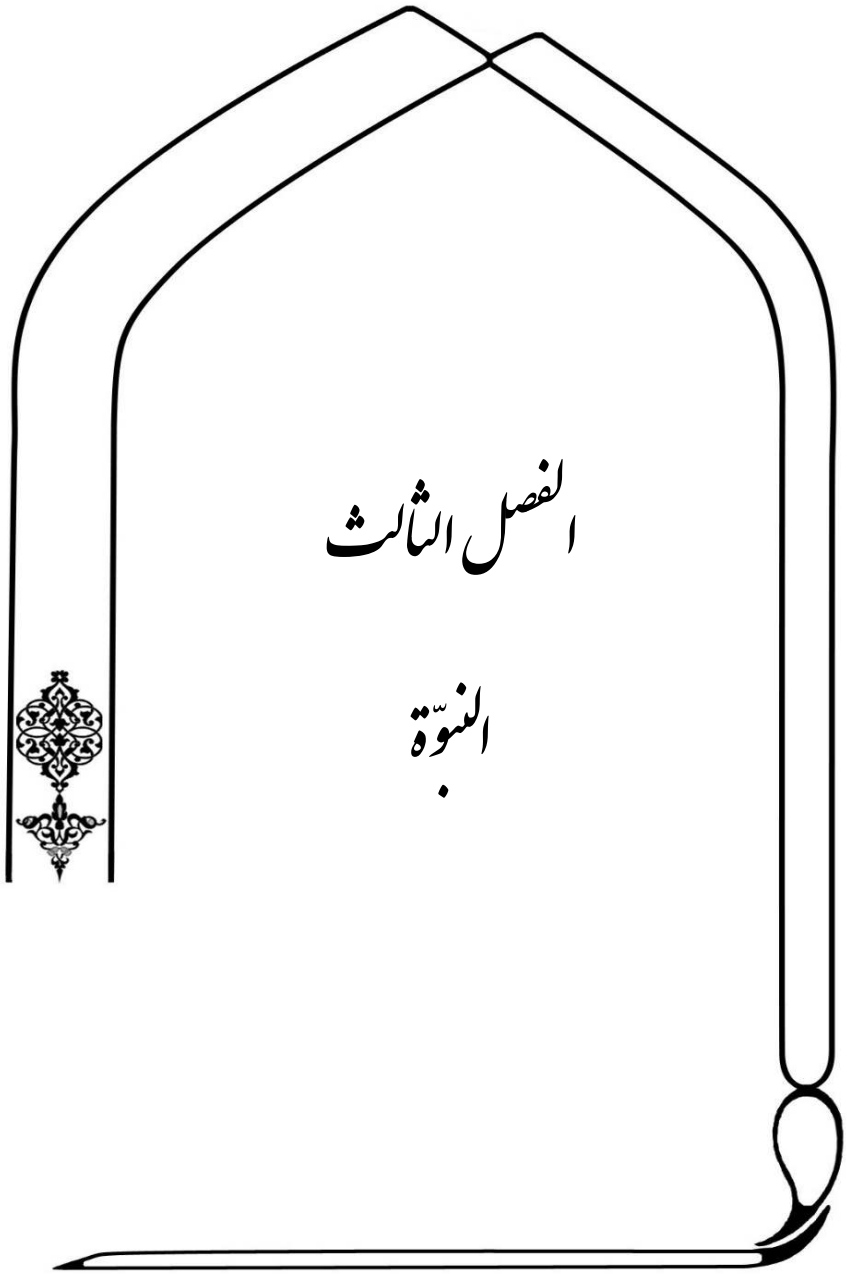

الفصل الثالث

النبوّة

معجزات النبيّ الاكرمﷺ

س24: هل كان للنبيّ الأكرم محمّدﷺ معجزة؟

ج: نعم، فإنّ رسول اللهﷺ قد ظهرت على يديه معجزات كثيرة، من جملتها القرآن الكريم وهو المعجزة الباقية والثابتة له صلوات الله عليه، يقول الله تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُـرْآنِ لَا يَـأْتُونَ بِمِثْلِـهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**،[1] فهذه الآية إعلامٌ لإعجاز القرآن.

وللتعرّف على هذه المعاجز وتعدادها يمكنكم مراجعة كتب التاريخ، خاصّة التواريخ الّتي تتناول حياة النبيّ الأكرمﷺ وكذلك مراجعة كتب التفسير.

---

١. سورة الإسراء، الآية ٨٨.

اطّلاع النبيّ الأكرمﷺ على عالم الغيب

س25: هل كان رسول اللهﷺ مطّلعاً على عالم الغيب؟

ج: نعم، فإنّ النبيّ الأكرمﷺ قد أخبر مراراً وتكراراً عن الغيب وقد وردت إخبارات عديدة في القرآن الكريم عن الغيب، وهذا الأمر متواتر يثبت هذا الموضوع.

س26: إذا لم يكن النبيّ الأكرمﷺ مطّلعاً ومخبراً عن الغيب ولم يكن له معجزات، فكيف يكون للأئمّةعليهم السلام معجزات وإخبارات عن الغيب؟

ج: قلنا في جواب السؤال السابق بأنّ النبيّ الأكرمﷺ كانت له معجزات كثيرة وكان يخبر عن الغيب، كما أنّ الأئمّةعليهم السلام لهم معجزات وقد تكرّر منهم الإخبار عن الغيب.

السيادة

س27: إذا لم يكن للنبيّ الأكرمﷺ أولاد ذكور، فمن أين وجدت السيادة في بعض الناس؟

ج: كما هو معروف للجميع فإنّه كان للنبيّ الأكرم بنتاً اسمها «فاطمة» ولقبها «سيدة نساء العالمين» وإن أولاد فاطمةعليها السلام المباشرين وغير المباشرين محترمون من قبل عامّة الناس ويسمّون «السّادة».

انتخاب النبيّ

س28: هل أنّ انتخاب النبيّ للنبوّة اكتسابي أم بالتنصيب، أم أنّه بالطريقين معاً؟

وأقصد بالاكتسابي أنّ له لياقة وكفاءة أهّلته للنبوّة لم تكن متوفّرة في غيره من الناس، فانتخبه الله تعالى للنبوّة لكفاءته، أو أنّ إرادة الله تعلّقت بأن يكون هذا الشخص بمواصفاته الظاهرية نبيّاً. والسؤال هو: لماذا لم يكن زيدٌ وعمرو نبيّاً، مع أنّهما أيضاً من البشر، وكان بإمكانهم كسب المقام المعنوي؟

ج: المعتبر في مسألة النبوّة والإمامة هو الاصطفاء والتعيين الإلهي، ولا موضوعية لمفهوم الانتخاب والتنصيب المتعارف في العرف المعاصر في انتخاب الحكومات في مسألة النبوّة والإمامة، إذ لا مدخلية لانتخاب الأكثرية ولا تنصيب فرد خاصّ في مسألة النبوّة والإمامة، فإنّ هذه الطرق المتعارفة اليوم في المجتمعات لها مفاسد ومعايب، ولا تنتهي في الأعمّ الأغلب إلى انتخاب الأصلح، ولا تتنزّه عن تأثير الهوى والمصالح الشخصية والميول المختلفة في التعيين.

أمّا الانتخاب الإلهي والاصطفاء للنبوّة والرسالة أو الإمامة فإنّه يكون على أساس الصلاحية والشرائط الواقعية والكفاءة الحقّة، ولمّا كان الله تعالى هو الأعلم المطّلع على هذه المواصفات، فإنّه ينتخب الأصلح الواقعي دائماً.

وعلى هذا فإنّ النبوّة تنصيب وتعيين، لكن من قبل الله العالم الحكيم، وهو تنصيب الأصلح والأكفأ الحقيقي، وهو ما لا يتحقّق أبداً في الانتخاب أو التعيين البشري، وبكلمة واحدة: ﴿**اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾.[1]

فالاختيار البشري انتخاب جاهل بالحقائق، وغير مصون عن الخطأ والاشتباه، وهو معرّض لاتّباع الأغراض الشخصية وهوى النفس.

وعلى أيّ حال، سواء كانت النبوّة والإمامة بالانتخاب أو بالتعيين، فإنّ هذا الاختيار من قبل الله علّام الغيوب الحكيم الغنيّ، اختيار منزّه عن الخطأ والاشتباه، ومبرّأ عن الاحتياج إلى جلب المنافع أو دفع الأضرار الشخصية.

وبشكل عامّ، فإنّ الفارق بين الأنظمة الشرعية وبين القوانين الوضعية هو أنّ الأنظمة الإلهية صادرة من قبل الله تعالى الصالح ـ بحسب أسمائه الحسنى «الحاكم»، «المالك»، «العالم»، «الحكيم»، «القدوس»، «الرحمن»، «الرحيم»، «اللطيف» ـ لهذا التنصيب ولتشريع هذه الأنظمة. وهذه الصلاحية مختصّة بذاته المقدّسة، ومنحصرة في الواحد الأحد الصمد، وأمّا غيره ففاقد لمثل هذه الصلاحية، فسواء كان اختيار غير الله عن طريق التنصيب أو عن طريق الاقتراع والانتخاب فإنّه غير مصون عن الخطأ أو الحبّ والبغض، أو الأغراض الشخصية والشهوات والنواقص الأُخرى.

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

ولذا، فإنّ الجواب عن سؤالك، لماذا لم يكن «زيد» و «عمرو» نبيّاً؟ قد اتّضح هو الآخر، فإنّ الجواب القاطع هو: ﴿**اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ فإنّ الشرائط لم تكن متوفّرة في زيد وعمرو.

وفي الخاتمة أُشير باختصار إلى نقطة وهي: أنّ نصّ النبيّ السابق على نبوّة النبيّ اللاحق، كنصّ الأنبياء السابقين على نبوّة نبيّنا الأكرم محمّدﷺ، وكذلك نصّ رسول اللهﷺ على إمامة الأئمّةعليهم السلام، لا يعتبر من التنصيب البشري، بل هو إعلام وإخبار عن التنصيب الإلهي المهمّ.

الدليل على أنّ رسول اللهﷺ هو خاتم النبيّين

س29: ما هو الدليل على أنّ رسول الله محمّدﷺ هو خاتم النبيّين، مع أنّ الفاصلة كبيرة بيننا وبين يوم القيامة؟ وهل بالإمكان ـ نعوذ بالله ـ أن يأتي إنسان أكمل يمتلك مواصفات النبيّ محمّدﷺ في المستقبل؟

ج: من جملة المعتقدات الإسلامية الضرورية، الاعتقاد بخاتمية الإسلام للأديان الإلهية، وخاتمية رسول الله محمّد بن عبد اللهﷺ للأنبياء والرسل، فلا دين بعد الإسلام ولا نبيّ بعد محمّدﷺ.

والأدلّة على ذلك بالسمع، أي من الكتاب والسنّة كثيرة، من جملتها الآية الكريمة ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ**﴾.[1]

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾،[1] وآيات أُخرى.

ومن جملة الأحاديث، حديث «المنزلة» المعروف والمتواتر، حيث ورد أنّ النبيّ ﷺ قال لأمير المؤمنين ﷺ: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي**»[2] وأحاديث كثيرة أُخرى، معتبرة سنداً.

والحاصل، أنّ مسألة خاتمية نبوّة رسول الله محمّد ﷺ ثابتة ومسلّمة بالأدلّة القطعية من الكتاب والسنّة والإجماع والاتّفاق والضرورة بين جميع المسلمين، ولا يوجب تباعد الأزمنة إلى انتهاء العالم استبعاداً لهذه الخاتمية، كما هو الحال الآن حيث يمرّ أكثر من أربعة عشر قرناً على الهجرة الشريفة ومع حصول التحوّل والترقّي في المدنيّة والحضارة والحياة، أكثر من أيّ زمن مضى، ومع ذلك بقيت الأحكام والتعاليم الإسلامية حيّة وصالحة ونافعة أكثر من أيّ وقت مضى.

---

١. سورة آل عمران، الآية ٨٥.

٢. البخاري، صحيح، ج٤، ص٢٠٨؛ مسلم النيشابوري، صحيح، ج٧، ص١٢٠؛ أحمد بن حنبل، مسند، ج١، ص١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٤ـ١٨٥؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٠٢، ٣٠٤؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١١، ص٥٩٩، ٦٠٣؛ ومصادر حديثية أُخرى.

لماذا بعث الأنبياء في منطقة الشرق الأوسط فقط

س30: لماذا بعث الأنبياء في منطقة الشرق الأوسط فقط؟ ولماذا ذكر القرآن قصص عدد قليل من الأنبياء خاصّة قصّة موسى ـ على نبينا وآله وعليه السلام ـ حيث تعرّض لها القرآن أكثر من قصص غيره؟ وما هو حكم أُولئك الناس الّذين لم يبعث فيهم نبيّ ولم تصلهم دعوة الأنبياء؟

ج: إنّ هذا السؤال حول بعثة الأنبياء، ليس سؤالاً جديداً، فقد طرح سابقاً وبأنحاء مختلفة، من جملتها ما ورد في القرآن الكريم عن لسان الكفّار حيث قالوا: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾.[1]

فأجاب القرآن الكريم عن هذا التساؤل بقوله تعالى: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾،[2] وينبغي الالتفات إلى:

أوّلاً: لا دليل على انحصار بعث الأنبياء في منطقة الشرق الأوسط، فإنّنا لا نعرف من الأنبياء إلّا من أخبرنا عنهم القرآن الكريم ومن وردت سيرتهم في الأحاديث المروية، فمن قال إنّ عشرات الآلاف من الأنبياء كلّهم بعثوا في هذه البقعة ولم يبعثوا في غيرها؟

---

١. سورة الزخرف، الآية ٣١.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

ثانياً: هناك شرائط كثيرة تتدخّل في انتخاب واصطفاء الأنبياء لا يعلمها إلّا الله تعالى، وفي مناطق مثل فلسطين، جزيرة العرب، مكّة، والمدينة يوجد رجال دين وإلهيون، ومن له استعداد لتلبية وقبول دعوة الحقّ، كما أنّه يوجد في اليونان مثلاً رجال يستقبلون المباحث الفلسفية فكثر الفلاسفة في اليونان، وعلى أيّ حال، فإنّ هذا الأمر أمرٌ إلهي، وإنّ الله تعالى أعلم به، ومهما كانت الأسباب فإنّ هؤلاء الأنبياء قد اختيروا من هذه المنطقة الجغرافية.

والسرُّ في كثرة تعرّض القرآن الكريم لقصّة موسى بن عمران، وجود مناسبات مفيدة للعبرة والاتّعاظ في قضية موسى وقومه، مضافاً إلى احتكاك المسلمين الأوائل باليهود واحتجاجهم عليه.

والحقّ، أنّ مثل هذه الأسئلة ليست بدرجة كبيرة من الأهمّية وإنّما المهمّ هو مطالعة وملاحظة دعوات الأنبياء والعمل بأوامرهم وإرشاداتهم وتعليماتهم.

وأمّا ما يرتبط بالناس الّذي لم تصلهم دعوة الأنبياء، فلابدّ من القول بأنّ هؤلاء الأشخاص لن يؤاخذوا على تركهم أوامر الأنبياء، لعدم تمام الحجّة عليهم، يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[1]، وسوف يتعامل معهم بما يقتضيه العدل الإلهي.

---

١. سورة الإسراء، الآية ١٥.

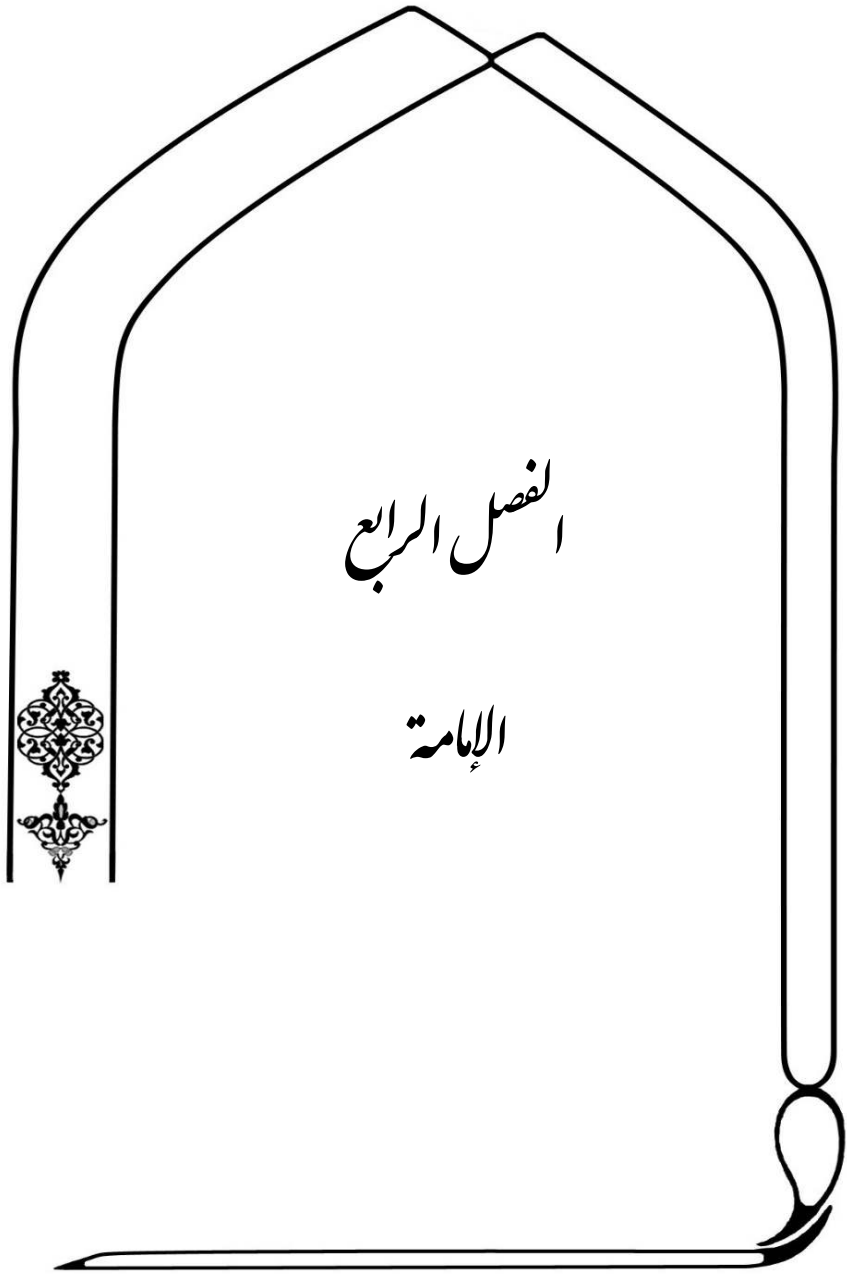

الفصل الرابع

الإمامة

فضائل الإمام عليّ عليه السلام

هدية متواضعة لساحة حضرة مولى الموالي، أمير المؤمنين، الإمام عـليّ بـن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ استجابة لطلب بعض الفضلاء المحترمين في مدرسة النورية المباركة في مدينة أصفهان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وماذا يقول الناس في مدح من أتـت مدائحـه الغـرّاء في محكـم الـذكر

***

كتاب فضل تو را آب بحـر كـافى نيسـت كه تر كنند سر انگشت وصفحه بشمارند

ومعناه: إن ماء البحر لا يكفي لترطيب الأصابع لعدّ صفحات كتاب فضائلك.

لو كان للإنسان كلّ الألسن الناطقة، وأراد أن يمدح بكلّ واحد منها وإلى أبد الآباد عليّ بن أبي طالب، لما تجاوز الحرف الأوّل من مدحه، فشخصية أمير المؤمنين الّتي تعدّ بعد شخصية رسول الله، أشرف الكلمات الإلهية وأكبر الآيات الربانية، وأوّل الدلائل الجامعة، وأتمّ البراهين الساطعة والوسائل الكافية، ومظهر العجائب ومعدن الغرائب، ومالك كلّ عظمة الإنسان الكامل، وخليفة الله بالحقّ، والّذي حبّه عنوان صحيفة المؤمن وعلامة طهارة مولده، لا يدركه مدح مادح.

فماذا يقول الإنسان في ميدان مدحه الّذي قال فيه النبيّ الأعظم والعقل الكلّ، خاتم الرسل وهادي السبل، كما ورد في الأحاديث المعتبرة والمشهورة بين المسلمين، حيث مجّده وعظّمه وقرنه بالقرآن وقرن القرآن به وقرنه بالحقّ وقرن الحقّ به، قرناً لا افتراق فيه، وقال أحياناً: «**لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة**».[1]

وقال أحياناً بلسانه المعجز للبيان وترجمان حقيقة القرآن: «**لو أنّ البحر مداد والرياض أقلام والإنس كتّاب والجنّ حسّاب ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن**».[2]

---

١. الكليني، الكافي، ج٨، ص٥٧.

٢. الخوارزمي، المناقب، ص٣٢٨؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج٢، ص٢٨٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٠، ص٧٥.

أو ما قاله ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ـ من تفضيل بعض جهاد عليّ عليه السلام على عبادة الثقلين الجنّ والإنس أو الأُمة الإسلامية.

فإذا كان هذا ما يقوله رسول الله، فماذا يقول المادحون دونه؟

فالكلّ في قبال الشمس المحمّدية وبحر العلوم الأحمدية صلوات الله عليه لهم ذرّة وقطرة، بل هم أقلّ من ذلك.

الحقيقة هي أنّ الكلمات المركّبة من ثمانية وعشرين حرفاً، عاجزة كلّ العجز عن وصف ومدح هذا العبد الصالح المخلص لله، الّذي وصفه نفس الباري تعالى في القرآن الكريم وفي آيات كثيرة.

وإنّ قميصاً خيط من نسج تسعة ... وعشرين حرفاً عن معاليه قاصرٌ

إنّ كلّ ما أنشدوا في مدح الإمام العظيم وقائد الموحّدين وزعيم المجاهدين، وسرور الزهّاد والعارفين وأمير المؤمنين ـ ومهما كان عذباً جميلاً ـ لا يغطّي إلّا ناحية صغيرة من نواحي عظمة عليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

«وكان والله بعيد المدى شديدى القوى، تتفجّر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأمن بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلّب كفّيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا...».[1]

---

١. البيهقي، المحاسن والمساوي، ص٤٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٣، ص٢٥٠ـ٢٥١.

وذلك الّذي وصفه بهذه الجملة القصيرة:

«احتياج الكلّ إليه واستغناؤه عن الكلّ دليل على أنّه إمام الكلّ».[1]

وما قاله القائل في حقّه:

«كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق»[2].

وذلك الّذي يقول:

«لولا عليّ لهلك عمر»[3]، و«لولا سيفه لما قام عمود الإسلام»[4].

وذاك الّذي قال فيه: «قتل في محراب عبادته لشدّة عدله».

وما قالته تلك المرأة الشجاعة في مجلس معاوية:

صلّى الإلهُ عَلَى جسم تضمّنه قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف العدل لا يبغي به بدلاً وصار بالعدل والإيمان مقروناً[5]

---

١. خليل النحوي؛ راجع: المامقاني، تنقيح المقال، ج١، ص٤٠٣؛ الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ج٦، ص٣٤٥.

٢. العلّامة الحلّي، نهج الحق، ص٣٢٨.

٣. ورد في المصادر الروائية والتاريخية متواتراً أنّ هذه العبارة وردت على لسان عمر بن الخطّاب، للاختصار نذكر هذه المصادر: المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١، ص١٥٤؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص٨٢؛ المناوي، فيض القدير، ج٣، ص٣٥٦؛ الحاكم النيشابوري، المستدرك، ج١، ص٤٥٧.

٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٢، ص٨٣.

٥. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١، ص٣٩٤؛ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٤٨.

وما قاله المسيحي في وصف هذه الشخصية العظيمة، مظهر القدرة الإلهية، وصورة كمال الوجود المحمّدي، حيث قال:

«في عقيدتي أنّ عليّ بن أبي طالب أوّل روح عربي لازم الروح الكليّة فجاورها وسامرها».[1]

وذاك الّذي وصف شرف وعزّة عليّ عليه السلام بقوله:

النبيّ المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لمّا صعده

وضع الله على ظهري يداً ... فأحسَّ القلب أن قد برّده

وعليّ واضع أقدامه ... في مكان وضع الله يده

كلّ واحد من هؤلاء قد أشار إلى منقبة واحدة من مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أربعة عشر قرناً والعلماء والحكماء يتغنّون بفضائل عليّ عليه السلام، وما دام العلم والفضيلة والزهد والعدل والكمالات الإنسانية ممدوحة فإنّ من سيأتي سيمدح عليّاً أيضاً.

ومع كلِّ ما كتب وقيل من مقالات وشعر ونثر لبيان شخصية هذا الإنسان الأكمل، فإنّه باقٍ كأوّل يومه يحمل الفضائل والمناقب فاسحاً المجال الواسع لمن أراد أن ينهل من غديره من الشعراء والخطباء والكتّاب والمفكّرين.

---

١. عبدالفتاح عبدالمقصود، الامام علي عليه السلام، ج١.

وكما ورد في الأحاديث الشريفة، فإنّ عليّاً عليه السلام هو المعجزة الّتي وهبها الله تعالى لحبيبه محمّد صلى الله عليه وآله ولعمري، إنّها معجزة أكبر من كلّ معاجز الأنبياء السابقين له، معجزة محيِّرة للعقول يستحقّ أن يقال فيها؛ إنّ ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الّذي كتبه بيده، وهي الهيكل الّذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ» قد تحقّقت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ونُجاري عالم المعتزلة الكبير (ابن أبي الحديد) ونترنّم معه بقوله:

هو النبأ المكنون والجوهر الّذي ... تجسّد من نور من القدس زاهر

وذو المعجزات الواضحات أقلّها ... الظهور على مستودعات السرائر

ووارث علم المصطفى وشقيقه ... أخاً ونظيراً في العلى والأواصر

ألا إنّما التوحيد لولا علومه ... لعرضة ضلّيل ونهبة كافر

فمن الواجب إذن، أن نقبِّل أرض الأدب، ونحمد الله ونشكره على نعمة ولاية أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين إلى صاحب الوقت ووليّ العصر ومالك الأمر، مولانا المهديّ أرواح العالمين له الفداء، ونقول:

«الحمد لله الّذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين سيّما خاتمهم وقائمهم صلوات الله عليهم أجمعين».

لماذا علماء العامّة مع تصديق وقبول فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لا يتركون مذاهبهم

س31: الملاحظ أنّ الكثير من علماء العامّة ـ أهل السنّة ـ صدّقوا وقبلوا فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بمستواها العالي والخارق للعادة، وقد اعترفوا صراحة بتلك الفضائل، ولا يختلفون في أنّ من سلك طريق أمير المؤمنين عليه السلام واعتبره إمامه في دينه، فقد سلك طريق الرشاد والصواب، فلماذا إذن لا يتركون مذاهبهم ويردون في زمرة شيعة عليّ عليه السلام؟

ج: إنّ التعصّب الأعمى والعناد وإنكار الحقّ بعد معرفته ليس أمراً جديداً مستحدثاً بل هو ثابت على مرِّ العصور، ولا يختصّ بعلماء العامّة الّذين يخالفون الحقّ ويؤيدّون ويروّجون الباطل، والّذين استغلّوا أقلامهم وألسنتهم لخدمة أهل الباطل، مع أنّهم باعترافهم بفضائل أمير المؤمنين يدينون أنفسهم ومذاهبهم ويعترفون بصحّة طريقة أتباع عليّ عليه السلام.

ففي كلّ الأزمنة والأعصار، وإذا ما حصلت مواجهة بين الحقّ والباطل، فإنّنا رأينا ونرى بأنّ الكثير من المشركين وعبدة الأصنام يثنون على عقيدة التوحيد. فالكثير من النصارى والمسيحيّين وأرباب المذاهب الأُخرى، أثنوا صراحة وبكلّ وضوح ويقين على الإسلام واعتبروه الطريق الأمثل للنجاة والخلاص، وصدّقوا الإعجاز القرآني ورسالة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله.

ومع كلّ ذلك، بقوا على معتقداتهم المسيحية إلى أن ماتوا.

وحتّى في المواجهات السياسية والخصوصية الشخصية وغير الدينية لاحظنا مراراً وتكراراً أنّ بعض أهل الباطل يعترفون بفضيلة الطرف المقابل لهم.

وهذا الأمر يرجع إلى علل وأسباب مختلفة، تؤثّر في وجوده مجتمعة أو متفرّقة، منها:

١. تكون الفضائل والمناقب المتوفّرة في طرف ما، بدرجة من الوضوح والقوّة، بحيث يصعب على الخصم إنكارها، لنفرة الطبع البشري وحتّى طباع الخصم، عن إنكار تلك الفضائل، فيضطرّ الخصم إلى اختلاق أعذار بعيدة عمّا يخدش فضائل الطرف، ليحاربه بها، مثال ذلك، معاوية وعمرو بن العاص، فإنّ معاوية لم يكن منكراً لفضائل عليّ عليه السلام، ولكنّه تشبّث بحجّة دم عثمان وألقى اللوم على أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. وأحياناً يكون الاعتراف بفضائل ومناقب الخصم لا عن إرادة وقصد ومع عدم الالتفات إلى لوازم هذا الاعتراف، مثل من يذكر بعض الأحداث في مجلس القضاء ضدّ خصمه، فيكون ما يذكره إدانة له هو لا لخصمه.

٣. وأحيانا يكون الحبّ والصداقة، والتقيّد والاستئناس ببعض الأُمور، دافعاً للشخص على التوجيه والتأويل.

٤. وأحياناً يكون الخوف ومداراة رعاع الناس، مانعاً من التصريح بالحقّ كما هو ديدن الكثير من علماء العامّة مثل صاحب «شواهد التنزيل».

٥. والأهمّ من كلِّ ذلك، فإنّ حبّ الدنيا والجاه والمنصب، مانع عن الإذعان بالحقّ ودافع لترويج الباطل مع علمهم ببطلانه.

٦. وأحياناً يتوفّر نوع من السفاهة والجهل والعمى عند بعض الناس يمنعهم من ذلك، كما هو الحال في المدعوّ «السلطان محمّد خدابنده» حينما سأل مثل هذا السؤال فأجابه أحد العلماء بقوله:

لقد عجبوا من أصحاب أحمد إذ بتأخير ذي فضل وتقديم ذي
وأصحاب موسى في زمان حياته رضوا بدلاً عن خالق الكون

٧. وفيما يرتبط بخصوص الخصومة مع الإمام علي عليه السلام فإنّ هناك خصوصية إضافية على ما ذكر وهي عدم طيب المولد والنفاق الّذي كان يتّصف به خصومه، وهو ما كان يدفعهم إلى بغضه على الرغم من إقرارهم بفضائله أو إنكار مقامه ومرتبته.

اعتبار روايات مبايعة عليّ عليه السلام مع أبي بكر

س32: هل أنّ الروايات الّتي تتحدّث عن ربط أمير المؤمنين عليه السلام بالحبل وأخذه للمسجد لمبايعة أبي بكر، صحيحة؟

ج: هذا الأمر منقول ومشهور، ولا يستبعد ذلك من أمثال أُولئك الأشخاص، خاصّة وهم يعرفون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مأمور بالصبر. كما أنَّ

السائرين على نهج هؤلاء وأتباعهم قاموا بربط عائلة سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالحبال وأدخلوهم إلى مجلس يزيد بن معاوية ـ عليه اللعنة ـ وكانوا قد وضعوا القيود والجامعة في عنق حجّة الله الإمام السجّاد عليه السلام، وكما فعلوا بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حبس هارون.

تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام خاتمه في حين الصلاة

س33: المعروف أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يشتغل عن الدنيا بكاملها حين صلاته، حتى أنّه ورد في الروايات أنّهم استخرجوا من جسمه سهماً عندما كان في حال الصلاة فلم يلتفت، والسؤال هو: كيف عرف أمير المؤمنين بالسائل الّذي دخل المسجد وتصدّق عليه بخاتمه وهو في حال الصلاة؟

ج: إنّ قلوب الأولياء تحت تصرّف واختيار الله عزّ وجلّ، وكما في الحديث القدسي المنقول: «**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء**»،[1] وعلى هذا يمكن أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام مشتغلاً عن الدنيا في تلك الحالة والتفت إلى ذلك الفقير بإيحاء من الله تعالى.

وقد وردت روايات كثيرة في هذا المعنى، كالحديث القدسي القائل: «**ما يتقرّب عبدي إليّ بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه، وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى**

---

١. المازندراني، شرح الكافي، ج١، ص٤٠؛ المجلسي، مرآة العقول، ج١١، ص٢٥٤؛ ج١٢، ص٦١، ٢٣١.

أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع، به وبصره الّذي يبصر به، ولسانه الّذي ينطق به، ويده الّتي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته».[1]

وقد يكون معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾[2] منطبقاً على ما نحن فيه، وهنا مطالب دقيقة وعميقة لا مجال لبيانها الآن.

الشهادة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام في الأذان والإقامة

س34: ما هو السرّ في عدم وجوب ذكر الشهادة الثالثة ـ الولاية ـ في الأذان والإقامة والتشهّد والاكتفاء بذكرها بنحو الاستحباب واليمن والبركة على الرغم من أهمّية ولاية أمير المؤمنين عليه السلام في مذهب التشيّع؟

ج: إنّ مقامات المقال وموارده مختلفة، وإنّ بلاغة الكلام والحديث تختلف باختلاف مقتضى الحال.

فتارة يكون المقام مقام الإجمال، وتارة التفصيل، وفي هذه الموارد (الأذان والإقامة) المقام مقام الإجمال وليس التفصيل، وإنّ الغرض منهما الشهادة بجملة جامعة وشاملة لكلّ العقائد الحقّة، حاكية في كلِّ دعوة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ورسالته

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص٧٢.

٢. سورة الأنفال، الآية ١٧.

بإيجاز واختصار. فالتفصيل هنا مناقض للغرض ومخالف للبلاغة والقواعد الأدبية ومخرّجٌ الكلام عن نظمه السليم.

فالشهادة بالتوحيد بهذه العبارة، متضمّن لكلِّ العقائد الحقّة فيما يرتبط بالله وصفاته ـ عزّ اسمه ـ من الوحدانية وسائر الصفات الثبوتية والسلبية، فالتفصيل أكثر من هذا المقدار هنا لا يناسب مقام الأذان والإقامة ولا هو مناسب للتشهُّد، فإنّه يكون سبباً لإطالة الكلام في مورد يقتضي الإجمال والاختصار.

وكذلك الكلام في مورد الشهادة بالرسالة، فإنّها شهادة بكلّ العقائد الواردة على لسان الرسول وإرشاداته حول الإمامة والمعاد والحشر والنشر والجنّة والنار وفروع الدين وأحكامه وغير ذلك، فالتفصيل فيها عند الأذان والإقامة مخالف أيضاً للبلاغة وموجب لإطالة الكلام بلا حاجة.

وعلى هذا فإنّ العبارة المستعملة والمتضمّنة لكلّ العقائد والدعوة للإسلام، هي بنفسها متضمّنة للشهادة بالإمامة كتضمّنها للشهادة بالمعاد والمواقف بعد الموت وغير ذلك فلا داعي لذكرها منفردة لأنّ الغرض هنا هو الإيجاز والاختصار. ولو أنّ أحد هذه المطالب ـ المتفرّعة عن الشهادة بالرسالة ـ كان قد ذكر منفرداً ومستقلّاً لاعترض على عدم ذكر باقي المطالب، وهلمّ جرّا.

فمثلاً لو ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام، لقيل أيضاً: لماذا لم تذكر أسماء بقيّة الأئمّة عليهم السلام، مع أهميّتها هي الأُخرى؟ ولماذا لم يذكر اسم حضرة صاحب الزمان

ـ أرواحنا له الفداء ـ مستقلاً؟ ولو كانت أسماء الأئمّة قد ذكرت، لقيل: لماذا لم يذكر السرُّ في غيبة الإمامة المهديّ عليه السلام وسبب طول عمره مع أهمّية هذا الموضوع؟ والحاصل، أنّه سيقال ويقال لماذا ولماذا ولماذا؟

فالجواب هو أنّ المقام مقام الاختصار ولا يناسب ذكر كلّ تلك التفاصيل، ولولا ذلك لذُكِرت كلّ تلك التفاصيل، فإنّ مقتضى البلاغة والإيجاز هو التركيز على الموضوع الأساسي لكلّ الموضوعات والعقائد الإسلامية، والمتضمّن للشهادة بكلّ الأُمور المذكورة، لتحرز وتثبت كلّ تلك المواضع والمطالب.

وفي هذا السياق يتّضح لنا أيضاً بأنّ الشهادة بالولاية لا بقصد الورود والوجوب وإنّما بقصد مطلق الاستحباب، لا تنافي مقام الإيجاز والاختصار والبلاغة، ذلك أنّ الّذي ورد في الأذان والإقامة والتشهّد بعنوان الوظيفة والتكليف هي الأساس والجامع المتضمّن لهذه الأُمور، وأمّا ذكر الأُمور الضمنية بعنوان مطلق المحبوبية خاصّة في الأذان والإقامة بنحو عدم قصد الجزئية مع الالتفات إلى عدم إيراد الإقرار والاعتراف بسائر العقائد الحقّة، بالمقدار الّذي لا ينافي الموالاة وعدم الفصل، فلا إشكال فيه أبداً، وهو ليس جائزاً فقط وإنّما هو مستحبّ وراجح، ولا يوجد أيّ دليل على عدم جوازه.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى وجود بعض النكات الأُخرى في هذا الموضوع ـ غير ما ذكر ـ ولكن ولكفاية هذا المقدار من البيان لأهل البصيرة، طوينا عنها كشحا.

والأمر الآخر الّذي ينبغي التنبيه عليه هو: أنّ مسألة الولايـة، مسـألة عُنوِنَـت منذ بداية البعثة الشريفة، وقد ورد في كتب العامّة والخاصّة في تفسير قولـه تعـالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[1] أنّه روي أنّ النبيّ الأكرمﷺ وعندما أُمر بدعوة وإنذار قرابته وعشيرته قطّ، طرح عليهم موضوع الولاية، وصرَّح بخلافة عليّؑ وولايته للأمر من بعده، كما أنّه أعلن ذلك في مواطن عديدة، حتى كان يوم الغـدير حيـث أعلن هذه الولاية والخلافة بشكل رسمي وأمام الجميع كما هو معروف.

لماذا لم يصرّح النبيّﷺ بلفظ «الخلفية» بدل «الولي» يوم الغدير

س35: لماذا لم يصرّح النبيّﷺوآله بلفـظ «الخلافـة» يـوم الغـدير، لـدفع إشكال من يستشكل في دلالة لفظ «الولي» و «المولى» عـلى الزعامـة والحكـم والولاية مع أنّه غير وارد.

ج: أوّلاً: إذا كان هوى النفس والأغراض الدنيوية والنفسانية والسياسية هي الّتي تسيطر على الإنسان، فإنّه سوف يعترض على كلّ شكل وكلّ لفظ يبيّن هـذا المطلب أو غيره من المطالب، فلو أنّ النبيّ الأكرمﷺ في يوم الغدير كان قـد ذكـر لفظ «الخليفة» بدلاً عـن «الـولي» أو «المـولى» لاعـترض المعترضـون عليهـا كـما

---

١. سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

يعترضون على لفظ «المولى» أو «الولي»، بأن يعترضوا على إطلاق هذا اللفظ، أو كما قالوا في قوله ﷺ: «**أنت الخليفة بعدي**» حيث فسّروه بأنّ علياً ﷺ هو الخليفة بعد الثلاثة وعلى كلّ حال فإنّهم سيخرجون الأمر عن دائرة الوحي والرسالة ويدّعون أنّ هذا الكلام الصريح من النبيّ ﷺ يعبّر عن رأيه الشخصي وليس عن رأي السماء، ثمّ يجعلون اجتهادهم حاكماً على كلام الرسول ﷺ.

إنّ أهل النظر والتحقيق، يعرفون أنَّ أهل الهوى والأغراض النفسانية قد شكّكوا ليس فقط في كلام النبي ﷺ وإنّما شكّكوا في كتابته وذلك حينما دعا بدواة وقرطاس ليكتب للناس كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، ومع أنّ كلامه هذا كان في غاية الوضوح والصراحة ولا يقبل التأويل والردّ، إلّا أنّهم ردّوا هذا الكلام وشكّكوا في مصداقية وصيّته المكتوبة بقولهم: «غلب عليه الوجع» أو «إنّ الرجل ليهجر» وبكلّ وقاحة وصلف أعلنوا للنبيّ ﷺ أنّه حتّى لو كتب ذلك الكتاب فإنّهم سيشكّكون في مشروعيته بادّعاء أنّه صدر عن حال هذيان وهجر وغلبة الوجع، فحتّى لو كان النبيّ ﷺ قد كتب ذلك الكتاب بعد ذلك اليوم، ما كانوا ليعملوا به، فالعاقل المحقّق لا يتوقّع من هؤلاء غير الإنكار والردّ والتلاعب بالألفاظ والتشكيك بالظاهر والصريح من الألفاظ.

فمن يتصوّر أنّ النبيّ ﷺ لو كان استعمل هذا اللفظ بدل ذلك اللفظ لما حصل التشكيك والردّ، فهو على خطأ، فإنّ بعض هؤلاء قد تلاعبوا حتى بألفاظ بعض

الآيات القرآنية الكريمة الدالّة على التوحيد ـ وهو أساس دعوة القرآن الكريم ـ ففسّروها بتفسير يجرّ إلى الشرك، انسجاماً مع آرائهم الباطلة.

إذن، أوّلاً: إنّ الميزان والحاكم في المستفاد من كلام الأشخاص والقرآن والأحاديث، هو العقل المستقيم والإنصاف، وعلى الإنسان أن يستخرج الحقائق من النصوص الموجودة على أساسهما.

ثانياً: ورد في الروايات الصحيحة العديدة، التعبير عن أمير المؤمنين عليه السلام بـ «الخليفة» ومن أوّل موارد هذا الاستعمال هو بداية الدعوة الشريفة حين نزول الآية الكريمة ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾.[1]

كما أنّه قد وردت كلمة «خليفة» في حديث الثقلين المتواتر الدالّ صراحة على إرجاع الأُمّة إلى عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّهم الأمان من الضلالة فقد ورد في بعض نقولاته أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّي تارك فيكم خليفتين».[2]

ومع كلّ هذا، فإنّ المتخصّص في التاريخ والحديث والجوامع والسنن وصحاح أهل السنّة، يقف تماماً على عدم الاهتمام والتمسّك بأهل البيت عليهم السلام وعدم الاستفادة من علومهم ومعارفهم على الرغم من قبولهم لحديث الثقلين،

---

١. سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

٢. أمان الأُمة من الضلال والاختلاف، ص١٢٨.

حتّى أنّ «البخاري» قد روى في «الصحيح» أخباراً كثيرة عن الفسّاق والفجرة وفاسدي المعتقد، لكنّه لم يرو حديثاً واحداً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعن شخصية كشخصية الإمام الصادق عليه السلام.

فالمقصود هو أنّ الأغراض السياسية والآراء المبتدعة تعمي البصيرة وتصمّ آذان الحقيقة، فلا يستبعد إنكار الحقّ من مثل هؤلاء.

ثالثاً: مع أنّ هذه العبارات المرتبطة بالولاية هي من أشهر كلمات النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير المتواترة، ومتّفق عليها بين الفريقين، لكنّ الحقّ أنّ القضية لا تنحصر بهذا المقدار، فالمستفاد من حيثيات وأجواء واقعة الغدير واهتمام الوحي بها إلى درجة قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[1]، أنّ الخطبة أطول من هذا المنقول منها، وأنّها تتضمّن معاني أُخرى ولا تتلخّص في هذه العبارات المعدودة، وقد ورد في كتب الحديث الشيعية ـ الّتي روت الخطبة كاملة ـ أنّها متضمّنة لكلمة الخلافة والتنصيص على إمامة الأئمّة عليهم السلام خاصّة إمامة حضرة صاحب الزمان عليه السلام.

ولذا، فإنّ العبارات المشهورة، ليست دليلاً على أنّها تمام الخطبة، وسبب تركيز الباحثين على هذه العبارات والاستدلال بها دون غيرها هو اتّفاق الشيعة والسنّة على روايتها.

---

١. سورة المائدة، الآية ٦٧.

رابعاً: الوجه الآخر للاهتمام بنقل هذه العبارات هو تضمّنها لمعانٍ كبيرة، فاهتمام الأعاظم من العلماء بها ـ خلفاً عن سلف ـ باعتبار بيان الولاية والأولوية على النفس والأموال لأمير المؤمنين عليه السلام حيث ثبت في خطبة الغدير ـ المعروفة بخطبة وحديث الولاية ـ أنّ هذه الولاية ثابتة وموجودة لأمير المؤمنين عليه السلام حتى في زمن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأنّها لا تتوقّف على غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله زماناً ومكاناً.

وبديهيّ أنّ هذه الولاية، من جهة وجوب إعلامها من قبل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كسائر المسائل الّتي يتمّ إعلامها بالوحي الإلهيّ وبواسطة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، هي فرع مقام النبيّ بل فرع ولاية النبيّ صلى الله عليه وآله إنَّ دائرتها أضيق من دائرة ولاية النبيّ ـ الّتي تشمل الولاية على وليّ الله أيضاً ـ ليس لها ذلك الإطلاق الموجود في ولاية النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، لكنّها ولاية عامّة لما سوى الرسول فلا فرق بينهما.

والحاصل، أنّ الفارق بين ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولاية النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله له ولاية على أمير المؤمنين مثل ولايته على سائر الأُمّة، ولا ولاية لأحد على رسول الله إلّا ولاية الله تعالى.

وعلى أيّ حال فإنّ إثبات هذه الولاية في دائرة وحدود ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام هي أصرح وأعمق من التعبير عنها بالخلافة والقائم مقامه في إفادة الولاية على الأُمور، ذلك أنّ الخلافة إذا كانت تعني الاستخلاف في الإمامة والقدوة والأُسوة ورتق وفتق الأُمور الشرعية وبيان الأحكام والحلال والحرام

والحكومة على الأنام، فإنّ لفظ الولاية في دلالته على هذه الجهة من الخلافة ـ وهو الحكومة وإدارة المجتمع ـ أفصح وأصرح.

وبناءاً على هذا، ولأنّ أُولئك الّذين غصبوا الخلافة والحكومة بالتحزّب والتواطؤ كان لهذا السبب، ولم يكونوا يعارضون باقي مفاهيم الخلافة بشكل صريح، نجد أنّ خطبة يوم الغدير أو «حديث الولاية» قد تضمّن هذا البحث من الإمامة والخلافة في عباراته، وأمّا التشكيك في مفهوم «الوليّ» و «المولى» فإنّه ظهر في الأزمنة اللاحقة، وعلى خلاف كلّ القرائن الحالية والمقالية للموضوع.

وعلى أيّ حال، فإنّ هذه العبارات المشهورة من خطبة الغدير كانت وافية لإثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولإتمام الحجّة، وثبت أنّ اجتماع تلك العصابة في سقيفة بني ساعدة مع وجود من ثبتت له الولاية على الأنفس والأموال بنصّ من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، هو معارضة صريحة ومحاربة واضحة لله وللنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وانحراف ظاهر عن الحقّ. ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إثبات واقعة الغدير بالأدلّة القرآنية

س36: أرجو إثبات واقعة الغدير بالأدلّة القرآنية. وهل أنّ عليّاً عليه السلام هو الّذي خالف وصية النبيّ صلى الله عليه وآله؟ ولماذا صالح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام معاوية؟ ولماذا لم يحكم به الإمام الحسين عليه السلام؟ ولماذا سُجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام؟

ج: فيما يرتبط بالغدير، فإنّ كتب أهل السنّة، مثل كتاب «أسباب النزول» للواحدي وغيرها، رووا أنّ آية ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[1]، وآية ﴿**اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[2] وآيات أُخرى، نزلت في يوم الغدير.

إنّ علياً عليه السلام لم يخالف وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً، وإنّما كان التكليف موجّهاً إلى الناس بأن يرجعوا إلى عليّ عليه السلام ويقبلوا أوامره ويطيعوه، فإن كفر الناس بأنعم الله أو جهلوها، فلا يسوّغ ذلك الاعتراض على نعمة الله تعالى، وإنّما الاعتراض على من كفر بنعمة الله.

وصلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، وعدم خلافته الظاهرية وحبس الإمام الكاظم عليه السلام، لا يخالف مؤدّى واقعة الغدير وتعيين الأئمّة عليهم السلام.

حكمة عدم تصريح القرآن باسم عليّ والأئمّة عليهم السلام

س37: لماذا لم يصرّح القرآن الكريم باسم عليّ والأئمّة من بعده عليهم السلام؟

ج: أوّلاً: إن الله وحده يعلم الحكمة في ذلك.

ثانياً: قد يؤدّي التصريح بأسمائهم في القرآن الكريم إلى جرأة المخالفين لهم على تحريف القرآن الكريم وحذف بعض الآيات.

---

١. سورة المائدة، الآية ٦٧.

٢. سورة المائدة، الآية ٣.

ثالثاً: إنّ سبب نزول الآيات الكريمة كان معروفاً في زمن النـزول، وإن علـم أسباب النزول يتناول هذا الموضوع بالتحديـد، والآيـات النازلـة في شـأن أمـير المؤمنين عليه السلام كانت معروفة، مثل آية التبليغ ﴿**بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾. فقـد روي عن مثل عبد الله بن مسعود أنّه قال: كنّا نقرأ هـذه الآيـة في زمـن النبـيّ صلى الله عليه وآله هكذا: «**بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك أنّ عليّاً مولى المؤمنين**»،[1] فكـلّ هـذه الآيـات كانت معروفة، فحتّى لو كان لفظها عامّاً، لكن سبب نزولها أو المـراد منهـا هـو خاصّ وهو شخص أمير المؤمنين عليه السلام، أو أنّ عليّاً عليه السلام هو المصداق الأوّل والأكمـل والأتـمّ والأشرف لهـا، وهـذه الفضـائل واضـحة لأهـل الاطّـلاع والمعرفـة والإنصاف وضوح الشمس في رابعة النهار.

مضافاً على ذلك فإنّ لفظ «عليّ» قد ورد في القرآن الكريم، وبحسـب بعـض التفاسير أن يكون المراد منـه هـو أمـير المـؤمنين عليه السلام[2] ولا يمكـن إنكـار مسـاعدة القواعد الأدبية والنحوية في صحّة ذلك، من تلك الآيات:

الآية الأُولى: في سورة مريم، الآية ٥٠: ﴿**وَوَهَبْنَا لَـهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَـهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**﴾.

---

١. السيوطي، الدرّ المنثور، ج٢، ص٢٩٩.

٢. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١، ص٤٦٢ـ٤٦٣؛ الشريف اللاهيجي، تفسير، ج٣، ص٢٣؛ ج٤، ص٦٦؛ وتفاسير أُخرى.

الآية الأُخرى: في سورة الزخرف، الآية ٤: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

لماذا اختار النبيّ ﷺ فترة مرض موته وقتاً لكتابة الوصية التاريخية

س38: لماذا اختار النبيّ ﷺ فترة مرض موته وشدّة حاله، وقتاً لكتابة الوصيّة التاريخية، ولم يكتبها في وقت آخر لئلّا يواجه ذلك الاعتراض والجسارة والإهانة من ذلك الرجل الّذي قال في حقّ النبيّ ﷺ: «إنّ الرجل ليهجر»؟

ج: أوّلاً، إنّ البحث الجاري بعد أربعة عشر قرناً من تلك الحادثة هو في هذه الجهة وهي أنّه لماذا واجه القوم النبيّ ﷺ في حال مرض موته بمثل هذه العبارات وقالوا «غلب عليه الوجع» أو «إنّ الرجل يهجر» أو كلا الجملتين معاً، ومنعوا النبيّ من كتابة وصيّته؟

فالبحث في أنّ نفس هذا الرجل الّذي تجاسر على النبيّ الأكرم وشهر سلاح الهذيان ـ نعوذ بالله ـ وشدّة المرض، لمنع وصيّة النبيّ، هو نفسه لم يقف في وجه أبي بكر الّذي كان حال الموت يغمى عليه ويفيق ساعة بعد ساعة، ولم يمنعه من الوصيّة، ولم يتّهمه بالهذيان وغلبة الوجع؟

والجواب هو أنّ أبا بكر كانَ قد عيَّنه هو لمنصب الخلافة.

والحال أنّ أبا بكر عندما كان يوصي وكان عثمان يكتب وقبل أن يتفوّه أبو بكر باسم عمر أُغمي عليه، فخاف عثمان أن لا يفيق أبو بكر أبداً فيموت،

فأسرع إلى كتابة اسم عمر. ويقال: إنّ أبا بكر عندما أفاق سأل عثمان: ماذا كتبت؟ فقال: كتبت اسم عمر.

وسواء كان هذا التذييل صحيحاً أو غير صحيح، فالسؤال المطروح هو: لماذا اعتبر ذلك المتجاسر على النبيّ ﷺ هذه الوصيّة شرعية ونافذة ولم يعترض عليها بحجّة الإغماء والهذيان؟

فالغرض، هو أنّ القضية لابدّ أن تبحث على هذا النحو، ويقضى فيها على هذا الأساس، لا على أساس القضايا الّتي لم تقع.

لا شكّ في أنّ النبيّ ﷺ لو اختار وقتاً آخر لكتابة وصيّته لأفشلوا ذلك بحجج واهية أُخرى، ولشكّكوا في صحّة الوصيّة ﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾.[1]

أضف إلى ذلك، أنّ الموضوع الّذي أراد النبيّ ﷺ إعلانه في تلك الحال وبعد واقعة الغدير، كان قد أعلنه مراراً وتكراراً فأراد النبيّ ﷺ أن يكون ذلك مكتوباً ورسمياً فكرّره مرّة أُخرى وهو الأمر الّذي تخوّف منه أُولئك الّذين منعوا من الكتاب وشكّكوا ـ بزعمهم ـ بكلام النبيّ ﷺ الّذي يصفه تعالى بقوله: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾.[2]

---

١. سورة الكهف، الآية ٥٤.

٢. سورة النجم، الآية ٣ـ٤.

فالجواب الصحيح عن هذه المطالب، ليس في أن نقول: لماذا لم ينتخب النبيّ ﷺ مناسبة أُخرى ليكتب وصيّته، بل لابدّ أن نتيقّن بأنّ حبّ الدنيا واتّباع الهوى قد لعب دوره فخالفت هذه العصابة رسول الله ﷺ علناً ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِين ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾.[1]

علّة تلطّف الرسول ﷺ على مخالفي منهجه بعد حياته

س39: لماذا تلطّف الرسول ﷺ على أُولئك الّذين خالفوا منهجه بعد حياته وتمرّدوا على وصاياه في قضية الولاية، فقرّبهم إلى درجة أنّه تزوّج بناتهم فقوّى نفوذهم ومكانتهم الاجتماعية؟

ج:

تو را تيشه دادم كه هيزم كَنى — نــدادم كــه ديــوار مــردم كَنــى

(أعطيتك فأساً لكي تحتطب — لا لكي تهدم بيوت الناس وتخرِّب)

من المشهورات أنّ درويشاً جاهلاً صنع تمثالاً لعليّ ﷺ من طين وبدأ بمحاكمة عليّ بن أبي طالب ﷺ قائلاً له: لماذا لم تحارب بقدرتك «اليد اللهية» أُولئك الّذين هجموا على دارك وهتكوا حرمة حبيبة رسول الله ﷺ وأسقطوا جنينها المسمّى محسن

---

١. سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

ولم تقتصّ منهم؟! ثمّ حكم على أمير المؤمنين بالقتل فقطع رأس ذلك التمثال، ثمّ صنع تمثالاً باسم رسول الله ﷺ وبدأ بمحاكمته أيضاً قائلاً له: لماذا تعاملت مع هؤلاء الناس بالتسامح واللين، فجرّأتهم على الظلم والجور والتعدّي؟ ولماذا لم تقتلهم، ولماذا ولماذا؟ ثمّ بعد ذلك حكم عليه بالقتل، فقطع رأس ذلك التمثال!

وبعد هاتين المحاكمتين صنع تمثالاً ثالثاً بزعم أنّه «الله» وبدأ بمحاكمته قائلاً: أنت بعلمك الإلهي كنت تعرف أنّ هذين الرجلين (عمر وأبو بكر) سيرتكبان المظالم والجور، فلماذا تسبّبت بهذا الاختلاف الكبير في الأُمّة الإسلامية؟

وأراد هذا الدرويش المتشبّه بالعرفاء، المبتلى بالماليخوليا، أن يقتصّ ـ والعياذ بالله ـ من الله، وإذا برجل عاقل كان يراقبه من على الشجرة ينهره بصوت عالٍ فسقط الدرويش إلى الأرض مغمى عليه، وختمت المحاكمة بلا مجازاة!!

إنّ قضيّة الخلقة وامتحان البشر، والمناهج الإلهية والسياسة الحكيمة لرسول الله ﷺ ومواقفه الواضحة وقراراته الصائبة وكذلك مواقف أمير المؤمنين ﷺ فإنّه كان يقبل المنافقين بحكم «**أُمِرتُ أن أُقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله**»،[1] كما أنّه كان يتمّ الحجّة عليهم، لقد كان النبيّ ﷺ مأموراً بأن يتعامل مع الناس بخلق عظيم وكان مأموراً بالصفح والعفو وكما ورد في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا**

---

١. النسائي، سنن، ج٥، ص١٤؛ العلّامة الحلّي، نهج الحقّ، ص٥٥٥.

﴿رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَـهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.[1]

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه عمل بوظيفته وكان تصرّفه حكماً مقروناً بصلاح الإسلام.

وهذا الخلق العظيم من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو الّذي دفعه إلى قبول تكفّل «حفصة» بنت عمر الّتي كانت قد رمِّلت فأعْيت نفقتها عمر بن الخطّاب لفقره وقلّة ذات يده فعرض نكاحها على أبي بكر فأبى أن يتزوّجها، فالتمس من عثمان أن يتزوّجها فرفض هو الآخر، ولعلّهما رفضا ذلك لفقر عمر، فجاء عمر يشتكي عند رسول الله حاله ولعلّه طرح أمر الزواج على النبيّ صلى الله عليه وآله فوافق النبيّ على تكفّلها وتأمين معيشتها.

الغرض، إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أظهر أسمى معاني الأخلاق الرفيعة في ذلك المجتمع القاسي المتوحّش وقد نقل بعض أهل السنّة أنّ نفس عمر بن الخطّاب كان قد وأد ستّ بنات من بناته ودفنهنّ وهنّ أحياء وكنّ يتوسّلن به وينظّفن شعر لحيته ممّا علق به من التراب فلم يلن قلبه القاسي عليهنّ ولم يمنعه ذلك عن دفنهنّ.

هذا الخلق العظيم من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان لإتمام الحجّة على هؤلاء القساة لعلّه يمنعهم من ظلم ابنته الوحيدة ويكون حافزاً لهم على رعاية قدرها وإطاعة أمره فيها، ولكن وللأسف ما رعوها بل روّعوها وسوّدوا صفحات التاريخ بأبشع صور التعدّي وبقيت وصمة عار أبدية على جبينهم.

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

منصب الإمامة

س40: هل الإمامة تنصيب أم انتخاب؟ ولماذا اختير الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام لا من ولد الإمام الحسن عليه السلام؟ ولو كان للسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام ولد ثالث، فهل سيكون إماماً أيضاً؟

ج: للأسف، فإنّ كثرة مشاغلي، تسلب من فرصة الإجابة عن مثل هذه الأسئلة المهمّة بشكل جامع مفصّل، ولكن بنحو الاختصار سأجيب على عجالة عن هذا السؤال وأملي أن يكون كافياً ووافياً بحول الله وقوّته.

إنّ الإمامة مثل النبوّة والرسالة، منصب إلهي، بأن يختار الله تعالى أفراداً مؤهّلين أكفّاء تتوفّر فيهم شرائط معيّنة لهذا الأمر ولا يعلم بشرائط الإمامة وخاصّة العصمة، غير الله وبعض المخلصين من عباده الّذين يستقون علمهم من الوحي والإفاضات الإلهية، من هنا فإنّ الإمام والخليفة وحاكم المجتمع لا يعيّنه إلّا الله العالم بحقائق الناس وحقائق كلّ الأشياء والّذي لا يعزب عن علمه شيء.

وكلّ من يترشّح لمنصب الإمام عن غير هذا الطريق، لا يمكن الاطمئنان له، ولا يعتمد عليه ولا يمكن اتّباعه للخلاص من الضلالة والانحراف لعدم تحقّق اليقين الكامل بأهليته لهذا المنصب.

إنّ خصوصية منصب الزعامة والخلافة وقيادة المجتمع والحجّة والمطاع وصاحب الخيار، تقتضي ـ أن يتعيّن صاحب هذا المنصب من قبل الله تعالى

ـ الحاكم بالذات وبالاستحقاق على جميع الكائنات والسلطان لكلّ الموجودات ـ وأمّا غيره ـ ومهما كان هذا الغير ـ فليس له حقّ الحكومة ولا حقّ الخيار، ولا حقّ إلزام الآخرين بطاعته، ولا حقّ التشريع والتقنين، فإنّ هذا الحقّ مختصّ بالله تعالى الّذي هو حاكم بالذات وهو السلطان الحقيقي والكلّ محكوم له.

وبناءاً على ذلك، فإنّ صلاحية تعيين الحاكم والهادي، وحقّ انتخاب القائد الواجب الطاعة، وحقّ إيجاب إطاعته على الآخرين، مختصّ بالله تعالى، وأمّا غيره فليس له ذلك ففاقد الشيء لا يعطيه.

وقوله تعالى: ﴿**اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[1] بيان لهذا الأمر أيضاً، فإنّ الله تعالى عارف بالمستحقّ لهذا المقام العالي والمنصب الرفيع المتضمّن لتلك الوظائف العظيمة والخطيرة المترتّبة، وهي أمانة كبيرة لا يشخّص حاملها إلا الله تعالى.

ومن لم يكن عارفاً بهذه الحقيقة العالية، فإنّه سيشكّك حتّى في صلاحية البشر للرسالة والنبوّة ويقول: لابدّ أن يكون الوسطاء بين الخلق والخالق من الملائكة، وقد أجاب القرآن عن مثل هؤلاء بقوله: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً**﴾،[2] ويقول في آية أُخرى: ﴿**وَلَوْ**

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

٢. سورة الإسراء، الآية ٩٥.

﴿جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾،[1] فهؤلاء يجهلون الحكمة في اختيار الأنبياء من نفس البشر، فالله تعالى يبيّن لهم في هذه الآيات الشريفة جانباً من جوانب الحكمة في ذلك.

وفيما يرتبط بأنّ الحقّ في تعيين النبيّ وقائد المجتمع هو لله تعالى ولا يحقّ ذلك للناس، فإنّ هؤلاء الجهّال أيضاً يشكّكون في ذلك ويعترضون، وقد ورد بيان مثل هذا الاعتراض والرفض في القرآن الكريم في سورة الزخرف، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2] فهم كانوا يتصوّرون أنّ النبيّ لابدّ أن يكون من الملأ وأصحاب النفوذ، فأجابهم القرآن الكريم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.[3]

فالآية الشريفة تشير إلى أنه ليس من حقّ أحد من هؤلاء أن يتدخّل في الشؤون الإلهية، فرحمة الله مختصّة بالله ولا أحد غير الله يقدر أو له الحقّ في تقسيم رحمة الله، كما أنّهم عاجزون عن تقسيم رزقهم ومعيشتهم.

وبناءاً على هذا فإنّ الإمامة رحمة إلهية، وبحسب قاعدة اللطف واقتضاء الأسماء الكريمة «الرحمن»، «الرحيم»، «الهادي»، «الحاكم» وأسمائه الحسنى

---

١. سورة الأنعام، الآية ٩.

٢. سورة الزخرف، الآية ٣١.

٣. سورة الزخرف، الآية ٣٢.

الأُخرى، فإنّ الله تعالى لم يترك زماناً من الأزمنة بدون إمام، وهذا الإمام يتمّ تعيينه من قبل الله تعالى.

وإذا كان رسول الله ﷺ قد نصّ على إمامة وخلافة عليّ ﷺ من بعده فإنّ ذلك إنّما كان بأمر من الله لا على أساس أنّه صهره أو ابن عمّه، ولأنّ عليّاً ﷺ هو الشخصية الوحيدة الّتي تتوفّر فيها شرائط الإمامة وقيادة الأُمّة من بعد رسول الله ﷺ، كما أنّ انتخابه كزوج لسيّدة نساء العالمين كان هو الآخر مبتنياً على أساس تلك المواصفات والشرائط.

فلقد كان الله عالماً بالمواهب والامتيازات الّتي يتمتّع بها أمير المؤمنين ﷺ (والّتي من جملتها القرابة وتكفّل النبيّ ﷺ بشؤون عليّ ﷺ منذ صغره، مضافاً إلى مقامه العلمي وعصمته وإيمانه وجهاده وفدائه وزهده) كما أنّ عليّاً ﷺ كان المتميّز من بين الصحابة فلا نظير له فيهم، وكان حقّاً كما وصفوه يوم السقيفة بعد اعتراض بني هاشم على تعيين أبي بكر:

من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن

كما أنّ محور وملاك ومعيار ولاية الأئمّة ﷺ من بعد أمير المؤمنين ﷺ هو نفس هذه المواصفات والامتيازات، فكلّ الأئمّة تتوفّر فيهم تلك الشرائط والصلاحية، وعلى أساس هذه الخصائص الفريدة فيهم ورد النصّ على إمامتهم من قبل الله تعالى بواسطة رسوله الكريم محمّد ﷺ.

فهؤلاء الأطهار عليهم السلام هم ورّاث علم وعمل ومقامات ومناصب النبيّ صلى الله عليه وآله ما عدا النبوّة، ومحور هذه الوراثة، ليس جسمانياً ونسبياً، فإن إخوانهم كانوا يشاركونهم في النسب أيضاً، وإنّما صاروا ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله بما يتمتّعون به من فضائل وكمالات عالية جعلتهم الأقرب والأولى بالنبيّ صلى الله عليه وآله من غيرهم، كما ورد في القرآن الكريم في بيان الأولوية بإبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ والّذين آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْـمُؤْمِنِينَ**﴾.[1]

فهذا التوريث والأولوية ليس نابعاً من القيم الظاهرية، بل هو ارتباط معنوي وروحي وثيق وعميق. فهؤلاء إنّما ورثوا آدم ونوح وإبراهيم بهذا اللحاظ لا بلحاظ النسب، فكما أنهم ورّاث إبراهيم فهم ورّاث موسى وعيسى أيضاً، مع أنّهم ليسوا من أولاد موسى أو عيسى.

ونقرأ في فقرات الزيارة: «السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله...» فهذا اتّصال آخر توفّر في الأئمّة بأعلى مراتبه، فحياة الأئمّة وسيرتهم وعلومهم وأخلاقهم تدلّ على أنّهم النموذج الأكمل لأصفياء الله وعباده المخلصين.

وبطبيعة الحال، فإنّهم تربّوا في حجر النبوّة والعصمة، ونشؤوا في بيت الوحي والرسالة، وهم أبناء علي وفاطمة عليهما السلام وأسباط النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكلّ هذا فضيلة

---

١. سورة آل عمران، الآية ٦٨.

تضاف إلى سائر فضائلهم، فإنّ من جملة شرائط النبوّة والإمامة هو الشرف الرفيع وطهارة النسب، ولكن موجبات الأهلية للإمامة لا تتلخّص في هذه الأُمور.

والبحوث في هذا المضمار كثيرة، وكلامي في شرح وتفسير أهلية ولياقة الأئمّة عليهم السلام قاصر ومختصر.

وكما أسلفت، فإنّ الله تعالى العالم بكلّ الجهات والعارف بحقائق الأُمور، هو الّذي ينتخب الأئمّة وأصحاب هذه المناصب الرفيعة.

فليست المسألة أن يكون ابنُ الحسين عليه السلام إماماً من بعده، وإنّما المسألة أن يكون الإمام زين العابدين عليه السلام إماماً من بعد الحسين عليه السلام وعلى أساس أنّ أولاد الإمام الحسن عليه السلام لم تتوفّر فيهم الشرائط وإنّما توفّرت في أولاد الإمام الحسين عليه السلام، صارت الإمامة في ولد الإمام الحسين عليه السلام دون ولد الإمام الحسن عليه السلام وخصّوا بها دونهم.

كما أنّه خصّ الإمام الباقر دون غيره من ولد الإمام زين العابدين بالإمامة على هذا الأساس.

وكما هو مستفاد من الروايات، فإنّ الإمامة عهدٌ وأمانة إلهية لا يحظى بها إلّا من كان قادراً على حفظها.

وعلى أيّ حال، فإنّ قولك: إذا كان للسيّدة فاطمة الزهراء أبناء غير الحسنين عليهما السلام فهل كانوا سيكونون أئمّة أيضاً، قد اتّضح جوابه، فمن أين تعلم بتوفّر الشرائط فيهم؟ والآن ونحن نعرف أنّه لم يكن لها غير الحسن والحسين عليهما السلام

وقد نصب الله هؤلاء الأئمّة الاثني عشر فقط، فلا فائدة من طرح مثل هذا السؤال، الآن الكلام كلام في الواقع لا في الفرضيات.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أنّه قد ورد في بعض الروايات: «**إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام عن قتله أن جعل الإمامة في ذرّيته**»[1] ومثل هذه التعابير والأوصاف قد تكون إشارة إلى معاني لطيفة ودقيقة وعالية، بأن يكون للتربية الإلهية الخاصّة ولاختيار الحسين عليه السلام تأثير ودخل في نيل هذه المقامات والكمالات والدرجات العالية، بلطف وعناية عالم الغيب، فإنّ الألطاف الإلهية والتوفيق الرباني والتأييد من جانب الحقّ تعالى، كان ملازماً لهؤلاء الأطهار، فكما أنّهم كانوا غير غافلين ولو للحظة واحدة عن التوجّه والارتباط والتعلّق التامّ بكلّ وجودهم وكيانهم بالله تعالى، وكانوا يدركون تماماً فقرهم واحتياجهم التامّ له تعالى، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يكلهم إلى أنفسهم أبداً بل كان يسدّدهم بعنايته الخاصّة، ومن هنا كان انتساب الأئمّة التسعة من الإمام السجاد إلى صاحب العصر من ذرّية الحسين عليه السلام لسيّد الشهداء بنفسه مؤثراً في كسب بعض العنايات الإلهية لهذه الأنوار المقدّسة التسعة عليهم السلام.

وإذا كانت قاعدة «يحفظ المرء في ولده» جارية في الأفراد المؤمنين والمحسنين، فلماذا لا تكون جارية في الإمام الحسين عليه السلام وذرّيته بلحاظ قضية استشهاده في سبيل الله؟

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٢١.

فالمسألة هي أنّنا نعجز عن حصر كلّ الشرائط والمؤهّلات الواقعية لمقام الإمامة في هذا العدد المحدود منها، فلا يحيط علمنا بهذه المسائل.

وما نقوله من أنّ الإمام لابدّ أن يكون الأعلم، الأتقى، والأعدل من الجميع وأن يكون واجداً لمقام العصمة، يعني: إنّ ما ندركه بعقولنا وفهمنا هو أنّ الإمام لابدّ أن تتوفّر فيه هذه المواصفات، وأن من لم يكن الأعلم وكان محتاجاً إلى علم غيره، أو لم يكن معصوماً وكان يعبد الصنم لمدّة من الزمن، أو كان قد ارتكب الظلم في حقّ الآخرين، لا يمكنه أن يكون إماماً ولكن ذلك لا يعني أنّ تمام العلّة في اختيار الله للإمام هو الأعلمية والعصمة والعبادة، بل المقصود هو وجوب توفّر هذه الصفات في الإمام.

وعليه، فلا مانع من وجود شرائط ومواصفات مؤثّرة كثيرة أُخرى توفّرت في هؤلاء الأطهار عليهم السلام أهّلتهم للاختيار الإلهي لهم، ومن هنا نقول: «**أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة**» أو نقول: «**خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين**» فنحن نقول: إنّه بموجب حكم العقل، فإنّ الإمام والنبيّ ينبغي أن تتوفّر فيه شرائط ومواصفات ومؤهّلات، ولكن العقل عاجز عن إدراك جهات أُخرى قد تكون مؤثّرة في الاصطفاء الإلهي، كما أن الآية المباركة: ﴿**اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[1] تؤيّد هذه الحقيقة.

---

١. سورة الأنعام، الأية ١٢٤.

كما أنّنا لن نخوض في بحث المفاضلة بين الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام ولا نقول بأنّ الإمام الحسين عليه السلام أفضل من الإمام الحسن عليه السلام، فكلاهما إمام مفترض الطاعة، وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وواجد لخصوصيات واختصاصات لا نقدر على الإحاطة بها.

وبهذا الكلام نختتم هذه الحقيقة وهي أنّ كلّ الأنبياء والأولياء، كانوا من البشر ولكنّهم في أعلى مراتب البشرية، وليس من شأننا أن نعرف كلّ جزئيات الحكمة الإلهية والأفعال الإلهية وأن ندّعي فهمها، وإنّما يكفينا أن نعرف بأنّ أفعال الباري عزّ وجلّ كلّها نابعة من حكمة، وبعد كلّ ذلك نقول: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[1]

ومن المناسب هنا أن تلتفتوا إلى هذه الرواية المتضمّنة للمباني العظيمة والمؤيّدة لما ذكرناه:

عن زيد الشحّام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً**».[2]

وممّا ذكرناه، يتّضح أنّ بإمكاننا القول، أنّ الإمامة تنصيب وانتخاب، كما يمكننا القول بأنّها ليس تنصيباً ولا انتخاباً.

---

١. سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

٢. الكليني، الكافي، ج١، ص١٧٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٢، ص١٢.

أما قولنا تنصيب، فهو بمعنى أنّها بجعل من الله تعالى، وكما ورد في القرآن الكريم في خطابه عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾.[1]

وقولنا إنّها انتخاب، فهو بمعنى اختيار وتعيين الأصلح والأكمل والأسبق، غايته أنّه انتخاب من قبل الله تعالى العليم الحكيم، فهو فقط العالم بحقائق الأُمور كلّها، ويستحيل أن يكون انتخابه خاطئاً أو نابعاً عن الأغراض الشخصية، وهو انتخاب منزّه ومبرّأ عن الاشتباه والعيوب الأُخرى العارضة على انتخاب البشر.

وإن قلنا: إنّه ليس تنصيباً، فنقصد أنّه ليس من قبيل المتعارف والجاري عند السلاطين والحكّام ـ الّذين يقومون بتنصيب خلفائهم مع أنّهم بأنفسهم يفتقدون الحقّ في تسلّطهم وحكمهم للناس ـ فهؤلاء السلاطين يعتقدون أنّ من حقّهم أن يعيّنوا من يخلفهم، فيورّثون ما أخذوه بالقوّة والغلبة غير المشروعة، ولكن مثل هذا الأُسلوب الاستبدادي السلطوي بعيد كلَّ البعد عن أُسلوب تنصيب الإمام، فإنّ الإمامة كما قلنا، منصب إلهي ومقام سامٍ يُمنح من قبل الله فقط، لمن توفّرت فيه شرائطها.

فالإمام منصَّب من قبل الله وبأمره وجعله وبنصّ النبيّ أو الإمام السابق عليه، وأنه يتكفّل بأخطر الوظائف والمسؤوليات وأثقلها.

---

١. سورة البقرة، الآية ١٢٤.

وهذا التسلسل الموجود في الأئمّة عليهم السلام الّذين كانوا أباً وابناً وحفيداً وما دونه، هذا التسلسل وإن كان بحدّ ذاته منقبة وفضيلة لهم، ولكنّه لا يكون مؤثّراً بدون تحقّق الشرائط والموصّفات المطلوبة في الإمام، وخاصّة العصمة والأعلمية وغيرها.

فانتخاب وتعيين الله عزّ وجلّ، ليس اعتباطياً ـ نعوذ بالله ـ وإنّما هو على أساس الحكمة.

وأمّا قولنا بأنّ الإمامة ليست بالانتخاب، فمعناه أنّ اختيار الناس ليس هو المعيار والملاك فيها، فإنّ الناس عاجزون عن تشخيص ذوي الصلاحية لهذا المنصب، كما أنّهم غير صالحين لتعيين وجعل واجب الطاعة والوليّ، والتدخّل في الشؤون الإلهية.

وأمّا بيعة الناس للوليّ والإمام، فهي ليست إلّا لإعلان القبول والتأكيد والتعهّد بالطاعة (كنذر أداء الواجب)، فسواء بايع الناس أو لم يبايعوا، فإنّ من اختاره ونصبه الله، منصوب وله الولاية والإمامة وتجب طاعته، فالعدول عنه إلى من لم يعيّنه الله تعالى عدول إلى غير الصالح وإلى غير من عيَّنه الله.

فالمسألة ليست بالشورى والانتخابات العامّة، فإنّه إذا كانت ولاية الأب والجدّ من الأب للصغير حكماً إلهيّاً ثابتاً فلا يحقّ للأُمّ والجدّ من الأُمّ التصرّف في أموال الصغير، فإن مسألة الولاية العامّة هي كذلك بالأولوية.

والولاية العامّة للفقهاء وبأيّ حدّ ثبتت، لهي تعيين من قبل حضرة وليّ الأمر عليه السلام وليست تابعة لانتخابات الناس، إنّ الله تعالى قد جعل الإمام وعيّنه بحسب حكمته وبموجب رحمانيته ورحيميته وحاكميته وسائر صفاته الجمالية، ولقطع العذر وإتمام الحجة على الناس ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1] نصب الأئمّة الصالحين والواجدين للشرائط، وهم بدورهم عيّنوا الفقهاء بالنيابة العامّة في عصر الغيبة بل وحتّى في عصر الحضور وعدم تمكّن الإمام من التصرّف في الأُمور، ولكي لا يحتار أتباعهم ويضطرّون إلى الرجوع إلى الأنظمة الجائرة وحكّام الجور، ولكن موضوع ولاية الفقيه خارج عن نطاق بحثنا في هذا القسم.

ما هي الحكمة في مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر

س41: ما هي الحكمة والعلّة في مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر، مع أنّ تلك البيعة بمثابة الإمضاء وتأييد تلك الخلافة؟

ج: فيما يرتبط بمسألة بيعة أمير المؤمنين عليه السلام سواء كان هذا الأمر ثابتاً ومؤكّداً أم لم يكن ثابتاً، وكذلك سكوت أمير المؤمنين عليه السلام عن حقّه وعدم الإقدام الجادّ والخروج بالسلاح، لا يدلّ على رضاه بالخلافة ولا هو إمضاء لمشروعيتها.

---

١. سورة الأنفال، الآية ٤٢.

فإنّه لم يثبت رضا وطيب نفس الكثير من كبار الصحابة ـ الّذين امتنعوا في البداية عن البيعة ثم بايعوا بعد ذلك ـ كما أنّه لم يثبت تاريخياً رضا الكثير من عامّة الناس الّذي بايعوا تحت ظروف خاصّة وبكيفية خاصّة معروفة.

ذلك أنّ عمر بن الخطاب وبالاستعانة بحزبه وسيوفهم المشهورة، كانوا يدورون في أزقّة المدينة ويهدّدون ويتوعّدون الناس بالقتل ويجبرونهم على البيعة لأبي بكر.

وهنا أرجو الالتفات إلى هذه الأُمور:

١. إنّ عقيدة الشيعة وهم أصحاب النصّ، وعلى أساس الأدلّة العقلية والنقلية ـ كما ذكرنا سابقاً ـ قائمة على أنّ الإمامة منصب إلهي، وأن الإمام لابدّ وأن يكون كالمرآة العاكسة لصورة الإسلام وحقيقته ـ ما عدا النبوّة ـ واستمراراً لبركات وجود النبيّ ﷺ من كلّ الجهات وأنّ له الولاية على كلّ أُمور المجتمع، وأنّه معيّن من قبل الله تعالى.

وأمير المؤمنين ﷺ وبحسب النصوص الكثيرة والأدلّة الأُخرى، هو الخليفة المنصوص عليه، والإمام الحقّ، والعدول عنه إلى غيره ـ حتى لو اتّفق كلّ الناس على هذا العدول ـ غير جائز وهو «تقديم من أخّره الله وتأخير من قدّمه الله»، وكما أنّه لا يحقّ للنبيّ أن يتنازل عن مقام النبوّة إلى شخص آخر غيره فكذلك الإمام، لا يحقّ له أن يتنازل عن منصب الإمامة إلى الآخرين.

وبناءاً على ذلك، حتّى لو ثبت أنّ عليّاً عليه السلام قد أُخِذت منه البيعة ـ بعد امتناعه الثابت عنها ـ أو أنّه اضطرّ إلى أن يبايع أبا بكر، فإنّ المفهوم الصحيح للبيعة لم يتحقّق ولا يقرّر صحّة خلافة أبي بكر أو غيره.

٢. لو كانت تلك الخلافة حقّاً، لزم أن يكون امتناع عليّ عليه السلام والزهراء عليها السلام وجماعة من كبار الصحابة المتّقين باطلاً، مع أنّ الروايات القطعية عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله تدلّ على أنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ مع عليّ عليه السلام وأنّهما لا يفترقان، وإذا قال قائل بأنّ عليّاً عليه السلام لم يكن على حقّ، أو لم يقل الحقّ، أو لم يعمل بالحقّ، يكون قد كذّب الرسول.

إذن، فلا شبهة في أنّ عليّاً عليه السلام كان على حقٍّ في كلّ الحالات، وأنّ امتناعه في البداية عن البيعة لم يكن امتناعا عن حقّ، بل هو امتناع عن اللّاحَقّ والباطل.

٣. إنّ امتناع عليّ عليه السلام وجمع من الصحابة عن البيعة للخليفة، أمرٌ ثابت تاريخياً ولا ينكره أحد، وقد اعترف به شاعر النيل المعروف، وإنّ هذه القضية مؤكّدة ومسلّمة إلى درجة أنّ معاوية بن أبي سفيان في كتاب أرسله إلى الإمام عليّ عليه السلام تعرّض لهذا الامتناع، ولم ينف الإمام عليه السلام امتناعه في جوابه لمعاوية، وإنّما قرّر امتناعه وحقّانيته ومظلوميته في ضمن هذه الجملة، قال عليه السلام: «**وَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ، فَمَدَحْتَ**».[1]

---

١. نهج البلاغة، كتاب ٢٨ (ص٣٨٧ـ٣٨٨).

وخلاصة الكلام هي أنّه ليس فقط لا شكّ في أنّ أمير المؤمنين وسائر بني هاشم وبعض كبار الصحابة قد امتنعوا عن البيعة للخليفة، وإنّما قضية امتناعهم دراية معلومة أيضاً.

وأمّا ما ذُكر في أنّ عليّاً عليه السلام وأتباعه قد بايعوا بعد تلك الأحداث المريعة والمواقف الدامية لأُولئك المتسلّطين، فهذا غير قابل للإثبات التاريخي، لأنّه خبر الواحد، وباصطلاح أهل الرواية فإنّه رواية ومشكوك، وفي تلك الروايات تعارض وتضادّ، ولا مجال هنا لمناقشة ذلك. وعلى أيّ حال، لا يمكن اعتبار بيعتهم حقيقية، ولا هي ملاك لمشروعية الخلافة.

ويمكننا أن نصوِّر عدّة علل لتلك البيعة ـ على فرض تحقّقها ـ:

السبب الأوّل هو أنّهم تيقّنوا أنّه لا يمكن مواجهة الحكم القائم إلّا بالسلاح وأنّ ذلك يؤدّي إلى حرب داخلية لا تُحمد عقباها، خاصّة وأنّ الناس حديثو عهد بالإسلام، ممّا يؤدّي إلى هدر زحمات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وإضاعة جهود عليّ عليه السلام والمخلصين من الصحابة، الّذين زرعوا بذرة الإيمان والتوحيد في القلوب، فالحرب الداخلية لم تكن أبداً تصبّ في مصلحة الإسلام، لأنّها كانت ستؤدّي إلى اصطفاف المسلمين في خندقين متقابلين، ولا فائدة من ذلك.

فعليّ عليه السلام الّذي وقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله منذ اليوم الأوّل وفي كلّ الأحوال وبكلّ إخلاص وصدق وإيثار وفداء، وشارك في تشييد صرح الإسلام، لو خُيِّر بين

السكوت عن الدفاع عن حقّه وبين خراب ذلك الصرح العظيم، لاختار السكوت عن حقّه ورجّح بقاء الإسلام وتناميه وبقاء وحدة المسلمين في قبال الكفّار، ليتمكّن الإسلام من شقّ طريقه وانتشاره ـ ولو بسرعة أبطأ ـ فإن ذلك أفضل في مقياس أمير المؤمنين عليه السلام من شلّ حركة نموّ الإسلام وانتشاره وتضييع جهود النبيّ صلى الله عليه وآله، حتّى يتسنّى له الظرف المناسب لعرض الإسلام ونظام الولاية والخلافة، كما حصل ذلك بالفعل فيما بعد، وظهر للناس أحقّية أهل البيت بالخلافة كما ظهرت معايب ومساوئ العدول عن الإمام المنصوب، وعاد الناس إلى القرآن وعترة النبيّ وآمنوا بالإمامة، وسنحت الفرصة المناسبة لأهل البيت عليهم السلام لهداية الناس إلى العين الصافية لمعارف الإسلام وأحكامه وتفسير القرآن الكريم، فبيّنوا لهم الإسلام بكلّ جوانبه ونظمه السياسية والاجتماعية والأخلاقية وأهمّ من الكلّ العقائد الصحيحة، في حين لو كانت الحرب قد اندلعت بالمدينة بين المسلمين لم تكن لتنتج إلّا المفاسد والفتن، ولتعرض كلّ شيء إلى الخطر، ومن هنا فإنّ علي بن أبي طالب عليه السلام رفض عرض أبي سفيان لبيعته واعتبر ذلك إثارةً للفتنة وعودةً للجاهلية.

والسبب الثاني لبيعة الإمام عليّ عليه السلام هو ما يظهر من طيّات التاريخ من أنّ عليّاً عليه السلام كان يشعر بخطر يهدد حياته وحياة أهل بيته، وهو شعور عرفه أيضاً عمّه العبّاس بن عبد المطّلب فأجبر عليّاً على البيعة ليس خوفاً من الموت وإنّما لحاجة

المسلمين الملحّة إلى وجود عليّ عليه السلام وعلمه، فإنّ الإسلام والمسلمين في تلك الظروف كانوا بأمسِّ الحاجة إلى وجوده.

ومن مثل هذه الحال الّتي لم يكن التوسّل بالقوّة مقدوراً، ولم يكن هناك مصلحة في التنازل المطلق، كانت مواقف عليّ عليه السلام حسّاسة وذات معنى.

فعليّ عليه السلام بما اتّخذه من موقف كان قد أدّى وظائفه الثقيلة، وأظهر الحقّ، وراعى مصلحة الإسلام بشكل كامل، وحفظ حياته النفسية ـ الّتي أعدّها للفداء بها في سبيل الإسلام ـ لكي لا يراق دمه بلا فائدة وبدون أن يحقق قوّة للإسلام، ودفع بذلك أيضاً احتمال إثارة الفتن وتضييع الفرص الّتي توقّع حصولها في المستقبل.

وخلاصة الكلام هي أنّ عليّاً عليه السلام طبّق وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بها بحذافيرها، فقد شاهد عليّ عليه السلام مشاهد وصوراً مريعة تثير أحاسيس كلّ شجاع وبطل قويّ، ولكن لم يصدر منه فعل أو قول لم يكن ينبغي أن يصدر، وتصرَّف بكلّ حكمة وتعقّل.

ولكنّ كلّ تلك الأوضاع، أثبتت أحقّيّة عليّ عليه السلام وتقديمه لمصلحة الإسلام وعدم انحرافه للأهواء والعواطف، وصار واضحاً للجميع بأنّ عليّاً عليه السلام فانٍ في الحقّ، وإنّ المهمّ عند عليّ عليه السلام هو الإسلام وبقاء الدين والحفاظ على مصالح المسلمين.

كما أنّ سكون عليّ عليه السلام في ذلك الظرف، وبيعته الاضطرارية لم يعطيا أيّ مشروعية للوضع القائم في ذلك الظرف، ولا يرفعان المسؤولية عن عواتق أُولئك الأشخاص ولا يبرّئان المتصدّين عن تخلّفاتهم.

لماذا ينسب المذهب الشيعي إلى الإمام الصادق عليه السلام

س42: لماذا يُنسب المذهب الشيعي إلى الإمام الصادق عليه السلام؟ وما هو دور سائر الأئمّة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ في ذلك؟ ولماذا يسمّى الإمام السادس فقط بالصادق؟

ج: كان الأئمّة الاثنى عشر ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ كلّهم علماء بالأحكام وكلّ واحد منهم يحظى بمقام الإمام والفضائل الأُخرى، ولكنّ نسبة مذهب التشيّع إلى الإمام الصادق عليه السلام وتسميته بالمذهب الجعفريّ إنّما هو لأجل عدم وجود فرصة مناسبة لنشر علوم ومعارف الإسلام الصحيحة حتّى زمان الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام وذلك لتسلّط السياسات الظالمة وحكّام الجور، والظرف المناسب الّذي توفّر في زمن الإمام الصادق عليه السلام لم يتوفّر من قبل للأئمّة السابقين عليهم السلام ولذا فإنّ الإمام الصادق عليه السلام استغلّ تلك الظروف على أكمل وجه فبدأ بتدريس العلوم وكشف الحقائق وتربية كبار العلماء من تلاميذه الّذين يُعدُّ كلُّ واحد منهم عَلَماً من أعلام الإسلام.

ومن حينها أُطلق على الشيعة وأتباع الإمام الصادق عليه السلام اسم «الجعفرية» وبقيت هذه التسمية عليهم ولم يمنع منها الأئمّة اللاحقين للإمام جعفر الصادق عليه السلام، ذلك لأنّ غرض الأئمّة عليهم السلام كلّهم هو الترويج للدين والهُدى بين الناس.

وكلّ الأئمّة عليهم السلام كانوا صادقين، وكلّهم كانوا يهدون الناس إلى طريق واحد وهو الطريق المستقيم.

لماذا لم يصل أبو الفضل العبّاس عليه السلام إلى مقام الإمامة

س43: لماذا لم يصل أبو الفضل العبّاس عليه السلام إلى مقام الإمامة؟

ج: لا يعرف السبب الحقيقي لذلك إلّا الله تعالى، وإنّ الشرائط اللازمة لمقام الإمامة والصلاحيات المطلوبة لها لم تتوفّر إلّا في الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ولذا لم يصل ولن يصل غيرهم إلى هذا المقام الشامخ.

خلود قتلة الإمام الحسين عليه السلام في النار

س44: هل أنّ كلّ قتلة الحسين عليه السلام مخلّدون في نار جهنّم؟

ج: نعم، قتلة الإمام الحسين عليه السلام مخلّدون في النار.

إنكار علماء أهل السنّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

س45: إذا كان علماء أهل السنّة على يقين من أنّ النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله قد نصّب عليّاً عليه السلام بأمر من الله تعالى للخلافة في يوم الغدير، وأنكروا ذلك، فهل يُعدّ إنكارهم هذا إنكاراً لأمر الله ورسوله؟ وألا يعتبر ذلك ارتداداً عن الدين؟

ج: يكفي للحكم بإسلام الشخص الظاهري الإقرار بالشهادتين، نعم إذا عُلم أنّ الشخص مع يقينه بمعنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله ودلالته على المعنى صريحاً ومع ذلك أنكره، فإنّ هذا موجب للكفر.

آية التطهير وعصمة أهل البيت عليهم السلام

س٤٦: يثير البعض شبهة في خصوص الاستدلال بآية «التطهير» الشريفة على عصمة وطهارة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ هذه الإرادة إذا كانت تكوينية فإنّها لا تعدّ فضيلة لهم لعدم تخلّف الإرادة الإلهية ولتأثيرها في صياغة شخصياتهم، وإن قلنا بأنّها إرادة تشريعية، فإنّها حينئذٍ عامّة لكلّ البشر، فما هو جواب هذه الشبهة؟

ج: الجواب على هذه الشبهة هو أنّ هذه الإرادة الإلهية هي إرادة تكوينية ولا تتنافى مع أفضلية واختيارية هؤلاء الأطهار عليهم السلام كما أنّ سياق الآية وعباراتها لا تنسجم أبداً مع كونها إرادة تشريعية تتعلّق بكافّة البشر ـ ومع ذلك نقول: إنّ الإرادة التشريعية الحقيقية هي إرادة الطهارة والنزاهة عن الرجس، وانبعاث العبد عن أمر وطلب المولى وانزجاره عن نهي وزجر المولى.

وهذه الإرادة التشريعية هي فقط في شأن أُولئك الّذين ينبعثون عن الأمر الإلهي وينتهون وينزجرون عن الزجر والنهي الإلهي، وبعبارة أُخرى إنّ الأمر والنهي المولوي هو الداعي لهم للامتثال.

وعلى هذا فإنّ الأوامر والنواهي الإلهية بالنسبة لهؤلاء هي حقيقية بمعنى أنّ المولى يريد جدّاً انبعاث وانزجار هؤلاء، وأمّا بالنسبة لسائر الناس فإنّ الإرادة التشريعية هي إرادة صورية وإتمام للحجّة عليهم، أي أنّ القضية من جانب

المولى قد تمّت وأنّ ما له قابلية الداعوية والبعث والزجر للعبد قد تهيّأ وأعدّ، ولكن قد يكون تقصير أو قصور العبد هو الّذي يمنع من داعوية تلك الأوامر والنواهي. فلا يمكن عقلاً أن يكون للمولى العالم بالأُمور ـ الأمر والنهي ـ إرادة انبعاث وانزجار من مثل هذا العبد المقصّر والقاصر، وهذا المطلب يجري حتّى في الموالي والعبيد العرفيّين من جهة الأوامر والنواهي وقد نبّه القرآن الكريم في عدّة موارد على ذلك: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً﴾،[1] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾،[2] ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾،[3] ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.[4]

ولو فرض وجود شخص لا يقبل ذلك ويدّعي بأنّ الإرادة التشريعية عامّة لكلّ العباد، فإنّه مع ذلك لا يمكنه أن يدّعي أكثر من أنّ المولى إنّما ينشئ ما فيه صلاحية الداعوية من بعث وزجر فقط لخصوص أُولئك الّذين يعلم بانبعاثهم وانزجارهم تبعاً لتلك الأوامر والنواهي ولا تشمل إرادته التشريعية أُولئك الّذين يعلم بعدم انبعاثهم

---

١. سورة يس، الآية ٧٠.

٢. سورة يس، الآية ١١.

٣. سورة النساء، الآية ١٦٥.

٤. سورة الأنفال، الآية ٤٢.

وانزجارهم وتأثّرهم بتلك الأوامر والنواهي ولا يمكن أن يكون المولى عنده إرادة تشريعية بقيام العبد الّذي يعلم أنّه لن يتأثّر وينبعث نحو أمره له بالقيام، فيستحيل أن يصدر خطاب «قُمْ» لمن يعلم المولى مسبقاً بأنّه لن يقوم إذا سمع الخطاب.

إذن، فالإرادة التشريعية الّتي هي توأم مع إرادة الانبعاث والانزجار هي إرادة تشريعية حقيقية، والإرادة الواردة في آية التطهير هي من هذا القبيل، وتأبى أن تكون من قسم آخر.

وعلى هذا، لو علمنا بأنّ الإرادة التشريعية قد وردت في شأن فرد معيّن وعرفنا أنّه في مورد خاصّ أو في كلّ موارد الأوامر والنواهي المولوية ـ حتّى الأوامر والنواهي الإرشادية والمستحبّات والمكروهات ـ ينبعث أو ينزجر، نتيقّن حينئذٍ أنّ المولى العالم بالأُمور له إرادة جدّية في هذا المورد أو الموارد وأنّ داعيه في الأمر والنهي هو انبعاث هذا العبد أو انزجاره، فالمولى يأمر والعبد ينبعث، والمولى ينهى والعبد ينزجر. والعكس بالعكس، أي أنّنا إذا عرفنا أنّ المولى العالم بكلّ الأُمور إذا أراد الانبعاث والانزجار من عبد للأمر والنهي فإنّنا نتيقّن بأنّ هذا العبد سينبعث وينزجر حتماً ولا يتخلّف عن الداعوية.

هذه الإرادة التشريعية (إرادة الانبعاث والانزجار) ملازمة لإرادة الطهارة عن الرجس، أو أنَّ إحداهما هي عين الأُخرى وأنَّ الإخبار عن إحداهما هو إخبارٌ عن الأُخرى.

فالمولى الّذي له إرادة انزجار عبده من النهي الموجود في «لَا تَزْنِ ولَا تَشْرَبِ الخَمْرَ وَلَا تُصَلِّ في الحَمَّامِ» هي إرادة طهارة العبد من هذه الأرجاس.

وبعد هذه المقدّمة نقول: يفهم من آية «التطهير» بأنّ المولى يريد لهذه الذوات المقدّسة الانبعاث والانزجار لأوامره ولنواهيه بنحو الإرادة الجدّية. وفي كلّ الأوامر والنواهي وإن كان بالنسبة للجميع يقصد جعل «ما يصلح للداعوية والزاجرية» وفي هذا المعنى يشترك الجميع في هذه الإرادة التشريعية، وأمّا قصد جعل «ما يكون داعياً بالفعل» وإرادة جدّية للانبعاث والانزجار والطهارة من الرجس بنحو مطلق فإنّ هذه الإرادة مختصّة فقط بالذوات المقدّسة «ولا نعني بالعصمة إلّا هذا».

لا يقال: إنّ مثل هذه الإرادة الجدّية الفعلية تشمل أُولئك الّذين تتوفّر فيهم حالة الانبعاث والانزجار، وإن قصد المولى أيضاً انبعاثهم وانزجارهم فلا يختصّ القصد حينئذٍ بالذوات المقدّسة، فإنّنا سنقول في الجواب: نعم الأمر كذلك ونحن نعرف الكثير من الأشخاص الّذين يقصد المولى من أوامره ونواهيه انبعاثهم وانزجارهم في الجملة، وأمّا أن يكون قصد بنحو الإطلاق في كلّ أوامره ونواهيه انبعاثهم وانزجارهم في الجملة، وأمّا أن يكون قصده بنحو الإطلاق في كل الأوامر والنواهي الإلزامية وغير الإلزامية، فإنّ هذا مختصّ بالمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام فقط ولا نعرف أحداً يشاركهم في ذلك، لأنّ التعرّف على

مثل هـذا الشـخص غـير ممكـن إلّا عـن طريـق الـوحي مبـاشرة وعـن طريـق المبادئ المتصّلة به.

إذن، لو فرضنا أنّه يوجد مثل هذا الشخص، فإنّنا لم نتعرّف عن طريق الوحي على غير هذه الذوات المقدّسة ممّن يتّصف بهذه الصفة.

فهذه الذوات المقدّسة هي الّتي أراد الله طهارتها مـن الـرجس، وأنّ المحـرّك والباعث لكلّ أفعالهم وحركاتهم وتروكهم هو الأوامر والنواهي الإلزامية وغير الإلزامية، وقد أخبرنا الله تعالى في هذه الآيـة بفضـيلتهم وشـأنهم ومـرتبتهم، في حين أنّنا إذا لم نجزم بعدم وجود مثل هذه الإرادة التشريعية للطهـارة المطلقـة في حقّ غيرهم فإنّ القدر المتيقّن هو عدم العلم بها.

طلب مغفرة الأنبياء والعصمة

س47: نعتقد نحن طائفة الإمامية بعصمة الأنبيـاء ـ عمومـاً ـ وعصـمة وطهارة حضرات المعصومين ـ سلام الله علـيهم أجمعـين ـ ولكـن يوجـد في القرآن الكريم بعض الآيات الّتي يبـدو مـن ظاهرهـا ومفهومهـا أنّ بعـض الأنبياء طلبوا من الله المغفرة، كما ورد عـن نبـيّ الله آدم ويـونس وخاصّـة في موسى بن عمران، حيث توجد في سورة «القصص» آيات تدلّ صراحة على أنّ موسى كان قد قتل شخصاً ثمّ أقرّ بأنّ هذا الفعل هو من عمل الشـيطان،

ثم يطلب العفو والمغفرة من الله المتعال، وأنّ الله عزّ وجلّ قد غفر لـه. وهنـا آيات أُخرى لا نذكرها رعاية للاختصار.

نلتمس من جنابكم أن تبدو نظركم الجامع والمستدلّ في هذا الشأن.

ج: إنّ طلب المغفرة من الله تعالى لا ينافي مقام العصمة، وقد لوحظ ذلـك في آيات وأدعية كثيرة.

والقرائن الحالية القطعيـة تـدلّ عـلى أنّ الأنبيـاء والأئمّـة عليهم السلام في هـذه الأدعيـة وبمناسبة الحال قد أدركوا عجزهم وضعفهم وفقرهم وحاجتهم الذاتيـة في قبـال عظمة مقام الربوبية وكثرة النعم الإلهية الّتي عجز البشر ـ عـن أداء حـقّ شـكرها، فهم يطلبون الرحمة والمغفرة من الله ويعترفون بقصورهم الإمكاني في قبـال الغنـى والكمال الإلهي، بل ويعتذرون حتّى عن عجزهم عن إظهار قصورهم وضـعفهم، وأحياناً يعدّون الأعمال المباحة ظلماً أو خطأ، وذلك استعظاماً لها أو مجـازاً، وبهـذه العبائر والبيان اللطيف ـ الحاكي عـن درك الحقـائق العاليـة والمتعاليـة ـ يسـكِّنون وجدانهم القاصر عن الشكر في مقام شكر النعم مع الاعتذار عن ذلك العجز.

وهذا مقام «**حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين**» وهنا يعتذر حتّـى عـن الحـلال والمباح، ويسمّونه ظلماً.

فهؤلاء يعرفون جيّداً كم من الناس قد وظّفـوا في سـبيل تحقّـق هـذا العمـل المباح أو الحلال، وهنا ينبغي الاعتذار مـن إلـه كـلّ أُولئـك المخلوقـات الّـذين

وظّفهم في ميدان إطاعة وأداء الأعمال غير الواجبة وغير المستحبّة واستخدمهم في الأعمال المباحة الّتي لا تثمر كمالاً ولا تنتج تقرّباً وإن كانت لازمة للوجود البشري ولكنّها على أيّة حال أعمال مشتركة بين الإنسان والحيوان، والأنبياء الّذين يتمتّعون ببصيرة عالية يطلبون العذر والعفو من الله الخالق لكلّ هذه المليارات من المخلوقات الّتي قامت بفعل المباحات.

وهذا المطلب دقيق وعميق، وكلّما تحدّثنا، ولأنّنا ننفصل بفاصلة كبيرة عن أُولئك الّذين قالوا تلك الجملات والأدعية والمناجاة وتضرّعوا في مقام الحمد والشكر والثناء والامتنان، وأعربوا عن عجزهم وفقرهم وحاجتهم، فإنّنا لن نستطيع أن نبيّن حقيقة هذا المطلب كما ينبغي.

ولكن، إجمالاً فإنّ القرائن الحالية والشواهد القطعية تبيّن هذا المعنى وتجعلنا نتيقّن بأنّ مفاد ومدلول هذه الجملة والعبارات عندما تصدر من المقدّسين والأنبياء والأولياء ومن دونهم في الرتبة، هو غير مفاد نفس الجمل والعبارات إذا صدر من المذنبين والعاصين والنادمين، ولذا فإنّ طلب المغفرة وإظهار العجز عن العبودية لا تتنافى مع مقام العصمة، بل هو مؤيّد رسوخ ذلك المقام الشامخ، والشاهد على ذلك هو القوّة القدسية وكمال نفس هؤلاء الأطهار.

وأمّا ما يرتبط بخصوص الآية الشريفة ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾،[1] فإنّ هناك

---

١. سورة القصص، الآية ١٥.

وجوهاً محتملة في المراد من الآية، منها: أنّ المراد هو ترك الأولى، أي أنّ الأولى هو العمل بالتقيّة في ذلك الظرف وأنّ موسى كان قد ترك التقيّة وقتل الرجل.

أو أنّ دفع القبطي كان ممكناً بدون الحاجة إلى قتله ـ مع أنّ قتله كان جائزاً ـ ولكن موسى اختار الطريق الآخر المؤدّي إلى قتله دفاعاً عن الإسرائيلي.

أو أنّ بني إسرائيل كانوا قد اختاروا طريق السكوت وعدم المقاومة لفرعون وأتباعه، انتظاراً لأمر الله وظهور نبيّ جديد يجتمعون تحت رايته للثورة على فرعون، فاستبق موسى الأحداث وأعلن عن مقاومته ومخالفته العلنية، وهذا العمل وإن كان في حدِّ ذاته من مقدّمات مواجهة موسى كنبيّ لفرعون وملئه وكان عملاً جائزاً بل مطلوباً، ولكن لاحتمال وجوب تأخير هذا الأمر إلى ظرف أكثر ملائمة من هذا الوقت، فقال موسى معبّراً عن ذلك ﴿**هَـذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾ استعظاماً منه لترك هذا الأولى.

وهناك وجهٌ آخر وهو معتبر وروي في بعض التفاسير وهو أنّ المشار إليه في الآية الكريمة هو اقتتال ذينك الشخصين لا ما صدر من موسى عليه السلام.[1]

---

١. راجع: الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج٤، ص٨٤؛ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٤، ص١٩؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٩٨ـ١٩٩، باب ٥ (ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام. وآية ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**﴾ (سورة القصص، الآية ١٦).

وبناءاً على المرويّ فالمراد هو: إنّي عرّضت نفسي للخطر بدخولي المدينة، فاغفر لي أي «استرني» عن أعين الأعداء، وإنّ الله تعالى قد ستره وحفظه.

ويمكن تصوير احتمالات أُخرى، مثل أنّ مرجع ضمير «قال» هو الإسرائيلي وأنّ «هذا» إشارة إلى «الاقتتال» أو «جهل موسى». ويؤيّد عدم إرادة معنى مخالف ومنافٍ لعصمة الأنبياء عدم تسلّط الشيطان على نفوسهم الزكية، بعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[1]، و﴿**إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾.[2]

علم الإمام

علم الإمام عليّ عليه السلام بشهادته

س48: سمعت من أحد الخطباء بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان على علم باستشهاده في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان على يد «ابن ملجم»

---

١. سورة الحجر، الآية ٤٢؛ سورة الإسراء، الآية ٦٥.

٢. سورة الحجر، الآية ٤٠؛ سورة ص، الآية ٨٣.

عليه اللعنة. فلماذا لم يتحاش ذلك قبل وقوع هذه الجناية عليه خاصّة وإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]؟

ج: يعتبر في موضوعية بعض موضوعات الأحكام، العلم بها من خلال الطرق المتعارفة ـ الّتي يعلم بها عامّة الناس وبحسب البناءات العرفية ـ لا كلّ طريق.

نعم إذا عرفنا أنّ ملاك وجهة موضوعية شيء لحكم من الأحكام هو ذات ذلك الموضوع ومن أيّ طريق حصل العلم به، حينئذٍ يثبت حكمه، فمثلاً في قضيّة قضاء القاضي بعلمه بين الناس يعتبر حصول ذلك العلم عن طريق الأمارات العرفية لا بواسطة الطرق غير المتعارفة كالجفر والرمل والأحلام وغيرها، فإنّ النبيّ الأكرمﷺ كان يقول: «**إِنَّما أَقْضي بَينكم بِالْبَيِّناتِ وَالْأَيْمانِ**»،[2] لكي يتعلّم الناس طريق الحكم والقضاء ولذا فإنّ نظام القضاء الإسلامي قام على هذه الموازين الّتي يمكن لكلّ القضاة الحكم وفصل الخصومات بها.

وعلى هذا الأساس، فإنّه لا يجب على النبيّ ﷺ أو الإمامؑ أن يعتمد على علمه الخاصّ الغيبيّ الّذي هو إفاضة إلهية، فيما إذا فقدت المعرفة الناتجة عن أمارة تدلّ مثلاً على أنّ هذا الشخص قاتلٌ أو على أحقّية ادّعائهؑ، وإنّ الحكم بقصاص مثل

---

١. سورة البقرة، الآية ١٩٥.

٢. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٢٣٢.

هذا القاتل الّذي لا يمكن إثبات جرمه بالطرق المتعارفة، غير صحيح. ونفس الشيء إذا علم القاضي عن طريق الجفر أو الرمل أو الأحلام بأنّ حكمه الّذي أصدره في حقّ القاتل الفلاني كان خاطئاً، فإنّ مثل هذا العلم لا يُعتنى به أبداً.

وهذا المعنى يجري في مورد حرمة إلقاء النفس في التهلكة، فإنّ إلقاء النفس في التهلكة إنّما يحرم فيما لو عُلِم به عن الطريق العادي المتعارف العرفي، فإنّه سيكون حينئذٍ غير جائز وهو موضوع للنهي الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾.[1] وأمّا إذا حصل العلم بالتهلكة بواسطة الطرق غير المتعارفة، خاصّة العلم الغيبي الّذي يتمتّع به النبيّ والإمام من جانب الله وبإذنه وإلهامه، فإنّه لا يحرم مثل هذا الإلقاء، بل سيكون تجنّبه حينئذٍ مخالفاً للتسليم، ومنافياً لحبِّ لقاء الله تعالى.

فالنبيّ والإمام لا يعارضون في هذا المسير السنن الإلهية الّتي يعلمون بها يقيناً، فهم مثل الملائكة الّذين هم عمّال إرادة الله تعالى يكونون مجرين لسنن الله تعالى حتّى لو كانت في موردهم.

وهنا تكمن أسرارٌ وحقائق كثيرة وعميقة لا يمكننا الإحاطة بها، ولذا أشرنا إليها فقط.

---

١. سورة البقرة، الآية ١٩٥.

فعندما تتعدّى المسائل حدود العرفيات وأعمال البشر العاديّين وترتبط بمثل علم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، لا يمكننا حينئذٍ دراستها على أساس المعايير والقواعد الحاكمة في العرف فقط.

وثانياً: فإنّ أفعال النبيّ والإمام عليه السلام لا يمكن دراستها ومعرفتها على أساس معيار العمومات أو إطلاقات أدلّة الأحكام، ولا يمكن الاستشكال فيها والإيراد عليها فيما لو كانت مخالفة لعموم أو إطلاق، وذلك لأنّ فعل المعصوم بنفسه حجّة وهو من الأدلّة الشرعية الّتي قد تكون مقيّدة أو مخصّصة لإطلاق أو لعموم، وطبعاً الفعل يدلّ على الجواز في الجملة، والقول يدلّ على ما يظهر من الكلام.

وبناءاً على ذلك يمكن القول في الجواب: إنّ أُولئك العظام كانوا مكلّفين بأُمور خاصّة قد تؤدّي إلى الوقوع في التهلكة فلا إشكال في أن يكون المأمور به موقعاً في التهلكة.

وبطبيعة الحال، فإنّ في مثل ثورة الإمام الحسين عليه السلام الّذي كان يعلم بأنّ امتناعه عن بيعة يزيد وذهابه إلى العراق وانتهاء الأمر إلى استشهاده عليه السلام، ومع ذلك استقبل كلّ هذه المصائب يوجد تزاحمٌ بين الأهمّ والمهمّ، فإنّ الإمام عليه السلام كان يلحظ المسائل الأهمّ، فقبل الشهادة عن علم ومعرفة، كما يحصل ذلك في بعض الحروب والغزوات حيث يجب على المسلم أن يذهب إلى ميدان الجهاد مع علمه بالشهادة والقتل.

فالنبيّ ﷺ مع علمه بأنّ «جعفر الطيّار» و «زيد بن حارثة» و «عبد الله بن رواحة» سيستشهدون واحداً بعد الآخر، مع ذلك عيّنهم على قيادة الجيش.

دائرة علم الإمام عليه السلام

س49: هل أنّ الروايات الّتي تثبت للإمام علم ما كان وما يكون، صحيحة؟ وإذا كانت صحيحة فلماذا أقدموا على إهلاك أنفسهم؟

ج: إنّ الروايات الواردة في إثبات علم الإمام بما كان وما يكون وما هو كائن، معتبرة ومعتمدة، بل هي متواترة، خاصّة بضميمة الأخبار والأحاديث الأُخرى الواردة في الأبواب المختلفة في الحديث والتاريخ والّتي توجب القطع واليقين بهذا المعنى.

وهذا الإيراد على إقدام أمير المؤمنين على إلقاء النفس بالتهلكة وذهابه باختياره إلى المسجد مع سابق علمه بالقضية، أو ما يرد حول بعض الأئمّة الّذين تناولوا السُّمَّ مع عدم الإجبار، لا ينحصر في هذه الموارد بل يجري في موارد كثيرة أُخرى يمكن الخوض فيها أيضاً.

مثل ما يقال: لماذا لم يتناول الرسول والأئمّة الدواء المعروف عندهم حال مرضهم أو مرض أقربائهم، ليرتفع المرض عنهم؟ أو لماذا لم يمنعوا المجاهد والغازي عن الذهاب إلى ساحة المعركة مع عملهم باستشهاده؟

أو ما يقال: لماذا لم يرفعوا حاجاتهم المادّية بالقدرة والإعجاز الإلهي الّذي منحهم إيّاه، واكتفوا باتّباع السبل الطبيعية المعروفة في ذلك؟ فمثلاً كان أمير المؤمنين عليه السلام يحرث الأرض ويغرس النخل ويحفر القنوات والآبار ليعتاش من مردودها، أو أنّه كان يطبخ الطعام؟

أو لماذا لم يعرّف جبرائيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على بعض الأعشاب النباتية الّتي تعدُّ من العقاقير والأدوية لمرض النبيّ صلى الله عليه وآله؟ بل وأكثر من ذلك، فإنّه يقال: لماذا لم ينصر الله تعالى أنبياءه ورسله في كلّ المواقع والحالات مع أنّ علمه وقدرته تعالى مطلقة ولا شكّ في عمومية قدرته وعلمه فتركهم يقعون في التهلكة والأذى؟

وإنكار علم الإمام بوقت استشهاده لا يحلّ هذه الإشكالية، فإنّه يقال: لماذا لم يُطلع النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام عليه السلام بوقت استشهاده وطريقة قتله؟

فإن أنكرنا علم النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك، فإنّه سيُقال: لماذا لم يخبر جبرائيل أو الله تعالى بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام عليه السلام بذلك فيمتنع عن الذهاب إلى المسجد أو عن تناول السُّمّ؟ وجواب كلّ هذه الاستفسارات هو:

أوّلاً: إنّ هذا العالم ونظامه قائم على أساس جريان الأُمور والحوادث بمجريات العلوم العادية والمادّية لنوع البشر، إلّا في بعض الموارد الّتي يوجد فيها مقتضى للإعجاز وتدخّل الغيب، فمثلاً ينبغي أن يكتشف الإنسان بجهده

وسعيه أنواع الأدوية والعقاقير ليعالج أمراضه ويسيطر على القوى الطبيعية الحاكمة في الكون.

أو أن يجاهد بقدرته وقوّته البدنية وبسلاحه واستقامته وشجاعته، ويغلب عدوّه بالطرق المتعارفة.

وعلى هذا، فإنّ الله تعالى وأولياءه الّذين يجرون المشيئة الإلهية، والمطّلعين على المستقبل والأُمور الغائبة عن أذهان الناس، لا يعرضون هذه العلوم على عامّة الناس ولا يستفيدون منها في حالات نادرة إلّا ولمقتضيات دقيقة، لكي لا يختلّ النظام الحاكم لهذا العالم وهو جريان الأُمور بأسبابها الطبيعية، مع أنّ بعض المنتجبين يملكون الاستعداد الكافي لتلقّي العلوم الغيبية، وقدرة التصرّف في عالم التكوين، لكنّهم لم يستفيدوا من هذه القدرة والعلم في مجالات تغيير وتبديل جريان عالم المادّة إلّا ما ندر، كما شوهد ذلك في قضية موسى عليه السلام وكذلك في غزوة بدر ونزول الملائكة، وفي مثل ولادة النبيّ عيسى عليه السلام وإسحاق وموارد أُخرى. ولكن هذه الموارد ليست كثيرة إلى درجة الإخلال بنظام العالم المادّي، وإنّما هي لمصالح معيّنة مثل التعريف بالقدرة الإلهية أو إلقاء الحجّة وإفهام الناس بأنّ ما يجري ليس مجرّد تأثير وتأثّر علل ومعلولات طبيعية.

والحاصل، أنّ جريان الأُمور العادية والاختيارية للناس بنحو النوع والغالب لابدّ أن تقوم على أساس العلوم والمعطيات الطبيعية، ولذا فإنّ الأنبياء

والأئمّة عليهم السلام أيضاً لم يزجّوا تلك المعارف والعلوم الغيبية في خضمّ الحياة العادية، تحسّباً من اختلال النظام العالم القائم والحاكم في الكون.

ولعلّ هذا هو السبب في منع الشرع لبعض العلوم مثل علم النجوم والتشبّث ببعض المعارف للاطّلاع على المستقبل، فإنّه في حالة إصابة هذه الوسائل فإنّها ستكون مخالفة للنظام العادي للحياة ومخلّة بالتوازن والتعادل القائم فيها.

ثانياً: إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في سيرتهم وتعاملهم ومعاشرتهم ومجالستهم لأصحابهم المؤمنين والأغيار والأخيار والفجّار، قد اتّبعوا الطريق الطبيعيّ والمتعارف، ولم يلتجئوا إلى علمهم وقدرتهم الغيبية إلّا في بعض الموارد الاستثنائية، ولم يدفعوا الخطر والفقر والمرض والابتلاء عن أنفسهم بعلم الإمامة، لأن اتّباع غير الطريق المتعارف يعدُّ نقضاً للغرض ومنافياً للحكمة والهدف من بعث الأنبياء ونصب أئمّة الهدى عليهم السلام.

وسيرتهم وسلوكهم في الحياة من معاملاتهم ومعاشرتهم وعلاقاتهم الزوجية وملابسهم وشربهم وطعامهم ونومهم ويقظتهم وصحّتهم ومرضهم وصلحهم وحربهم وفقرهم وغناهم وحكومتهم، كلّها ينبغي أن تكون أُسوة وقدوة للآخرين، فكانوا يعلِّمون الناس دروس الزهد والقناعة والصبر والصدق والتقوى والورع والرضا والتسليم والتوكّل، فلو أنّهم استفادوا من علومهم

الغيبية في حياتهم الخاصّة، لم تتحقّق تلك المقاصد، ولم تعد سيرتهم وسلوكهم قدوة وأُسوة للآخرين.

ثالثاً: إنّ تكاليف هؤلاء العظام عليهم السلام كانت كتكاليف سائر الناس وفي الأعمّ الأغلب هي تكاليف في حدود العلوم العادية والمتعارفة، ولم يكونوا مكلّفين بترتيب أثر على معارفهم وعلومهم وقدراتهم الغيبية، وفي مثل النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[1] كانوا مأمورين كسائر الناس بالعمل طبقاً للعلم العادي والمتعارف لا العلم الغيبي.

فالإلقاء في التهلكة المنهيّ عنه في الآية هو ذلك الإلقاء الناتج عن العلم العادي الطبيعي الّذي يحصل لغير الإمام أيضاً لا ذلك العلم الناتج عن المعارف الغيبية.

فالأئمّة عليهم السلام كانوا يلحظون في أداء التكاليف، الشرائط العامّة، فمثلاً إذا كانوا يطّلعون على وجود الماء بعلمهم الغيبي، لم يكن تكليفهم إلّا التيمّم كسائر الآخرين، وكذلك في القضاء والحكومة وتدبير الأُمور كانوا يعملون بهذا النحو ويعتمدون على البيّنة واليمين.

رابعاً: إنّ الشهادة هي من أفضل وسائل الفوز والفلاح والتقرّب إلى الله تعالى، وإنّ استقبال الشهادة مع العلم بها ممدوح ومطلوب.

---

١. سورة البقرة، الآية ١٩٥.

وكما يستفاد من التواريخ والأحاديث فإنّ بعض أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشتركون في الغزوات لدرك فضيلة الشهادة والموت في سبيل الله مع علمهم بأنّهم سيقتلون، وكانوا يجاهدون فقط بقصد نيل هذا الشرف العظيم ودرك هذه الدرجة المرضيّة.

وبناءاً على ذلك، قد يكون عمل الأئمّة عليهم السلام في تلك الموارد هو من هذا القبيل، ولم يكن لزاماً عليهم العمل طبقاً لعلمهم الغيبي خاصّة وإنّ الشهادة موجبة لارتقاء درجاتهم العالية فعملوا بما يقتضيه الظرف العادي.

خامساً: إنّ إتمام الحجّة من قبل الله تعالى على بعض الناس، وامتحانهم ينحصر بما يقوم به هؤلاء الأطهار عليهم السلام من عمل بالظواهر فهم عمّال لإجراء إرادة الله ومشيئته تعالى، وهم مطّلعون على تقادير الله تعالى بإعلامه ذلك لهم، فيعملون طبقاً لهذه الظواهر ولا يخرجون عن مسير التقادير الإلهية، وعلى هذا فهم لم يعملوا إلّا ما أُمروا بالعمل به من وظائف.

وهذه الوظيفة هي بالضبط في مقابل الوظائف الّتي كلِّف مثل الخضر (في قضّيته مع موسى) بها، فقد كان الخضر مأموراً بالعمل بالباطن والعلم الخارج عن الطبيعة وأمّا الأئمّة عليهم السلام فقد كانوا مكلّفين بالعمل بالظاهر وبالاستفادة من العلم العادي مع الاحتفاظ بعلمهم الغيبي الباطني، وقد يستفيدون من علمهم الباطن أحياناً مثل الخضر بالضبط، ولكنَّ ذلك نادرٌ.

فالمسألة هنا ليست مسألة انتحار وإلقاء النفس في التهلكة وإنّما المسألة مسألة رضا وتسليم بالمقدّرات الإلهية، فحتّى لو أنّ الله تعالى أمر هؤلاء الأطهار ولمصلحة معيّنة بأن يقتلوا أنفسهم لأطاعوه وامتثلوا لأمره ولا ينجرّ الأمر إلى النقاش والاستفسار.

ونحن نرى في قضية أمر إبراهيم الخليل بذبح ولده إسماعيل كيف أنّ هذا النبيّ العظيم عليه السلام استسلم للأمر الإلهي بلا نقاش، وعندما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾،[1] قال إسماعيل: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾.[2]

وفي قضيّة ولدي آدم عليه السلام نلاحظ هذا التسليم واضحاً أيضاً، حيث يقول: ﴿**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ**﴾.[3]

فهذه وظائف كلّف بها هؤلاء العظام وامتثلوها على أحسن وجه، ولا بحث عندنا في أسرارها.

ولذا، فإنّ ما صدر عن أمير المؤمنين عليه السلام هو نظير هذه الوقائع، فمع أنّه كان

---

١. سورة الصافّات، الآية ١٠٢.

٢. سورة الصافّات، الآية ١٠٣.

٣. سورة المائدة، الآية ٢٨.

يعلم بأنّ ابن ملجم وهو أشقى الآخرين وشقيق عاقر ناقة ثمود وأنّه قاتله، لكنّه مع ذلك لم يمدَّ إليه يداً وتركه لحاله، بل شمله بإحسانه وحبائه.

فهذه الأعمال الّتي تصدر من الأنبياء والأولياء لا يمكن إخضاعها للمعايير والمقاييس العادية الّتي تخضع لها أفعال عامّة الناس بل لابدّ من دراستها وملاحظتها على أساس أُفقٍ أعلى وأرفع ومحيط أوسع يناسب مقاماتهم وشأنهم مع الأخذ بنظر الاعتبار فلسفة بعث الأنبياء ونصب الأوصياء والأئمّة عليهم السلام والنظم الحاكمة في العالم.

ومع أنّ الإحاطة بهذه المطالب الدقيقة والعميقة خارج عن عهدتنا، ولكن يمكننا بنحو الإجمال فهم عدم جواز سلب ذلك العلم الإلهي عنهم وتلك الألطاف الخاصّة الربّانية الّتي أكرمهم بها والّتي تثبتها الأخبار الواردة عن طريق السنّة والشيعة، أو ـ والعياذ بالله ـ أن ننسب إليهم التقصير في أداء وظائفهم وإلقاء النفس في التهلكة.

حتى أنّ مثل «ابن أبي الحديد المعتزلي» نقل قضيّة إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن ضربته ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، كما ذكر قصّة الطيور الّتي صاحت في صحن الدار وقال عليّ عليه السلام: «**دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَائِحُ**» وأرسل ذلك إرسال المسلّمات،[1] ولو أنّه قصّر ـ في مقام الجواب ونفى العلم بخصوصية زمان

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١١٨.

الاستشهاد، وهو ما لا نقبله مع وجود هذا الكّم الكبير من الأحاديث والإخبارات عن الغيب من قبل أمير المؤمنين عليه السلام وعن خصوصيات وقائع الأيّام.

فمن يخبر عن تفاصيل وقائع المستقبل في مقام بيان وإعلام علمه واطّلاعه، كيف يجهل تفاصيل استشهاده؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه في نهج البلاغة: «**فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً**»،[1] كيف يخفى تاريخ استشهاد عليّ عليه السلام عليه وهو الّذي أخبر ـ كما ينقل ذلك ابن أبي الحديد ـ عن مقدار المال الموجود في بيت المال بكلّ دقّة وتفصيل، والّذي أخبر ابن عباس في ذي قار عن عود الّذين يلتحقون به من الكوفة وأنّهم (٦٦٠٥) رجلاً لم ينقص ولم يزد رجل واحد عليهم، وهو الّذي أخبر الصحابة في حرب النهروان وأقسم لهم بعدم تجاوز عدد شهدائهم عن العشر وأنّه لن يسلم من الخوارج عشرة، كيف يخفى عليه ذلك، وهو الّذي أخبر عن قتل «جويبرة» و «ميثم» و «رُشَيد الهجري»، والّذي أخبر عن مكان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والكثير من إخباراته عن المستقبل والغيب؟

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩٣ (ص١٣٧).

إذن، لا مجال لمثل نفي «ابن أبي الحديد» لعلم عليّ عليه السلام بخصوصيات وتفاصيل زمان استشهاده عليه السلام.

وعلى أساس ما قلناه وبحسب ما تدلّ عليه الأخبار من علم الإمام بما كان وما يكون وما هو كائن، واستناداً إلى إخبارات عليّ عليه السلام الكثيرة عن الغيب، لابدّ من القول بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام ذهب إلى المسجد ولم يعمل طبقاً لعلمه الغيبي ولم يرتّب عليه أثراً، فلم يطرد ابن ملجم تلك الليلة من الكوفة مع علمه بأنّه قاتله.

وبعبارة أُخرى، يمكن القول بأنّ عمل المعصوم ومع علمه بما كان وما يكون وما هو كائن مثل ذهاب أمير المؤمنين إلى المسجد وشرب الإمام الحسن عليه السلام للسُّمّ، لهو دليل على أنّ المعتبر في التكاليف المتوجّهة للإمام عليه السلام إنّما هو العلم العادي لا الغيبي، فعلم الإمامة لا يتدخّل في أداء التكاليف، ومن هنا فإنّهم عليهم السلام لم يعتبروه المعيار كي لا يتعارض مع القضاء والقدر الإلهيّين وإذا كان علم الإمامة مؤثّراً، لم يذهب الإمام إلى المسجد، ولما شرب الإمام الحسن السُّمّ.

إذن، فلا يمكننا تقييد الأدلّة المطلقة لعلم الإمام، بمثل هذه الأفعال الصادرة منهم عليهم السلام ولا يصحّ القول بأنّ فعلهم هذا مخالف للنهي الوارد في قوله تعالى: ﴿**لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[1] فإنّ الموضوع في هذه الآية وهو الإلقاء في التهلكة قد أخذ فيه العلم به بالسبل الطبيعية لا عن طريق علم الإمامة.

---

١. سورة البقرة، الآية ١٩٥.

وبتعبير آخر: إنّ هذه الأفعال (الـذهاب إلى المسـجد وشرب السُّـمّ) ليسـت بنفسها دليلاً، لعدم معرفـة الوجـه مـن فعلهـا، فلابـدّ مـن الرجـوع إلى الأدلّـة الأُخرى، فإن دلّت تلك الأدلّة على عمومية علـم الإمـام، فإنّنـا سنسـتفيد بـأنّ العلم المؤثّر في أداء التكاليف عند الإمـام هـو لـيس علـم الإمامـة وإنّـما العلـم العادي، والأدلّة ـ كما علم من مراجعة كتب الأحاديث والتـواريخ ـ تـدلّ عـلى ذلك، أي على عمومية علم الإمام.

المهدوية

هيئة الإمام المهدي عليه السلام عند بدء الغيبة الكبرى

س50: هل كان الإمام المهديّ عليه السلام على هيئة ابن خمس وسبعين سنة عندما بدأت الغيبة الكبرى، لأنّ عمره الشريف في وقتها هو خمس وسبعين سنة؟

ج: لم ترد إشارة في الروايات إلى هذا المطلب، وإنّما الوارد في الروايات أنّـه عليه السلام يظهر على هيئة ابن ثلاثين أو أربعين.

نعم، ثبوتاً يمكن أن يكون على هيئة ابن خمس وسبعين عنـدما بـدأت الغيبـة الكبرى، كما يمكن أن يكون على غير هذه الهيئة. والله العالم.

مدّة الغيبة الصغرى

س51: كم استمرّت الغيبة الصغرى؟

ج: استمرّت حوالي أربعاً وسبعين سنة.

مدة الغيبة الكبرى

س52: كم ستطول غيبة الإمام الحجّة عليه السلام الكبرى؟

ج: مدّة الغيبة الكبرى غير معلومة، لأنّ وقت ظهوره عليه السلام لا يعلمه إلّا الله، وقد ورد في الروايات عن الأئمّة عليهم السلام تكذيب الوقّاتين.

الدليل على حياة الإمام المهدي عليه السلام

س53: ما هو الدليل على حياة الإمام المهديّ عليه السلام وطول عمره؟

ج: الدليل على حياة الإمام عليه السلام هو الروايات المتواترة والصحيحة عند الفريقين، وللوقوف على هذه الروايات راجعوا الكتب المختصّة في هذا الموضوع مثل كتاب «نويد امن وامان»[1] و «النجم الثاقب» وغيرهما.

---

١. بالفارسية.

تسمية الإمام المهدي عليه السلام باسم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله

س٥٤: الملاحظ في الكتب الدينية أنّ اسم الإمام المهدي عليه السلام يكتِب هكذا: «م ح م د» كما أن الأدعية مثل الصلوات المخصوصة بالإمام المهدي عليه السلام تذكره باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، فما هو نظركم الكريم حول تسمية الإمام المهديّ عليه السلام باسم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله؟

ج: الاحتياط يقتضي تجنّب ذكره عليه السلام باسمه الصريح في المجالس وبين الناس، وإذا ورد اسمه الكريم في بعض الأدعية، فإنّه ينبغي قراءة ذلك الدعاء في الخلوات لا في المحافل والتجمّعات، أو ذكر اسمه الشريف بشكل خفيّ لا جهراً. والله العالم.

الوقوف عند سماع اسم «القائم»

س٥٥: هل يجب الوقوف عند سماع اسم «القائم عليه السلام»؟

ج: الوجوب غير معلوم، ولكن يستحسن القيام بملاحظة احترامه عليه السلام. والله العالم.

التصدّق لسلامة الإمام المهديّ عليه السلام

س٥٦: هل يمكن لأحد أن يتشرّف بخدمة ورؤية حضرة بقيّة الله ـ روحي له الفداء ـ في هذا الزمان؟ وما معنى التصدّق لسلامة الإمام عليه السلام؟

فهل يبتلى الإمام المهديّ عليه السلام بما يبتلى به عامّة النـاس مـن حـوادث كحـوادث السير والمرور والوقوع على الأرض وغير ذلك مـن الحـوادث الّتـي تـدفعها الصدقة؟ أو أنّ القضيّة لها وجه آخر؟

ج: إنّ التشرّف بلقاء حضرة بقيّة الله ـ أرواح العالمين له الفداء ـ في زمن الغيبة أمرٌ ممكن، وقد حصل ذلك على طول زمان الغيبة لأشخاص كثيرين. رزقنـا الله زيارته مع المعرفة بحقّه.

وأمّا التصدّق لدفع البلاء عنه، فقد ورد الأمر به من قبل قادة الدين ولا شكّ في أهمّية ذلك، هذا أوّلاً، وثانياً فإنّ التصدّق والصدقة لا تنحصر بالسـلامة مـن حوادث السير والمرور وأمثال ذلك ممّا هو مقطوع بعدمه في حقّ المولى ـ صلوات الله عليه وعجّل الله فرجه ـ فقد يكـون للصـدقة آثـار أُخـرى مثـل دفـع بعـض الآفات والبليّات عنه عليه السلام، كما أنّ التصدّق شكراً على سلامته مشروع أيضاً.

ماذا نفعل لكي نحظى بلطف والتفات الإمام المهديّ عليه السلام إلينا

س57: ماذا نفعل لكي نحظى بلطف والتفات الإمام المهديّ عليه السلام إلينا؟

ج: أفضـل طريـق لنيـل رضـاه عليه السلام هـو الانتهـاء عـن المحرّمـات والإتيـان بالواجبات والسعي في قضاء حوائج المؤمنين وإحياء المذهب وإعـلاء أمـر أهـل البيت عليهم السلام وتعظيم شعائر الإسلام والابتعاد عن أهـل البـدع والاهـتمام بالثبـات

على سيرة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام والاستقامة على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لا تنسوا ذكر الله في كلّ الأحوال، حيث ورد في الحديث: «**أَفْضَلُ إِيمَانِ الْمَرْءِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُمَا كَانَ**»[1] وأن يعتبر المرء نفسه من رعايا حضرة بقية الله ـ أرواح العالمين له الفداء ـ وأنّه عليه السلام وليّ نعمته وسيّده.

آملُ أن توفّقوا لذلك.

ما هو المراد من «لا ينالك منّي ضجيج ولا شكوى»: في دعاء الندبة

س58: ورد في دعاء الندبة «ولا ينالك منّي ضجيج ولا شكوى»[2] وبالالتفات إلى الروايات العديدة والمشاهدات العينية والتوسّلات فإنّ الشكوى والضجيج قد وصل إلى بقيّة الله ـ أرواحنا فداه ـ فما معنى هذه الجملة إذن؟

ج: الجملة المذكورة، هي إشارة إلى غيبة الإمام عليه السلام عن الناس وقطع الارتباط الطبيعي والعادي المتعارف معه، فإنّه في الأحوال العاديّة لا تصل الشكوى

---

١. الشعيري، جامع الأخبار، ص٣٦.

٢. ابن المشهدي، المزار الكبير، ص٥٨١.

والضجيج إليه إلّا من قبل عدّة قليلة من الناس وهم الّذين يحظون بشرف لقائه، وأمّا عامّة الناس فلا يتمكّنون من الحديث مع مشافهة وحضوراً.

تعيين وقت الظهور

س59: هل عُيِّن وقت محدّد للظهور الشريف لإمامنا الحجّةعليه السلام؟ (فإنّ بعض الأشخاص يحدّدون وقتاً معيّناً لذلك).

ج: لم يرد تعيين لظهور الإمام المولى، بقيّة الله ـ أرواح العالمين له الفداء ـ بمعنى اليوم والشهور أو السنة، ومن حدّد وقتاً لذلك فهو كذّاب، وقد اتّفق كلّ العلماء الأعلام أعلى الله كلمتهم على ذلك، وقد ذكرت في «منتخب الأثر» باباً بعنوان «في عدم جواز التوقيت وتعيين وقت لظهوره».

جعلنا الله وإيّاكم من المنتظرين لظهوره، والثابتين على إمامته، والفائزين بعنايته صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

مثلّث برمودا

س60: يقال: إنّ أولاد الإمام المهديّعليه السلام أو أحفاد الأنبياء والأئمّة يعيشون في «مثلّث برمودا» فهل أنّ ذلك صحيح أم لا؟

ج: هذه الدعوى غير ثابتة، واحتمال أن يكون للإمام المهديّعليه السلام أولاد وارد وغير منفيّ.

وعلى كلّ حال، فإنّ الأصل والمهمّ هو الاعتقاد بوجوده وحياته وغيبته هو عليه السلام وبحسب الروايات فإنّه يظهر ويملأ الدنيا عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. ونأمل أن ينير الله تعالى أبصارنا بجماله عليه السلام.

مدّة حكم السفياني

س61: في الروايات حُدِّدت مدّة حكم السفياني بعدد الأصابع (20 سنة) فهل هذه الرواية معتبرة؟ ما هو نظركم الكريم؟

ج: لم يثبت اعتبار هذه الروايات، مضافاً إلى وجود الإجمال في مضمونها، ولكن لا يوجد دليل على نفيها أيضاً والله العالم.

ظهور الإمام المهدي عليه السلام في عصرنا

س62: من حقّق في قضيّة الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه وصل إلى نتيجة وهي: إنّ أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين عصر ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه فما هو نظركم الشريف في هذا المجال؟

ما هي مدّة حكومة آخر «عبد الله» في الحجاز؟ توجد رواية تقول: إنّ بين نهضة السيّد الموسوي وبداية نهضة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه مثل متوسّط عمر الإنسان، فما هو نظركم الكريم في هذه الرواية؟ هل أنّ العصر الحاضر هو عصر ظهور الإمام عليه السلام؟

ج: إنّ ما ورد في هذه الأسئلة غير معلوم لي أيضاً. والله العالم.

وظيفتنا في عصر الغيبة

س63: ما هي وظيفتنا في زمن غيبة إمام العصر والزمان عجل الله فرجه خاصّة في العصر الحاضر؟

ج: إنّ وظيفة الناس في زمن الغيبة والحضور، هو الإطاعة للأوامر الرئيسية والعمل بالتقوى في كلّ مجالات الحياة.

نعم، في زمن الغيبة يعتبر الدعاء لتعجيل ظهور الإمام عجل الله فرجه والتصدّق لسلامته، وانتظار مقدمه المبارك ودولته الكريمة، ودوام ذكره ليلاً ونهاراً، من الوظائف المهمّة للمؤمن.

اعتبار أحاديث الأمان

س64: هل أنّ أحاديث «الأمان» صحيحة عقلاً؟ فلماذا نشاهد نزول البلاء السماوي والأرضي على الناس مع وجود الإمام عجل الله فرجه؟

ج: إنّ موضوع كون وجود الإمام عليه السلام أماناً من الفناء ونهاية الدنيا، وإنّ الأرض مستقرّة بوجود الإمام بإذن الله وتقديره، ثابت ومسلّم بحسب الأخبار المتواترة من طرق العامّة والخاصّة، من جملتها أخبار «الأمان».

والأخبار من هذا القبيل مثل روايات الأخبار عن الملاحم وأوضاع المستقبل، تكوير الشمس، انكدار النجوم، انشقاق السماء امتداد وانبساط الأرض، سير الجبال، تسجير البحار و... يمكن إثباتها فقط عن طريق الوحي وإخبار النبيّ الصادق المصدّق وليست من الأُمور الّتي يمكن إثباتها عن طريق البرهان العقلي، وإن كان بعض أصحاب المسالك والعلوم العقلية أو أدعياء الكشف والشهود، وبحسب نظرتهم، يعتقدون مدخلية وجود الإمام في بقاء العالم ويستدلّون لإثبات ذلك بالاستدلالات العقلية، فإنّ ذلك خارج عن فهم العامّة، بل وعن فهم أكثر الخواصّ وهو بحاجة إلى إثبات مقدّمات أُخرى.

وبناءاً على هذا، فإنّ طريق الصواب هو الاعتماد على الوحي وإخبار المخبر عن الله تعالى، الّذي ثبتت وساطته وسفارته بين الخلق والخالق عن طريق المعجزة.

ولذا، فإنّ نفس إمكان ثبوت هذا الموضوع في عالم الثبوت والواقع، مضافاً إلى إخبار النبيّ الثابتة نبوّته، وبإخبار الوصيّ الثابتة وصايته، يثبت هذا الموضوع ويقبله كلّ إنسان ناصح الذهن ليتعقلّه كلّ عاقل.

والخلاصة هي أنّ بعض المسائل مثل: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ**﴾[1] و ﴿**تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾[2] ليست من المسائل الّتي يمكن للعقل الإخبار عنها.

---

١. سورة إبراهيم، الآية ٤٨.

٢. سورة النمل، الآية ٨٨.

فهل استطاع أو يستطيع العقل أن يخبر عن واقعة مثل واقعة قتل عمّار بن ياسر على يد «الفئة الباغية» قبل وقوعها بعشرات السنين وهل يتمكّن البشر بالدليل العقلي من أن يبشّر بظهور نبيّ في آخر الزمان اسمه محمّد بن عبد الله ﷺ كما فعل الأنبياء؟

وهل بإمكان العقل أن يخبر مثل إخبار الوحي عن حرب الجمل وخروج عائشة وكلاب الحوأب؟

وهل بإمكان العقل أن يخبر عن معارضة الزبير لأمير المؤمنين ﷺ أو الإخبار عن شهادة أمير المؤمنين والإمام الحسين سيّد الشهداء ﷺ ومئات الوقائع الغيبية الأُخرى؟

أيّ دليل لا يمكنه الإخبار عن مثل هذه الأُمور الغيبية، ولكنّ ذلك ممكن فقط بإخبار النبيّ الثابتة نبوّته والوصيّ الثابتة وصايته، ولا يجوز ردُّ هذا الإخبار بحجّة عدم قيام دليل عقلي على ذلك.

نعم، إذا قام الدليل العقلي القاطع على عدم وقوع مثل هذه الأُمور فإنّ المسألة تدخل في مجال آخر.

وبناءاً على هذا، وبحسب ما ورد في الروايات المعتبرة والمتواترة ومن جملتها ما ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين ﷺ حيث يقول: «**اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً**»[1] وقد رواها

---

١. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧ (ص٤٩٧).

أيضاً كبار محدّثي أهل السنّة، ولا يمكن إنكار فائدة وجود الإمام الغائب الّـذي يعتبر وجوده أماناً لأهل الأرض وبقائها.

وأمّا الجواب النقضيّ وردّ هذا الدليل بما يحدث اليوم مـن حـروب وخـراب وزلازل وفيضانات وحرائق وبراكين وأوبئة وأمـراض فتّاكـة عـلى مـرّ القـرون الأربعة عشر فهو: لا يستفاد من هـذه الأخبـار والأحاديـث النفـي الكـلّي لهـذه الحوادث ـ الّتي تقتضيها طبيعة العالم والأرض مضافاً إلى جريـان سـنّة الله عـلى ذلك ـ فإنّ حدوث هذه الأُمور مسألة طبيعية بحسب النظام المقرّر لعالم الطبيعة.

فليس المقصود من كون الإمام عليه السلام (أماناً) هو ارتفاع الأمراض أو الحروب والزلازل و... هذه الأُمور كانت تحصل حتّى في زمن الأنبياء عليهم السلام وستحدث بعد هذا كذلك.

وإنّما المقصود هو أنّ وجود الإمام عليه السلام مؤثّر في بقاء الأرض، ومتـى مـا خليـت الأرض من حجّة ساخت بأهلها واضـطرب نظـام الأرض «**لَـوْ بَقِيَـتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ سَاعَةً لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا**»[1] ومع ذلك، ولأنّ أسرار القضـاء والقـدر غـير معلومة لنا، فإنّ تأثير وجود الإمام في منع بروز هذه الحوادث الطبيعيّة في بعـض الأحيان مسلَّم، كما أنّ أفعال الناس الصالحة والطالحة مؤثّرة في حصول أو عـدم حصول مثل هذه الحوادث.

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢١.

فالدعاء يدفع البليّات العامّة والخاصّة، والاستغفار سبب لنزول المطر والبركات، ووجود الشيوخ والأطفال والبهائم مؤثّر في دفع البلاء، وكما ورد في الخبر: «**إِنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مُنَادِياً يُنَادِي: مَهْلًا مَهْلًا عِبَادَ الله، عَنْ مَعَاصِي الله، فَلَوْ لَا بَهَائِمُ رُتَّعٌ، وَصِبْيَةٌ رُضَّعٌ، وَشُيُوخٌ رُكَّعٌ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبّاً تُرَضُّونَ بِهِ رَضّاً**».[1]

فلابدّ من ملاحظة مسألة فائدة وجود الإمام عليه السلام بهذه النظرة الإيمانية وخطابنا مع أُولئك الّذين يؤمنون بعالم الغيب والقضاء والقدر الإلهي.

وبنصّ القرآن الكريم فإنّ النبيّ أمان من العذاب، ووجود القائم مقام النبيّ أيضاً أمان، والاستغفار أمانٌ، يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾.[2]

والحاصل، إنّ الفائدة الّتي بيّنّاها لوجود الإمام ـ سواءٌ كان غائباً أو حاضراً ـ وباعتبار هذا المعنى ـ الّذي لا مجال لإطالة الكلام فيه ـ واضحٌ ومنطقي، وكلام المحقّق الطوسي في هذا المجال حكيم ومتين حيث يقول: «وجوده لطف وتصرّفه لطف آخر وغيبته منّا».[3]

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣٣٤.

٢. سورة الأنفال، الآية ٣٣.

٣. الخواجة نصير الدين الطوسي، تجريد الاعتقاد، ص٢٢١ (المقصد الخامس في الإمامة).

ما هي فائدة نصب الإمام إذا كان غائباً عن الأنظار وغير متصرّف في الأُمور

س٦٥: ما هي فائدة نصب الإمام إذا كان غائباً عن الأنظار وغير متصرّف في الأُمور ورتق وفتق وإصلاح أحوال الأُمّة والمجتمع؟ كيف يستند عدم تدخّل الإمام في الأُمور إلى الناس؟ فإنّ الناس لم يواجهوا الإمام في المجتمع ليقعوا في معرض الامتثال والطاعة لأوامره ونواهيه، فلا تتحقّق المخالفة له، فكيف ينسب عدم قيامه وتصرّفه وإصلاحه إلى الناس؟ وعلى هذا لا يمكن قبول توجيه كلام المحقّق الطوسي الّذي أسند عدم تصرّف الإمام إلى الناس.

ج: إنّ إشكال عدم وجود فائدة في تعيين إمام لا يتدخّل في شؤون المجتمع وحفظ مصالح الإسلام العالية، على فرض قبوله فإنّه لا يختصّ بالإمام الغائب، بل هو شامل للإمام الحاضر إذا لم يكن مبسوط اليد، وممنوعاً من التصرّف في الأُمور، أو كان محبوساً، بل هو شامل حتىّ للنبيّ أو الرسول الممنوع من قبل الناس عن تبليغ رسالته بشكل مؤقّت أو دائم.

والجواب الحليّ لهذا الإشكال هو أنّه مع عدم حضور الناس لإنفاذ أوامر الإمام أو الاستماع إلى تبليغ النبيّ بل منعه من ذلك، كما حصل في عصر الأئمّة السابقين لإمام العصر والزمان عجل الله فرجه يكون عدم تصرّف الأئمّة عليهم السلام مستنداً إلى الناس.

فإنّ الواجب على الله تعالى هو إتمام الحجّة وإرسال الرسل ونصب الإمام وتشريع الشرائع والأحكام، فإن لم يستقبل الناس ذلك ولم يتفاعلوا معه، لم تترتّب الفوائد.

ولكنّ الله تعالى وبمقتضى حكيميته ورحيميته ورحمانيته وربّانيته وفيّاضيته وهدايته وسائر صفاته الجمالية لكي لا يكون للعباد حجّة عليه ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ**﴾،[1] ولمصالح يعلمها هو عزّ وجلّ لم يُخل الأرض والزمان من حجّة وصاحب للأمر.

وكما ورد في بعض الروايات «**مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ إِذْ تُؤْتَى وَلَا تَأْتِي**»،[2] وهذه الوظائف العامّة الولائية إنّما تجب على الإمام فيما لو اجتمع حوله الناس بجدّية وأظهروا الولاء والطاعة والاستعداد لامتثال أوامره، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذيل الخطبة «الشقشقية» حيث يقول: «**أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**».[3]

---

١. سورة النساء، الآية ١٦٥.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٦، ص٣٥٣.

٣. نهج البلاغة الخطبة ٣ (ص٥٠)؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص١٩٤.

وبناءاً على هذا فانّ عدم بسط اليد وعدم الأخذ بزمام أُمور الحكومة من قبل الأئمّة عليهم السلام هو مستند للناس كما قال الخواجة الطوسي. وهذا جارٍ في شأن الإمام صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه إذا كان عليه السلام حاضراً غير غائب فانَّ الحكومات والناس العبيد للدنيا ومع أنّهم كانوا سمعوا أنّه سيظهر وينتصر عالمياً، كانوا سيسعون لإيذائه وقتله كما فعلوا مع آبائه المعصومين عليهم السلام.

وعليه، فإنّ عدم التفاف الناس حول الإمام وعدم طاعته لا يحتاج إلى تجربة ثانية بعد ما قاموا به من حين ولادته وحين استشهاد أبيه العسكري عليه السلام من ملاحقته ومحاولة القبض عليه لقتله.

و بالجملة، فإنّ عدم انتظام أمر الإمامة والاهتمام برتق وفتق الأُمور وعدم بسط اليد من قبل الأئمّة، مستند إلى أعمال الناس وعدم التزامهم بنظام الإمامة الإلهي.

وبطبيعة الحال فإنّ القضاء وتقدير الإله العليم القدير الحكيم أيضاً انضمّ إلى حال الناس وبحسب البشارة والأحاديث المرتبطة بطول غيبة الإمام وما يجري من الحوادث سيسوق العالم إلى جهة الظهور وتشكيل حكومة العدل الإسلامية العالمية، وهذا وعد إلهي ﴿**وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ**﴾.[1]

---

١. سورة الحجّ، الآية ٤٧.

وعليه، فإنّ ظهور ولاية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لا يتحقّق بدون حصول الشرائط الخاصّة واستعداد العالم وتحقّق التقديرات الإلهية، وبغير ذلك، يبقى الحال على ما هو عليه أو سيكون أسوء ممّا كان عليه. وعلى البشر في هذه الأعصار أن يمرّوا بامتحانات كثيرة ويطوون مراحل متعدّدة لتتحقّق الشرائط اللازمة كما قال تعالى. والروايات تدلّ على وصول كلّ الأصناف وأصحاب الادّعاءات إلى الحكم وتجرّب البشرية كلّ أنواع الحكومات، كي لا يدّعي أحدٌ بعد الظهور بأنّه لو فسح له المجال لحكم بمثل ما يحكم به الإمام عليه السلام.

وعلى كلّ حال، هذا أمر من أمر الله، وسرٌّ من سرّ الله. لا يعلم تأويله وأسراره إلّا الله والراسخون في العلم، وما نقول أو نعلم منه ظاهرٌ من باطن، ومجازٌ من حقيقة، ويظهر ما في هذا الأمر أو بعضه من الأسرار الإلهية بعد ظهوره، والله على كلّ شيء قدير، وبكلّ شيء عليم، يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره، ولا يسئل عمّا يفعل وهم يسئلون، ولا يخلف الميعاد.

اعتبار الحكايات الّتي تبيّن تدخّل الإمام المهدي عليه السلام في الأُمور

س٦٦: إذا لم تكن الحكايات الّتي تبيّن تدخّل الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف في الأُمور موجبة لحصول اليقين عندنا، فكيف يمكن تصوّر فائدة للإمام الغائب؟ (وقد تمسّكتم بذكر بعض هذه الحكايات في كتابكم «الإمامة والمهدوية» ردّاً على سؤال حول فائدة الإمام عليه السلام في عصر الغيبة).

ج: المقصود هو إبطال السالبة الكليّة الّتي تنفي تـدخّل الإمـام الغائـب﵇ في جميع الأُمور وبنحوٍ مطلق (بشكل مباشر أو عن طريق خواصّه والآخرين)، بهذا البيان: نحن لا نعتقد بمثل هذه السلب الكلّي، ولا يمكن لأحدٍ أن يقطـع بمثـل هذا الادّعاء، إذ من الممكن وكما ذكرنا أنّ الإمام﵇ يتدخّل عـن طريـق الأوليـاء وخواصّ أصحابه، أو بأيّ نحو يقتضيه الظرف.

والحاصل، فإنّه يمكن القول بأنّ الإمام﵇ لا يتدخّل في الأُمور بشكل موسّع، ولكن هذا السلب غير الكلّي لا يتنافى مع الإيجاب الجزئي الّـذي لا يقـدر أحـدٌ على نفيه. مع ما عندنا من أمارات وعلائم كثيرة على طول تاريخ التشـيّع تـدلُّ على تدخّله الغيبي في أُمور كثيرة. فإن قال قائل شكّاك أو مغرض بأنّه لا يصدِّق هذا الأمر. قلنا في الجواب: غرضنا بيان إمكان هذا التدخّل ونفي السلب الكلّي.

وبعبارة أُخرى فإنّنا نريد إبطـال شـبهة عـدم تـدخّل الإمـام الغائـب في كـلّ الأُمور بنحو الإطلاق، لأنّ مثل هذه الشبهة إنّما ترد فيما لو ثبت عـدم تدخّلـه﵇ ولـمّا كان هذا الموضوع غير قابل للاثبات، ومع وجود بشـارة الأنبيـاء الماضـين وبشارة رسول الله محمّدﷺ والأئمّة الطاهرين﵈ فإنّه حتى لو لم يثبـت تدخّلـه في الأُمور فإنّ ذلك لا يخلّ في مسألة إمامة وغيبة وشؤون الإمام الثاني عشر﵇ أبداً.

فيكفي إمكان تدخّله وتصرّـفه بالحـدود الّتـي تقتضـيها المصـلحة لـردّ هـذه الشبهة وإبطالها، كما أنّ عدم التمكّن من إثبات وجود فائدة في ظـاهرة كونيـة أو

مخلوق، لا يدلّ على عدم وجود فائدة لـه، وكـما قيـل مـن قـديم الـزمن «عـدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود».

فهذا الظهور وهذه الغيبة وما ورد في الأخبار والأحاديث عن الأُمـور الخارقـة للعادة، كلّها جزء من السنن الإلهية والظواهر الّتي تجري بإرادة الله الحكيم العليم.

فكما أنّنا نعتقد بعدم العبثية في عالم التكـوين والخلـق فكـذلك في مثـل هـذه الأُمور يجري نفس النظام والمنهج ﴿**ذلِكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ الْعَليمِ**﴾.[1]

استغاثة الناس بإمام العصر عليه السلام في عصر الغيبة

س67: كيف تنسجم غيبة الإمام عليه السلام مع التقاء واستغاثة الناس به؟ (وقد ذكرتم في كتابكم «الإمامة والمهدوية» نماذج لهذه الاستغاثة الّتي قد لا يقبلها بعض الناس).

ج: المقصود من الغيبة هو عدم تعرّف الناس على شخص الإمام الغائب عليه السلام وليس المقصود عدم تعرّفه هو على الناس، وبعبارة أُخرى فإنّ المقصود هو غيبة الإمـام عـن الناس لا غيبة الناس عن الإمام عليه السلام ليقال: إنّه إذا لم يـتمكّن مـن الالتقـاء بالنـاس فلـن يتمكّن طبعاً من إجابة استغاثتهم بشخصه أو عن طريق خواصّ أصحابه.

---

١. سورة الأنعام، الآية ٩٦؛ سوره يس، الآية ٣٨؛ سورة فصّلت، الآية ١٢.

فكما أشرنا سابقاً فإنّ الإمام عليه السلام يحضر موسم الحجّ ويذهب لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر أجداده الكرام، ويزور قبور المؤمنين ويشترك ـ بحسب اقتضاء المصلحة ـ في تشييع جنائزهم.

وخلاصة القول هي أنّ الإمام عليه السلام يقوم بأعماله العبادية والخيرية والإحسان إلى الضعفاء وغير ذلك في حال الغيبة بما يقتضيه الحال، وقد نقلت لنا حكايات كثيرة في هذا المضمار، فإن لم تكن كلّ واحدة من هذه الحكايات موجبة للاطمئنان، فإنّها بمجموعها توجب القطع واليقين، ولكنّنا في هذا الجواب لا نريد إثبات ذلك وإنّما نريد أن نبطل نفي هذا الموضوع وهو الاعتقاد بعدم تدخّله وإن معنى الغيبة هو خروج الإمام عليه السلام من المجتمع واعتزاله الحياة والمنتديات، ولرفع هذا الإشكال يكفي إمكان تدخّله وتصرّفه بما يقتضيه الظرف.

فنحن نبيّن حدود عقيدتنا بالإمام عليه السلام وغيبته، لكي لا يقول لنا قائل بأنّ إمامكم الّذي تعتقدون به غائب لا يراه أحد ولا فرق بينه وبين الإمام الميّت!

وببيان عقيدتنا، نريد أن نوضّح أنّه لا يرد أيّ إشكال على عقيدتنا بالإمام عليه السلام والّتي ثبتت بالأدلّة، لأنّ العقائد يمكن دراستها من جهتين، فتارة نفس العقيدة يرد عليها محذور عقلي أو نقلي، فلابدّ حينئذ من ملاحظة نفس هذا المعتقد، فمثلاً الاعتقاد بالشريك أو التجسيم في حقّ الله تعالى أو الحلول والاتّحاد وأمثال

ذلك، فإنّ العقل يبطل مثل هذه المعتقدات، وكذلك الاعتقاد بإمامة الظالم، وحينئذٍ فلا معنى لدراسة هذه القضيّة من جهة إثباتها لظالم بعينه.

وفي جوابنا هذا أيضاً نقول: بأنّ الاعتقاد بإمامة الإمام الغائب، فإنّ الاشكالات والإيرادات المذكورة باطلة، إذ ليس الكلام في الاعتقاد بإمامة شخص غائب بنحو الإطلاق مثله مثل الخارج عن العالم، بل هو قادر على الحضور أين ما أراد ومتى ما أراد بحسب المقتضيات، وأنّه يرى الناس ويسمع كلامهم، وكذلك الناس فإنّهم يرونه ويسمعون كلامه لكنّهم لا يعرفون هويّته.

كما أنّ الحكايات الّتي نوردها ـ والّتي تثبت في الجملة وبنحو التواتر الإجمالي ـ تؤيّد هذا المعتقد. فالمهمّ أنّ ما يرد عليه الإشكال هو ليس من معتقدات الشيعة، وما تعتقده الشيعة سالم عن الإشكال والإيراد المذكور.

كيفية التمسّك في بحث ولاية الفقيه بالتوقيع الشريف

س68: كيف يمكن التمسّك في بحث ولاية الفقيه بالتوقيع الشريف المخدوش سنداً ودلالة؟

ج: بحثنا ولاية الفقهاء في عصر الغيبة في رسالة موسومة باسم «ضرورة وجود الحكومة» أو «ولاية الفقهاء في عصر الغيبة» بنحو مختصر.

وفيما يرتبط بالتوقيع الشريف، فإنّ إعتباره وحجّيّته ثابتان، ذلك أنّ شيخنا الصدوق﵀ رواه في كتابه «كمال الدين» عن شيخه «محمّد بن محمّد بن عصام

الكليني» وهو من الطبقة العاشرة، وقد عظّمه بقوله: «رحمه الله»، وفي بعض المواضع عبّر عنه بجملة: «رضي الله عنه».

وهنا روي التوقيع الشريف عن «ثقة الإسلام الكليني» وهو عن «إسحاق بن يعقوب» وأنّه كتب كتاباً يتضمّن عدّة أسئلة بواسطة محمّد بن عثمان ـ رضوان الله عليه ـ النائب الثاني من النوّاب الأربعة، وحصل على أجوبة تلك المسائل بخطّ مولانا صاحب الأمر عليه السلام.

كما روى هذا التوقيع الشريف الشيخ الطوسي في كتاب «الغيبة» عن جماعة عن «جعفر بن محمّد بن قولويه» وهو من الثقات والأجلّاء في الحديث والفقه وصاحب تصنيفات كثيرة وهو من الطبقة العاشرة، وعن «أبي غالب الزراري أحمد بن محمّد بن سليمان» من الطبقة العاشرة وهو من المشايخ والأجلّاء وقد وصف بجلالة القدر وكثرة الرواية و «شيخ العصابة» وغير ذلك، كما رواه عن غير هذين الجليلين عن «الكليني» وهو عن «إسحاق بن يعقوب» ـ الّذي يحتمل قويّاً أنّه أخو الكليني ـ والّذي تعرف جلالة قدره ووثاقته من اعتماد الكليني واحتجاج «الصدوق» و «الشيخ الطوسي» (المحمّدون الثلاثة) على روايته، وبناءاً على هذا فإنّ هذا التوقيع الشريف ليس ضعيفاً بل هو في كمال القوّة والاعتبار.

ومضافاً إلى ذلك فإنّ متن التوقيع ـ الّذي يتضمّن جواب مسائل مهمّة ـ يزيد في قوّة السند واعتباره. وإباحة الخمس في التوقيع ليس دليلاً على ضعفه،

بل أقصى ما يمكن أن يقال في ذلك هو أنّه سيكون أحد أخبار التحليل والإباحة الّتي يتعامل معها في الفقه كسائر الروايات.

على أنّه لا يمكن الجزم بأنّ السؤال هو عن مطلق الخمس لا عن خمس خاصّ هو في مورد الاماء. فإنّ العبارة السابقة عن هذه الجملة تقول: «**أمّا المتلبِّسون بأَموالنا فَمَن اسْتَحَلَّ منها شيئاً فَأَكَلَهُ فإِنَّما يَأكُلُ النيرانَ**»،[1] لهي قرينة على أنّ السؤال ليس عن مطلق الخمس.

وعلى هذا فإن تعرّض التوقيع بنحو الإجمال إلى حكم الخمس ليس شاهداً على ضعفه، فالتوقيع الرفيع في غاية الكمال والاعتبار.

وجود الإمام عليه السلام يكون بعثاً لاطمئنان المؤمنين

س69: كيف يكون وجود إمام غائب موجباً لاطمئنان المؤمنين؟

ج: الجواب عن هذا السؤال واضح، فإنّ وجود الإمام عليه السلام يكون بعثاً لاطمئنان المؤمنين والحفاظ على التزامهم وترغيبهم للأعمال الصالحة وأداء الوظائف وذلك من جهتين:

الأُولى: جهة اطمئنانهم وأملهم وتفّألهم بمستقبل العالم وانتصار الحقّ على الباطل في خاتمة الأمر، وانتشار القسط والعدل واندحار الجور والظلم، وهذه

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٩، ص٥٥٠.

فائدة نفسية مهمّة تترتّب على أصل الاعتقاد بمصلح آخر الزمان وظهور المنجي يعتقد بها كلّ أتباع الأديان السماوية وخاصّة المسلمون، وكلّهم يتطلّعون إلى المستقبل الزاهر للعالم وينتظرون ذلك العصر الذهبي ومرحلة الخلاص.

الثانية: من جهة الحال الحاضر وبقاء الالتزامات الأخلاقية والدينية والتعهّد المذهبي، فهذه العقيدة مفيدة ومشجّعة ومثمرة في هذا المجال. فنفس هذا الاعتقاد وهو أنّ لنا إماماً وملجأً إلهياً، يسرّ ويفرح لأعمالنا الصالحة ويستاء لأعمالنا الطالحة، ويغتمّ ويتألّم منها، سيكون باعثاً ودافعاً للمؤمن على الانتهاء عن فعل القبائح والانبعاث إلى فعل الحسنات والصالحات، ومقرّباً إلى الطاعات ومبعّداً عن المعاصي.

ظهور حكمة غيبة الإمام بعد الظهور

س70: أصحيح حصر سرّ غيبة الإمام عليه السلام بحكمة لا تظهر إلّا بعد الظهور؟

ج: لم نقل: إنّ سرّ وفلسفة وحكمة غيبة الإمام عليه السلام منحصرة بما يتجلىّ بعد الظهور، ولا ينبغي ذلك لوجود أسرار وأغراض أُخرى، ولكن حتّى لو افترضنا بأنّ الحكمة منحصرة بما لا يتّضح إلّا بعد الظهور، فلا يرد أيّ إشكال، ذلك أنّنا سنثبت وبحسب ما ورد في الأحاديث المعتبرة بأنّ غيبة الإمام عليه السلام وكذلك ظهوره هما بأمر الله تعالى، ولذلك فإنّنا إذا قلنا بأنّ الحكمة في الغيبة ستظهر بعد الظهور الشريف، فإنّ ذلك يعدُّ تسليماً لأمر الله وتقديره وعدم الاعتراض على قضائه. أضف إلى

ذلك، أنّ الظهور العلمي للحكمة هو غير الظهور العيني لها، والّذي يتجلّى بعد الظهور، مثل الحكمة من بعثة ورسالة نبيّنا الأكرم محمدﷺ وقبل ولادته وفي عهد الأنبياء السابقين عليه حيث أخبروا برسالته ونبوّته، فإنّ الحكمة كانت معروفة ومعلومة بنحو الإجمال وإنّ فيها فوائد كبيرة ومهمّة، ولكن هذه البركات والفوائد ظهرت للعيان بعد ولادته وبعثته الشريفة واشتدّ ظهورها عبر الأزمان إلى يومنا هذا فالأُمم السابقة ـ الّذين سمعوا بشارة بعثة رسول اللهﷺ ـ من الأنبياء المعاصرين لهم، كانوا يعلمون أنَّ فائدة هذه الرسالة كبيرة ومهمّة وعظيمة، ولكن تلك الفائدة لم تتّضح إلى أن بعث النبيّﷺ بالقرآن الكريم للبشرية.

ومن هنا فإنّ «ابن‌تيميّة» وأمثاله لا يمكنهم إثارة مثل هذه الشبهة وإنكار كلّ تلك الأخبار المعتبرة الدالّة على وقوع الغيبة، فإنّه وأمثاله الّذين ينقلون أخبار «ابن صائد» و «الدجّال» بل وحتّى الأخبار الّتي تتحدّث عن تفاصيل صفات الحمار الّذي يركبه الدجّال بذلك النحو العجيب والغريب والّتي لا يمكن قبولها بحال من الأحوال، وبدون الاستفسار عن الحكمة في كلّ ذلك، لا يحقّ لهم الإشكال والسؤال عن الحكمة في ظهور إمام العصرعليه السلام والّذي سيتحقّق قطعاً.

وبتوضيح آخر: إنّ روح وأساس هذا الإشكال يجرّ إلى إنكار أصل الاعتقاد بإمامة صاحب الزمانعجل الله فرجه بالتشبّث بهذه الملازمات المطروحة، أي أنّه ينفي

فكرة الاعتقاد به من حيث المحتوى وهو ما يصطلح عليه «عالم الثبوت» ومرادنا من هذا الجواب هو بالدرجة الأُولى لدفع هذا الإشكال وإبطاله.

وبعبارة أُخرى: تارةً يتوجّه الإشكال إلى نبوّةّ نبيّ أو إمامة إمام بالاستشكال في أصل فكرة الاعتقاد بالنبوّة العامّة أو الإمامة العامّة، وتارة يتوجّه الإشكال إلى إثبات النبوّة أو الإمامة الّتي يكون تحقّقها في الاصل ممكناً أو لازماً أو واجباً.

وفي هذا السؤال، فإنّ مسألة معقولية إمامة الظالم وغير المعصوم وغير الأعلم هي كبرى المسألة الّتي أبطلناها، ونتيجة هذا إبطال صغريات المسألة وهي إمامة الظلمة والجهّال وغير الأعلمين.

وعليه، فإنّ نظرنا في هذا الجواب هو أن نقول بأنّ إمامة الشخص الغائب الّذي لا يطّلع على أُمور الناس بالمرّة ومعزول عنهم تماماً، ليست من معتقدات الشيعة، وما نتصوّره من الغيبة هو عدم انفصال الغائب عن المغيب عنه.

وارتباط الغائب بالأشخاص الّذين غاب عنهم، مثل ارتباط الشمس المستورة بالغيوم مع الكائنات الأرضية الأُخرى فإنّه ممكن ومعقول.

فالغيبة الّتي يعتقد بها الشيعة لا تعني الانقطاع الكلّي بين الغائب والمغيب عنه، كما أنّها لا تعني خفاءه عنه، ولذا فإنّ الغيبة لا تتنافى مع تلك الفوائد المترتّبة على أصل وجود الإمام، فكلّ تلك المنافع قابلة للتحقّق بل هي مترتّبة بالفعل على وجوده الأقدس.

هل أنّ سيف أمير المؤمنين عليه السلام موجود عند الإمام المهدي عليه السلام

س71: السلام عليكم ورحمة الله. أرجو أن تتلطّفوا علينا وتبيّنوا لنا هل أنّ سيف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام المعروف بذي الفقار موجود عند مولانا بقيّة الله الأعظم عليه السلام؟ وهل أنّه عليه السلام يستفيد منه حين ظهوره كعنوانٍ ورمز للقدرة؟ ومع وجود كلّ هذه الأسلحة الفتّاكة المتطوّرة الموجودة اليوم كيف يواجه الإمام عليه السلام العالم المعاصر؟

ج: المستفاد من الروايات العديدة والّتي نقلت في الكتب المعتبرة مثل «غيبة النعماني»، «الخصال»،[1] «عيون أخبار الرضا عليه السلام»،[2] «معاني الأخبار»،[3] «المناقب»،[4] «كفاية الأثر»،[5] «الاحتجاج»،[6] «مهج الدعوات»،[7] فانّ السيف الموسوم بذي

---

١. الصدوق، الخصال، ص٥٢٨.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢١٣.

٣. الصدوق، معانى الأخبار، ص١٠٢.

٤. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٢٥٣.

٥. الخزّاز القمي، كفاية الأثر، ص١٥٠.

٦. الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٤٣٧.

٧. ابن طاووس، مهج الدعوات، ص٣٤٦.

الفقار والّذي يعدّ من ذخائر النبوّة والإمامة، موجود عند مولانا وليّ الله الاعظم ـ أرواح العالمين له الفداء ـ كسائر ذخائر ومواريث الأنبياء عليهم السلام.

ويمكنكم ملاحظة تلك الروايات والأحاديث في الجامع الشريف «بحار الأنوار» في المجلّدات التالية: (ج٢٥، ص١١٦، سطر ١٣، و إلى ص١١٧، سطر ١٠) و (ج٣٦، ص٣٣٣، سطر ١٩، إلى ص ٣٣٥، سطر ١٣) و (ج٤٢، ص٥٨ سطر ٤ إلى ٥) و (ج٤٥، ص٥٨، سطر ٧ إلى ٩) و (ج٥٢، ص١٧١، سطر ١٤؛ و ص ٣٠٧، سطر ٢٠؛ و ص٤٦٠، سطر ٨ إلى ص ٣٠٧، سطر ٢٠؛ و ص٣٦٠، سطر ٨ إلى ص٣٦١، سطر ١١؛ و ص ٣٧٩، سطر ٢١ إلى ص ٣٨٠، سطر ٩؛ و ج٩٢، ص٣٨١، سطر ١١ إلى ص٣٨٦، سطر ١) في ضمن دعاء «العبرات».

ووراثة هذا السيف وسائر المواريث المذخورة عند الأئمّة عليهم السلام هي من خصائص الإمام والتشريفات والامتيازات الخاصّة بالإمامة. فإنّ هذه المواريث هي من الآيات الإلهيّة ومن مظاهر العناية الربّانية بالأنبياء عليهم السلام وبالخصوص «درع» و «لواء» رسول الله صلى الله عليه وآله وسيف «ذي الفقار» فكلٌ منها مبارك وله قداسة خاصّة وإن لم تسمح الفرصة لأكثر الأئمّة عليهم السلام للاستفادة من هذه المواريث لجهاد الكفر ولم يتمكّنوا في تقلّد هذا السيف والدرع، ولكن وبحسب بعض الروايات فإنّ صاحب العصر والزمان ـ روحي لتراب مقدم شيعته الفداء ـ سوف يتقلّد بهذا السيف، ونفس هذا التقلّد دليلٌ على بداية مأموريته وقيامه الشريف بالجهاد.

كما أنّ الظاهر من الروايات هو أنّه سيستفيد من هذا السيف في قتل أعداء الله، وهذا لا يتنافى مع إمكانية استفادته من كلّ الأسلحة المتعارفة في زمن الظهور أيضاً.

مضافاً إلى ذلك فإنّ الإمام سيكون مؤيّداً بجنود الغيب ونصرة الملائكة، وسيكون انتصاره وغلبته على أعدائه وفتحه لشرق وغرب العالم، إعجازياً وبالتأييد الإلهي المباشر المشتمل على المعجزات الكثيرة.

كما أنّه يحتمل أن تنهدم الترسانات العسكرية الموجودة بما فيها من أسلحة مدمّرة فتّاكة على أثر الحروب العالمية الطاحنة الّتي تقع في العالم حتّى زمان الظهور وتبقى الأسلحة البسيطة هي المتداولة.

وعلى أيّ حال، فإنّ القدر المسلّم هو أنّه مهما كانت مجريات الأحداث فإنّ المهديّ ـ أرواحنا فداه ـ سيظهر ويجاهد بالسيف ويتقلّد بذي الفقار وينصر بالرعب ويؤيّد بالنصر والتأييد الإلهي والقدرة الربّانية، وإنّه سيستفيد من كلّ الأسلحة المتّاحة في زمانه ﴿**وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ**﴾.[1]

وفي الخاتمة أودّ أن أُشير إشارة إلى أنّنا ذكرنا في رسالة «پاسخ به ده پرسش»[2] سؤالين في هذا الخصوص مع أجوبتها، ويمكنكم مراجعة تلك الرسالة أو

---

١. سورة إبراهيم، الآية ٢٠.

٢. رسالة باللغة الفارسية ترجمة عنوانها هو: أجوبة المسائل العشر.

مراجعة كتاب «الإمامة والمهدوية».[1]

«اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين».

اعتبار الرؤى والأحلام الّتي نرى فيها الأئمّة الأطهار عليهم السلام

س72: هل يمكن الاطمئنان بالرؤى والأحلام الّتي نرى فيها الأئمّة الاطهار عليهم السلام؟

ج: المهمّ في الأحلام هو تعبيرها وتفسيرها وتأويلها، وبحسب الظاهر فإنّه لا يمكن ترتيب أيّ أثر على رؤية الأئمّة والأنبياء في المنام ما لم توجد قرائن يقينية على ظواهرها. فقد يكون تفسير تلك الرؤيا مخالفاً لظاهره.

ففي بعض الحالات تبيَّن أنّ تعبير رؤيا نفس الأنبياء يختلف عن ظاهر ما رأوه في المنام، كما في رؤيا النبيّ يوسف ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ الّتي ذكرها القرآن الكريم، وكذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله حينما رأى قردة تنزو على منبره الشريف حيث عبّرت تلك الرؤيا ببني أُميّة وبالغاصبين للخلافة.

ولكن لا يمكننا ترتيب الأثر الشرعي على كلام نسمعه من هؤلاء المعصومين الأطهار في عالم الرؤيا وليس له أيّ حجّية علينا، إلّا إذا كان مؤيّداً

---

١. المؤلّف، الإمامة والمهدوية، ج٢ ص٤٤٤ـ٤٥٠.

للحقائق والاعتقادات الثابتة، وفي هذه الحالة يكون شاهداً ومؤيّداً فقط. والله العالم.

هل يمكن أن يتمثّل الشيطان بصورة أحد الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في الرؤيا

س73: هل يمكن أن يتمثّل الشيطان ـ عليه اللعنة ـ بصورة أحد الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في الرؤيا بصورة تختلف عن صورتهم الحقيقية؟

ج: إنّ الشيطان عاجز عن التمثّل بصورة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، بل نستبعد قدرته على التمثّل بصورة غيرهم من الصلحاء غير المعصومين.

ورؤية الصلحاء والمقدّسين بصور مشوّهة هي أحلام شيطانية وغالباً ما تستند إلى عوارض جسمانية كالمرض أو أنّها خاضعة لتأثير بعض المأكولات، وفي الحقيقة هي فاقدة للتفسير والتعبير. والله العالم.

كيف يمكن الاطمئنان إلى أنّ الشخص المرئيّ في الرؤيا هو الإمام عليه السلام؟

س74: كيف يمكن الاطمئنان إلى أنّ الشخص المرئيّ في الرؤيا هو الإمام عليه السلام؟ فهل يكفي تصوّر الرائي أنّه رأى الإمام للاطمئنان بذلك؟

ج: إذا كانت الرؤيا روحانية ومشتملة على تنوير ووعظ وهداية وبيان حقائق وشواهد، وأُلقي في روع الرائي بأنّ هذا المرئيّ هو النبيّ الأكرم أو

الإمام، فإنّ ذلك يوجب الاطمئنان، خاصّة إذا توفّر شاهد خارجي قطعي مثل صدور معجزة أو كرامة ترتبط بتلك الرؤيا.

هل يتحقّق الوعد الّذي يقطعه الإمام عليه السلام في الرؤيا لشخص مّا

س75: هل يتحقّق الوعد الّذي يقطعه الإمام عليه السلام في الرؤيا لشخص مّا، حتى لو كان هذا الشخص مرتكباً للذنوب والمعاصي بعد تلك الرؤيا؟ (فمثلاً يقول الإمام عليه السلام لشخص في عالم الرؤيا: إنّك سوف تستشهد، ثمّ يصادف أن يرتكب هذا الشخص بعد تلك الرؤيا معصية كبيرة).

ج: قد تتحقّق تلك الرؤيا، وقد يكون للرؤيا تعبير آخر كما ذكرنا. والله العالم.

س76: إذا وعد الإمام عليه السلام شخصاً بوعدٍ في عالم الرؤيا، ولكن ذلك الشخص شكّك في تحقّق ذلك الوعد ولم يقبله، فهل يعدّ شكّه هذا شكّاً بآيات الله وكفراً بها؟ (طبعاً الفرض أن مثل هذه الرؤيا متعدّدة).

ج: إذا كانت تلك الرؤيا مشتملة على بشارة، فالأفضل هو أن يتفأّل ذلك الرائي بها خيراً، وليحاول أن يسير في الاتّجاه الّذي يأخذه إلى نيل تلك البشارة.

مخاطبة أهل البيت عليهم السلام بلهجة ولسانٍ عامّي

س77: هل يصحّ مخاطبة أهل البيت عليهم السلام بلهجة ولسانٍ عامّي أو إنشاء الشعر بحقّهم بلهجة عامّية أو لا يصحّ؟

ج: لا إشكال في ذلك بحدّ نفسه ما لم يتضمّن الكلام توهيناً أو إساءة أدبٍ أو التقليل من شأنهم صلوات الله عليهم، ولكن ينبغي في قول الشعر، رعاية الأدب وحفظ حريم مقام أُولئك الأطهار، ويجب أن تكون الأشعار المنشدة في مدائح ومراثي أهل البيت عليهم السلام جميلة ومؤثّرة ومتضمّنة للمضامين المفيدة في الارتقاء بالفكر والمعرفة الدينية والعقائدية والأخلاقية، وأن يكون الشاعر والمدّاح على مستوى المسؤولية، وأن يكون غرضهم بسط ونشر المعارف الإسلامية وإيقاظ الفطرة الإنسانية السليمة ومحاكاة الضمير الشفّاف، وأن يبتعدوا عن سلوك طريق أهل البدع والصوفية ومجالس الوجد، والتنزّه عن سماعها. ولا شكّ في تفاوت مراتب الأشعار ودرجات مضامينها بحسب اختلاف الأذواق والسليقة ومستوى معرفة الأشخاص وحدود معلوماتهم.

ومن الوقائع الّتي ترتبط بهذا الخصوص، مناظرة حصلت بين «السيد الحميري» شاعر آل البيت عليهم السلام المشهور المقتدر، مع «جعفر بن عمّان الطائي» فقد ورد أنّ السيّد الحميري قال لجعفر: ويلك يا جعفر أأنت القائل في آل محمد عليهم السلام:

مـــا بـــالُ بَيـــتكم يَخـــرَبُ سَـــقْفُهُ وَثِيـــابُكم مِـــنْ أَرْذَلِ الْأَثـــواب؟!

فقال جعفر: وما العيب في هذا؟

قال السيّد: إذا لم تحسن المدح فاسكت! فهل يوصف آل محمد عليهم السلام بخراب سقف بيوتهم وأرذلية ملابسهم؟

ولكنّي أُعذّرك يا جعفر فإنّ هذا مبلغ علمك وطبعك، ولقد قلت فيهم ما محى أثر شعرك، قلت:

أُقْسِمُ بِاللهِ وَآلائِهِ ... والْمَرْءُ عَمَّا قال مَسْؤُولٌ

إِنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طالب ... عَلَى التُّقَى والبرِّ مَجْبُولٌ

ممّا كان من جعفر الطائي إلّا أن قام وقبّل «السيّد الحميري» وقال له: «أَنْتَ واللهِ الرَّأْسُ يا أبا هاشم ونحن الْأَذنابُ».[1]

والحاصل، أنّ مدح هؤلاء الأطهار يجب أن يكون منسجماً مع مقامهم وشؤوناتهم الّتي يدلّ عليها القرآن والسنّة، وكما قال السيّد الحميري، فإنّ ما يقال فيهم ينبغي أن لا يكون دون شأنهم وشرفهم وكمالاتهم الروحية ومقاماتهم المعنوية، كما يجب أن يكون بعيداً عن الغلوّ الّذي قد يأخذ الشاعر والخطيب إلى حدّ الكفر.

استعمال الأشعار المتضمّنة لبعض المصطلحات العرفانية في مدائح ومراثي أهل البيت عليهم السلام

س78: ما رأيكم في استعمال الأشعار المتضمّنة لبعض المصطلحات العرفانية مثل «حانة الخمر»، «الخمر»، «الساقي» وغيرها من الألفاظ المستعملة في الأشعار العرفانية والاستفادة منها في مدائح ومراثي أهل البيت عليهم السلام؟

---

١. الطوسي، الأمالي، ج١، ص١٩٨ـ١٩٩.

ج: إذا كان المتبادر من مثل هذه العبائر، معانيها السليمة فلا إشكال في ذلك، وأمّا إذا كانت المفهوم منها بعض معاني الغلوّ والباطل، أو كانت موجبة لترويج مسالك الصوفية وما يصطلح عليه «العرفانية»، فلا يجوز الاستفادة منها.

وبنحو عامّ، على كلّ شخص أن يكون بنفسه ناقداً وبصيراً ومطّلعاً على مذهب أهل البيت عليهم السلام وعارفاً بذوق الشريعة الصحيحة، أو أن يعرض هذه الأشعار على أهل المعرفة والنظر من العلماء والعارفين بالدين وتحكيمهم.

المهمّ أن يكون حذراً من التأثير السلبي لمثل هذه الجملات على اعتقاد الآخرين حتّى لو كان الآخرون شخصاً واحداً. والله العالم.

المنافسة والتسابق في مجالس الإمام الحسين عليه السلام

س79: الملاحظ في بعض المجالس، أنَّ مسؤولي الهيئات ومن باب المنافسة والتسابق، يقومون بدعوة المشاهير أو الإسراف في الصرف بحجّة أنّ الرياء جائز في مجالس الإمام الحسين عليه السلام، فهل يعدُّ هذا العمل صحيحاً؟

ج: إنَّ التأسّي وتقليد الأشخاص الّذين يقيمون مجالس أهل البيت عليهم السلام بنحو أفضل وأكمل وأروع لكسب الروّاد وجذبهم لحضور تلك المجالس ونشر معارف الدين، هو أمرٌ حسنٌ ومطلوب. فيجب أن نتسابق لتعلّم السنن الحسنة والخيّرة من الآخرين وأن نجاري المحسنين والخيّرين ونتعاضد معهم، ولكنّ التعصّب

العائلي والقومي في قبال الآخرين وطمعاً في التفاخر والتباهي والاستعلاء، مذمومٌ ومنبوذ، ويتسبّب في الحرمان من الأجر والثواب والورود في زمرة ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾.[1]

مثاله ما ورد في تلك المعاقرة والمسابقة في نحر الإبل ومجلس الضيافة والإطعام في زمن أمير المؤمنين عليه السلام بين رجلين من رؤساء القبائل، والّتي انتهت إلى أن ينحر أحدهما (٣٠٠) رأس من الإبل للتفاخر والتباهي فحرّم أمير المؤمنين عليه السلام الأكل من ذلك اللحم لأنّها أُهلّت لغير الله وأنّها لا تصلح إلّا طعاماً للكلاب.

فعلى الأشخاص الّذين يوفّقون لمثل هذه الأعمال الصالحة الخيّرة ولتعظيم الشعائر وإحياء «أيّام الله» أن يراعوا الإخلاص التامّ ويقصدوا إعلاء كلمة الحقّ والإسلام، وأن يعقدوا هذه المجالس المباركة الشريفة قربة إلى الله، وأن يدعو أحدهم لزملائه في هذا المضمار بالتوفيق وأن يتمنّى له النجاح والتقدّم والقبول، وأن يساعد الهيئات الحسينية والإسلامية الأُخرى في عملها ويساهم في إنجاح تلك المراسم.

وعلى الجميع أن يتّحدوا ويوحّدوا جهودهم وينسقوا برامجهم وأن ينزّهوا مراسم عزاء سيّد الشهداء عليه السلام عن الشوائب. فروح كلّ هذه البرامج هو الإخلاص وصدق النيّة والتواضع واستقلال العمل الشخصي وإكبار الآخرين.

---

١. سورة الكهف، الآية ١٠٤.

كما أنّه يجب أن لا نسيء الظنّ بهؤلاء الأخيار الأعزّاء الّذين يبذلون الأموال ويتحمّلون المشاقّ والزحمات في سبيل إحياء هذه الشعائر المقدّسة، فيجب أن نحمل صرفهم وتصرّفاتهم على المحمل الحسن، ولا نتّهمهم بعدم الإخلاص في العمل والخلوص في النيّة، بل نحمل فعلهم على الصحّة، فوظيفتهم هي الإخلاص والمراقبة ووظيفة الآخرين في حقّهم هي شكرهم وتقديرهم واحترامهم.

أرجو أن يوفّق الجميع في هذه البرامج والوظائف فإنّ القيام بهذه الأُمور يحتاج إلى وعي والتفات، وهمّة عالية، وأرجو أن يبارك الله في هذه الشعائر وأن تنتشر وتتّسع تأثيراتها في المجتمع وأن تتمّ بكلّ إخلاص وصدق وأن تكون سالمة شفّافة منزّهة عن الشوائب. والله العالم.

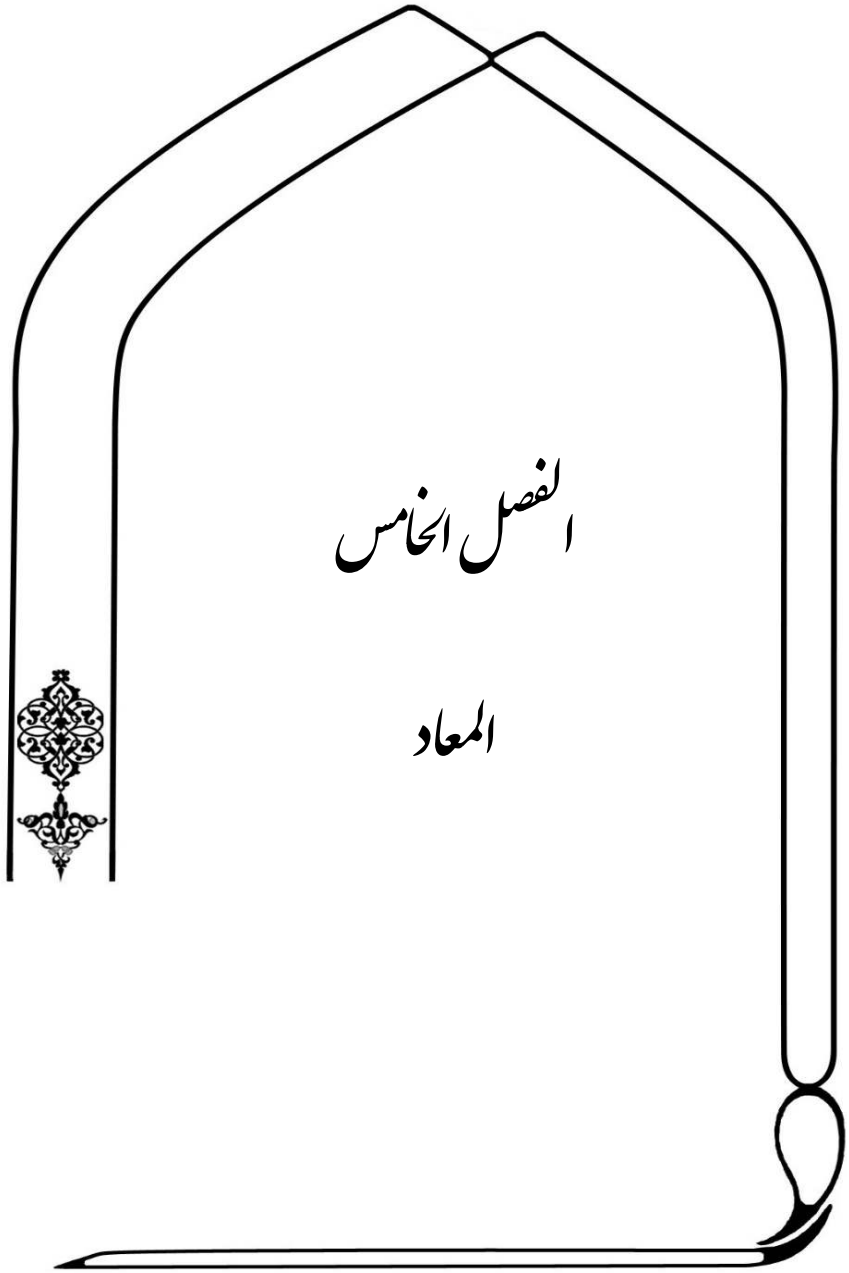

الفصل الخامس

المعاد

حكم من ينكر وجود الجنّة والنار الآن

س80: ورد في كتاب «عين الحياة» للعلّامة المجلسي-رحمه الله (ج2، ص55): «اعلم بأنّ من جملة العقائد الّتي يعدُّ إنكارها كفراً والإقرار بها واجباً وهي من ضروريّات المذهب، الإقرار بالجنّة والنار وأنّهما موجودتان» فما هو حكم من ينكر وجود الجنّة والنار الآن؟

ج: صرّح جمع من أكابر علماء الشيعة بأنّ الاعتقاد بوجود الجنّة والنار الآن متّفق عليه عند الشيعة، ولم يخالف فيه إلّا اثنان منهم ولم تثبت صحّة هذه النسبة إليهما، كما أنّ الآيات القرآنية والأحاديث الكثيرة دالّة على هذا المعنى، وفي بعض الروايات ورد التأكيد على ضرورة الاعتقاد بذلك إلى درجة إخراج منكر ذلك من شيعة أهل البيت عليهم السلام وأنّه مؤمن حقيقي.

ومع ذلك، فإنّ من ينكر ذلك مع عدم التفاته إلى أنّ إنكارها يعدُّ إنكاراً للقرآن الكريم وأخبار المعصومين عليهم السلام أو باعتقاد عدم دلالة القرآن والأحاديث على ذلك،... لا يحكم بكفره أو خروجه عن التشيّع وولاية أهل البيت عليهم السلام.

وكلام العلّامة المجلسي رحمه الله إنّما هو في خصوص من ينكر أصل الجنّة والنار حتّى في عالم الآخرة، ولا شكّ في كفر مثل هذا الشخص. والله العالم.

الجنّة والنار خالدتان

س81: ماذا بعد الجنّة والنار؟ وما هي الرجعة؟

ج: بحسب ما جاء في القرآن الكريم فإنّ الجنّة والنار خالدتان وليس بعدهما شيء. ومسألة الرجعة ثابتة بنحو الإجمال بحسب ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث المعتبرة.

ولمزيد من الاطّلاع راجعوا كتاب «الاعتقادات» للصدوق رحمه الله أو المجلسي رحمه الله.

حكم من لا يعتقد بالرجعة

س82: ما هو حكم من لا يعتقد بالرجعة؟

ج: إذا كان جاهلاً أو لم يثبت عنده واقعاً، فليس له حكم خاصّ. والله العالم.

كيفية الرجعة

س83: نرجو أن تبيّنوا لنا كيفية الرجعة أو تحيلونا إلى كتاب موثوق عندكم في هذا الخصوص؟

ج: كتب كثيرٌ من علمائنا في الرجعة، ومن جملتها كتاب «إيقاظ الهجعة». والله العالم.

اسم الملائكة الّذين يتولّون السؤال من الإنسان في قبره

س84: ما هو اسم الملائكة الّذين يتولّون السؤال من الإنسان في قبره؟

ج: ورد في بعض الروايات أنّ إسمهما «منكر» و «نكير». والله العالم.

أوّل ما يُسئل عنه المرء في قبره

س85: أصحيح أنّ أوّل ما يُسئل عنه المرء في قبره هو الصلاة؟ أي حتى قبل السؤال عن أُصول الدين؟

ج: في البداية يسأل المرء عن أُصول الدين. وقد يكون السؤال الأوّل عن الصلاة ممّن ثبتت صحّة اعتقاداته دون سؤاله عن الأُصول.

كيفية السؤال في القبر

س86: إذا اعتقد شخص بأنّ السؤال في القبر يكون فقط من الروح لا من الروح والجسد، فهل في هذا الاعتقاد انحراف عقائدي؟ (مع اعتقاده بأنّ الحشر يوم القيامة يكون جسمانياً).

ج: بحسب ما يستفاد من كلمات الأعلام وما ورد في الكتب العقائدية لكبار العلماء هو أنّ الروح والجسد كلاهما موضوع السؤال في القبر، وإن كانت كيفية السؤال ونوعية الارتباط بين الروح والبدن في القبر غير معلومة.

حكم من قدّم خدمات للمجتمع الإسلامي ولم يكن منتمياً إلى المذهب الشيعي الحقّ

س87: ما هو حكم من قدّم خدمات للمجتمع الإسلامي أو اخترع بعض الأدوات والوسائل المفيدة للناس، ولم يكن منتمياً إلى المذهب الشيعي الحقّ ولم يكن موالياً لقادة التشيّع، ولم يكن له هدف إلّا الخدمة، فهل تذهب جهوده بلا جزاء ويحرم من الجنّة؟

ج: إذا كانت نيّة هؤلاء المخترعين هي الشهرة والتخليد كان ذلك أجرهم وجزاؤهم، فإنّ ذكرهم سيبقى في المخترعين والمكتشفين ويعظّمون بهذا العنوان وهو ما أرادوا.

أمّا من يقدّم الخدمات بقصد كسب رضا الله تعالى وخدمة عباده ولم يكن عدم اعتقاده الصحيح بسبب التقصير وإنّما كان ناشئاً عن قصوره في معرفة الحقّ، فإنّ الله سيجازيه بالعدل ولن تضيّع جهوده.

وينبغي أن تعلموا في مثل هذه المواضيع عدم ضرورة الفحص والسؤال عن خصوصيات الأشخاص، وإنّما اللازم والواجب علينا هو فقط الاعتقاد بعدل الله سبحانه وتعالى، وطبقاً لاعتقادنا بالعدالة الإلهية نقول: بأنّ الله سبحانه وتعالى سيعامل الأشخاص بمقتضى عدله.

الموت في سنّ الشباب أو سنّ الطفولة

س88: هل أنّ الموت في سنّ الشباب أو سنّ الطفولة أو على أثر بعض الحوادث الطبيعية هو من التقديرات الإلهية؟ (فبعض الناس يقولون: إنّ من يموت في سنّ مبكرة فإنّ ذلك بسبب ذنوبه أو بسبب معاصي الأب أو الأُمّ).

ج: لكلّ إنسان أجل محتومٌ وأجل تعليقي، وتعيين نوع الأجل الّذي يموت به الإنسان في الطفولة أو السنّ المبكرة أو في الحوادث، غير ممكن لنا، فنسبة الموت والحوادث إلى علّة خاصّة غائبة ليست نسبة صحيحة، وإن كانت بعض حالات الموت بسبب تلك العلل.

وعلينا أن نحاول دائماً أن نكون في مقام أداء الأعمال الصالحة والاجتناب عن الأعمال السيّئة. حيث إنّ للأُولى آثار طيّبة وللثانية آثار سيّئة وضعاً. والله العالم.

أسئلة الروح

الروح ممكنة الوجود

س89: من أين نتيقّن بأنّ الروح الّتي في جسدنا هي ما سوى الله؟

ج: لأنّ الروح ممكنة وليست واجبة الوجود، ولا يوجد ممكن بدون علّة، فهي مخلوقة إذن وهي ممّا سوى الله.

كيفية تعلّق الروح بالبدن

س90: يقولون بأنّ الله قديم وليس له مكان، في حين أنّ الروح أيضاً ليس لها مكان، فهل أنّ هذا الكلام صحيح؟

ج: أوّلاً: إنَّ كيفيّة تعلّق الروح بالبدن غير معلومة، فكيف يمكن الجزم بعدم وجود مكان للروح، فقد تكون الروح مستقرّة في الجسد بنحو من الأنحاء وإن كانت بعد الموت تستقرّ في الجسد البرزخي والقالب المثالي.

وثانياً: إنَّ الروح والمجرّدات الأُخرى مثل الملائكة ـ بناءاً على القول بتجرّدها ـ حتّى لو لم تكن كالمادّيات محتاجة إلى مكان، لكنّ حلولها في الجسد

المادّي ممكن، في حين أنّ الله تعالى ممتنع الحلول في المادّة فلا تكون المادّة محلّاً له.

وثالثاً: ما نقوله من أنّ الله قديم وليس له مكان إنّما هو من باب أنّه لو كان له مكان لتعدّد القدماء وهذا مخالف للتوحيد في القدم، كما أنّه سيكون محتاجاً إلى المكان. أي محتاجاً إلى الغير ولا يعود واجب الوجود، وأمّا الروح فإنّها إذا كانت لها مكان لم يلزم تعدّد القدماء، وإذا لم تحتج إلى مكان لم يلزم قدمها.

المقصود من «الهلاك» في قوله تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»

س191: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] ويقول الحديث: «خلقتم للبقاء لا للفناء» في حين يقال: إنَّ الروح كانت موجودة قبل هذا البدن كما أنّها لا تقبل الفناء، فما هو رأيكم؟

ج: قد يكون المقصود من «الهلاك» في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] هو الموت الّذي هو عبارة عن زوال تصرّف الروح في الجسد، وبقرينة «هالك» يعلم بأنّ المراد من «الشيء» ليس كلّ الموجودات ليشمل الروح أيضاً، كما أنّ المراد من «الوجه» هو ذات الحقّ تعالى، وعليه يكون الاستثناء غير متّصل.

---

١. سورة القصص، الآية ٨٨.

٢. سورة القصص، الآية ٨٨.

وقد يكون مرجع ضمير «الوجه» هو الشيء، يعني كلّ ذي روح أو كلّ إنسانٍ هالك إلّا وجدانه وحقيقته وروحه، وعلى هذا التفسير يكون دليلاً على بقاء الروح.

وقد يكون المراد أنّ كلّ شيء هالك وباطل إلّا التوجّه إلى الله وما يقوم به الإنسان بقصد رضا الله تعالى وقربه.

وعلى أيّ حال، لا يستفاد من الآية عدم بقاء الروح؛ فلا تنافي الحديث المعروف «**مَا خُلِقْتُمْ لِلْفَنَاءِ بَلْ خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ**».[1]

مضافاً إلى ذلك، قد يكون المراد من الحديث هو أنَّ الفناء ليس غايةً ونهاية للخلقة، بل أنّ الخلقة مقدّمةٌ للبقاء الأبدي.

الأرواح والعقول مخلوقة

س92: هل أنّ الأرواح والعقول وأمثالها مخلوقة ومحدودة؟

ج: نعم، فإنّ الوجود اللامحدود واللامخلوق منحصر بالذات الأحدية الصمدية للباري تعالى شأنه وجلّت عظمته، وإنّ الأرواح والعقول وكلّ المخلوقات الأُخرى محدودة وغير أزلية.

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٤٩.

قدم الله تعالى وحدوث الروح

س93: من أين نتيّقن قدم الله تعالى وحدوث الروح؟

ج: علم من أجوبة المسائل السابقة، حدوث الروح، لأنّها ممكنة وكلّ ممكن حادث ومحتاج إلى علّة.

وأمّا قدم الله تعالى وكونه واجب الوجود، فلأنّه يلزم خلاف الفرض، فإنّ الله واجب الوجود وإذا لم يكن قديماً لم يلزم وجوب وجوده، وإذا لم يكن واجباً كان ممكناً، فيحتاج إلى موجد ولم يعدّ ربّا وهو خلاف الفرض، إذن فهو قديم أزلي أبدي وسرمدي.

الإضافة التشريفيّة في الآية «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»

س94: يقال في خصوص الآية الشريفة: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[1] بأنّ هذه الإضافة تشريفية، أي أنّه تعالى نسب إلى نفسه العزّة والشرافة، في حين أنّنا نرى أحياناً أنّه تعالى ينسب إلى نفسه العذاب أيضاً: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2] فما هو رأيكم؟

---

١. سورة الحجر، الآية ٢٩.

٢. سورة إبراهيم، الآية ٧.

ج: نعم، إنّ الاضافة في الآية تشريفية ودليل ذلك ما ورد في خصوص السيدة مريم حيث ورد في سورة الكهف: ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا**﴾[1] وما ورد في سورة الأنبياء ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا**﴾[2] ففي هذه الموارد الإضافة تشريفية. وأمّا في مورد قوله تعالى: «**إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**»[3] أو «**وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**»[4] فإنّ الإضافة هنا حقيقية، يعني إضافة الفعل إلى الفاعل مثل: خَلَقَ الله، ومع ذلك فهي دالّة على شدَّة العذاب وعظمته.

وعلى أيّ حال، فإنّ هاتين الإضافتين متفاوتتان.

س95: نقول بأنّ الله واحدٌ، ولكنّ البعض يقولون: «في كلّ إنسان يوجد جزء من روح الله، فإذا جمعنا كلّ الناس صاروا واحداً» فما هو رأيكم بهذا الكلام؟

ج: إنَّ هذا الكلام هو من مخترعات بعض الفرق الباطلة وإنَّ الاعتقاد به كفرٌ، والأدلّة النقلية والعقلية قائمة على خلافه.

---

١. سورة مريم، الآية ١٧.

٢. سورة الأنبياء، الآية، ٩١.

٣. سورة إبراهيم، الآية ٧.

٤. سورة الحجّ، الآية ٢.

أجل، إذا قال بعض الناس كلاماً يحتمل أن يكون المراد منه هذه الأباطيل ولا يدلّ صراحة عليها، أو إنّهم وجّهوا هذا الكلام وردّوا تلك العقيدة الفاسدة فما داموا لم يصرّحوا بتلك العقيدة وما داموا يتشهدّون بالشهادتين لا يمكن الحكم بكفرهم.

هل أنّ الروح موجودة قبل وجود البدن

س96: هل أنّ الروح موجودة قبل بلوغ الجنين أربعة أشهر في بطن أُمّه، أم أنّها تخلق في ذلك الحين؟

ج: يذهب البعض إلى أنّ الروح موجودة قبل وجود الجسد، والمستفاد من الأخبار الواردة عن الأئمّة عليهم السلام مؤيّد لهذا القول. والبعض يرى بأنّ الروح توجد بعد كمال خلقة الجنين. والعلم عندالله.

وللاطّلاع على التفاصيل لابدّ من مراجعة كتب «العلّامة المجلسي» أو كتاب «كفاية الموحّدين» والكتب المعتبرة الأُخرى. والله العالم.

قضيّة تناسخ الأرواح من منظر الإسلام

س97: هل يقبل الإسلام قضيّة تناسخ الأرواح؟

ج: إنّ التناسخ مرفوض من قبل كلّ الأديان السماوية الإلهية، ولا يستفاد من الوحي وإخبار الأنبياء عليهم السلام وليس من الفكر المقتبس من مشكاة النبوّة.

فإنّ مثل هذه الأُمور الغيبيـة لايمكـن اكتشـافها إلّا مـن خـلال الإخبـارات الغيبية للمـرتبطين بعـالم الغيـب وغيـب العـالم، أي السلسـلة الجليلـة للأنبيـاء والأوصياء عليهم السلام، وبدون هداية الأنبياء والأوصياء لا يمكن الوثوق بـأيّ نظريـة في هذا المجال. فليس الخوض فيها من صلاحية البشر العاديّين ولا يتعدّى حدّ التـوهّم، وأنّ التوهّمـات المتعـدّدة والمختلفـة تعـود إلـى اخـتلاق الأشـخاص والأذواق ولا يمكن قبولها. فلا فكـرة النسـخ الّتـي تعنـي انتقـال نفـس وروح الإنسان إلى بدن إنسان آخر، صحيحةً، ولا توهّم المسخ صحيحاً وهو أن تنتقل النفس أو الروح من جسد إنسان إلى جسد حيوان، ولا خرافة الفسخ صحيحة، وهي إنتقال الروح أو النفس من جسد الإنسان العنصري إلى النبات، ولا الخرافة الرابعة أي «الرسخ» صحيحة وهي عبارة عـن انتقـال روح الإنسـان مـن بدنـه العنصري إلى الجمادات.

فكلّ هذه الآراء لا تنسب إلى فكر الأنبياء وهدايتهم وهـو الطريـق الوحيـد والمطمئنّ لاستكشاف هذه الأُمـور الغيبيـة، ولا يمكـن إقامـة البرهـان العقـلي والمنطقي عليها.

إذا ابتعد الانسان عن مدرسة الأنبياء وانفصل عنها، فإنّه سيواجه مثـل هـذه التوهّمات والاحتمالات ـ نفياً وإثباتاً ـ وسيعجز عن إقامة البرهان على أيّ توهّم

يتوهّمه لأيّ سبب ـ حتّى لو كان إمكانه معقولاً ـ مضافاً إلى أنّ علماء الإسلام استدلّوا وأثبتوا استحالة هذه النظريات وليس فقط بطلانها.

وفي مقابل هذه التوهّمات الفارغة، الاعتقاد بالمعاد والحشر وعودة الأرواح إلى الأبدان وهو ما صرّح به القرآن الكريم وأكّد عليه، وكلّ ما سوى ما ذكره الأئمّة الطاهرين عليهم السلام في شرح وتفسير تلك العوالم، لهو صرف أوهام وتصوّرات وتخيّلات واحتمالات واهية.

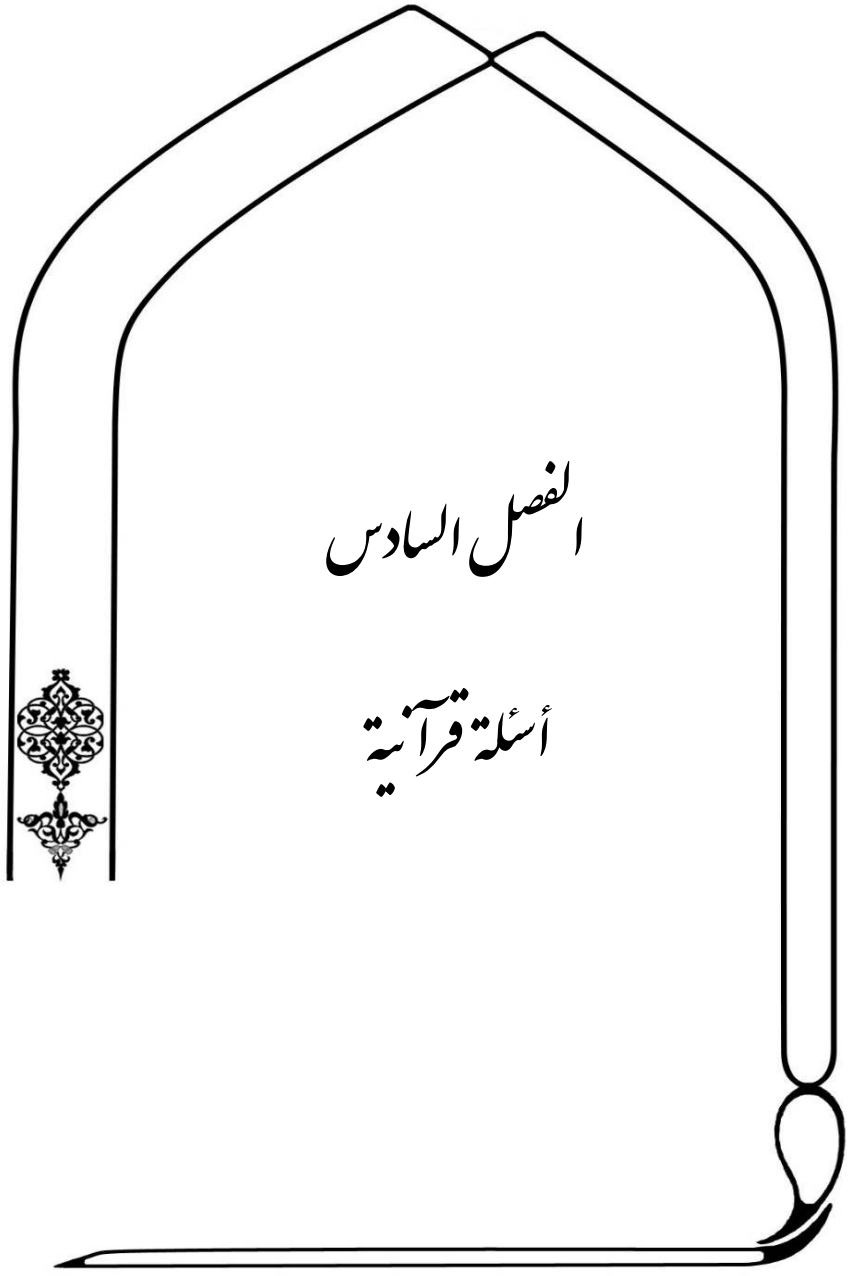

الفصل السادس

أسئلة قرآنية

علّة وجود بعض الآيات المتشابهات في القرآن الكريم

س98: لماذا كانت بعض آيات القرآن الكريم متشابهات ولم تكن كلّ المطالب القرآنية على شكل آيات محكمات؟

ج: إذا كان المراد في المتشابه هو وصف الآيات الّتي عدل من المحكمة إليها مع إمكان بيان المعاني بألفاظ محكمة، صحّ السؤال: ما هو وجه العدول؟

وإذا كان المتشابه وقد سرى التشابه من المعنى إلى اللفظ وقيل في اللفظ: إنّه متشابه باعتبار تشابه المعنى، ففي هذه الصورة لا يجوز صرف النظر عن المعاني المتشابهة في مثل القرآن الكريم ـ الحاوي على علوم ومعارف حقيقية كثيرة وكثير منها يحتاج إلى شرح وتأويل، وسيكون ذلك حرماناً للناس خاصّة أصحاب المدرك العالي.

وهذا المتشابه بأيّ معنى كان، هو معنى يحتاج إلى شرح وبسط وتفصيل كثير، لم يكن ذكره في القرآن الكريم مناسباً لأسباب متعدّدة.

وعلى هذا فإنّ هذه المعاني المتشابهة الّتي يرتبط أكثرها بأُمور غيبية، ذكرت في القرآن بدون شرح وتأويل وغموض وإبهام مجموعة من المعاني يجب أن لا يكون موجباً لعدم ذكره بنحو الإجمال ولا يصحّ بقاؤه مجهولاً ولا يكون ذلك مسوّغاً لعدم ذكره بلفظٍ يحتاج إلى تفسير وتأويل.

فهناك حقيقة واقعية وهي أنَّ المعاني على قسمين: محكمٌ ومتشابه، وإذا قيل: لماذا جاءت المعاني المحكمة أحياناً بألفاظٍ متشابهة أو موجبة للاشتباه فيشتبه المعنى أيضاً؟ مثل قوله تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[1] أو ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾[2] أو ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[3] أو ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾[4] أو ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ**﴾[5] وأمثال ذلك، قلنا في صدد الجواب:

---

١. سورة الفتح، الآية، ١٠.

٢. سورة الأنفال، الآية، ١٧.

٣. سورة طه، الآية، ١٢١.

٤. سورة الفتح، الآية ٢.

٥. سورة الأعراف، الآية ١٥٥.

إنّ مثل هذه الألفاظ ليست من المتشابهات، بل لها معاني لطيفة وشفّافة ودقيقة غير خافية على أهل اللغة والذوق وهي من علائم الفصاحة والبلاغة. فاللغات والألسن ـ وخاصّة لغة العرب ـ يشتمل قسم كبير منها على الاستعارات والمجازات والفنون الأدبية والبلاغية الأُخرى وبدون هذه الفنون تبقى اللغة والخطبة والشعر والنثر جامداً ممجوجاً لا يرغب في استماعه المستمع، كما أنّه لا يؤثّر تأثيره في الروح.

فالفصحاء والبلغاء والخطباء الّذين يدركون تماماً بأنّ كلام القرآن هو في أوج الفصاحة والبلاغة والإعجاز، فإنّهم يعجزون أيضاً عن بيان كلِّ دقائقه ولطائفه.

ثمّ إنّ القرائن الحالية والعقلية والمقالية كلّها لها دخل في فهم القرآن الكريم ولسان العرب بل كلّ الألسنة، وإنّ الميزان في فهم المراد والمعنى هو الذوق السليم والطبع المستقيم.

فمثلاً في نفس هذه الآية ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾، إذا جمدنا على الكلمات والألفاظ، كان علينا تفسير اليد باليد الخارجية المادّية الّتي هي فوق أيدي الآخرين، مع أنّ هذا المعنى ليس له مصداق خارجي أبداً.

وأمّا الشخص المطّلع على فنون اللغة فإنّه سيفهم من هذه الألفاظ أروع المعاني اللطيفة ـ وهو غالبية قدرة الحقّ تعالى على كلّ القدرات الأُخرى ـ

وسيعلم جيّداً بأنّ اليد في مثل هذا الكلام هي بمعنى «القدرة»، كما في مثل «يا ذا الأيادي الجسام».

والآيات الّتي ذكرت، لها معانٍ دقيقة ولطيفة ومتضمّنة لمعارف عالية ذكرت في محلّها، ونحن هنا أشرنا إشارة سريعة إلى بعضها.

الفرض، هو أنّ هذه الآيات ليست متشابهة، فإنّ قرائح أهل اللغة والأدب تدرك تلك المعاني.

وكما ورد فانّ النبيّ ﷺ قال في خصوص شخص لم يراع الأدب في كلامه مع النبيّ ﷺ: «**اقطع لسانه**» فلم يفهم أحد الحاضرين مراد النبيّ ﷺ من هذا القول فقام ليقطع لسان الرجل، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام عرف مراد رسول الله ﷺ فقام وأحسن إلى ذلك الرجل وكانت النتيجة هي أنّه ليس فقط أمن النبيّ ﷺ من شرّ لسانه البذيء وجسارته وإنّما بدأ الرجل بالثناء والمدح لرسول الله ﷺ. فبطبيعة الحال، لو جمدنا على جملة «**اقطع لسانه**» لفهم منها قطع اللسان الخارجي، ولكن بأخذ القرائن الحالية والمقامية والمعرفة المسبقة بأخلاق الرسول ﷺ الكريمة وعفوه وإحسانه وحلمه بنظر الاعتبار، فإنّه سيعلم بأنّ المراد من الجملة ليس ظاهرها، ومثل هذا الكلام من النبيّ ﷺ ليس متشابهاً، ومن فهم منه معنى الظاهر فإنّ في ذوقه اللغوي خللاً وعدم معرفة.

مثال آخر هو قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[1] فهي ظاهرة الدلالة وليست متشابهة، فإن قال المجسّمة: إنّ مقصود اليهود هو أنّ يد الله الخارجية مغلولة وأنّ مقصود القرآن هو أنّ يد الله الخارجية مبسوطة، كان هذا الفهم فهماً خاطئاً لا يقبله أهل اللغة واللسان ممّن يتذوّق العربية، وذلك لا يجعل الآية متشابهة لا لفظاً ولا معنًى.

وكذلك قوله تعالى: «**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ**»[2] فكلّ ضليع باللغة يعرف تماماً أنّ المقصود باليد في الآية السابقة هو القدرة على التصرّف والخلق والإيجاد والإماتة والإحياء والرزق و...، وأنّ المقصود في الآية الثانية هو الجود والبذل والإحسان والعطاء.

والحاصل، أنّ هذه الآيات ليست من المتشابهات وهي مشحونة بالأدب والإيجاز والفصاحة والبلاغة.

علّة ذكر بعض المطالب الجزئية في القرآن الكريم

س99: لماذا ذكرت في القرآن الكريم بعض المطالب الجزئية والمشخّصة بأسمائها وعناوينها الواضحة، بينما ذكرت بعض المطالب الأساسية بصورة مبهمة وكلّيه؟

---

١. سورة المائدة، الآية ٦٤.

٢. سورة الإسراء، الآية ٢٩.

ج: إنّ المطالب الكلّية الأساسية في الأُمور الاعتقاديّة مثل التوحيد والنبوّة والمعاد والإمامة والولاية قد ذكرت جميعاً بأفضل نحو، وكذلك الأُمور العملية والعبادية مثل الصلاة والصوم والحجّ، وفي المسائل الاقتصادية والمالية مثل الزكاة والخمس والمعاملات، وكذلك في الأُمور السياسية والولائية والقضائية والجزائية والعسكرية وأُصول التربية والأخلاق والعلاقات الاجتماعيّة، قد ذكرت في القرآن الكريم بأحسن وجه ممكن، وإذا كان هناك إشارة إلى بعض الأحداث الجزئية أو كان شأن النزول أمراً جزئياً لا كلّياً، فإن نفس هذه المطالب تفيدنا قواعد عامّة كلّية ومطالب كلّية مهمّة.

إنّ القرآن الكريم نزل في مدّة ٢٣ سنة، والكثير من آياته المباركة نزلت في شأن الكفّار ـ وبمناسبات ووقائع عدّة وفي مقام الاحتجاج ـ وللقرآن سياقه وسبكه الخاصّ به وهو الإعجاز القرآني العجيب والرائع الجذّاب الّذي يعجز اللسان عن بيانه.

وإلى جنب القرآن المجيد، فإنّ السيرة النبوية الشريفة بيَّنت مطالبه ومفاهيمه بأُسلوب بديع وخاصّة طريقة إبلاغه وعرضه على الناس، كما أنّ مناسبات وشأن نزول الآيات كان لها تأثير واضح في توضيح المراد من الآيات الشريفة فمثلاً لو نزلت آية في تعظيم أمرٍ مّا ولم تُسمِّه صراحة أو كان ظاهرها أمراً كلّياً فإنّ سبب النزول يوضح المراد الشخصي منها.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[1] فـانّ «مـا أُنزل» وإن كان مبهماً في الآية ولم يصرِّح بـه تعظـيماً لـه، ولكـن في مقـام التبليـغ والبيان فإنّ الرسول ﷺ أخذ بيد عليٍّ عليه السلام ورفعها وقـال: «**ألسـت أولـى بكـم مـن أنفسكم**»، ثمّ قال: «**من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه**»، لكي يزيـل ذلـك الإبهـام وعدم الصراحة في الآية والّذي كان المخاطب ينتظر رفعه، فعـرف الجميـع بـأنّ المراد من «ما أُنزل» هو إبلاغ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا الَّـذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾،[2] فإنّ مفاد الآية وطبيعة أمر الولاية يقتضي أنّ المراد من الآية هو شخص خاصّ ومؤمن معيّن وانَّ الأوصاف المذكورة فيها هـي إشارة إلى ذلك الشخص، لا بيان الولاية لكلِّ أحد تصدّق حال الركوع.

مضافاً إلى أنّ نزول آية من الكتاب في أثناء تصـدّق أمـير المـؤمنين عليه السلام بخاتمـه أثناء الصلاة هو أوقع من ذكر إسمه أو هو مساوٍ له.

وعلى أيّ حال فإنّ السيرة والسنّة العملية والقولية للرسـول الأكـرم ﷺ هـي خـير موضّح ومبيّن للمقصود من آيات الولاية ولا تقبل الانطباق إلّا على أمير المؤمنين عليه السلام.

---

١. سورة المائدة، الآية ٦٧.

٢. سورة المائدة، الآية ٥٥.

اكتشاف بعض الارتباطات الرياضية لكلمات القرآن الكريم

س100: بدأت مجموعة من الأشخاص بطبع ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزيّة وادّعت اكتشاف بعض الارتباطات الرياضية وحساب الجمل لكلمات القرآن الكريم، وقد أثارت فعّاليات ونشاطات هذه المجموعة وتفسيرها لبعض الأوامر القرآنية مجموعة من التساؤلات الّتي تحتاج إلى أجوبة.

ونأمل أن نجيب على هذه التساؤلات بالاستعانة بإرشاداتكم وبالاتّصال بالمراكز العلمية في إيران. وهنا نورد نماذج مختصرة لبعض ادّعاءات هذه المجموعة.

1. إنّ الحديث والسنّة هي عملٌ شيطاني: (۶/ 112 و 25/ 31) وعدم الحاجة إلى الحديث (۴۵/ ۶ و 12/ 111 و 31/ ۶ و ۶/ 114 و 33/ 62 و 48/ 23 و 17/ 77 و آيات أُخرى).

2. إنّ دور الرسول الأكرمﷺ هو إراءة القرآن المجيد لا غير: (3/ 20 و 3/ 40 و ۵/ 99 و ۶/ 19 و...)، وإنّ الرسول الأكرمﷺ غير مسموح له بإصدار أيّ أمر خارج عن القرآن الكريم: (38: 47 ـ 69)، وليس له أن يوضح شيئاً: (15: 19 ـ 75)، وإنّ الله هو معلّم القرآن فقط (۵۵: 1 ـ 2)، وإنّ القرآن هو أفضل حديث (۴۵: ۶)

3. إنَّ القرآن الكريم مكتوب بيد رسول الله ﷺ: (٤: 1ـ96 و 1: 68 و 17: 75).

ج: إنّ مثل هذه المحاسبات في النظم والنثر وأسماء الأشخاص والأماكن، مأثورة من قديم الزمان وتعدّ عملاً ترفيهياً وتسليةً يتشبّث بها بعض الناس، وقد تصير أحياناً وسيلة لحرف أذهان البسطاء وعوامّ الناس وتوجيهها إلى عقلية مذهبية أو واقعية تاريخية.

فأحياناً يختارون كلمة جميلة توافق معنى أو مطلباً معيّناً بحساب الجمل ويستشهدون بها على صحّة ادّعاءٍ ومفهومٍ مّا، في حين أنّه يمكن لشخص آخر أن يختار كلمة أُخرى توافق ذلك المعنى بحساب الجمل لكنّ مفهومها قبيح ومذموم يتسبّب في إهانة ذلك الإسم والمسمّى به.

فمثلاً يمكن اختيار كلمة قبيحة توافق كلمة العدل الجميلة، بحساب الجمل وبالعكس يمكن انتخاب كلمة جميلة توافق بحساب الجمل كلمة «الظلم» و «الجور» القبيحتين.

فالمقصود هو أنّ هذه الاستخراجات ليس لها مبنى منطقيّ معقول، ولا يمكن إثبات مطلب أو نفيه من خلال النتائج المتضادّة المستنتجة منها، فقد تعادل كلمة مّا بحسب لغة من اللغات، وطبقاً لحساب الجمل، عدّة كلمات في

لغة أُخرى، لكلّ منها مفهوم جميل أو مفهوم قبيح، بل يمكن استخراج العشرات أو مئات الكلمات المعادلة لها في الحساب لكلّ كلمة من الكلمات.

والحاصل هو أنّ هذه الارتباطات الرياضية باصطلاحهم ليست دليلاً على صحّة أو بطلان أمرٍ من الأُمور وفرضية من الفرضيات ونظرية من النظريات، سواء في المسائل العقائدية والمذهبية أو المسائل العلمية الطبيعية مثل الفيزياء والكيمياء و...، ولم نعهد محقّقاً عالماً استفاد من مثل هذه المحاسبات في حلّ مسألة أو قضيّة من القضايا أو اعتقد بأنّها مفيدة في حلّها، ولا تتعدّى هذه الحسابات حدود التسلية والترفيه والمسابقات وتصلح لعنونتها في المسابقات والألعاب الدولية واعطاء الجوائز لمن يستخرج كلمات أكثر معادلة لهذه الكلمة أو تلك.

ومع ذلك فإن هذا العمل قبيح واللعب به قبيح أيضاً إلّا إذا كان من قبيل استخراج الكلمات الجميلة المحبّبة لبعض المفاهيم الجميلة المحبّبة مثل العدل، الإحسان، المحبّة، الحنان، التعاون، الاتّحاد وغيرها.

وعلى أيّ حال فإنّ هذه البرامج لا يمكن الوثوق بها لاثبات أيّ حقّ أو باطل، فكما أنّه لا يمكن الاعتماد على مثل هذه المحاسبات في المحافل الجزائية والقضائية وإدانة أو تبرئة شخص أو جهة، فكذلك في الأُمور المذهبية والاعتقادية لا يمكن الاعتماد على مثل هذه المحاسبات.

وأمّا ما قيل من إمكانية الاستفادة من آيات القرآن الكريم في إثبات عدم ضرورة الحديث الشريف والحاجة إليه والمطالب الأُخرى الّتي من جملتها أنَّ النبيّ الأكرمﷺ هو الّذي كتب القرآن الكريم بيده، فإنّنا نقول: بأنّ كلّ هذه الادّعاءات مخالفة للبديهيات والواضحات التاريخية واتّفاق المسلمين.

ولا يوجد في الآيات الّتي أشاروا إليها ما يدلّ على هذه المعاني، وهذه الاستنتاجات المنحرفة الخاطئة لابدّ أن تستند إلى أغراض دنيئة أو أنّها ناشئة عن الجهل.

وينبغي أن نلفت النظر إلى أنّ بعض هذه الاستنتاجات قد نشأت من قراءة ترجمة القرآن الكريم المغلوطة خاصّة إلى اللغة الإنجليزية، إذ لا يتعقّل استنادها إلى قراءة نفس القرآن الكريم وآياته المحكمة.

وفي الخاتمة، نؤكّد على عدم منطقية الاعتماد على هذه الاستخراجات الحسابية والرياضية، وكذلك الاعتماد على ترجمة القرآن الكريم غير المؤثّقة والمؤيّدة من المرجعيات الخبيرة.

س1: بعد السلام والدعاء لكم بالسلامة ودوام البقاء في ظلّ الألطاف الإلهية، كانت أجوبتكم المباركة، مدعاة لسرورنا واطمئناننا.

وهنا نورد أهمّ المطالب في ادّعائين من مدّعيات هذه المجموعة مع إجابتنا عليها نعرضها عليكم لغرض التأكّد من صحّتها:

1. إنّ القرآن الكريم كامل ومفصّل ويمكن تعلّمه بكلّ اللغات بسهولة، وعليه فلا حاجة للأحاديث والسنّة استناداً للآيات: (٤١:٤٤) و (٥٤: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

جوابنا: إنّ فهم ودرك كلّ الأوامر والأحكام القرآنية يحتاج إلى خلوص النيّة والتمركز الفكري والاستعداد اللازم لفهم الحكمة الإلهية، وبالنسبة للأشخاص الّذين لا يتقنون اللغة العربية فإنّهم بحاجة إلى ترجمة صحيحة وكاملة للقرآن المجيد مضافاً إلى وجوب تحقّق تلك الشرائط المذكورة، الآية (٣:٧).

ج١: بشهادة كلّ المتخصّصين في الفنّ والمفسّرين الّذين لهم اطّلاع كامل في القرآن والتفسير فإنّ فهم الكتاب العزيز بشكل كامل، غير ممكن بدون الاطّلاع على علوم القرآن الّتي من جملتها: أسباب النزول وأماكن النزول والجوّ الفكريّ المحيط على عرف زمان النزول.

كما ينبغي الاستفادة من السيرة والسنّة اللفظية والعملية للنبيّ الأكرم محمدﷺ في كلّ المجالات الّتي خاضها الرسولﷺ وفي مجال تطبيق الأوامر والنواهي القرآنية وتفهيم كامل المقاصد، وبغير ذلك لا يكون تفسيرنا مستقيماً وموافقاً للمدلول الحقيقي للقرآن الكريم.

فمتى ما كان كلام الله مقتضياً للتصريح، فقد صرّح به، ومتى ما كان يقتضي الإشارة، أُشير إليه.

وكلّما كان هناك اقتضاء للإطلاق والعموم، بيّنت الأُمور بنحو الإطلاق والعموم، فأحياناً يكون اللفظ عامّاً ولكن يستفاد منه معنى خاصّ، وتارة يكون خاصّاً ويستفاد منه معنى عامّ و... لكن هذه النكات والتفاصيل لابدّ من استفادتها من السنّة الشريفة، ولا شكّ في تأثير استقامة الأذهان وقوّة التعقّل والدرك السليم للأشخاص في الفهم الصحيح للقرآن. وفي الحقيقة فإنّ هذا الموضوع واضحٌ في المحيط العلمي كوضوح الشمس، ولا يوجد في الأوساط العلمية من ينكر ضرورة علم الحديث والسيرة والتاريخ في فهم القرآن الكريم، فلا مجال لفصل الارتباط بين القرآن والحديث والحديث والقرآن.

ولو أراد غير المسلم أن يكون أُستاذاً في المعارف الإسلامية فإنّه لا يتمكّن من ذلك بمجرّد الاعتماد على القرآن الكريم، وإنّه سيصل إلى نفس هذه الحقيقة الّتي أشرنا اليها.

وهذا الرأي لا يتنافي مع قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾،[1] فإنّ هذه الآيات تبيّن هذه الحقيقة وهي أنّ هذا القرآن الكريم كافٍ لشرح الأهداف الكلّية والمقاصد الأُصولية، وأنّ الجميع يفهمون ويدركون حقّانية القرآن في هذه الدعوة.

---

١. سورة القمر، الآية ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

فكلّ إنسان يدرك بسهولة دعوة الإسلام إلى التوحيد وعبادة الإله الواحد، والكلّ يفهم اهتمام القرآن بالترغيب في العدل والإحسان ومكارم الأخلاق واحترام حقوق الآخرين والكلّ يفهم أنّ القرآن يحارب الظلم والفحشاء والفساد والفتنة والكذب وأنواع الأفعال القبيحة ويذمّها، فهم يفهمون دعوة القرآن الكريم إلى إلغاء الفوارق القومية والتمييز العنصري ويدعو إلى المساواة الإنسانية، وكلّ من يقرأ القرآن يفهم جيّداً تصديقه للأنبياء السابقين ورسالاتهم وأنّه يدعو الجميع إلى الاعتقاد بالمعاد والجزاء والثواب.

فهذه ومئات الحقائق الأُخرى يمكن استفادتها من القرآن ومن التراجم الصحيحة الموثوقة بها، وليس المراد من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ**﴾ عدم السؤال والاستفسار من الرسول الأكرمﷺ وطلب التفسير والشرح، فإنّ تفاصيل وجزئيات هذه الأُمور وكيفية ارتباط الناس بالله أو ببعضهم البعض يجب أن يكون بهدى النبيّ وإرشاده وتعليمه.

ومع كلّ ذلك فإنّنا نقول، بأنّ الإسلام لا ينحصر بهذه المطالب المذكورة وحقائق القرآن لا تنحصر بالأُمور والأُصول الّتي ذكرت فإنّ أسرار القرآن وعلومه ومعارفه لا تنتهي إلى حدّ.

فالحديث وبيان وشرح شخص النبيّﷺ والعترة الطاهرة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وتقدّم العلوم كلّها تفسّر القرآن وتشرحه. ومن يدّعي بأنّ دعوة القرآن

وخطاباته واضحة ولا تحتاج إلى شرح وتفسير وحديث وسنّة وتحقيق العلماء وبيان العلوم، لم يعرفوا حقيقة القرآن الكريم كما ينبغي، ولم يقرأوا تلك الآيات الّتي تقول: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾،[1] ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[2] و لم يعرفوا كتاب الله على أوج عظمته.

إنّ الله تعالى قد يسّر القرآن للجميع، ولكنّ مراتب مضامين القرآن والاستفادة الممكنة منه، متفاوتة عند الأشخاص، فلا يمكن لشخص عادي أن يدرك القرآن كما يدركه رسول الله ﷺ أو أمير المؤمنين ﷺ وإنكان ذلك الشخص عربيّاً.

فهناك فرق كبير بين من يسمع ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾،[3] فيصيح بصوت عال: «حسبي حسبي»، وبين من يسمع أو يقرأ سورة الإخلاص ويفهم تلك المطالب التوحيدية العالية منها ويعتبر في نفس الوقت بأنّه لم يدرك كلّ ما تتضمّنه هذه السورة من معارف.

والحاصل، إنّ من ينكر الحاجة إلى الحديث في فهم القرآن بنحو مطلق، لم يعرف القرآن ولم يعرف الحديث والسنّة ولم يعرف دور الأنبياء في هداية البشر.

---

١. سورة الانعام، الآية ٣٨.

٢. سورة يس، الآية ١٢.

٣. سورة الزلزلة، الآية ٧ـ٨.

وعلى مرّ القرون ومرور الأيّام لم نعهد قولاً واجه معارضة العقلاء والعلماء كقول «حسبنا كتاب الله».

وعليه فإنّ الدين والإسلام يعني المطالب القرآنية «الكتاب» والسنّة «الحديث» والاكتفاء بأحدهما يعني بالضرورة ترك قسم مهم من الأُصول والفروع والتعاليم الدينيّة.

س2: إنّ دور الرسول الأكرمﷺ هو إراءة القرآن المجيد لا غير؛ (3: 20 و ٥: 99)، وإنّ الرسول الأكرمﷺ غير مسموح له باصدار أيّ أمر خارج عن نطاق القرآن الكريم (38: 47 ـ 69)، وليس له أن يوضّح شيئاً (75: 15 ـ 19)، وإنّ الله فقط هو الّذي يعلّم القرآن (٥٥: 1ـ2).

جوابنا: إنّ دور النبيّ الأكرم محمّدﷺ بدأ قبل قراءة القرآن الكريم، وإنّ من جملة مهامّهﷺ تعليم الآيات والمفاهيم القرآنية وتزكية الناس (٢: ١٢٩، ١٥١ و ٣: ١٦٤ و٢: ٦٢)، والقضاء في أُمور المسلمين (٤: ٥٩، ٦٥ و ٢٤: ٥١)، وإنّ إطاعة الرسولﷺ واتّباعه من جملة الأوامر القرآنية (٣: ٣١ و ٤: ٥٩، ٨٠ و ٢٤: ٥٤) وإنّ النبيّ الأكرمﷺ لهو خير نموذج وأُسوة لكلّ المسلمين (٤: ٦٨)، إنّ أغلب أتباع هذه المجموعة هم أُولئك الّذين دخلوا الإسلام حديثاً أو من المسلمين الّذين انخرطوا في هذا السلك لأسباب مختلفة.

ونأمل أن نستعدّ أكثر فأكثر للدفاع عن الإسلام وهداية أتباع هذه المجموعة بعد حصولنا على القرآن المترجم للإنجليزية الّذي يستفيد منه هؤلاء، وبعد الاطّلاع على كلّ مدّعياتهم.

ج٢: المستفاد من الآيات القرآنية هو أنّ للأنبياء دور آخر غير تبليغ الوحي الإلهي والرسالة وهو أنّ كلامهم وسلوكهم يعدّ هادياً ومرشداً للناس وأنّ سنَّتهم مكمّلة لبرامجهم في الهداية. والإسلام بعقائده الثابتة وأحكامه الهادية إنّما تقولب بهذا القالب الرائع باعتبار تمسّكه بهذين الأصلين «القرآن» و «السيرة والسنّة» وأنّ المسلمين الأوائل وخلال ٢٣ سنة قد أخذوا برامجهم العملية والعقائدية بذلك التفصيل والتنظيم، من نبيّهم الأكرمﷺ، ولم تنحصر وظيفة النبيّﷺ في قراءة آيات القرآن الكريم للناس.

وقد أعلن القرآن الكريم بصراحة اعتبار وحجّية التعاليم اللفظية والعملية لرسول اللهﷺ حيث قال تعالى: ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[1] أو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[2] فإنّ المراد من الاستجابة لله هي الاستجابة للوحي وكلام

---

١. سورة الحشر، الآية ٧.

٢. سورة الأنفال، الآية ٢٤.

الله القرآن الكريم، وإنّ المراد من الاستجابة للرسولﷺ هو الاستجابة لحديثه وسلوكه وأمره ونهيه، حيث يقول: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾[1] والّتي تدلّ على اعتبار الكتاب والإرشادات النبوية غير القرآنية.

والحقيقة، أنّ أكبر فوائد بعثة الأنبياء هي أن يكون الرسول أُسوة وقدوة يقتدي به سائر الناس ويتّبعونه، وآيات كقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[2] تبيّن هذا المعنى، وأكثر من ذلك، فإنّ الآيات الّتي تدلّ على أنّ الأنبياء أئمّة واضحة في أنّ حديث وعمل الأنبياء يجب أن يكون منهجاً يتّبعه الناس.

فالإمام يعني الشخص الّذي لابدّ من اتّباعه، وأنّ إبراهيم الخليل إنّما وصل إلى مقام الإمامة بعد الابتلاء بتلك الكلمات وإتمامها، فالإمام مقتدى ويقتدي به الناس، والآية الّتي تقول في حقّ الأنبياء ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[3] إذا كانت تقصد أنّ الأنبياء مبلّغون فقط للرسالة والوحي، لم يعد لإمامتهم معنى وتفسير.

وبناءاً على هذا فإنّ دور الأنبياء ووظيفتهم لا تنحصر ـ بالإبلاغ المحض للرسالة، بل يتحقّق دورهم بهذا المقدار. والآية ٢٠ من السورة ٣ تدلّ على مجرّد

---

١. سورة الأنفال، الآية ٢٠.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

٣. سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

البلاغ، فإنّ المراد من البلاغ فيها هو بيان كلّ التعاليم الدينية الّتي تتحقّق بالقرآن وتوضيحاته وبيان النبيّ، كما أنّ البلاغ في الآية ٩٩ من السورة ٥ أيضاً تدلّ على هذا المفاد، كما أنّ الآية ١٧ و١٩ من سوة «القيامة» لا تدّل أصلاً على هذا المعنى الّذي تذهب إليه هذه المجموعة الجالة، فما هو الربط بين كون القرآن «أحسن الحديث» وبين عدم الحاجة إلى السنّة الشريفة؟ فلا يصحّ استشهادهم بآية ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾[1] في سورة الزمر.

ومثل هذه الاستفادات من القرآن الكريم، غريبة وعجيبة، وكيف يستفاد من قوله تعالى: ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾[2] في سورة الجاثية، نفي اعتبار الحديث الشريف؟

وبطبيعة الحال، فانّ من لا يؤمن بآيات الله، لا يؤمن بحديث وأقوال النبيﷺ، لكن الإيمان بآيات الله، التكوينية والتشريعية لا تمنع من الإيمان بحديث النبيّ الأكرمﷺ كما أنّ الإيمان بالله لا يمنع من الايمان بالرسالة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾[3] في سورة الرحمن، فأيّ عاقل مستقيم

---

١. سورة الزمر، الآية ٢٣.

٢. سورة الجاثية، الآية ٦.

٣. سورة الرحمن، الآية ٢.

الفكر ـ يتمتّع بشيء قليل من العلم والدرك ـ يفهم منها عدم الحاجة إلى الحديث النبوي؟! أنا أتعجّب من مجموعة تتلهّى بمثل هذه المطالب الواهية وتضيع وقتها ووقت الناس الثمين.

وكذلك في خصوص قوله تعالى: ﴿اَلرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[1] وأنّها وإن كانت تدلّ على أنّ المعلّم للقرآن هو الله تعالى، ولكن النبيّ ﷺ أيضاً معلّم للقرآن ولكن في مراتب أنزل من مرتبة تعليم الله تعالى، وهكذا أساتذة القرآن والمفسّرون وحملة القرآن فهم معلّمون للقرآن ولكن بمراتب مختلفة، فكذلك الحديث والتفسير والتاريخ والعلم أيضاً تعلّم القرآن، وأنتم أيضاً يمكنكم تعليم القرآن، وهذا لا ينافي كون المعلّم الأصلي للقرآن الكريم هو الله سبحانه وتعالى.

فكلّ مدّعيات هذه الجماعة تدلّ على قلّة اطّلاعاتهم وعلمهم ودركهم، وعلى هؤلاء إن كانوا صادقين في رغبتهم بتعلّم القرآن أن يراجعوا العلماء المختصّين بعلوم القرآن ويطرحوا أسئلتهم عليهم ليصلوا إلى منزل المعرفة بالله ورسوله والقرآن وأولياء الله. والله هو الهادي إلى الصواب.

تفسير الآية ٤٥ من سورة النور

س101: ما هو تفسير الآية ٤٥ من سورة النور في خصوص الحيوانات؟

---

١. سورة الرحمن، الآية ١ـ٢.

ج: الظاهر أنّ الآية ليست في مقام بيان أنواع مشي وحركة كلّ الحيوانات، وهذه الأصناف الأربعة الّتي ذكرت في الآية هي نماذج وأمثلة، والغرض هي جلب أنظار الناس إلى أنواع الحيوانات المتحرّكة، لا إلى تعداد تلك الحيوانات.

تفسير الآية ٤ من سورة الأحزاب

س102: ما هو المراد من الآية الشريفة في سورة الأحزاب والّتي جاء فيها ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[1] وهل لذلك ارتباط بحبّ الرجل لزوجته أم لا؟

ج: للوقوف على تفصيل معنى الآية، راجعوا إلى التفاسير المعروفة، ولكن أقول بنحو الإجمال: ذكرت معاني متعدّدة لهذه الآية نكتفي بذكر واحد منها.

ورد في تفسير «مجمع البيان» عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه وضّح معنى هذه الآية بأنّ الله لم يخلق لأحد قلبين يحبّ أولياء الله بأحدهما وأعداءه بالآخر.

والنتيجة هي أنّ للإنسان قلباً واحداً لا يجتمع فيه حبّان متضادّان، وليس من هذا القبيل حبّ الزوجتين أو الولدين أو الأُستاذين أو أكثر من ذلك. والله العالم.

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٤.

استفادة القرآن الكريم من ضمير الجمع بدل ضمير المفرد

س103: لماذا استفادة القرآن الكريم من ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كثير من الأحيان؟

ج: أحد أسباب ذلك هو اقتضاء الإشارة إلى عظمة المتكلّم في مقام بيان بعض المطالب حيث يكون ضمير الجمع هو أنسب للبلاغة والكلام بمقتضى الحال، لكي يتلقّى المخاطب المطلب كما ينبغي وكما يليق بعظمة المتكلّم، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾،[1] حيث إنّه بهذا التعبير المشحون بالإعجاز والمتضمّن لخمس ضمائر جمع قد بيّن حفظ القرآن الكريم بالحفظ الإلهي، ولم يكن بالإمكان بيان هذا المعنى اللطيف بمثل القول «إنّي نزّلت الذكر وإنّي له لحافظ».

والنقطة الثانية هي أنّ بعض الأفعال الإلهية تؤدّيها الملائكة. والّتي لا يعرف عددها إلّا الله ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾،[2] فتكون الملائكة المدبّرات أو المقسّمات وغيرهما واسطة لتحقّق الإرادة الإلهية في الأفعال، ولكي يدلّ اللفظ على أنّ هذا العمل تمّ بواسطة عدد من الملائكة استفاد القرآن من ضمير الجمع

---

١. سورة الحجر، الآية ٩.

٢. سورة المدّثّر، الآية ٣١.

بدل ضمير المفرد في خصوص المتكلّم، مثاله في حياتنا العادية ـ مع الفارق في الشبه ـ مدير مصنع ومؤسّسة تكون كلّ منتوجات المصنع منسوبة إليه بواسطة أو بدون واسطة، فيقول: قمنا بكذا وكذا وانتجنا كذا وكذا.

وأحياناً يكون الخطاب بلغة المتكلّم المفرد في خصوص الأفعال الّتي تصدر بعناية خاصّة منه تعالى بلا توسّط شيء من خلقه، فيدفع احتمال دخالة شيء آخر، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ**﴾[1] حيث إنّ استعمال ضمير المتكلّم بغير لغة المفرد يكون منافياً للمقصود. والله العالم.

ما هو المراد من خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام

س104: جاء في الآية ۴ من سورة «الحديد» المباركة أنّ الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، مع أنّ مقتضى الحال هو عدم وجود وحدة زمنية قبل خلق السماوات والأرض، لأنّ اليوم والليلة إنّما وجدا بعد خلق الشمس والأرض، فنرجو منكم بيان هذا المطلب.

ج: إنّ كلمة «اليوم» وإن كانت تستعمل بمعنى زمن شروق الشمس على الأرض وإنّها ضدّ «الليل» ولكن مفهومها أوسع من ذلك.

---

١. سورة القصص، الآيه ٣٠.

ففي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكلمات الأُدباء والشعراء، العرب والعجم، استعمل كلمة اليوم في معاني أُخرى، وإن كان القاسم المشترك بينها هو الزمن.

فتارة يقال «اليوم» ويقصد منه الزمن ما بين طلوع الشمس وغروبها، وتارة تطلق ويراد منها مدة زمن واقعة من الوقائع، ومدّة حكومة من الحكومات، أو عصر من الاعصار، أو عمر إنسانٍ أو فترة شباب أو شيخوخة أو دورة سيادة وعزّ ورخاء أو ضرّاء لشعب أو أُمّة، وقد يقال اليوم وغد ويراد بها الدنيا والآخرة.

يقول «الأعشى»:

شَتَّانَ مَا يَوْمى عَلَى كُورِها وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخى جابر

حيث يعبّر عن مدّة عمره بـ«يوم» حتّى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد استشهد بهذا البيت في «الخطبة الشقشقية» ومراده دوران من أدوار الحياة المرتبطة به عليه السلام.

وبعد هذا التوضيح المختصر، يعلم أنّ المراد في «ستّة أيّام» في الآية الشريفة من سورة «الحديد» المباركة، وكذلك في سورة «الأعراف» الآية ٥٤، هو إشارة إلى ستّة مراحل تصوّرت السماوات والأرض فيها بصورتها المعروفة، وهذا يعني عدم خلق السماوات والأرض في دفعة واحدة وإنّما اقتضت الإرادة والحكمة الإلهية للباري عزّ وجلّ أن يتمّ الخلق تدريجيّاً، كما أنّ أكثر الموجودات

في عالم الخلقة قد وجدت تدريجياً، فمثلاً الأحجار والمعادن بعضها بأقلّ من سنة واحدة وبعضها أقلّ من شهر وهكذا.

فالسماوات والأرض وجدتا طبقاً للآية في ستّة أيّام وستّة مراحل وستّة تحوّلات، وهاتان الآيتان من عجائب الآيات والمعاجز القرانية وأنّ التدبّر والتأمّل في معاني هذه الآيات يزيد في قوّة الايمان بالله تعالى وبالوحي ورسالة خاتم الأنبياء والرسل محمّد بن عبد الله ﷺ. والله العالم.

ما هو المراد من «العرش» في قوله تعالى: «اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»

س105: ما هو المراد من العرش في قوله تعالى: ﴿اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1]؟ وما هو المراد من الاستواء على العرش؟ ولماذا جاء بعض ألفاظ القرآن بصيغة ضمير الجمع مع أنّ القرآن، كلام الله سبحانه وتعالى؟

ج: إنّ هذا التعبير كناية عن قدرة الله تعالى وهيمنته على كلّ الموجودات بنسبة متساوية. وأمّا فيما يرتبط بضمير المتكلّم بصيغة الجمع فإنّ ذلك للتعظيم، فكما يكون التعظيم للمخاطب بأن يؤتى بصيغة الجمع فكذلك التعظيم للمتكلّم.

---

١. سورة طه، الآية ٥.

ما هو المراد من تبدّل الأرض والسماوات في القيامة

س106: يقول تعالى في كتابه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[1] فإذا كان كذلك فما هو حال الأرض الّتي نعيش عليها، فقد ورد في سورة «الزلزال» أنّ الأرض تحضر وتشهد علينا وعلى أعمالنا في عالم الدنيا، فهل يحشر الناس يوم القيامة من نفس الأرض الّتي عاشوا عليها أم من غيرها (إذ ورد في آيات القرآن الكريم أنّ الأرض والسماوات والنجوم والبحار كلّها تفنى وتتغيّر)؟

ج: قد تكون هذه الآيات الشريفة من المتشابهات الّتي يظهر تأويلها في وقتها. وما يمكننا أن نقوله هنا بنحو الجزم واليقين هو أنّه لا تنافي بين هذه الآيات أبداً، وذلك:

أوّلاً: قد يكون المراد من تبدّل الأرض والسماوات هذه شكلها وهيئتها الحالية، كأن تتغيّر الجبال والأنهار والبحار وتتبدّل حركة النجوم و... .

ثانياً: يمكن أن يحشر الناس من هذه الأرض في بداية يوم القيامة فيقع الحشر عليها، ثم تقع تحوّلات وتبدّلات أثناء يوم القيامة الّذي يستمرّ خمسين ألف سنة بنحو تدريجي لا دفعي.

---

١. سورة إبراهيم، الآية ٤٨.

وعلى أيّ حال، فإنّ المتيقّن هو عدم وجود تنافي وتضادّ بين هذه الآيات، ولو فرضنا أنّ شخصاً ظنّ وجود التنافي والتضادّ بينها، فإنّه يمكن رفع هذا التضادّ المتصوّر من خلال التأمّل في تلك الآيات الشريفة، ولكنّ الّذي يمكن قبول حجّيته في تفسيرها وتأويلها، منحصر في ما ورد عن أهل بيت العصمة والطهارة ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾.[1]

العناية الخاصّة بالقرآن الكريم

س107: جاء في سورة الحجر المباركة، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[2] فلماذا لا يتمّ حفظ الكتب السماوية الأُخرى مثل التوراة والإنجيل وهي كلام الله أيضاً لكي لا يتمّ تحريفها من قبل اليهود والنصارى؟

ج: قد تكون هذه العناية الخاصّة بالقرآن الكريم من جهة كون الإسلام خاتماً للديانات ولا نبوّة ولا رسالة بعده، لذا فقد تعهّد عزّ وجلّ بحفظ هذا الكتاب من التأثّر بحوادث الزمان وقرصنة أهل الطغيان، كي لا تنقطع خيوط الهداية الإلهية ولكي يبقى القرآن ـ وهو المعجزة الباقية الخالدة والدليل على صحّة النبوّة الخاتمة ونبوّة كلّ الأنبياء ـ إلى حين انقراض العالم.

---

١. سورة آل عمران، الآية ٧.

٢. سورة الحجر، الآية ٩.

تفسير آية «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»

س108: ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، فما هو ارتباط ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع مدّة حكومة بني أُميّة؟ (إذ لا مجال للمقايسة بين فضل ليلة القدر وبين حكومة جور بني أُميّة الّتي استمرّت ألف شهر).

ج: ليس في الآية الشريفة ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1] دلالة على الارتباط بين ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحكومة بني أُميّة، وإنّما ورد فقط في بعض التفاسير أو المستفاد من هذه الآية هو أفضلية ليلة القدر على ألف شهر من حكومة بني أُميّة الّذين رآهم النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه يسيطرون على أُمور المسلمين وقد اغتمّ لذلك كثيراً صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا لا يعني وجود خير في حكومة بني أُميّة، أو أنّ ما فيها من خير يقاس بخير ليلة القدر، بل هو مثل أن يقال: العدل خير من الظلم، وأنّ العلم خير من الجهل، وأنّ الصدق أفضل من الكذب وأنّ مصير الصالحين أفضل من مصير الأشقياء وهكذا. فالغرض من هذه العبارات هو بيان مطلوبية العدل والعلم والصدق وحسن العاقبة والتشويق إلى الاتّصاف بهذه الأوصاف، ولا تدلّ أبداً

---

١. سورة القدر، الآية ٣.

على وجود خير في الكذب أو الجهل أو الظلم ومثل هـذه الآيـة مـا ورد في نفـس القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْـخُلْدِ**﴾،[1] والّتـي يـراد منهـا: هل أنّ نار جهنّم أفضل أم جنّة الخلد؟! فلا يستفاد منهـا أنّ في جهـنم مقـام خـير وأنّها تقاس بالجنّة، بل المستفاد وضوح أفضلية الجنّة بلا أدنـى شـكّ، ومثـل هـذه الاستعمالات واردة وكثيرة في أشعار وآثار الأُدباء والشعراء من العرب والعجم.

أضف إلى ذلك، أنّ المقام مقامُ تسلية للنبيّ ﷺ ورفع الغمّ والهـمّ عنـه، ومـن المعروف أنّ الّذي يرفع الهمّ والغمّ عنه ـ صلوات الله عليه ـ هـو حيثيـات الخـير والبركات المعنوية، ومن هنا يمكن القول بأنّ ليلة القدر هي ليلة تكـون العبـادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر، وهي مدّة تسلّط بني أُميّة على أُمور المسلمين.

أي إنّنا خصّصناك بهذا الفضل في مقابل تلك المغانم المادّية الموقّتة لبني أُميّـة، على أن يكون ذلك دائماً لك في سنة.

---

١. سورة الفرقان، الآية ١٥، بناءاً على أنّ الخير هنا خيرٌ تفضيلي لا المعنـي المعـروف للخـير ليكـون شاهداً علي المقام، ومن قبيل «**نيّة المؤمن خيرٌ من عمله**» وإن وجد فيها الاحـتمالات، لكـن هنـاك آيات أُخرى تصلح للاستشهاد بها مثل قوله تعالى: ﴿**فَـأْتِ بِخَـيْرٍ مِنْهَـا**﴾ (سـورة البقـرة، الآيـة ١٠٦) أو ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ (سورة البقرة، الآية ١٨٤) و ﴿**بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُـمْ**﴾ (سـورة آل عمران، الآية ١٥).

وعلى هذا، فإنّ الآية جعلت هذين الشيئين في قبال بعضهما البعض لمناسبة التضادّ الموجود بينهما، لأنّ النبيّ ﷺ وأهل بيته الأطهار يتطلّعون إلى العزّ الخالد، ولأنّ بني أُميّة يقنعون بالحكومة والاستعمار والاستثمار الموقّت الزائل.

وبعبارة أُخرى، فإنّه لا شكّ في أنّ أهمّ شيء عند طلّاب الدنيا هو الحكومة والسلطة فإنّها محبّبة لقلوبهم بكلّ صورها ومظاهرها القويّة والضعيفة وهي غاية أملهم وأمل أهل الجاه وطلّاب جيفة الدنيا.

فليس شيء أهمّ وأفضل عند هؤلاء من التسلّط المطلق والديكتاتورية واستبداد مائة سنة على العالم الإسلامي، تلك الحكومة الّتي يمثّلها نظائر «زياد» و «الحجّاج» الّذين استبدّوا بالأُمور بكلّ وقاحة وصلافة منقطعة النظير.

فإذا ما أردنا أن نعظّم نعمة أُخروية ومعنوية ونقرّبها إلى الأذهان إلى حدّ إمكان تشبيه المعقول بالمحسوس، وإذا ما أردنا أن نحقّر لذّة تلك القدرة والاستبداد والظلم والجور في حكومة بني أُميّة بكلّ ما فيها من تجمّلات وزخارف، فإنّ أفضل وأوقع جملة أثراً لبيان ذلك هي قوله تعالى: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾، فإنّها تبيّن عظمة ليلة القدر من جهة وتثبّت حقارة حكومة بني أُميّة في قبال تلك الذخائر المعنوية لأهل الحقّ، فليلة واحدة أفضل وخير من كلّ تلك المدّة المديدة والالتذاذ الماديّ فيها. فإن قلت: فلماذا اغتمّ الرسول ﷺ؟

قلنا: اغتمّ واهتمّ لاحقاً، بعدما عرف بأنّ بني أُميّة سيتسلّطون على رقاب الأُمّة ويرتقون منبره ويغصبون مقام الخلافة ويبدّلون الحكم الإسلامي إلى سلطنة ضلال فيحوّلون دون ارتقاء أفراد الأُمّة الإسلامية إلى مراتب، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يسلّي نبيّه الاكرمﷺ ويقول: إذا كان ذلك، فإنّني سأفتح طريقاً آخر للمسلمين لطيّ مراتب الكمال والإسراع في الوصول إلى مقام كسب الفضائل وإصلاح الأحوال، فقد منحتهم فرصة أُخرى وهي ليلة القدر ليتمكّنوا من خلال ليلة واحدة أن يكسبوا فضيلة العبادة والطاعة لمدّة ألف شهر ليس فيها ليلة قدر.

وأمّا ارتباط هذه السورة بالولاية، فهو من جهة قوله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾،[1] فإنّ نزول الملائكة في ليلة القدر في زمن الرسولﷺ إنّما يكون على رسول اللهﷺ، وأمّا بعد رحيل رسول اللهﷺ ولأنّ هذا النزول مستمرّ لا ينقطع، فإنّها تنزل على أوصياء رسول اللهﷺ واحداً بعد الآخر، وهذا ما تدلّ عليه بعض الروايات، مضافاً إلى ذلك فإنّ ورد في الحديث أنّ «الروح» هي غير جبرئيل بل هي أعظم من جبرئيل وميكائيل.

---

١. سورة القدر، الآية ٤.

معنى الانتظار في حقّ الله تعالى

س109: ورد في القرآن المجيد قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[1] فما معنى الانتظار في حقّ الله تعالى؟ وكيف تمّ تعيين سور القرآن الكريم؟

ج: معنى الانتظار هو نفس المعنى المتعارف عندنا، لكنّه في مورد البارئ عزّ وجلّ يعني بحسب الظاهر: إنّنا نصبر حتّى يتّضح لكم الأمر، لأنّ الله عزّ وجلّ عالم بعواقب الأُمور منذ البداية.

وأمّا أسماء السور فقد تمّ تعيينها في صدر الإسلام من قبل رسول الله ﷺ.

ما هو المراد من «ملكوت السماوات» و «الملكوت الأعلى»

س110: ما هو المراد من «ملكوت السماوات» و «الملكوت الأعلى»؟

ج: ذكرت معانٍ مختلفة للملكوت، من بينها أنّها بمعنى «الملك» و «العزّ» و «السلطنة»، ويمكن أن يكون المراد من ملكوت السماوات والأرض هو السلطنة عليهما ومالكيّتهما، أو الآيات العظيمة في السماوات والأرض، وجنود الله الغيبيّة.

والمعنى الآخر هو أنّ ملكوت السماوات والأرض يعني آيات القدرة الإلهية في السماوات والأرض، وأمّا الملكوت الأعلى فهو كناية عن جوار رحمة الحقّ.

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٥٨؛ سورة هود، الآية ١٢٢.

علّة ابتلاء الشيطان بالمعصية

س111: يقال بأنّ الملائكة ـ وطبقاً لماهيّتهم ـ ليس فيهم إمكان المعصية، فلماذا ابتلي الشيطان بالمعصية ولم يطع الأمر الإلهي؟

ج: ما قيل من أنّ الملائكة مسلوبي الإرادة والاختيار، مخالف لظاهر الآيات القرآنية الشريفة، وما توجّه الأمر والنهي إليهم إلّا دليلٌ على امتلاكهم الارادة والاختيار، وهو ما يستفاد من ظاهر قوله تعالى: ﴿**لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾،[1] ولا يقومون بوظائفهم وشؤونهم قسراً وبلا إرادة.

وأمّا الشيطان، فإنّه وبحسب ما جاء في القرآن المجيد، ليس من جنس الملائكة ﴿**كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾.[2] والله العالم.

الآية ٢ من سورة الفتح وعصمة النبيّ الأكرمﷺ

س112: ألا يوجد تنافٍ بين قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾،[3] وبين عصمة النبيّ الأكرمﷺ؟

---

١. سورة التحريم، ٦.

٢. سورة الكهف، الآية ٥٠.

٣. سورة الفتح، الآية ٢.

ج: ذكر العلماء عدّة تفاسير لهذه الآية الشريفة، وأمثالها، وفيما يرتبط بهذه الآية بالخصوص فانّي أتصوّر بأنّ «لام» التعليل في ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ﴾ هي لإفادة تعظيم رسول الله ﷺ فإنّه من الواضح بأنّ الفتح المبين ليس سبباً لمغفرة الذنوب والمعاصي، ولا يزيل الفتح المبين آثار الذنوب وكفران النعم. فالفتح والنصر وإعطاء النعم، إنّما هو تقدير وشكر وجزاء لا أنّه وسيلة لمحو الذنوب والمعاصي.

وبناءاً على ذلك، لابدّ من القول بأنّ المراد من «الذنب» في هذه الآية، هو المصاعب والمشكلات الّتي عانى وسيعاني منها رسول الله ﷺ في طريق نشر الرسالة والدعوة إلى الحقّ وإعلاء كلمة الإسلام، فبهذا الفتح ارتفعت كلّ تلك المصاعب والعقبات من هذا الطريق.

والشاهد على هذا المعنى هو ما يستفاد من كلمات أهل اللغة بانّ «الذنب» هو تالي الشيء وعاقبته السيّئة.

وبعبارة أُخرى، كلّ أمرٍ وعمل له عواقب سيّئة وصعبة والّذي يراد منه هنا هو مؤامرات الكفّار ومعارضتهم في الماضي والحاضر والمستقبل للإسلام ولرسول الله ﷺ بالخصوص.

فالغفران هو الصيانة من سوء عواقب الأُمور، ومصونية الرسول ﷺ والدين والدعوة النبويّة المحمدية من مخطّطات ومؤامرات أعدائه ومخالفيه. وهذا المعنى هو المناسب للفتح المبين وهو الّذي يُطمئنُ الرسول ﷺ وأمّته على مستقبل الرسالة. والله العالم.

فضل القرآن الكريم على التوراة والإنجيل

س113: ما هو فضل القرآن الكريم على التوراة والإنجيل؟

ج: يمتاز القرآن المجيد على التوراة والإنجيل بامتيازات عديدة، من جملتها أنّه ناسخ للتوراة والإنجيل.

المراد من «السماوات والأرضين السبع»

س114: ما هو المراد من «السماوات والأرضين السبع»؟

ج: قد يكون المراد هو طبقات الكرات وطبقات الأرض بحسب القرب أو البعد، أو بحسب إعتبارات أُخرى وإن كانت معرفة مثل هذه الأُمور ليست ضرورية وما يلزم معرفته هو معارف الدين وفروعه. والله العالم.

عالم الذرّ

س115: ما هو رأيكم بعالم الذرّ؟

ج: بحسب ما جاء في بعض التفاسير فإنّ بعض الآيات القرآنية قد فسّرت بهذا العالم، كما أنّ ظاهر بعض هذه الآيات تدلّ على عالمٍ خاصّ للإنسان سابق لهذا العالم.

ومن جملة هذه الآيات هو الآية المشهورة والمعروفة وهي قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.[1]

وقد اختلفت الانظار في تفسير هذه الآية، حتى أنّ بعض الأكابر من العلماء فسّرها بأنّها شهادة خلقة الإنسان على وجود الخالق، كشهادة كلّ صنعة وبناء على وجود الصانع والبنّاء، أو أنّها شهادة الفطرة والإقرار الفطري بوجود الله تعالى، وهو رفعٌ لليد عن ظاهر الآية، ولكنّ أصحاب هذا الرأي يقولون بانّ رفع اليد عن ظاهرها هنا مستند إلى قرينة عقلية بحسب ادّعائهم.

والبعض الآخر منهم حفظ ظاهر الآية وأقرّ بدلالتها الظاهرية على عالم سابق للإنسان، ولكنّهم اختلفوا فيما بينهم في التفاصيل باعتبار مفردات الآية وإعرابها ولم يبدو رأياً قاطعاً تحاشياً لتجاوز ما ورد في ظاهر الروايات المعتبرة.

وعلى أيّ حال، فإنّ الرأي المعروف بين المحدّثين وجمع من علماء التفسير هو قبول «عالم الذرّ» بنحو الإجمال.

ومن جملة الآيات الّتي يمكن تفسيرها بهذه المعاني «عالم الذرّ» ووجود عوالم سابقة على عالم الدنيا، هو قوله تعالى في سورة البقرة المباركة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

**صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[1]

فهذه الآيات تدلُّ على وجود مسمّيات علّم الله آدم أسماءها ويبدو أنّ مسمّيات تلك الأسماء كانت موجودة وعلى مرأى ومسمع الملائكة وإليها صارت الاشارة.

والمستفاد من الآيات هو أنّ هذا المعنى كان غيبيّاً ويرتبط بغيب السماوات والأرض، وفسّرت هذه المسمّيات في الروايات بأشباح الرسول الأكرمﷺ والأئمّة الطاهرينعليهم السلام بل وبكثير من خواصّ عباد الله وذوي الدرجات الرفيعة كما فسرّت أيضاً بالبارزين من أعداء الله وبتفاسير أُخرى.

ومن جملة الآيات الشريفة في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾،[2] فالمستفاد من هذه الآية هو أنّ مسألة أخذ الميثاق

---

١. سورة البقرة، الآية ٣١ـ٣٣.

٢. سورة آل عمران، الآية ٨١.

على نبوّة خاتم الأنبياء محمّدﷺ قد تمّت في صقع خاصّ وأجواء مميّزة، وإن كان تصوّر تلك الأجواء صعباً مستصعباً علينا إن لم يكن محالاً.

كما أنّ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾[1] يدلّ بظاهره على الميثاق من الأنبياء على نبوّة نبيّنا الأكرمﷺ.

والحاصل، إنّ هذه الآيات قد فسّرت بعالم الذرّ وعالم أخذ الميثاق.

ومضافاً إلى ذلك، فإنّ الروايات المتواترة تدلّ على هذا العالم، وهذا الإشهاد والحضور والشهادة وأخذ الميثاق، وإذا ما شئتم الاطّلاع على هذه الروايات وعلى آراء العلماء فيها، يمكنكم مراجعة كتاب «بحار الأنوار» الشريف، الجزء ٣، باب١١(الدين الحنيف والفطرة وصبغة الله والتعريف في الميثاق) ويشمل على ٢٢ حديثاً، الجزء الخامس، الباب ١٠ (الطينة والميثاق)، ويشتمل على ٦٧ حديثاً، الجزء ٥٨، الباب ٤٣ (في خلق الأرواح قبل الأجساد، ويشتمل على ٣٠ حديثاً). ولابدّ من التنبيه هنا، على أنّنا حينما قلنا الروايات المتواترة، لم نكن نقصد التواتر اللفظي التفصيلي، بل مقصودنا من التواتر هو التواتر اللفظي الإجمالي الّذي من خلاله يحصل القطع بصدور إحداها، لكثرة تلك الروايات، وهو أيضاً تواتر

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٧.

معنويّ فيحصل من مجموع تلك الروايات العلم بعالم الذرّ ووجود سابقة خاصّة لكلّ بني آدم أو بأفراد معيّنين منهم ومخصوصين ببعض الخواصّ، بالضبط مثل ما يحصل من النقولات الروائية الّتي تتحدّث عن سخاء حاتم الطائي فإنّه وإن لم يحصل العلم بتفاصيل ذلك السخاء ولا يكون تفاصيل سخائه متواترة، ولكنّ القدر الجامع لها وهو سخاء حاتم وجوده سيكون متواتراً معنويّاً ثابتاً.

ومن ثمّ، فإنّنا أيضاً لن نتبنّى رأياً وعقيدة أبعد من هذا الحدّ ولن نجزم بأكثر من هذا المقدار الإجمالي عن عالم «الذر» ابتعاداً عن الرأي والاستحسان، إذ أنّ البتّ النهائي والقطع بمثل هذه الأُمور الغيبية يجب أن يكون مستنداً فقط إلى النقل الثابت والمحكم والمتّصل بالمبدأ وبمقام العصمة.

ولذا فإنّنا نكتفي بهذا المقدار من الاعتقاد الإجمالي. وقد وردت إشكالات على هذا المعتقد بهذا الحدّ وردّت تلك الإشارات والشبهات فلا محذور في الاعتقاد بهذه القضية بهذه الحدود.

قراءة القرآن الكريم

وجوب تلفّظ كلمات القرآن الكريم بالعربية الصحيحة

س116: هل يجب مراعاة القواعد والحركات كالفتحة والكسرة والضمّة والتلفّظ الصحيح في تلاوة القرآن الكريم؟

ج: يجب تلفّظ كلمات القرآن الكريم بالعربية الصحيحة ومراعاة الحركات في حالة عدم الوقف. والله العالم.

القراءة المغلوطة للقرآن في جلسات تعليم القرآن الكريم

س117: هل يوجد إشكال شرعي في القراءة المغلوطة للقرآن في جلسات تعليم القرآن الكريم؟ وإذا صدر مثل هذا الخطأ غير المتعمّد ولأجل التعلّم فقط، فما هو حكمه؟

ج: لا إشكال في الخطأ السهوي في القراءة.

قراءة القرآن باللغة المحلّية

س118: ترجم القرآن إلى اللغات المختلفة، فإذا لم أتمكّن من قراءته بالعربية الصحيحة، فهل تجوز قراءته باللغة المحلّية أم أنّه يجب قراءته بالعربية؟

ج: إنّ قراءة ترجمة القرآن الكريم الصحيحة لا بأس بها وهي مطلوبة وتستتبع الأجر والثواب وتقرّب الشخص إلى حدّ ما إلى التعرّف على القرآن المجيد. ولكنّ بعض مراتب الأجر والثواب مختصّة بقراءة القرآن الكريم بنفس الألفاظ العربية. كما أنّ التراجم الموجودة للقرآن الكريم حتّى لو تمّت بدقّة واطّلاع، لكنّها ليست وافية بإيصال الحقائق العالية والمعاني الرفيعة لهذا الكتاب المقدّس، ولا تتمتّع بتلك النورانية والجاذبية والتأثير الموجودة في نفس القرآن بلغته الأصلية.

فالترجمة، مهما كانت أنيقة ودقيقة وبليغة، لا تتعدّى كونها كلام البشر المخلوقين، وأمّا القرآن الكريم فهو كلام الله الخالق. فيجب أن تعتبر الترجمة، المرقاة الأولى للصعود إلى المعارف الإلهية والحقائق غير المتناهية، وعلينا الاستمرار بالصعود إلى حدّ الإمكان.

جداول وأشكال هندسية مرسومة فى بعض طبعات القرآن الكريم

س119: نجد في بعض طبعات القرآن الكريم، جداول وأشكال هندسية مرسومة وفيها أعداد وأرقام وصفات الله تعالى مدعومة بروايات. فمثلاً أحد تلك الجداول يقول من قرأ وكتب هذا الجدول بكذا وكذا مرّة أو من نظر إلى هذه الأعداد والجداول فإنّ الله تعالى سيحميه ويحفظه ويغفر له ذنوبه و... إلى آخر هذه الادّعاءات، فهل أنّ هذا الكلام صحيح؟

ج: لا يمكن تأييد هذه الروايات بنحو كلّي.

كيفية ختم سورة الأنعام

س120: وردت بعض الطرق والكيفيات لختم سور القرآن الكريم مثل «ختم سورة الأنعام» بشكل وكيفية خاصّة، فهل أنّ هذا مستند وصحيح؟

ج: راجعوا الكتب المكتوبة في باب الأختام.

تقليد أصوات وألحان قرّاء القرآن الكريم الّذين لا يتّبعون مذهب أهل البيت عليهم السلام

س121: ما هو حكم فقه أهل البيت في تقليد أصوات وألحان قرّاء القرآن الكريم الّذين لا يتّبعون مذهب أهل البيت عليهم السلام ولا يعتقدون بولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام ويختمون القراءة بقول «صدق الله العظيم».

ج: إذا لم تكن تلك الطريقة والكيفية مشتملة على الغناء، فلا إشكال فيها، ولكن ينبغي عليهم قول «صدق الله العليّ العظيم» وإصرار الآخرين على ترك اسم «العليّ» مع أنّ هذا اللفظ ورد في القرآن الكريم ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾،[1] يعدّ إعراضاً عن القرآن المجيد، كما أنّ «عليّ» و «عظيم» من أسماء الله الحسنى.

حكم التواشيح مع الغناء

س122: ما هو حكم «التواشيح»؟ وفي بعض التواشيح يستفاد من بعض الآيات القرآنية على نحو النشيد وحتّى الغناء؟

ج: إذا قرئت بنحو الغناء فهي محرّمة، وإلّا فلا إشكال فيها.

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

الاستخارة القرآنية بواسطة جهاز الحاسوب

س123: نرجو بيان رأيكم المبارك في الاستخارة القرآنية بواسطة جهاز الحاسوب (الكمبيوتر).

(طريقة الاستخارة بالحاسوب هي أن يبرمج الجهاز برمجة خاصّة، وبعد أن ينوي الشخص للاستخارة يضغط على مفتاح الانتخاب فينتخب الجهاز له آية من القرآن بحسب الصدفة مع بيان اسم السورة ورقم الآية وكونها جيّدة أو غير جيّدة بحسب ما أعدّ مسبقاً من تعيين الجيّد وغيره من قبل أحد العلماء.

ج: أنا لا أستخير أبداً بهذه الكيفية.

موارد الاستخارة والعمل بالاستخارة

س124: هل أنّ الاستخارة مشروعة في كلّ الموارد بلا استثناء أم أنّها في موارد خاّصة، فمثلاً هل تشرع الاستخارة في مثل الطلاق؟ وإذا ترك الشخص العمل بالاستخارة فما هو حكمه؟

ج: مورد الاستخارة هو الأُمور الّتي لا يكلّف الشخص فيها بالوجوب أو الحرمة أو الكراهة أو الاستحباب، فإنّ العمل الواجب أو العمل الحرام لا معنى للاستخارة عليه، وكذا لا داعي للاستخارة في المستحبّات أو المكروهات.

أجل، إذا كان للعمل المستحبّ عدّة مصاديق مثل الزواج مع هـذا الشـخص أو ذاك (أي انتخاب المصداق) وبعد التأمّل والتحقيق ومراعـاة المرجّحـات وفي حالة المساواة يستخير الشخص على تعيين المصداق.

وكذلك يجوز الاستخارة على الأُمور المباحة من أُمـور الـدنيا الّتـي لا يعلـم الشخص نفعها أو ضررها. بل يجوز لـه الاسـتخارة إذا احتمـل وجـود ضرر في ترك أمر مكروه أو فعل أمر مستحب.

ومع ذلك، يرجّح شرعاً الاستشارة ثمّ الإقدام وهو مستحبّ، كما أنّ القيام بعمـل مّا مستحبٌ بعد التوكّل والاعتماد على الله تعالى ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾.[1]

وفي الحالات الّتي تشرع فيها الاستخارة، إذا ترك الشخص العمل بمقتضـى الاستخارة، قد يندم الإنسان على الترك بل قد يتضرّر أحيانـاً، ولكـن علـى أيّ حال، فإنّه لا يجب شرعاً الالتزام بالعمل بالاستخارة.

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

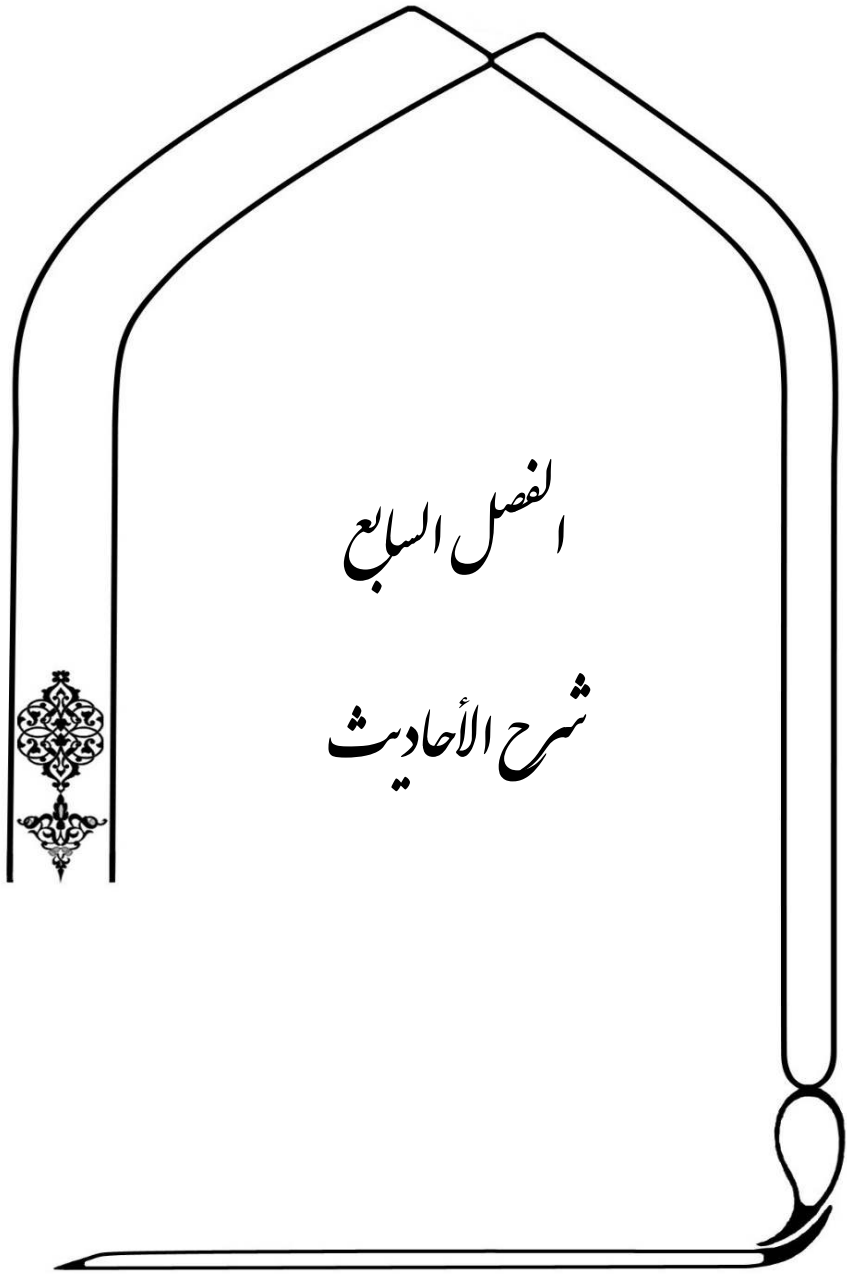

الفصل السابع

شرح الأحاديث

حديث الكنز

س125: ورد في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف»، فلماذا نهينا عن التفكّر في الله تعالى؟ وما هو طريق معرفة الله؟

ج: ليس لهذا الحديث سند معتبر. وليس المراد من معرفة الله ـ وهي الكمال الأشرف والأعلى لكلّ إنسان ـ معرفة حقيقة ذاته، إذ أنّ تلك المعرفة محالٌ عقلاً ونقلاً وباصطلاح علم الكلام فإنّ المحاط لا يكون محيطاً، وعليه فإنّ ما ورد من النهي في الأحاديث الشريفة هو هذه المعرفة، لعدم إمكان حصولها.[1]

---

١. ابن الأثير، النهاية، ج١، ص١٦٣؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج١، ص٢٩؛ نهج الفصاحة، ص٣٨٩.

فإذا كانت حقيقة أكثر أو كلّ المخلوقات خافية على البشر، ولم يهتد إلّا إلى معرفة خواصّها وآثارها، فكيف يمكنه الاهتداء إلى معرفة ودرك حقيقة الذات الربوبية القدسية فكلّما تفكّر البشر في الذات الإلهية لم يصل إلى نتيجة، وعليه أن يضمّ صوته إلى صوت النبيّ الأكرمﷺ ويقول: «**لا أُحصي ثناءاً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»،[1] و «**وما عبدناك حقّ عبادتك، وما عرفناك حقّ معرفتك**».[2]

إنّ معرفة الله يجب أن تتمّ من خلال معرفة صفاته وأسمائه الحسنى وآثار قدرته الّتي ظهرت في الكائنات، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾.[3] فلابدّ أن يكون التفكّر منصبّاً على وجودنا، أي على هذا الإنسان الّذي يعتبر أحد المخلوقات الصغيرة جدّاً بحسب الظاهر ومع كلّ هذه التحقيقات الّتي أُجريت طيلة قرون على عجائب هذا المخلوق الظاهرية والباطنية وعلى الأنظمة الّتي تتحكّم بجسده ووجوده، لا زال البشر مجهولاً عند نفسه، وهذا هو أحد المعاني التربوية والمعرفية للحديث الشريف: «**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**».[4]

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص٢٣.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص٢٣.

٣. سورة الذاريات، الآية ٢٠ـ٢١.

٤. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢.

فيجب معرفة الله من خلال آياته ومن خلال التفكّر في خلق السماوات والأرض والمنظومات والمجرّات والكواكب والفضاء والمخلوقات الحيّة البرّيّة والبحرية والهوائية، والّتي كما وصفها القرآن هي آيات لقوم يعقلون.

فكلّ ذلك، آيات وعلائم على جمال وجلال وكمال الحقّ وقدرته وعلم اللامتناهي.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾،[1] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾،[2] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾.[3]

طالعوا كتاب التكوين والخلقة الّذي لا يمكن شرح أسرار وعجائب أنظمة جانب صغير من جوانبه، بعشرات المجلّدات والكتب، لكي تقفوا على الحقيقة العظمى الّتي تتضمّنها هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾[4] وهذه الآية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾.[5] إنّ هذا النوع

---

١. سورة الطور، الآية ٣٥.

٢. سورة الواقعة، الآية ٥٨ـ٥٩.

٣. سورة الواقعة ، الآية ٦٣ـ٦٤.

٤. سورة لقمان، الآية ٢٧.

٥. سورة الكهف، الآية ١٠٩.

من التأمّل والتفكّر يقرّب الإنسان إلى المبدأ ويعلو بروحه إلى العوالم العلوية، ويملأ وجوده أملاً وشروقاً وعشقاً واشتياقاً وحبّا لصاحب هذه العوالم.

أسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعاً لطيّ وسبر هذا الطريق الّذي دلّنا عليه القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وأن يتقبّل منّا نظرنا في عالم النظر والتفكّر، وأن يشدّنا إلى النظر إلى كمال وجمال ملكوت الخلقة، لنشعر بأنّنا على الدوام في حضرة الحقّ تعالى. لنقرأ علمه وحكمته في هذا السفر التكويني الرائع المتجاوز كلّ المنظومات والأجرام. ونسأله أن يجعل لساننا في كلّ المناسبات والأحوال موافقاً للسان أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «**سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك، وما أصغر كلّ عظيمة في جنب قدرتك، وما أهول ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من سلطانك**».[1]

إنّ القلم قد ورد في مسلك لا ينتهي إلى نهاية حتّى لو كتب لسنين وقرون، ولذا فإنّي أتمثّل بهذين البيتين معبّرا عن عجزي وقصوري عن تصوير الحقائق كما ينبغي أن تصوّر:

ای برتر از خیال و قیاس و گمان و وهم — وز هرچه گفته‌اند و شنیدیم و خوانده‌ایم
مجلس تمام گشت و به آخر رسید عمر — ما همچنان در اوّل وصف تو مانده‌ایم

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩ (ص١٥٨ـ١٥٩).

كما أنّي أقرأ هذين البيتين لأُولئك الّذين عجزوا عن درك أسرار عالم التكوين والتشريع فخرجوا عن خطّ الرضا والتسليم ودلعوا ألسنة الاعتراض والإشكال:

زمين در جنب اين نه طاق خضرا چو خشخاشى بود بر روى دريا
تو خود بنگر از اين خشخاش چندى سزد گر بر بروت خود بخندى

وأتبرّك في الخاتمة بذكر كلام إعجازي لمولانا كشّاف الحقائق الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: «**يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرق إبرة لغطّاه، تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض**».[1]

كيف يمكن أن يكون الجدّ والهزل على حدّ سواء في النكاح والطلاق

س126: جاء في كتاب «نهج الفصاحة» (صفحة 260، الرواية 1254)، ونرجوا استنساخ هذه الرواية إلى رسالتنا هذه إليكم، كيف يمكن أن يكون الجدّ والهزل على حدّ سواء، قد يكون لذلك مصداق في الرجوع، ولكن في النكاح والطلاق الّذي يشترط فيه قصد الإنشاء والعدلين، كيف يصحّ هذا الكلام؟ نرجو بيان ذلك مفصّلاً.

---

١. الكليني، الكافي، ج١، ص٩٣؛ الصدوق، التوحيد، ص٤٥٥.

ج: إنّ كتاب «نهج الفصاحة» مأخوذ من مصادر معتبرة وأُخرى غير معتبرة، فلا يصحّ الاعتماد عليه في نقل الروايات، فلابدّ من دراسة سند كلّ رواية على حدة وأخذ المعتبر منها دون غيره.

ونفس رواية «**ثلاث جدّهنَّ**...» وبعد أن تفحّصنا كتب الشيعة على عجالة، لم نجد لها أثراً عندنا، نعم، وردت في بعض كتب أهل السنّة مثل «سنن أبي داود» و «سنن الترمذي» و «سنن ابن ماجة» نقلاً عن أبي هريرة، ويكفي في عدم الاعتماد عليها انتهاء سندها بأبي هريرة، الّذي يمكن الاطّلاع على شخصيته بمراجعة كتاب «شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي» من تأليفات «محمود أبو ريّة» وكتاب «أبو هريرة» للعلّامة الكبير السيّد شرف الدين.

وكما ذكرتم، فإنّ ألفاظ ومضمون هذا الحديث غريبة، بل هي بعيدة عن الاستقامة الفكرية ولا يمكن الاعتماد عليها. والله العالم.

صحّة بعض الأحاديث المشهورة على ألسن عامّة الناس

س127: بعد التحيّة والاحترام، هناك بعض المقولات مجهولة لي ولبعض الخطباء، أرجو من سماحتكم الإرشاد.

المطالب أدناه مشهورة على ألسن عامّة الناس فهل هي أحاديث عن المعصومين عليهم السلام؟ وإذا كانت أحاديث صحيحة السند، نرجو ذكر مصادرها ومعانيها الصحيحة.

1. «عليّ ممسوس في ذات الله».

2. «خلق الله آدم على صورته».

3. «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق».

۴. «الشريعة أقوالي، والطريقة أحوالي، والحقيقة حالي».

۵. قضيّة ابتلاء النبيّ أيّوب بمرض الجرب، والّتي نقلت فقط في تفسير القمّي، هل هي صحيحة أم لا؟

۶. ذكر «المحدّث النوري» في كتابه «نفس الرحمن» (ص 79) حديثاً بعنوان «حديث العشق» فهل أنّ رأيكم موافق لرأيه أم لا؟

7. هل أنّ للمرحوم المجلسيﷺ كتاباً باسم «تشويق السالكين» أم أنّ هذا الكتاب منسوب إليه؟

ج۱: الجواب عن اعتبار حديث «**عليّ ممسوس في ذات الله**»، روى هذا الحديث «الحافظ أبو نعيم الأصفهاني» في «حلية الأولياء»، عن «كعب بن عجرة»، عن أبيه، عن رسول اللهﷺ؛ ورواه «الهيثمي» في: «مجمع الزوائد»،[1] عن «الطبراني» في «المعجم الكبير» و «الأوسط»، عن «كعب بن عجرة» عن أبيه بهذا اللفظ: قال: قال رسول اللهﷺ: «**لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوس في ذات الله**».

---

۱. الهيثمي، مجمع الزوائد، ج۹، ص۱۳۰.

كما رواه «المناوي» من علماء أهل السنّة، في كتابه «كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق» عن «أبي نعيم الأصفهاني» ورواه العلّامة المجلسي ـ في «البحار» باب «كفر من سبّه أو تبرّأ منه» عن «أبي نعيم» ثمّ شرح هذا الحديث.[1]

وروى «أحمد» في «المسند»[2] عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**فوالله إنّه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله**»؛ وروي أيضاً بهذا اللفظ «**إنّ عليّاً لأخشن في ذات الله**»، وبديهيّ أنّ هذا الحديث هو غير الحديث الأوّل.

وأمّا عن طريق الشيعة وبحسب ما جاء في كتاب «إجازات البحار» للمولى نظام الدين السيّد أحمد بن السيّد محمّد المعصوم الحسيني ـ وهو من كبار العلماء وأبو العالم الجليل «السيّد علي خان» مؤلّف «رياض السالكين» و «سلافة العصر» ـ في إجازته للسيّد جمال الدين محمد بن السيّد عبد الحسين الحسيني البحراني ـ وهو أيضاً من مفاخر عالم العلم ـ فقد روى هذا الحديث مسنداً عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ: «**إنّ عليّاً ممسوسٌ في ذات الله**».

ومن المناسب في الخاتمة مع بيان سند هذا الحديث، أن نضيف مختصراً في شرحه فنقول:

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٩، ص٨٦.

٢. أحمد بن حنبل، مسند، ج٣، ص٨٦.

إنّ هذه الجملة، إشارة إلى مقام كمال إيمان أمير المؤمنين عليه السلام وتسليمه المطلق وذوبانه في ذات الله تعالى ونكرانه لنفسه في مجال الطاعة المحضة لأحكام الله تعالى، ذلك المقام الّذي يتصرّف في وجود صاحبه ويملك قلبه وإرادته ونيّته في مجال الامتثال للأوامر الإلهية والجهاد في سبيل الله وإقامة الحقّ والعدل، إلى درجة عدم الالتفات إلى أيّ شيء وأيّ شخص ما سوى الله.

وخلافاً لعامّة الناس فإنّه عليه السلام لا يتأثّر بالمؤثّرات الخارجية من قبيل الرغبات الشخصية وقصد المقام الاجتماعي أو الأغراض السياسية، ولا يتأثّر بالغضب الشخصي أو الراحة النفسية أو تشويق الآخرين أو ملامتهم وحبّ وبغض الناس ولا تأخذه في الله لومة لائم.

أجل، إنّ عليّاً عليه السلام هو الظهور الأكمل لقوله تعالى: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾،[1] ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾،[2] ﴿**لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**﴾.[3]

فلقد كان علي عليه السلام يجري أوامر الله ورسوله في كلّ المجالات بلا أيّ تردّد

---

١. سورة النساء، الآية ١٣٥.

٢. سورة المائدة، الآية ٥٤.

٣. سورة النور، الآية ٣٧.

وتخوّف، وكان في الغزوات وميادين الحروب يخترق الصفوف بلا خوف وبلا رغبة في زخارف الدنيا ومطامع الحياة، يستقبل المخاطر وكأنّه يفتقد إلى مخيّلة الاهتمام بهذه الأُمور أو التأمّل في عواقبها الخطيرة.

ففي حرب «مؤتة» استشهد «جعفر الطيّار» و «زيد بن حارثة» و «عبد الله بن رواحة» فرأى رسول الله ﷺ رؤيا يظهر من خلالها علوّ مقام «جعفر الطيّار» و «زيد» على مقام «عبد الله»، وما ذاك إلّا لجرأة هذين وإقدامهما وجسارتهما على خوض المخاطر، بخلاف عبد الله بن رواحة الّذي كان يتدمّل ولو للحظة في خوض القتال.

فهؤلاء الأشخاص الثلاثة استشهدوا في سبيل الله في معركة واحدة، وثلاثتهم ذو مقام رفيع ولكن ولأنّ الأوّلين قد أقدموا على القتال والخوص في لهوات الخطر فالممسوسية في ذات الله لها مثل هذه الخصوصية، فهي وإن كانت مرتبة كمال القوّة العقلانية ولكنّها في أنظار عامّة الناس الّذين يلاحظون الحسابات الدنيوية في أفعالهم الدينية والأُخروية، عبارة عن بَلَهٍ وحمق، مع أنّ كمال ورشد الإنسان الحقيقي هو في بلوغه هذه المرتبة والمقام.

ولقد وصل أمير المؤمنين ﷺ في هذا المضمار ـ وهو مرتبة كمال التفوّق وعلوّ منزلة الإنسان والملائكة والّذي يعبّر عنه بـ«ممسوس في ذات الله» ـ إلى أعلى

وأكمل مرتبة من مراتبه، ففي كلّ عمره وفي كلّ مواقفه السياسية والاجتماعيّة وفي كلّ حروبه وغزواته وفي كلّ أحواله وأزمانه وظروفه، كانت وجهته هي وجه الله ولم يكن يلحظ مصالحه الشخصية أو مصلحة ذويه وخاصّته. ومن جملة النتائج الّتي تركها جهاد أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه وغزواته وقتله لرؤوس الكفر والشرك هو ذلك الحقد الّذي وُلد في قلوب القبائل ضدّ عليّ عليه السلام وخاصّة بني أُميّة الّذين حقدوا عليه وعلى أهل بيته بأحقاد بدرية وأُحدية وحنينية و... والّتي تجسّد في الحقيقة حقدهم على انتصار الإسلام ودين التوحيد ونجاح رسول الله صلى الله عليه وآله في دعوته، وهذا الحقد ظهر بعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وصار سبباً مهمّاً في نزول تلك المصائب والنوائب على أهل البيت عليهم السلام ولكنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن من النوع الّذي يفضّل الدعة والراحة الشخصية والعيش الرغيد على مصلحة الإسلام وطاعة الأوامر الإلهية والعمل بأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله فلم تكن تلك الأُمور في حساباته أبداً في تلك المواقف.

ولم يكن الإمام عليّ عليه السلام متردّداً في مواجهة كلّ العالم في طريق أداء تكليفه الشرعي الإلهي، فحسابات عليّ عليه السلام هي غير هذه الحسابات الّتي يقال عنها: إنّها عقلائية ومحنّكة فعليّ عليه السلام ممسوس في ذات الله، فهو غافل عن هذه المحاسبات السياسية الدنيوية، فلو أنّه أراد أن ينهج مثل هذا النهج الخاطي «لما

قام عمودُ الإسلام»[1] باعتراف الجميع حتّى أعدائه ولم تكن راية التوحيد لتهتزّ عالية خفّاقة.

فالسلام عليك يا أمير المؤمنين ويا إمام الموحّدين ويا يعسوب الدين وعلى ابن عمّك وأخيك رسول الله وعلى أهل بيتك الطاهرين.

ج٢: وأمّا الجواب عن حديث «**إنّ الله خلق آدم على صورته**» فقد روى الصدوق﵀ في كتاب «التوحيد» بسنده عن الحسين بن خالد «قال: قلت للرضا﵇ يا ابن رسول الله إنّ الناس يروون أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله خلق آدم على صورته! فقال﵇: «**قاتلهم الله، لقد حذفوا أوّل الحديث، إنّ رسول الله ﷺ مرّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من شبهك، فقال ﷺ يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته**».[2]

وكذا روى عن أبي الورد بن ثمامة عن أمير المؤمنين﵇ أنّه قال: «**سمع النبيّ ﷺ رجلاً يقول لرجل: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال ﷺ: مه، لا تقل هذا فإنّ الله خلق آدم على صورته**».[3]

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٢، ص٨٢.

٢. الصدوق، التوحيد، ص ١٥٢ ـ ١٥٣، باب١٢، ح١١.

٣. الصدوق، التوحيد، ص ١٥٢، باب١٢، ح١٠.

قال الصدوق﵀: «**تركت المشبّهة من هذا الحديث أوّله وقالوا: إنّ الله خلق آدم على صورته، فضلّوا في معناه وأضلّوا**».[1] وروى الصدوق﵀ حديثاً آخر في تفسير هذه الجملة وقد ذكر العلّامة المجلسي﵀ بأنّه يؤوّل بتقدير عدم ذكر أوّل الحديث لتصحيح المعنى.

وذكر السيّد المرتضى﵀ في «تنزيه الأنبياء»، فصلاً مشبعاً في هذا الموضوع، يمكن الرجوع إليه.

ج٣: والجواب عن السؤال المتعلّق بـ«**الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق**»، فليس في بالي أنّي رأيت هذه العبارة في كتب الأحاديث المعتبرة، ولكنّ مضمونها يشير إلى كثرة الأدلّة على وجود الله تعالى وأنّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق. وفي الجملة هي إشارة إلى كثرة الطرق والدلائل الآفاقية والأنفسية وبالاصطلاح «البرهان الإنّي» على وجود الله تعالى، وقد تكرّر ذكر ذلك في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ* وَفِي أَنْفُسِكُمْ**﴾،[2] ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...**﴾،[3] ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ**

---

١. الصدوق، التوحيد، ص ١٥٢.

٢. سورة الذاريات، الآية ٢٠ـ٢١.

٣. سورة البقرة، الآية ١٦٤؛ سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾،[1] **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ...﴾**.[2]

لكن المسألة المهمّة هنا هي أنّ هذه الجملة لم تؤدّ حقّ المطلب كما ينبغي، وذلك لأنّ هذه الجملة سواء ذكرت بلفظ «أنفاس» الّذي هو جمع «نَفَس» بفتح الفاء، أو ذكرت بلفظ «نفوس» الّذي هو جمع «نَفس» بسكون الفاء، فإنّها ستحدّد عدد الطرق إلى الله بعدد معيّن، والحقّ أنّ عدد الطرق إلى الله لا يتحدّد بهذا المقدار، لأنّ عدد الطرق اليه تعالى لا ينحصر بالمخلوقات الحيّة وذي النفوس، فالجملة لم تشر إلى كلّ تلك الآيات الّتي لا تحصى في الأرض والسماء والّتي تعدُّ كلّها آيات وأدلّة وطرقاً إليه تعالى.

مضافاً إلى ذلك، فإنّه إذا كان المقصود من «الأنفاس» و «النفوس» هو نفسها، كان غيرها خارجاً عن الحساب، وهذا دليل على قصور كلام البشر عن درك وبيان هذه المعاني ـ مهما كان هذا الكلام موصلاً ـ والحقيقة هي ما قيل:

و إنّ قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفاً عن معانيه قاصر

ولو كان قد قيل «عدد الطرق إلى الله بعدد كلّ ما سواه من الآيات

---

١. سورة الكهف، الآية ١٠٩.

٢. سورة لقمان، الآية ٢٧.

والعجائب» لكان الكلام أكمل.

وعلى أيّ حال، لابدّ أن نعترف بانّ ألفاظنا قاصرة عن بيان هذه المعاني ـ مهما كان الأداء بليغاً ـ والبيان الكامل لهذه الحقيقة منحصر فقط بما جاء في القرآن الكريم، ومن بعده ما جاء في الأحاديث المعتبرة والأدعية الشريفة عن المعصومين عليهم السلام.

ج٤: وأمّا ما يرتبط بصحّة الخبر القائل «**الشريعة أقوالي، والطريقة أحوالي، والحقيقة حالي**»، فإنّه لا يمكن نسبة هذا الخبر إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وكما هو واضح من متن الحديث وألفاظه، فإنّ المستفاد من الآيات والأحاديث هو أنّ الشريعة كلّ الدين وكلّ ما أُوحي إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فإن أقواله صلى الله عليه وآله وأحواله هي مثل أفعاله، فهي طريقه أيضاً، وإنّ أقواله وأفعاله هي مثل أحواله حقيقية.

وبحدس قويّ، فإنّ هذا الخبر هو من مجعولات الصوفية. مضافاً إلى عدم روايته في أيّ واحد من الجوامع وكتب الحديث الشيعية والسنّية مثل «الكتب الأربعة» و «الصحاح الستّة»، بل ولم يرو هذا الحديث حتّى في كتاب «بحار الانوار» الّذي يضمّ أكثر من مائة مجلّد، والّذي اهتمّ فيه بجمع كلّ الأحاديث.

ومن الطبيعي، أنّ كثرة تداول هذه الأحاديث الّتي ليس لها مصدر موثّق، لا يوجب اعتبارها وجواز الاعتماد عليها.

ونظراً لنقل مثل هذا الخبر وأخبار أُخرى في ذلك الكتاب، فإنّ كبار علمائنا مثل «العلّامّة المجلسي» و «المحدّث البحراني» ونقلاً عن بعض مشايخهم وصفوا

هذا الكتاب بأنّه «يجمع بين الغثّ والسمين والصحيح والسقيم».

والطريف هنا هو أنّ محقّق كتاب، «عوالي اللئالي» ومع اهتمامه الشديد باستخراج مصادر ومآخذ رواياته، إلّا أنّه عندما يعجز عن العثور على مصدر معتبر لها ينسبها إلى كتاب «المستدرك» في حين أنّ نفس «المستدرك» ينقلها من كتاب «عوالي اللئالي»!!

وبهذا، نجد أنّ هذه الطائفة من أخبار «عوالي اللئالي» ليس لها مدرك ومأخذ معتبر، ومن جملة الأحاديث الّتي ينسبها محقّق الكتاب المحترم إلى «المستدرك» هو نفس هذا الخبر، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

ج٥: وأمّا ما يرتبط بصحّة الخبر الّذي يحكي تعفّن جسد النبيّ أيّوب ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ فأقول: لقد ردّ السيّد المرتضى﵀ هذا الموضوع بشكل قاطع في كتابه «تنزيه الأنبياء». وأمّا ما دلّ عليه من الأخبار فهي أخبار آحاد لا يعتمد عليها في المسائل الاعتقادية، هذا أوّلاً، وثانياً إذا كانت الأخبار منافية لحكم العقل فالمعتبر هو حكم العقل لا تلك الأخبار.

ومع كلّ ذلك يمكن القول: إنّ وقوع مثل هذا الاستثناء في مسألة النبوّات لا ينافي ضرورة حكم العقل بتنزيه الأنبياء عن الأمراض الّتي توجب نفرة الطباع ونقض الغرض من بعثتهم، وذلك لأنّ مثل هذه الحادثة تكون بلا شكّ مشتملة على أسرار وحكمة يعلمها الله تعالى.

إجمالاً، هناك سلسلة من الامتحانات والابتلاءات الّتي يمرّ بها بعض النـاس لابراز استعداداتهم وصبرهم وتحمّلهم للمصائب والشـدائد، وإظهـار مسـتوى تسليمهم ورضاهم بالقضاء الإلهي في ذلك الامتحان، وهذا ما نفهمه من تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾.[1]

وفي الجواب عن ما قيل من لزوم نقـض الغـرض، يمكـن القـول، بـأنّ هـذا الابتلاء الشديد لأحد أنبياء الله، والّذي يبيّن مدى عظمـة صـلاحية الأنبيـاء عليهم السلام بعد إثبات النبوّة بالمعجزات، لا يعدّ نقضاً للغرض من بعثهم، ففي نفس الوقت يكون ذلك ابتلاءاً وامتحاناً للأُمّة والناس بما يبيّن مدى قوّة اعتقـادهم وإيمانهـم بالنبوّة، خاصّة وأنّ نبّوة هذا النبيّ تتأكّد وتترسّخ أكثر عندما يرتفع ذلك الـبلاء وتظهر المعجزات.

أجل، قد يكون مثل ذلك الابتلاء نقضاً للغرض فيما لو كان قد حصـل قبـل إثبات النبوّة بالمعجزات وفي أوّل مراحل ثبوتها وحين تبليغ الرسالة، فـإنّ ذلـك سيكون مغايراً للحكمة من بعثة الأنبياء. فعدم التمكّن من تبليغ الرسالة في هذه الحال وبنحو موقّت ولغرض أهمّ لا يكون أبداً مخالفاً ومناقضـاً للغـرض بنحـو الإطلاق، بل هو في الحقيقة مرتبط بتحقّق الغرض بشكل كامـل، خاصّـة، وكـما

---

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.

أشرنا إلى ذلك فيما لو تقارن رجوعه إلى الحالة الطبيعية مع ظهور المعجزات الباهرات على قداسته وجلالة قدره عند الله تعالى.

ونتيجة الكلام هي أنّنا وإن لم نكن نعلم بتفاصيل قضيّة هذا النبيّ الكريم على الله، وحتّى لو لم ننف أو نثبت ما ورد في بعض الأخبار في تفاصيل قضيّته، لكنّنا نعلم إجمالاً ومن خلال الآيات القرآنية المجيدة، أهميّة الموضوع وشدّة الابتلاء وعظمة صبر هذا النبيّ، فإنّ مثل هذه التفاصيل تدلّ على مدى تحمّله وصبره، ولا يلزم أبداً نقض الغرض ومخالفة الحكمة من بعثته كما تقدّم، وهو العليّ الحكيم.

هذا وإنّي أعتقد في الجملة بشدّة هذا الابتلاء المنقطع النظير في نوعه، وبالحكمة والمصلحة الموجودة فيه، وأنّه من أعظم الدلائل على قابليّة الانسان وأشرفيته على كلّ المخلوقات الأُخرى.

ج٦: وأمّا ما يرتبط بالسؤال المتعلّق «بحديث العشق» الّذي ذكره المرحوم «المحدّث النوري» في «نفس الرحمان» فأقول: نعم، إنّ الاخبار الّتي أُشير إليها، مضافاً إلى أنّها مرسلة وبلا سند ولا تنتهي إلى الأئمّة عليهم السلام فإنّها غريبة من جهة المتن أيضاً، فعدُّها من جملة الأحاديث القدسية أمرٌ جزافٌ وخلاف الاعتبار.

والمطالب الّتي ذكرها «المحدّث النوري» هنا هي في غاية الاستحكام والمتانة، كما أنّي قد قدّمت بعض التوضيحات في الجواب عن بعض الأسئلة المرتبطة بالموضوع.

والعجيب هو أنّ أهل السنّة وعلى الرغم من إقبالهم الكبير على التصوّف بسبب ابتعادهم عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام لكنّهم لم يذكروا كلمة العشق ومشتقّاتها في جوامعهم ومسانيدهم مثل «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم»، «سنن الترمذي»، و «سنن ابن ماجة» و «سنن أبي داود»، و «سنن النسائي» (الصحاح الستّ) و «مسند الدارمي»، و «موطّا مالك». ماعدا ما ورد في «مسند أحمد» في رواية في ذمّ ترك الزواج عن أبي ذرّ الغفاري حيث وردت كلمة «عشق» في قصّة ذلك العابد الّذي عشق امرأة فجرّه عشقها إلى الكفر.

وأمّا في جوامعنا الحديثية الشريفة فيندر استعمال هذه الكلمة أو بعض مشتقّاتها.

ففي «من لا يحضره الفقيه» و «التهذيب» يوجد حديث واحد فقط في حديث حكاية القاضيين اللذين عشقا زوجة صاحبهما.

وفي «الاستبصار» لا نلحظ هذا اللفظ أبداً.

وفي «الكافي الشريف» وردت هذه اللفظة في ثلاث مواضع فقط، وفي موردين منها وردت بنحو الذمّ لصاحبها، في مورد واحد فقط، وفي رواية قال عنها في «مرآة العقول»: إنها ضعيفة، جاءت هذه اللفظة في مورد عشق العبادة وبصيغة الماضي «عَشَقَ».

وفي مثل موسوعة «البحار» فإنّنا نجد أنّ هذه اللفظة استعملت بندرة، وأكثر ما كان استعمالها هو في المعاني المذمومة مثل: عشق المرأة البذيئة نظير: عشق «ابن

ملجم» لـ«قطام»، وعشق «قدّار» عاقر ناقة صالح، أو عشق المرأة الأجنبيّة أو العشق للدوابّ والأموال، ولم يتجاوز استعمالها في الموارد الممدوحة عن الثلاثة أو الأربع موارد فقط.

والأهمّ من كلّ ذلك هو عدم استعمال هذه الكلمة في القرآن المجيد أبداً، مع أنّ استعمال كلمة الحبّ، المحبوب، الحبيب، والمحبّ، ومشتقّاتها قد استعملت كثيراً في القرآن والسنّة.

والخلاصة، فإنّ الغرض من هذه التوضيحات ليس البحث اللفظي وإنّما المقصود هو أنّ كلمة «العشق» لم تنسب إلى الله تعالى في كتاب الله المجيد والجوامع الروائية الكبيرة المعتبرة عند السنّة والشيعة، بل لم تستعمل ولا مرّة واحدة في مثل «بحار الأنوار»، كما أنّه لم يطلق لفظ «العاشق» أو «المعشوق» على الله تعالى، ولا على أولياء الله، ولم نجد في مجموعة الأدعية إطلاق لفظ «العاشق» أو «المعشوق» على الله تعالى أيضاً مع استعمال كلمة «حبّ الله» و «حبيب الله» و «محبوب» و «محبّ» كثيراً في الأدعية.

ومن هنا نفهم بأنّ مثل هذا الاستعمال لهذه الكلمة لبيان الارتباط المعنوي وقرب وحبّ العبد لله تعالى، استعمال غير وافٍ ولا كاف.

وبما أنّ شرط الأدب في استعمال الألفاظ في المعاني المرتبطة بقدس معاني الربوبية والألُوهية مثل الأسماء الحسنى، هو الاقتصار على الألفاظ الواردة في

الشرع وعلى لسان الشارع المقدّس والكتاب والسنّة. كان استعمال كلمة «العشق» في التعبير على الحبّ لله وإطلاق كلمة «المعشوق» على الله تعالى، وكلمة «العاشق» على العبد، مخالفاً للأدب، كما قال «الخواجة الطوسي» في إطلاق غير الاسماء الحسنى على ذات الحقّ القدسية: إنّها مخالفة للأدب، وممنوعة.

فالسرّ في مقبولية هذه الكلمة «العشق» عند بعض النفوس وتداولها على الألسن، هو أمرٌ آخر نعرض عن ذكره مراعاةً للاحتياط.

ج٧: وأمّا ما يرتبط بنسبة رسالة «تشويق السالكين» إلى العلّامة المجلسي ﷺ فنقول: إنّ صحّة نسبة هذه الرسالة إلى العالم الجليل الآخوند «الملّا محمّد تقيّ (المجلسي الأوّل)» بعيدة جدّاً، بل إنّ بطلانها قطعي.

فهذه الرسالة، مشتملة على مطالب مردودة وباطلة بإجماع أعاظم العلماء ومحدّثي الشيعة والإسلام والمتخصّصين في أُصول ومباني مذهب التشيّع من قبيل ابن هذا العَلم الجليل وهو النابغة الكبير ومفخرة عالم العلم والإسلام العلّامة المجلسي ﷺ، ومن جملة تلك المطالب المردودة.

١. تفسير ﴿**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1] بمعنى «أي ليعرفون» وهو تفسير بالرأي.

٢. تصديق صحّة سلاسل وطرق الصوفية والتجليل لمثل «الملّا الرّومي» و

---

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

«علاء الدولة السمناني» و «بايزيد البسطامي» و«محيي الدين» و «العطّار» و «الصوفية النوربخشية» و... ومن أراد الاطّلاع على أحوال هؤلاء يمكنه الرجوع إلى مثل «حديقة الشيعة» للمرحوم المقدّس الأردبيلي‌ﷺ وكتاب «الخيراتية» و «فضائح الصوفية» وكتاب «العرفان والتصوّف» وغيرها من الكتب.

٣. تصديق «الخانقاهات» وبدعة «الخرقة» الّتي يعتبرها ابن المرحوم المجلسي‌ﷺ من البدع والضلالات.

فنحن لا نرى في هذه السلسلات والطرق أحداً من أصحاب الأئمّة‌ﷺ، أمثال «محمّد بن مسلم»، «أبان بن تغلب»، «زرارة بن أعين» ومئات الشخصيات العلمية الّتي تربّت بلا واسطة عند مدرسة أهل البيت‌ﷺ ووصلت إلى مقامات علمية وعملية عالية.

كما أنّنا لا نرى أحداً من تلامذة هؤلاء العظام منذ عصر الغيبة والكليني وعصر الصدوق والشيخ المفيد والسيّدين والشيخ الطوسي إلى عصر المجلسي وعصر صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري وآية الله البروجردي وحتّى العصر الحاضر، قد انخرط في تلك الطرق والسلسلة، فكيف يمكننا أن نصدّق أنّ شخصية مثل «المجلسي الأوّل» ـ شارح لكتاب «من لا يحضره الفقيه» بالفارسية والعربية ـ قد مدح أُولئك الأفراد المذكورين في هذه الرسالة؟!

فالعلّامة المجلسي وهو أعرف الناس بحال والده المكرّم، يُبرِّء جدّاً والده من الميل إلى الصوفية. وبناءاً على ذلك، فإنّ هذه الرسالة وكما قال شيخنا العلّامة الفريد المعاصر صاحب كتاب «الذريعة» قد نسبت إلى المجلسي لا أنّها منه﵀ كما نسب كتاب آخر ذكر في هذه الرسالة باسم «مستند السالكين» إلى المجلسيّ الأوّل وليس منه﵀، كما صرّح بذلك صاحب الذريعة.

والأمر الرابع الّذي ينفي انتساب هذه الرسالة إلى المجلسي الأوّل هو اشتمالها على بعض الأحاديث الضعيفة والمجعولة ومن جملتها ما ورد عن سؤال أمير المؤمنين﵇ عن معنى التصوّف فقال: إنّ التصوّف مشتقّ من الصوف، وهو ثلاثة حروف (ص، و، ف) «فالصاد» الصبر والصدق والصفاء، و «الواو» الودّ والورد والوفاء، و «الفاء» الفقر والفرد والفناء، ويرد عليه أوّلاً أنّ هذا الخبر بلا سند ولا مأخذ ومرسلٌ، والّذي يقول عنه محقّق «عوالي اللئالي»: إنّه لم يجد هذا الخبر في مصدر على الرغم من كثرة بحثه، ويقيناً لا يوجد في مصدر معتبر.

و ثانياً: إنّ متن ومضمون هذا الخبر يدلّان بوضوح على جعله وكذبه، فالإنصاف أنّ هذا الكلام الهزيل والساذج لا يناسب مقام أمير المؤمنين﵇ صاحب خطب نهج البلاغة المحكمة في التوحيد والمعارف الحقيقية اليقينية، فهذه النسبة تعدُّ إهانة لمقام أمير المؤمنين﵇ الرفيع المقدّس.

فمن الطبيعي أنّ كلّ إنسان يعرف بإمكان تفسير كلّ كلمة حسنة أو بذيئة بحسب حروفها إلى معاني كثيرة بحسب الأهواء والأذواق، ويمكن تفسير الكلمة البذيئة بحسب حروفها بمعاني جميلة ومتعدّدة ومضادّة لنفس الكلمة، كما يمكن تفسير الكلمة الحسنة بمعاني قبيحة وبذيئة ومتعدّدة، باعتبار حروفها.

فيمكن تفسير نفس كلمة: «التصوّف» بمعاني أُخرى، فمثلاً يمكن القول بأنّ «الصاد» صنم وصبّ وصدع وصداع وصيحة و...، وأنّ «الواو» ويلٌ وباءٌ، ووثنٌ، ووجع، وورمٌ، ووزغ و...، وأنّ «الفاء» فساد، وفتنة، وفحش وفجيع وفرعون و... .

ومن جملة هذه الأحاديث الضعيفة ـ الّتي يدلّ نقلها في هذه الرسالة على عدم صحّة نسبتها إلى المجلسي الأوّل ـ خبر «الخرقة» والّذي نقله «عوالي اللئالي» في المجلد الرابع، الحديث ٢٢٤، ويكفي في ضعفه ما قاله محقّق العوالي من أنّه بعد فحصه الكبير الشديد وجهده الجهيد وسيره في الكتب والدفاتر في الليالي والأيّام وتحمّله المشقّات الّتي لا تتحمّل عادة، لم يعثر على هذا الحديث وأمثاله في الكتب المعتمدة عند الأصحاب ولعلّه من مخترعات وأكاذيب بعض المتصوّفة.

ثمّ ينقل المحقّق كلاماً متيناً جدّاً عن العلّامة المجلسي ـ ﷺ في عذره عن نقل بعض الأخبار ومرويّات الآخرين، ولا نريد الوقوف عليها هنا لكي لا يطول بنا

الكلام، ومن أراد ذلك فعليه مراجعة «بحار الأنوار» من ابواب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام.[1]

إذن، فكيف يمكن للمجلسي الأوّل مع تبحّره في علم الحديث ووجوه الردّ أو قبول أسانيد الروايات، أن يستند على مثل هذه الأحاديث الّتي يعدّ ضعفها واضحاً كالشمس في رابعة النهارلمن له أدنى اطّلاع ومعرفة في علم الدراية والحديث؟

ثمّ إنّه، وعلى فرض اعتبار حديث الخرقة، كما أنّنا لا ننفي وقوع ذلك (ولكن ليس بهذا الخبر)، لأنّ عدم إمكان الإثبات أعمّ من عدم إمكان الوقوع، لكن نقول: ما هو وجه الارتباط بين الخرقة وبين هذه الفرقة والدراويش؟ وكيف يمكن إضفاء الشرعية والرجحان لهذه البدعة المتداولة بينهم بواسطة خبر الخرقة؟

كلّ ذلك، يعتبر شواهد وقرائن على أنّ هذه الرسالة ومشابهاتها غير مستندة إلى مثل المجلسي الأوّل رحمه الله، فإنّ شخصية مثله أجلُّ شأناً وأرفع مقاماً من عدم تمييز كلّ هذه النكات العلمية وتشخيصها.

وعلى أيّ حال، فإنّ هذه الرسالة وأيّاً من كان مصنّفها، خارجة ومنحرفة عن طريقة الاثنا عشرية الحقّة وعلماء الشيعة الأعلام، لأنّها متضمّنة لتأييد الصوفية وأُولئك الأفراد الّذين لا شكّ في فساد عقيدتهم.

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٠، ص ١٧٣، باب ٩٣.

عصمنا الله تعالى من زلّات الأقوال والأقلام وما يوجب الضلال والانحراف، وثبّتنا على التمسّك بالثقلين كتاب الله والعترة الأئمّة الطاهرين المنتجبين صلوات الله عليهم أجمعين.

الأحاديث الدالّة على الثواب الكثير لبعض الأعمال الصغيرة

س128: ورد في بعض الأحاديث أنّ ثواب بعض الأعمال الصغيرة قد يصل إلى مقدار ثواب بعض الأعمال الكبيرة، فمثلاً من قال مائة مرّة «سبحان الله» كان أفضل من التضحية بمائة أضحيّة، أو أنّ من صلّى على النبيّ وآله ثلاث مرّات لم يعلم مقدار ثوابها إلّا الله، فهل هذه الأحاديث صحيحة؟

ج: إنّ الظاهر من مثل هذا البيان في مثل هذه الموارد الكناية عن كثرة الثواب، فلا يوجد بيان أفضل وأكمل من هذا البيان في مقام التشويق والتشجيع على قول «**سبحان الله**» وهو تنزيه الباري عزّ وجلّ عن كلّ عيب ونقص، وهو علامة كمال التوحيد لله عند الإنسان، وكذلك في الحثّ على الصلاة على محمّد وآل محمّد الّذين لهم أكبر الحقّ على الناس وأنّهم واسطة هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ويجب أن لا نغفل عنهم وهم أولياء النعمة علينا، نظير هذا البيان وارد في القرآن الكريم، يقول تعالى في إحدى آيات الكتاب المجيد:

﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾[1] ولا شكّ في أنّ العدد ٧٠ ليس له خصوصية معيّنة وأنّه إذا استغفر النبيّ للكفّار واحداً وسبعين مرّة فإنّهم سيغفر لهم، كلّا، بل المراد أنّ الله تعالى لن يغفر أبداً للكفّار. والله العالم.

ما هو المراد من الرواية الّتي مفادها عدم احتساب ذنوب الشخص إذا ذهب لأداء الحجّ وعاد إلى أربعة أشهر

س129: سمعت من بعض العلماء أنّ هناك رواية مفادها أنّ الشخص إذا ذهب لأداء الحجّ وعاد إلى أهله من مكّة فإنّ الله تعالى لا يحسب له ذنوبه ـ مهما كانت ـ إلى أربعة أشهر.

أوّلاً: هل يوجد مثل هذه الرواية عندنا؟ وإذا وجدت فهل هي صحيحة السند؟ وإذا كانت صحيحة فكيف يمكن توجيهها؟

ج: نعم، ورد هذا المضمون في الأحاديث الشريفة، ولكنَّه قيّد في بعضها بعدم الإتيان بالكبيرة، وفي بعضها الآخر بعدم الإتيان بموجبه.

فقد روى «شيخ الطائفة﵀» في باب «ثواب الحجّ» بسند صحيح عن «معاوية بن عمّار» عن الإمام الصادق﵇ حديثاً جاء في ذيله: «**أنّى لك أن تبلغ ما يبلغ**

---

١. سورة التوبة، الآية ٨٠.

الحاجُّ؟ قال أبو عبد الله: ولا تكتب عليه الذنوب أربعة أشهر، وتكتب له الحسنات إلّا أن يأتي بكبيرة».[1]

وعلى هذا فإنّ الذنوب الّتي لا تكتب عليه هي الصغائر، وهذا مطابق لمفاد الآية الكريمة: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾.[2]

وروى ثقة الإسلام «الكليني» في «الكافي» باب «فضل الحجّ والعمرة وثوابها» بسنده عن «سعد الإسكاف» عن الإمام أبي جعفر رواية جاء في ذيلها إنّ الإمام قال: «**فإذا قضى نسكه غفر الله له ذنوبه، وكان ذو الحجّة ومحرم وصفر وشهر ربيع الأوّل أربعة أشهر تكتب له الحسنات ولا تكتب عليه السيّئات إلّا أن يأتي بموجبة، فإذا مضت الأربعة أشهر خلط بالناس**».[3]

هذه وإن كان «العلّامة المجلسي» في «مرآة العقول» ذكر احتمالين للموجبة، أحدها: أن يكون المراد من الموجبة هو الكبيرة والّتي توجب نار جهنّم، وثانيها: الذنوب الّتي توجب الكفر، وقال: والأوّل أظهر.[4]

---

١. الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٥، ص١٩ـ٢٠.

٢. سورة النساء، الآية ٣١.

٣. الكليني، الكافي، ج٤، ص٢٥٤ـ٢٥٥.

٤. المجلسي، مرآة العقول، ج١٧، ص١٢٥.

وبالالتفات إلى رواية «معاوية بن عمّار» يحصل الاطمئنان بانّ المراد من الموجبة هو الكبيرة، وبناءاً على ذلك فإنّ الذنوب الّتي لا تكتب على الحاجّ هي الذنوب الّتي لم تذكر في الكتاب والسنّة في جملة الذنوب الّتي تدخل النار.

هذا وقد روى «شيخ الطائفة» هذا الحديث عن «سعد الإسكاف» بدون عبارة «إلّا أن يأتي بموجبة» وبهذا النحو: «**فإذا قضى نسكه غفر الله له بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل، فإذا قضيت أربعة أشهر خلط بالناس**».[1]

لكنّ المعتمد هو رواية «الكافي»، فمن الواضح أنّه يوجد اختصار في نقل «التهذيب» وكأنّها نقلت بالمضمون، مضافاً إلى إسقاط جملة «إلّا أن يأتي بموجبة»، وإذا دار الأمر بين الزيادة والنقيصة فإنّ أصالة عدم الزيادة مقدّم على أصالة عدم النقيصة.

ولو افترضنا عدم حجّية هذين الأصلين، فإنّنا في هذا المورد بالخصوص نحكم بسقوط الجملة استناداً إلى الأخذ بنظر الاعتبار رواية «معاوية بن عمّار»، ونسخة الكافي صحيحة.

واحتمال زيادة كلا الجملتين («إلّا أن يأتي بكبيرة» و«إلّا أن يأتي بموجبة») معاً وأنّها من إضافة بعض الرواة، بعيدٌ جدّاً.

---

١. الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٥، ص١٩.

وعلى فرض كونه كذلك أيضاً، فإنّه ليس ببعيد على رحمة ومغفرة وكرم وفضل الباري جلّ وعلا أن يتفضّل على الحاجّ بهذه المغفرة لأربعة أشهر، وأن يغفر له مطلق ذنوبه الّتي ارتكبها على أثر تسويلات النفس الأمّارة وغلبة الهوى ـ لا استخفافاً بأمر الله ـ ولا يمكن لأحد أن يحدّ رحمة الله الواسعة على عباده.

أجل، إنّ هذا الحديث لا يشمل جزماً أُولئك الّذين يتجرّأون على ارتكاب المعاصي والذنوب استخفافاً بقدر الله تعالى، أو تشبّثاً بهذا الحديث وأمثاله فيرتكب المعاصي لمدّة أربعة أشهر، فإنّ ذلك يعدُّ تجرّياً على الله تعالى، ولم نعهد شخصاً قال بمثل ذلك اعتماداً على هذا الحديث ولم يقل أحد بالترخيص في هذه الأشهر الأربعة بارتكاب الذنوب والمعاصي حتّى الصغيرة، فإنّ مثل هذا الاستنتاج والتلقّي غير صحيح قطعاً.

كتاب «علل الشرائع»

س130: ما هو رأيكم بكتاب «علل الشرائع» الشريف؟

ج: إنّ كتاب «علل الشرائع» هو أحد الكتب الحديثية للشيخ الأجلّ «الصدوق﵀»، وهو كتاب مهمّ وقيّم في موضوعه، ولكن يجب الرجوع إلى أهل الفنّ وعلماء علم الرجال والحديث في أسانيد ومداليل الروايات الّتي ينقلها، فإنّ الكثير من تلك الروايات محتاجة إلى بيانٍ وشرحٍ وتفسير. والله العالم.

ما هو المراد من حديث «الناسُ كلُّهم هالكونَ إلّا العالمون...»

س131: إذا أخذنا بنظر الاعتبار حديث «الناسُ كلُّهم هالكونَ إلّا العالمون...» والّذي يظهر منه أنّ العالمين حتّى المخلصين منهم في خطر عظيم، يبدو لنا أنّ عاقبة كلّ الطبقات في خطر، فما هو التكليف حينئذٍ؟

ج: لم أعثر على هذه العبارة بهذه الألفاظ في كتب الحديث المعتبرة، وإذا كنت قد رأيتها فإنّي الآن لا أتذكّر.

نعم، ورد في مثل كتاب «أسنى المطالب» وهو من كتب أهل السنّة بهذا اللفظ: «**الناس هلكى إلّا العالمون، والعالمون هلكى إلّا العاملون، والعاملون هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم**»، ويقول صاحب الكتاب: إنّ هذا الخبر موضوع.[1]

وفي كتاب «مصباح الشريعة» أيضاً ورد بهذا اللفظ: «**هلك العاملون إلّا العابدون، وهلك العابدون إلّا العالمون، وهلك العالمون إلّا الصادقون، وهلك الصادقون إلّا المخلصون، وهلك المخلصون إلّا المتّقون، وهلك المتّقون إلّا الموقنون، وإنّ الموقنين لعلى خطر عظيم**».[2] ولم يثبت أنّ هذا الكلام صادر عن المعصوم عليه السلام.

---

١. أسني المطالب، ص٢٤٦.

٢. مصباح الشريعة، ص٣٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٤٥.

وروى الصدوق عن الإمام الرضا عن آبائه الكرام عن أمير المؤمنين أنّه قال: الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كلّه حجّة إلّا ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بم يختم له».[1] (فيما يختم به، خ ل).

إنّ مثل هذه الأحاديث تحذّر العباد ـ العالم والعامل والمخلص ـ وفي أيّ مقام كانوا، من الغرور والاغترار بالعلم والعمل والخلوص، وتطلب من الجميع كمال المراقبة لأنفسهم وأحوالهم حتّى آخر لحظة من حياتهم، وأن لا يأمنوا مكر الشيطان وشرّه ووسوسة النفس الأمّارة والشهوة والغضب، وأن لا يغفلوا لحظة واحدة عن ذلك وأن لا يقصّروا في العمل، وأن يرفعوا الخُطى بعلم ويقين وانتباه كي لا يزلّوا فينحدروا من مقامهم ودرجاتهم الّتي وصلوا إليها فلا يتصوّروا أبداً بأنّهم ملكوا زمام تلك النفس المتهوّرة وسيطروا عليها بالكامل.

إذن فهذا المعنى المتضمّن لسرّ تربويّ كبير لا يعني أبداً بأنّ مصير كلّ الناس إلى الهلاك وبكلّ طبقاتهم فلا فائدة من السعي والجدّ ولابدّ من الاستسلام واليأس، أبداً، بل هو منهج تربوي تحذيري من المخاطر الكائنة في طريق الكمال، فلا ربط بين هذين الموضوعين أبداً، فإنّ رجاء رحمة الله والأمل بعفوه هو من لوازم الإيمان بالله وبصفاته الجمالية.

---

١. صدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٨١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٢٩.

وقد ورد في بعض الروايات ما مضمونه أنّ في قلب المؤمن نورين، نور الرجاء ونور الخوف لا يزيد وزن أحدها على الآخر شيئاً.

وقد ورد في الحديث: «**خف الله خيفة لو جئته بِبِرّ الثقلين لعذّبك، وارج الله رجاءاً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك**».[1]

ففي هذه الروايات والتنبيهات أسرار وحكم تحكي عن كمال منهج التربية في الإسلام واهتمامه بكلّ الزوايا والنقاط والنواحي الروحية وتهذيب الفكر والإرادة، وهي إرشادات جامعة نحو السعادة والرقيّ والتكامل.

آية التقوى و كلام أمير المؤمنين عليه السلام

س132: نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

وحمل الزاد أقبح كلّ شيء إذا كان الوفود على الكريم

فكيف ينسجم ذلك مع قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[2] والّذي استند إليه أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه في «نهج البلاغة»؟

ج: لا منافاة بين الكلامين أبداً، فإنّ كلّ واحد منهما يرتبط بمقام معيّن، ففي مقام التكليف والخطاب، يكون الإنسان موظّفاً برعاية التقوى والاتيان بالأعمال

---

١. ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٣٧٥.

٢. سورة البقرة، الآية ١٩٧.

الصالحة الّتي هي زاد الآخرة، وأمّا في مقام إظهار العجز قبال الحقّ تعالى، نظراً لعظمته عزّ وجلّ، فانّ تلك الأعمال الصالحة لا تعدّ شيئاً ذا بال لإراءتها لساحة قدسه. فهذا الكلام المنسوب إليه عليه السلام هو كناية عن قلّة الزاد.

حديث الصيام

س133: في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: قال تبارك وتعالى: «كلّ عمل ابن آدم هو له غير الصيام هو لي، وأنا أجزي به» (الخصال). فما هو المراد من هذا الكلام الإلهي الشريف؟

ج: إنّ هذا الكلام وأمثاله هو ما يصطلح عليه بـ«الحديث القدسي». وبطبيعة الحال، فإنّ هذه الأحاديث مثل الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام أنواع وأقسام ويراعى فيها نفس المعايير والضوابط المرعية في أحاديثهم في التصديق والصحّة.

وهذا الحديث القدسي الّذي أشرت اليه وبهذا الإسناد: عبدوس بن عليّ بن العبّاس، عن عبد الله بن يعقوب، عن محمّد بن يونس، عن أبي عامر، عن زَمْعَة، عن سَلَمَة، عن عِكْرَمَة، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**قال الله تبارك وتعالى: كلّ عمل ابن آدم هو له غير الصيام هو لي وأنا أجزي به، والصيام جُنّة العبد المؤمن يوم القيامة، كما يقي أحدكم سلاحه في الدنيا، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله عزّ وجلّ من ريح المسك، والصائم يفرح بفرحتين: حين يفطر**

فيطعم ويشرب، وحين يلقاني فأُدخله الجنّة»[1].

عن جهة السند، فإنّ «عبدوس بن عليّ بن عبّاس الجرجاني» هو من مشايخ الصدوق﵀ ولم أعثر له على مدح أو قدح من كتب الرجال. وأمّا «محمّد بن يونس» فهو مجهول مضافاً إلى أنّه كسائر رجال الحديث قبله إلى «ابن عبّاس» من أهل العامّة. و «أبو عامر عبد الله بن عمرو القيسي» هو عقدي،[2] و «زمعة بن صالح» و «سلمة بن وهرام» و «عكرمة» وهو عكرمة البربري الخارجي المعروف.

والخلاصة، إنّ هذا الحديث عامّي وبالاصطلاح نبوي، يعني أنّه لم يرو عن طريق الشيعة، فلا ينتهي إلى عدل القرآن الكريم وهم الأئمّة المعصومون﵈ وقد روي هذا الحديث أيضاً، في الكثير من الجوامع والسنن ومسانيد العامّة بطرق متعدّدة عن «أبي هريرة» و «ابن مسعود» و «أبي سعيد». «جابر».

وفي المسند روى عن كلّ من «جابر» و «ابن مسعود» بطريق واحد وعن «أبي سعيد» بطريقين. وبقيّة هذه الطرق الكثيرة كلّها تنتهي إلى «أبي هريرة» وإجمالاً مع كثرة طرق أسانيده لا يمكن اعتباره والاعتماد عليه.

كما أنّ لفظ الخبر مختلف باختلاف الطرق، وفي الأخبار المنتهية إلى «جابر» و

---

١. الصدوق، الخصال، ص٤٥.

٢. أبو عامر عبدالمك بن عمرو عقدي بصري.

«ابن مسعود» و «أبي سعيد» لا يوجد تقسيم «له» و «لي» وأكثر الطرق المنتهية إلى «أبي هريرة» لا يوجد مثل هذا التقسيم أيضاً.

وفي أخبار «ابن مسعود» و «أبي سعيد» ورد بلفظ «الصوم لي وأنا أجزي به» وفي خبر «جابر» ورد بلفظ «**هو لي وأنا أجزي به**» فقط ورد في عدّة طرق مثل هذا الطريق الّذي ينتهي إلى «ابن عباس» ورد بلفظ «**كلّ عمل ابن آدم له إلّا الصيام فهو لي وأنا أجزي به**».

ولذا فإنّه لا حاجة لبيان تفسير وشرح خبر كلّ أسانيده لا يعتمد عليها مضافاً إلى اختلاف ألفاظه، ولا يؤدّي إلى حاصل يمكن نسبته إلى مقامات المعصومين عليهم السلام.

ولكن ولكي لا يبقى سؤالكم بلا جواب، وتأسّياً ببعض الأكابر الّذين تعرّضوا لشرح هذا الحديث أذكر بعض التوضيحات:

إنّ ما يحتاج إلى شرح في هذه الأحاديث هو مقطعان، الأوّل: «كلّ عمل ابن آدم له»، وبيان وجه هذه الإضافة وإخراج الصوم منها وأنّه لله. الثاني: «**فهو لي أو الصوم لي وأنا أجزي به**».

وفيما يرتبط بالجهة الأُولى، فإنّ علماء الفريقين ذكروا عدّة احتمالات لمعنى هذا المقطع، كلّها ناقصة وغير كاملة، فمثلاً قالوا: إنّ جميع الحسنات والأعمال العبادية للإنسان تناسب حاله، فمثلاً الصلاة المشتملة على القيام والجلوس والركوع والسجود وغيرها كلّها أفعال الإنسان وهي له، ومن صنف أعماله

وأفعاله وهي وإن كانت عبادة ولكنّها بالذات ليست تخلّقاً بأخلاق الله، وأمّا الصوم الّذي حقيقته التنزّه والكفّ عن بعض الأُمور، فإنّ الله تعالى منزّه أيضاً عن كلّ هذه الأُمور، فالصائم يشبه بالله في هذه الصفات ويتخلّق بأخلاق الله تعالى، ومن ثمّ فإنّ القسم الأوّل من الأفعال هي للعبد أي إنّها أفعال بشرية وفي ذاتها وحقيقتها هي له، وهي من الأُمور الّتي تنزّه الباري عزّ وجلّ عن فعلها.

والوجه الآخر وهو قريب للوجه الأوّل فهو أنّ كلّ العبادات ـ ما عدا الصوم ـ مشتملة على أفعال تنزّه الباري عن فعلها، مثل الصلاة والحجّ، ولذا فإنّها متعلّقة بنفس الإنسان وليس فيها جنبة إلهية، ولذا فهي لنفس ابن آدم ومرتبطة به. وأمّا الصوم وهو الإمساك عمّا يتنزّه ذات الباري عنه ـ يعني الأكل والشرب وغيرهما ـ فهي مرتبطة به عزّ وجلّ. ويؤيّد هذا الاحتمال بعض الألفاظ الأُخرى للخبر مثل: «**كلُّ عمل ابن آدم له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصيام وهو لي وأنا أجزي به**»، ومن هنا كان للصوم وجهة واعتبار إلهي، ولذا فهي مرتبطة به، وله عزّ وجلّ.

الوجه الثالث هو: أنّ المراد من «له» هو: لـمّا كان لكلّ عمل صالح وحسنة جزاءٌ مقرّرٌ، عشرة أضعاف فما فوقها من المقادير المعلومة الأُخرى، والعامل يؤدّي ذلك العمل مع علمه بهذا الثواب المقرّر، فيكون ذلك العمل له، وأمّا الصوم وبحسب ما جاء في بعض الروايات «**الصوم الصبر**» وثواب الصبر كما

جاء في محكم الذكر ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[1] فلا حساب ولا تقدير، وهو لله تعالى.

وذكرت احتمالات أُخرى تعرّض لها «الفاضل المقداد» في كتاب «نضد القواعد»، وآخرون من أهل النظر من الشيعة والسنّة، ولكن كما ذكرنا فإنّ أيّ واحد من تلك الآراء ليس شافياً ووافياً بالمطلب.

وهناك احتمال آخر يبدو لنا، وهو أنّه بقرينة اللفظ الوارد في بعض الروايات وهو «**كلّ العمل كفّارة إلّا الصوم، والصوم لي، وأنا أجزي به**». فيقال: إنّ المقصود هو أنّ كلّ الأعمال الّتي يؤدّيها المؤمن ما عدا الصوم، هي كفّارة وجبران وتدارك وموجب لستره لا بمعنى أنّ كلّ هويّتها كفّارة، بل بمعنى أنّ فيها جنبة التكفير، ما عدا الصوم فإنّه ليس فيه هذه الجنبة وإنّما هو محض لله وأنّ الله يجازي به.

ولا نظنّ وجود حاجة للكلام أكثر من هذا المقدار فيما يرتبط بكلمة «له» وفرقها عن كلمة «لي» في هذا الخبر، على فرض صحّته.

وأمّا فيما يرتبط بالمقطع الثاني «**الصوم لي، وأنا أجزي به**» والّذي اتّفقت الأخبار في نقل ألفاظه، فإنّ تفسير الخبر مستقيم، وظاهره أنّ الله تعالى قد جعل الصوم لنفسه لتعظيمه وإظهار أهمّيته ودوره في العبودية لله، كما أنّه جعل جزاءه

---

١. سورة الزمر، الآية ١٠.

عليه «**وأنا أجزي به**» مبنيّاً للمعلوم، فإنّ قراءتها مبنيّة للمجهول خطأٌ فاحش، والمعاني الّتي تكلّف البعض لبيانها هنا لا تتطابق مع العبارة.

أحاديث ردّ الشمس

س134: يذكر أنّ رسول الله ﷺ قد مرض ذات يوم وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان عنده فوضع علي عليه السلام رأس رسول الله ﷺ في حجره فنام النبيّ إلى قريب الغروب، ولكي لا تفوت الصلاة على أمير المؤمنين عليه السلام ردَّت له الشمس. فما هو تفصيل هذه القضيّة؟ وأين ذكرت هذه الرواية؟

ج: إنّ أحاديث ردّ الشمس لعليّ عليه السلام هي من الأحاديث المشهورة بين الشيعة والسنّة. ولا شكّ في اعتبارها وصحّة هذه الأحاديث ووقوع ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام؛ فامّا من طرق الشيعة فالروايات كثيرة منها ما ورد في «بحار الأنوار» في عدّة مجلّدات، وأمّا من طرق السنّة فقد رواها كبار محدّثيهم مثل «الطبراني»، «الحافظ نور الدين الهيثمي»، «ابن مندة»، «ابن شاهين»، «البيهقي»، «السبط ابن الجوزي»، «السيوطي»، «القاضي عياض» و «ابن مردويه» وجمع آخر يقارب الأربعين عالماً من أرباب الجوامع الحديثية، وقد قال بصحّة هذه الأحاديث أمثال «الحافظ ابن الحجر» في «فتح الباري» و «الحافظ الطحاوي» في «مشكل الآثار»، و «السبط ابن الجوزي» في «التذكرة»، فهؤلاء صحّحوا الحديث وخطّاؤا من

شكّك في صحتّه، والمستفاد من كتاب «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» هـو أنّ محلّ وقوع هذه الحادثة هو صهباء خيبر وهي منطقة معروفة.

ذكر في «وفاء الوفاء بأخبار دار المصـطفى» عـن «القـاضي عيـاض» في كتابـه «الشفاء» ما هذا نصّه: «كان رأس النبيّ ﷺ في حجر عليّ ـ رضي الله تعـالى عنـه ـ وهو يوحي اليه، فَغَرُبَتِ الشمس ولم يكن عليّ صلّى العصر، فقال النبيّ ﷺ: أصلّيت يا عليّ؟ قال: لا. فقال: اللّهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعـة رسـولك فـاردد عليـه الشمس. قالت أسماء:[1] «فرأيتها غربت ثمّ رأيتها طلعت بعدما غربـت ووقعـت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر».[2]

وروى في «وفاء الوفاء» عن «أحمد بن صالح» كان يقول: «لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء لأنّه من علامات النبوّة».[3]

مضافاً إلى هؤلاء فقد ألّف بعض علماء أهل السنّة الكبار كتاباً مستقلّاً في هذا الحديث وأسناده ورواته.

والحاصل، أنّه ليس فقط هذا الموضـوع ثابتـاً وأحاديثـه معتـبرة بـل بحسـب بعض الروايات إنّ هذه المعجزة الكبيرة قد حصـلت مـرّتين لأمـير المـؤمنين ﷺ،

---

١. هي بنت عُمَيس، أحد الّذين ينتهي إليهم طريق الحديث.

٢. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٣٣.

٣. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٣٣.

إحداهما في عهد رسول الله ﷺ والثانية بعد رحيل النبيّ وفي عهد عليّ ﷺ، والمرّة الأُولى وكما قال علماء العامّة هي من علامات النبوّة، وأمّا المرّة الثانية مع المرّة الأُولى فهي من علامات إمامة أمير المؤمنين ﷺ.

«والحمد لله الّذي جعلنا من المتمسّكين بولايته وولاية أولاده المعصومين سيّما مولانا بقيّة الله في الأرضين صلوات الله عليهم أجمعين، اللّهمّ ثبّتنا على ولايتهم وارزقنا شفاعتهم ولا تفرّق بيننا وبينهم طرفة عين في الدنيا والآخرة، إنّك مجيب الدعاء يا أرحم الراحمين».

ثواب قراءة سور القرآن

س135: ورد أنّ بعض الأعمال لها ثواب كبير، فمثلاً ذكر في الأحاديث أنّ من قرأ سورة المطفّفين، في فريضة أعطاه الله يوم القيامة جُنّةً من النار فلا يرى الناس ولا تراه، وأنّه لا يمرّ على جسر جهنّم ولا يحاسب يوم القيامة، وأنّ من قرأ السورة الفلانية فإنّ الله سيغفر له كلّ ذنوبه وهكذا لبقية الأعمال.

والسؤال هو: هل أنّ هذا الثواب مختصّ ببعض الناس وله شرائط معيّنة أم أنّ عامّة الناس مشمولون بهذا الثواب فيما لو قاموا بذلك العمل؟

ج: لا يمكن البتّ في كلّ الروايات المرتبطة بالثواب والعقاب ـ نفياً وإثباتاً ـ ولابدّ من دراسة الروايات كلّ على حدة، سنداً ومتناً والحكم عليها طبق

القواعد الحديثية وتشخيص الصحيح منها عن الضعيف.

ولكن مع ذلك نقول: من الطبيعي أنَّ نيل هذا الثواب الجزيل ـ بعد التأكّد من صحّة الرواية ـ مشروط بإيمان الشخص وخوفه من عذاب الله وأنّه في مقام كسب المغفرة والرحمة الإلهية، والسعي لإصلاح حاله وجبران ما فاته ومحاولة رفع تبعات ذنوبه.

فمن الواضح أنّ مثل هذا الشخص تائب ونادم، وتوسّله بقراءة هذه السورة أو تلك وهذا الدعاء أو ذاك إنّما هو لرفع آثار الذنوب، فمثل هذا الشخص لا يعدّ مصرّاً على المعصية والذنب بل هو هارب من ذنوبه، خائف من معاصيه، فلا يستبعد شمول المغفرة والرحمة الإلهية له تصديقاً لما جاء في الوعد الإلهي في القرآن والسنّة الصحيحة للتائبين والنادمين.

فمثل هذه الأحاديث لابدّ من تفسيرها بحسب الأُصول والمباني المعلومة، ولا شكّ، في حرمان المصرِّ على ارتكاب الذنوب والمعاصي، منها.

كما أنّ مثل هذا الثواب والمغفرة والرحمة الوارد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة للعاملين، يجب أن لا يكون سبباً لجرأة الناس على ارتكاب المعاصي اتّكالاً على هذا الثواب، فإنّ نفس القرآن والأحاديث حذّرت أيضاً من أليم عقاب الله.

فالله سبحانه وتعالى، متفضِّل، غفّار، رحمان، رحيم، توّاب، وهّاب، منعم، محسن، قادر، قهّار، شديد الانتقام، وشديد العذاب، وهو أرحم الراحمين في

موضع العفو والرحمة، وأشدُّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة والعقاب.

فلا ينبغي للمجرمين والمذنبين أن يستهينوا بالذنوب والمعاصي اتّكالاً على الآيات والأخبار الّتي تبيّن عفو الله ورحمته اللامتناهية، وكذلك يجب أن لا ييأسوا ويقنطوا من رحمة الله إذا ما قرأوا أو سمعوا آيات العذاب الإلهي والأحاديث الّتي تتحدّث عن العقاب الأُخروي.

فالمهمّ هو أن يتعرّف الإنسان ـ بمقدار استعداده البشري ـ على النكات العالية والأسرار الدقيقة لهذه الأُمور وهذا الثواب الجزيل على بعض الأعمال الصغيرة وكذلك العقاب الكبير.

وفي بالي أنّ هناك روايات كثيرة وردت فيما يرتبط بهذا البحث، ولكنّ المجال والفرصة لا تسمح لكتابتها.

السادات المذنبون في القيامة

س136: سئلتم سابقاً عن صحّة ما ورد أنّ السادات المذنبين من أولاد عليّ وفاطمة عليهما السلام لا يدخلون النار وإنّما يودعون في مكان يسمّى «زمهرير» وقد أجبتم عن ذلك بالقول: قد يكون ذلك، ولكن ليس في بالي مدرك ودليل هذا الأمر، فلابدّ من المراجعة.

والآن، وبالاستناد إلى الحديث الوارد في كتاب «المناقب» (ج۴، ص151) والّذي ورد فيه ما مضمونه: قال طاووس: رأيت الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام من الليل إلى السحر يطوف ويعبد و... (وبعد بيان حالات الجزع والبكاء من الإمام) يقول طاووس: قلت: يا ابن رسول الله ما هذا الجزع...؟ فقال عليه السلام: «يا طاووس، هيهات! هيهات! دع عنك ذكر أبي وأُمّي، فإنّ الله خلق الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشيّاً، ألم تسمع كلام الله عزّ وجلّ، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، فوالله لن ينفعك يوم غدٍ إلّا العمل الصالح».

والسؤال هو: أوّلاً، أنّه لم يرد في هذا الخبر عن مكانٍ اسمه «زمهرير» يخصّص للسادة، وكلّ الناس متساوون في الحساب. ثانياً، ألا يتنافي أخذ السادة العاصين إلى «زمهرير» مع العدل الإلهي المقتضي لحساب الناس جميعاً على أساس المساواة وطبقا لأعمالهم في دار الدنيا؟

ج: ورد في تفسير الآية الشريفة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1] ـ كما هو المستفاد من الآية التالية لها ـ أنّ المقصود هو أنّ أنساب

---

١. سورة المؤمنون، الآية ١٠١.

الكفّار لا تنفعهم يوم القيامة، والكافر المعاند والمكذّب لله وللرسول ومهما كان نسبه لا ينجو من العذاب ولا ينفعه نسبه، ولا يستفاد منها أنّ المؤمن لا ينتفع من شرف نسبه، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾[1] تدلّ على أنّ ذرّيّة وأولاد المؤمنين ـ الّذين يتّبعون آباءهم وأجدادهم في الإيمان ـ يلحقون بهم حتّى لو كان إيمان الأولاد والذرّيّة أقلّ من إيمان الآباء والأجداد، وفي الحقيقة فإنّ نقصان إيمان الأولاد يجبر بكمال إيمان الآباء ويكونون في درجة واحدة في الجنّة.

وهذا أحد أنحاء الثواب والعطاء للصلحاء والأخيار، وهو أمرٌ عقلائيّ ومقبول عرفاً وعقلاً، والسيرة قامت وهي قائمة إلى الآن على أنّ «**المرء يحفظ في ولده**»،[2] كما أنّ المستفاد من قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً**﴾[3] هو أنّ أولاد الصالحين يكرّمون ويتحنّن إليهم.

ومن الواضح بأنّ رسول الله ﷺ الّذي له الحقّ على الجميع، أولى برعاية حقّه وحفظ خدمته وأتعابه، فحقُّ الهداية وحقّ الحياة الحقيقية وحقّ النجاة من

---

١. سورة الطور، الآية ٢١.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٠٢.

٣. سورة الكهف، الآية ٨٢.

البربرية والجاهلية الحيوانية و... من حقوقه على الأُمّة.

فمن الّذي يعرف حقّ النبيّ الأكرمﷺ ويقف على أثر الرسالة وأتعاب رسول اللهﷺ في فلاحه وصلاحه وفلاح وصلاح كلّ المجتمع الإنساني ثمّ لا يرى لأولاده وذرّيّته الطيّبة حقّ الاحترام والرعاية والتكريم على المجتمع؟

أو انّه يعترض على التكريم الإلهي لأهل بيت رسول اللهﷺ والّذي يعتبر تكريماً لهﷺ وتقديراً لخدماته وزحماته، فهل يدّعي أحد أنّ ذلك مخالف للعدل؟!

فهذا الثواب هو ثواب لرسول اللهﷺ، وكذلك بالعكس فإنّ الرجل إذا كان عنده ولدٌ صالح، فإنّ ثواب أعمال هذا الولد الصالح بعد وفاة أبيه تكتب في سجلّ حسنات الأب أيضاً. فإذا لم يكن للإنسان ولد، أو كان له ولدٌ عاصٍ فاسق لم يكن له مثل هذا الثواب، فهل هذا خلاف العدل؟

وإذا كان الانسان مؤمناً ولم يكن معانداً ولجوجاً ومستهيناً بالآمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعذاب الله، فإنّ أسباب التفضّل وشمول الرحمة الإلهية الواسعة، كثيرة جدّاً ومن جملتها نفس شرف انتسابه إلى رسول الله وعليّ وفاطمة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وسيكون ذلك وسيلة لنجاته.

فالسادات المؤمنون سيغفر لهم بسبب النسب، والمؤمنون الآخرون يغفر لهم، بسبب حبّهم لذرّية رسول الله ولأسباب أُخرى وعليكم أن تلتفتوا جيّداً إلى أنّ الإحاطة بكلّ أسباب وموجبات وجهات استحقاق العقاب ودقائقها

وأسرارها، خارجة عن حدّ الإحاطة بها من قبل الناس إلّا من كان مؤيّداً من عند الله لدرك هذه الأسرار.

فليس كلّ العصاة بمستوى واحد، كما أنّ كلّ المطيعين ليسوا متساوين، فانّ هناك أموراً كثيرة وأحوالاً وشرائط ودقائق تلحظ في الثواب والعقاب والجزاء وأنّ الله تعالى يحكم بين الناس بمقتضى أُلوهيته وصفاته الكمالية، وليس لأحد أن يجادل في أفعاله أو أن يعرف أسرارها، كما هي عليه، ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾.[1]

وأمّا ما ذكرتموه عن «طاووس» وعبادة وتضرّع وبكاء الإمام زين العابدين عليه السلام فإنّه على فرض صحّته، فهو جانب صغير ونموذج بسيط من عبادة وتضرّع وأدعية ومناجاة الإمام عليه السلام وحالاته الروحية والمعنوية، والّتي نقلتها الروايات المعتبرة عند الشيعة والسنّة.

فهذه الحالات وهو الابتهال واظهار الافتقار والفقر والحاجة وطلب العفو والمغفرة والاعتراف بالذلّة والمسكنة بل التقصير والمعصية من مثل هذا الإمام الهمام الّذي اتّفق الجميع على طهارة روحه وجسمه، وأنّ له مقام العصمة القدسي، فله معانٍ عالية أُخرى ذكرنا شمّة منها في كتابنا «تضرّعات في عرفات».

---

١. سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

فمثل الإمام عليه السلام كلّما كان إظهاره للمسكنة وللإنابة والاعتذار أبلغ، فإنّه ألذّ بالنسبة له، فالذكر والدعاء والعبادة وإظهار الحاجة والفقر والاعتراف بالتقصير لساحة الربوبية المتعالية، وافتراش تراب المسكنة، هو عروج ومعراج.

فالإمام في هذا المشهد والموقف ـ مع أنّه إمام معصوم ـ يطلب العفو والمغفرة من الله بنحو لا يناظره طلب وجزع وتضرّع واعتذار من قضى كلّ عمره في ارتكاب الذنوب الكبيرة، فلا نظير للإمام السجّاد وآبائه الأطهرين وخلفه الطيّبين في إظهار العجز والفاقة والفناء والمسكنة في قبال عظمة الله سبحانه وتعالى.

فهو في موقف الحضور والقرب من الحقّ، يخاف من الحرمان من الدرجات العالية والأعلى، وكلّها شعبة من شعب المقام المحمود لجدّه الأكرم صلى الله عليه وآله، ومع أنّه قرأ آيات الاصطفاء، لكنّه قرأ هذه الآية الّتي ذكرتموها في سؤالكم أيضاً.

فالإمام السجّاد عليه السلام وبلا أدنى شكّ هو أولى الناس بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ولا شكّ في أنّه مشمول بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾.[1]

وتلك الحالات الّتي حصلت له عليه السلام هي مختصّة بهم فكلّ المسائل والمباني الصحيحة محفوظة في محلّها، فالعبد الحبشي إذا كان مطيعاً عابداً، فإنّه سيقترب

---

١. سورة آل عمران، الآية ٣٣.

من الله وينال الدرجات العالية، والسيّد القريشي إذا عصى الله وانحرف عن الطريق وصار مثل «أبي لهب» معانداً للحقّ محارباً له، فإنّه يتسافل إلى الدرجة الّتي يذمّه بها القرآن الكريم ويلعنه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.[1]

فكلّ الدرجات والمقامات تنال بالدين والإيمان، وعلى السيّد أن لا يغترّ وعلى غير السيّد أن لا ييأس.

لعمرك ما الإنسان إلّا بدينه فلا تترك التقوى اتّكالا على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشركُ الشريفَ أبا لهب

فالله سبحانه وتعالى عالم بكلّ جهات وموادّ استحقاق الثواب والتفضّل، وهو الأعرف بعباده، فلسنا نحن أهلاً لأن نقول بأنّ اصطفاء الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ومن بعدهم السادات وذرّيّتهم مخالف للعدل، كما لا يحقّ لنا الاعتراض على تفضيله وإكرامه لذرّيّة رسول الله والأئمّة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وسائر عباده الصالحين.

وعلينا جميعاً أن نستفيد درساً من هذه المعاني، وأن نعي بأنّ الله تعالى شكورٌ وأنّه يتفضّل حتّى على أولاد الصالحين العاملين إكراماً لهم، وعلينا أن نفسّر هذه الأُمور بتفسيرات لائقة، وإذا ما قصرت أذهاننا ومعرفتنا عن درك هذه الأسرار، لابدّ أن نسلّم، وأن نورد أنفسنا إلى عوالم الرضا والتسليم العالية بقراءة ﴿قُلِ

---

١. سورة المسد، الآية ١.

اللَّهُمَّ مَالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِي الْـمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.[1]

حديث «الفقر فخري»

س137: أرجو من سماحتكم إبداء رأيكم المبارك بخصوص الحديث القائل «الفقر فخري» المنسوب إلى رسول الله ﷺ، فقد ورد في أدعية أُخرى كثيرة ومنها الدعاء الّذي يقرأ في شهر رمضان المبارك بعد كلّ فريضة «اللّهمّ أغن كلّ فقير»، فكيف نوفّق بين كون الفقر فخراً وبين طلب الغنى من الفقر؟

ج: إنّ رواية «**الفقر فخري**»[2] لها تفاسير متعدّدة، أحدها فقر وحاجة كلّ ما سوى الله من موجودات عالم الإمكان إلى الله المتعال، حيث إنّ في هذا المجال يكون فقر الناس أكثر بواسطة زيادة لياقتهم لكسب الفيض وأنوار الرحمة الإلهية.

فحبّة الشعير الصغيرة تحتاج إلى مقدار يناسبها من الماء ولا يمكن القول بأنّها محتاجة إلى نهر ماء كبير أو بحر من الماء، وهكذا الحال بالنسبة للنهر الكبير قياساً للبحر المحيط.

ومثال آخر، إذا كان لدينا غرفة بأبعاد ٣×٤ متر، فهي تحتاج إلى فرش بهذه الأبعاد ولا تحتاج إلى سجّادة بأبعاد ٦×٨، وأمّا الغرفة الّتي أبعادها ٥×٤ متر فهي تحتاج إلى سجّادة بهذه الأبعاد.

---

١. سورة آل عمران، الآية ٢٦.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٠.

والحاصل، أنّ كلّ شيء فقير بهذا المعنى، وكلّما كان فقره أكثر كان هو الأفضل والأشرف.

وبناءاً على ذلك فإنّ فقر وحاجة رسول الله ﷺ إلى الله تعالى هي أكثر من كلّ الموجودات، لأنّه أشرف كلّ الموجودات ولذلك قال: «**الفقر فخري**»، فوجود الرسول الكريم محمّد ﷺ وظرفيته للعلوم والفيوضات الإلهية لا يدانيه فيها مخلوق آخر.

فباعتباره خاتم الأنبياء والمرسلين، يكون محتاجاً إلى دين مثل الإسلام الّذي هو أكمل الأديان وخاتمها، ويكون محتاجاً إلى كتاب مثل القرآن الكريم الّذي هو معجزة خالدة، ولم يكن الأنبياء الّذين سبقوه في هذه الدرجة من الحاجة والفقر. فالنبيّ محمّد ﷺ نبيّ لكلّ البشرية إلى يوم القيامة، فما يحتاجه من النبوّة يجب أن يكون مستوفى للقوانين الكافية والتعاليم العالية.

وفي الحقيقة، إنّ عائلة رسول الله ﷺ هم كلّ البشرية إلى انتهاء عالم الدنيا، ولعلّ هذا المعنى هو المستفاد من الآية الكريمة ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**﴾.[1] فمن كان عائلته عشرة أنفار أو مائة ألف أو مليون أو مليار نفر، عليه أن يهيّء الغذاء الكافي لهم، وأمّا من كانت عائلته كلّ البشرية كان عليه أن يهيّئ قوت كلّ البشرية وأن يسدّ كلّ نواحي الفقر والحاجة عنهم، وقد سدّ الله عزّ وجلّ كلّ

---

١. سوة الضحي، الآية ٨.

نواحي الفقر والحاجة عند رسول الله ﷺ وهيّأ أرضية كسب الارتباط بين النبيّ ﷺ وبينه بإعطائه المواهب السنية فأغناه.

فإذا كان الفقر إلى الله، فإنّ الله تعالى، وهو الفيّاض على الإطلاق يعطي، ولذا كان الفقر فخراً من هذه الجهة، وفقر خاتم الأنبياء وفقر الأنبياء والأولياء بالنسبة لسائر الناس، فخرٌ أيضاً وفقر الإنسان بالنسبة إلى فقر الحيوانات والنباتات والجمادات، فخرٌ، بل إنّ إمتياز الإنسان عن الحيوانات الصامتة هو بهذا الفقر.

وبناءاً على هذا فقد اتّضح تفسير «**الفقر فخري**» كما اتّضح معنى «**اللّهمّ أغن كلّ فقير**»،[1] فإنّ الدعاء هنا إنّما هو لكسب العطاء لكلّ فقير بمقدار فقره.

وهنا نكات عرفانية سامية لا مجال لبيان وشرح تفصيلاتها والخلاصة هي أنّ الإنسان محتاج ذاتاً إلى الله تعالى بل هو دائم الاحتياج، وأنّ بقاءه وبقاء كلّ ما عنده بكلّ جهاته يرتبط بالإمداد الغيبي، وعليه فإنّ الاحتياج إلى الله والفقر إليه، فخرٌ والدعاء وطلب رفع الحاجة والفقر، هو أيضاً فقرٌ.

والمعنى المحتمل الثاني للفقر في هذه العبارات هو الفقر العرفي وفقدان المال والمنال الدنيوي، فإن كان هذا المعنى هو المقصود من خبر «**الفقر فخري**»، أو

---

١. الكفعمي، البلد الأمين، ص٢٢٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٨، ص١٢٠.

خبر «**اللّهمّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**».[1]

والأخبار الأُخرى الّتي وردت في مدح الفقر والفقراء، وذمّ الغنى والمال والقدرة، والّتي ورد في بعض الأخبار أنّ أحد أسباب موت القلب هو معاشرة الأغنياء، فإنّها ستكون غير موافقة لمثل دعاء «**اللّهمّ أغنني من الفقر**»[2] أو «**اللّهمّ أغن كلّ فقير**» ومعارضة لها.

وكما ذكرتم في السؤال، قد يكون أمثال هذا الخبر موجباً لتوهّم عدم اكتراث الدين بالمكنة والقدرة المالية والاقتصادية للمجتمع، بل ورد الترغيب والتشويق في الإقلال من العمل والسعي لكسب المال، فإذا كان العامل يكتفي بمردود أربع ساعات من العمل يومياً، فعليه أن لا يعمل أكثر من هذا الوقت حتّى لو كان قادراً على العمل أكثر، أو إذا كان الفلّاح قادراً على تحسين الإنتاج وزيادته فلا يحتاج إلى ذلك إذا كان الأقلّ منه كافياً لإمرار معاشه ورفع حاجته المادّية، لكي لا يبتلي بالإخطار المعنوية والأخلاقية للغنى والمال والثروة!!

مع أنّ هذا المفهوم والاستنتاج خاطئ لا يقول به الإسلام وحتّى لو لم يكن فيه أثر سلبي على نفس الشخص، فإنّ فيه آثاراً سلبية كثيرة على المجتمع.

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٠، ٤٦، ٤٩

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٤، ص٣٣٥.

فالقناعة بهذا المعنى لدنيا الناس وآخرتهم، فإنّ مثل هذا الفكر هو فكر تصوّفي وبالاصطلاح عرفاني منقولٌ عن «الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي» (و هو غير السهروردي المقتول)، فهذا الشيخ يدعو الناس بصراحة في كتابه «عوارف المعارف» إلى التكدّي، ويوجّه ذلك بأنّ على السالك إلى الله أن يمرّر معاشه عن طريق التكدّي والاستمداد من الناس لكي لا يغفل عن ذكر الله!! وبعبارة معاصرة يعيش طفيلياً على المجتمع.

ولا شكّ في أنّ هذا النمط من الحياة بعيد عن شريعة الإسلام وتعليماته وثقافته القائلة: «**الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله**»،[1] وقريب من فكر التصوّف وما يسمّى بالعرفان.

وعليه، فلابدّ أن يكون المراد من هذه الأحاديث والأدعية معان سامية عالية جامعة لا تتعارض مع أيّ واحد من هذه المصالح الاقتصادية والاجتماعيّة الّتي تتوقّف عليها حياة وعزّة المجتمعات البشرية.

فما أُريد قوله ـ على عجالة ـ لعدم وجود فرصة كافية هو: أوّلاً: لقد ذمّ الإسلام البطالة والفقر الاختياري والتطفّل على الآخرين والانعزال عن المجتمع وعدم التدخّل والتأثير في شؤونه، فإظهار الفقر والحاجة للآخرين بلا ضرورة عرفية، والطمع بما في أيدي الناس، مذموم وعيب ومخالف للعزّة

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٦، ص٣٢٤.

والكرامة، كما أنّ التكدّي والاستجداء مع القدرة على سدّ الحاجة بالعمل وإمكانه، منهيّ عنه في الشريعة.

فعلى الإنسان شرعاً وأخلاقياً أن يتفاعل وينفع المجتمع في قبال المنافع الّتي يحصل عليها من المجتمع، وبخلافه يكون ضارّاً للمجتمع بنحو من الأنحاء فأساس المجتمعات هو العيش المشترك وبتداول المنافع بين أفراده.

وإذا ما قلنا: إنّ مثل هؤلاء الأشخاص المتطفّلين هم أسوأ حالاً من المذمومين في قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾[1] فإنّهم لا يكون أقلّ حالاً منهم.

وعليه، فإنّ المراد من الروايات والأدعية ليس مدح الفقر والحاجة الناشئة من البطالة والخمول والتطفّل وعدم الشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة والشرعية، وعلينا أن نطلب من الله تعالى هداية لمثل هؤلاء والتوفيق للسعي للحصول على عمل وترك البطالة.

وقد ورد في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

لنقل الصخر من قلل الجبال ... أحبّ إليّ من منن الرجال

يقول الناس لي في الكسب عارٌ ... فقلت العار في ذلّ السؤال[2]

---

١. سورة المطفّفين، الآية ١.

٢. ديوان أمير المؤمنين عليه السلام، ص٣٤٠.

و قد قيل:

هركـه نـان أز عمـل خـويش خـورد منـت از حـاتم طـائى نكشـد
هفتاد و دو سال جهد كردم شب و روز معلـوم شـد كـه هـيچ معلـوم شـد
(مـن يأكـل خبـزه مـن كـدّ يمينـه لا يبتلـى بمـنّ حـاتم الطـائى عليـه)

هذا هو معنى القناعة ومعنى الاعتماد على النفس ورفض الذلّ.

وأمّا الفقر القهري الّذي يبتلى به بعض الناس بلا إرادة منهم فهو مثل الغنى من لوازم عالم الطبيعة والمادّة والمدّة، فهما أصلان من نـواميس نظـام هـذا العـالم المهمّة، والّتي لا يصل البشر إلى الكمالات ومراحل الرقيّ والمدنية بدونهما.

ففقر الأشخاص بعضهم لبعض ولموادّ هذا العالم، كلّها اُمور إذا لم تكن موجـودة لأضحت مظاهر عالم الطبيعة في معرض الزوال فـالاطّلاع المتزايـد علـى خـواصّ الكائنات، في هذا العالم، كلّه ناتج من الفقر، ولولاه لبقي هذا العالم ناقصاً.

فالمسـائل المهمّـة المرتبطـة بـالرزق والمعـاش ورغبـة النـاس في الأشـغال والصناعات المختلفة، كلّها من أسرار عالم الخلقة.

وبناءاً على ذلك، فإنّ الفقر من لوازم الحياة البشرية وحياة كلّ حيوان، والمظهر الواضح والغالب في عرفنا نحن البشر هو الفقر المالي وافتقـاد وسـائل المعيشـة أو قلّتها من الأكل والشرب واللباس والمسكن و... بـالفقير والمسـكين اسـم يطلـق عادة على مثل هؤلاء.

فالفقر والفقير هو الّذي يقابل الغنى والغنيّ، ولذا فإنّ كلّ واحد منهما يعتبر طبقة من طبقات المجتمع.

ومن هذه الرؤية، جاءت التعاليم والإرشادات للاهتمام بالفقراء وإعانتهم ماديّاً ونفسياً لكي لا يصير الفقر سبباً في طغيانهم أو حقدهم أو تملّقهم أو ذلّتهم، ولكي لا يميّز بينه وبين الغنيّ في التعامل فيبتلى بأكثر من ابتلائه بالفقر.

وعلى الفقير أن يصبر ويتحمّل ويقاوم الشدائد والصعاب فإنّ مخاطر الفقر أقلّ من مخاطر الغنى والثروة والقدرة، وإقبال الفقير على الاستغاثة والتوسّل والتضرّع إلى الله أكثر، وطلبه أكثر من نسيان الغنيّ لذكر ربّه، ولعلّه لهذه الجهة فإنّ هذه الحالة محبوبة لأولياء الله والخواصّ، ومن هنا فإنّ أشرف الخلق محمّدﷺ يطلب ذلك من الله تعالى ويقول: «**اللّهمّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**».[1]

ومن هنا كانت رغبته ـ صلوات الله عليه ـ ورغبة ابن عمّه وأخيه أمير المؤمنينؑ في معاشرة الفقراء والجلوس معهم. وعندما اقترح المتموّلون والأغنياء والمغرورون بالمال والجاه والمنال الدنيوي الّذين يعتبرون مجالسة الفقراء عيباً عليهم وعاراً، اقترحوا على الرسولﷺ أن يقسّم وقته لاستقبال

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٧، ٣٠، ٤٦، ٤٩.

الناس لكي لا يحضر الفقراء في مجالس الأغنياء، نزل هذه الآية المباركة: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾.[1]

فمجالسة هذه الطبقة وتفقّد الفقراء وعيادة المرضى والمعوزين والمظلومين فيها فوائد تربوية وأخلاقية للإنسان يلزم لبيانها شرحٌ مفصّل.

فالإسلام يعني بالاهتمام بالفقير الّذي صار فقيراً بلا اختيار منه واحترامه وحفظ الأُخوّة الإسلامية بعيداً عن الفوارق الطبقية، وينهى الإسلام عن احترام الغنيّ والتذلّل له لماله «**من تواضع لغنيّ طلباً لما عنده ذهب ثلثا دينه**».[2]

ومن جهة أُخرى فإنّ في الغنى والثروة والقدرة، مخاطر كثيرة ينبغي على الغنيّ أن يكون مهذّباً ومزكيّا لنفسه إلى درجة كبيرة لكي يأمن من تلك المخاطر، إلى درجة أنّه ورد في بعض الأحاديث: «**استعيذوا بالله من سكرة الغنى، فإنّها بعيدة الإفاقة**».[3]

---

١. سورة الكهف، الآية ٢٨.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٥٦.

٣. الآمدي، غرر الحكم، ص١٥٦.

فعلى الغنيّ أن ينتبه كي لا يبتلي بسكرة الغنى والثروة والغرور والفخر والمباهاة. وهذه الطائفة من الأغنياء لا تقلّ فضيلتها عن الفقراء الصابرين الشاكرين، فالملاك في الفضيلة عند الاثنين هو التقوى والإيمان والإخلاق.

وعلى هذا الأساس فإنّ السالك أحياناً يحبُّ الفقر، وأحياناً أُخرى يدعو الله ليخلّصه من الفقر ويرفعه عنه، فإنّه يخاف من خطر الفقر الّذي ورد فيه «**كاد الفقر أن يكون كفراً**»[1] فهو يخشى أن لا يتمكّن من الصبر في امتحانه.

وعلى هذا، فلا الفقر مطلوبٌ بقول مطلق ولا هو مبغوض بقول مطلق، وكذا الغنى لا هو مطلوب بقول مطلق ولا مبغوض بقول مطلق. وهذه الاستنتاجات الأخلاقية التربوية بعيدة عن المسائل الاقتصادية الرسمية والعمل والكدّ. لقد فهم المسلمون هذه المعاني والتعاليم فهماً صحيحاً سليماً مستقيماً، وأنّ، الأهداف والمقاصد هي الّتي تعيّن وجه هذه الأعمال وحسنها وقبحها.

وقد ورد في الأحاديث ما يقرب من هذا المضمون وهو: إنّ الكادّ على عياله ونفسه، فإنّه سيلاقي ربّه ووجهه كأنّه بدر في ليلة تمامه.[2] فما بالك بمن قضى عمره في خدمة المجتمع الإسلامي وجدّ وعمل من أجل إعزاز الأُمّة الإسلامية ورفع احتياجها للأجانب والكفّار، فبأيّ وجه مشرق منير سيلاقي ربه؟

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٧، ص٢٤٧؛ ج٧٢، ص٢٩.

٢. الكليني، الكافي، ج٥، ص٧٨؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، ص٣٢٤.

إنّ مثلي ليعجز عن وصف هذا الإنسان حقّ وصفه، لعظم قدره ومنزلته عند الله.

وقد ورد في الروايات المعتبرة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد اشترى من كدّ يمينه وعرق جبينه ألف عبد وأعتقهم في سبيل الله وكان يحفر الآبار والعيون ويتصدّق بها ويوقفها على الفقراء.

فمع كلّ هذه التعاليم، تظهر لنا أهمّيّة العمل في الإسلام، لا القناعة، وهذا هو الرضا بالمقدار الّذي يحصل عليه من تعبه وشغله وجهده ويقطع طمعه عن الآخرين، والروايات الواردة في مدح الفقر والموصية بالفقراء، لا تنافي هذا المعنى السامي.

بطبيعة الحال، فإنّ حبّ الدنيا وجمع المال وعدم إنفاقه في سبيل الله، مذمومٌ حتّى ورد أنّ، «**حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة**»[1] وقد ورد في الحديث أنّ من عمل ليجمع المال والثروة ليتفاخر بها على الناس ويحتقرهم، فإنّه يلقى الله وهو عليه غضبان فكلّ واحد من هذه التعاليم العالية ناظرة إلى نقطة خاصّة من نقاط ضعف المجتمع والفرد، والهدف هو رفع هذا الضعف الموجود.

فالدين الإسلامي دين كامل وجامع وقد اهتمّ بكلّ الجوانب ولم يغفل عن أيّ جانب، فقد اهتمّ بالفرد وبالمجتمع، وبالروح والجسد، والظاهر والباطن،

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٥٨.

والتربية والمال والفقر والغنى، وكلّ الاستعدادات والقدرات البشرية والمصالح والمفاسد، ولقد كان اهتمامه لقضيّة الفقر والغنى اهتماماً مميّزاً بل كان الإسلام المدرسة الوحيدة لتربية الإنسان الكامل. وفي هذه المسائل أُمور كثيرة علينا أن ندقّق فيها وندرسها دراسة معمّقة وأن نضعها نصب أعيننا حين العمل لكي يكون الإنسان مسلماً حقيقياً.

أسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعاً لشكر نعمة الإسلام وأحكامه النورانية وأن يزيد في قوّة ارتباطنا به. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.[1]

---

١. سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

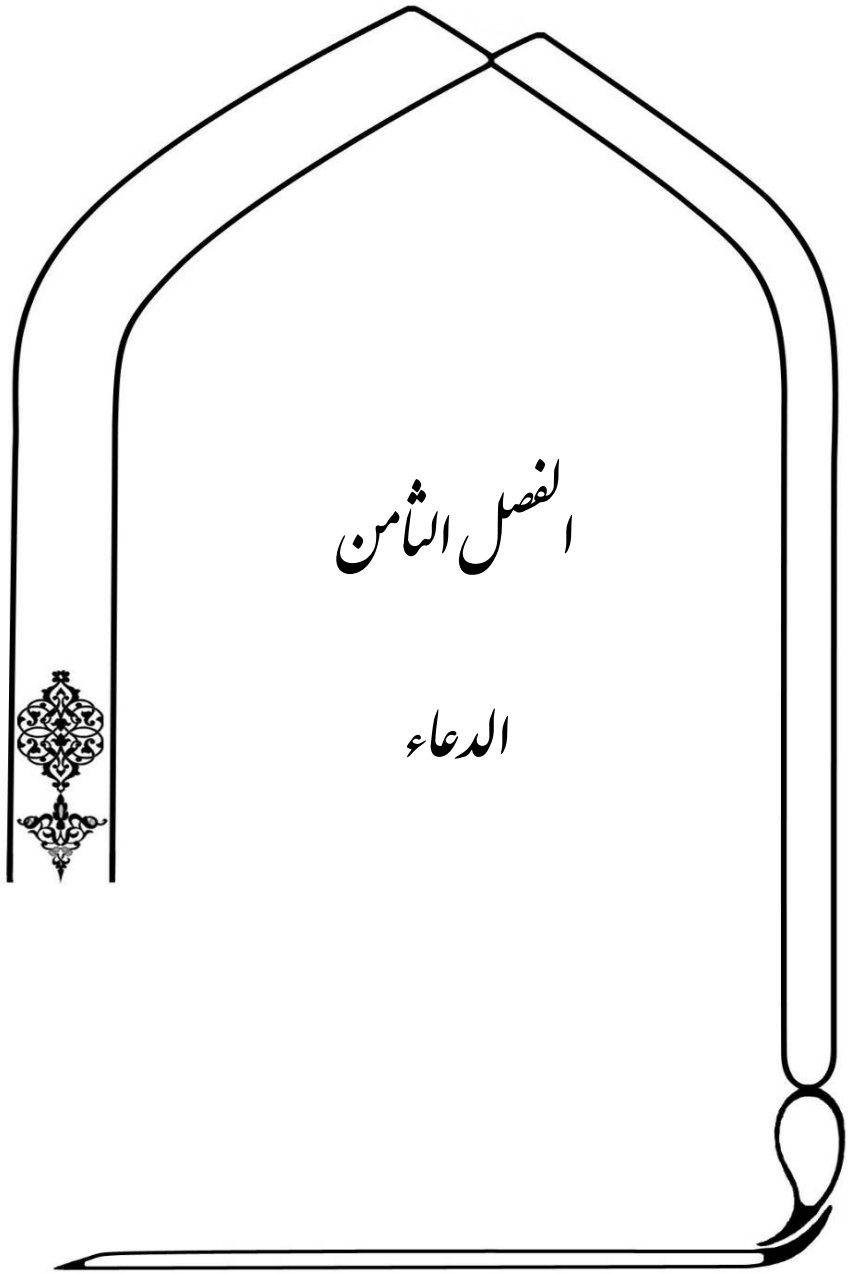

الفصل الثامن

الدعاء

علّة تضرّع ومناجاة وطلب التوبة والعفو عن الذنوب في الأدعية الواردة عن المعصومين عليهم السلام

س138: نلاحظ في الأدعية الواردة عن المعصومين عليهم السلام أنّهم يكثرون التضرّع والمناجاة وطلب التوبة والعفو عن الذنوب. فلماذا كلّ ذلك مع أنّهم معصومون؟ وهل يصدر منهم الذنب ليطلبوا العفو؟

ج: في بعض موارد الأدعية، يكون الاستغفار والتضرّع من قبلهم ـ صلوات الله عليهم ـ خاصّاً بمقامهم ولا يكشف عن صدور المعصية. وفي بعض الموارد الأُخرى، ولأنّهم علماء بالعلوم الإلهية وحجج الله على جميع الخلق ومعلّمو ومربّو الناس ويعرفون علل المجتمع وأسباب علاجها، ويعرفون الأمراض

الروحية المتفشّية في المسلمين، فإنّهم يدعون بلسان حال الناس ويعلّمون النـاس أدب التضرّع إلى الله وطلب العفـو والمغفـرة علـى الـذنوب، وهـم في الحقيقـة ينبّهون الناس إلى وضعهم الخطير الّذي يغفلـون عنـه، ويحثّـونهم علـى العمـل لتدارك ذنوبهم ومعاصيهم.

هذا وقد أجبنا جواباً شافياً ومفصّلاً عن هذا الموضوع في كتابنا «تضرّعات في عرفات» فيمكنكم الرجوع إليه. والله العالم.

ماذا نفعل لإيجاد حالة التضرّع والخشوع والدعاء في أنفسنا

س139: ماذا نفعل لإيجاد حالة التضرّع والخشوع والدعاء والطلب في أنفسنا؟

ج: إنّ التفكّر في عظمة آيات الله، ومطالعـة سـيرة النبـيّ الأكـرمﷺ والأئمّـة الطاهرينﷺ والكتب الأخلاقية مثل «معراج السعادة» وشرح الأدعية والمواظبة على ترك المحرّمات بل والمكروهات وأداء الواجبات بل والمستحبّات والمداومة على قراءة القرآن والأدعية المأثورة والتأمّل في معانيها وإحياء الليل، كلّها أُمـور تزيد في الشوق والرغبة بالدعاء والتضرّع والتقرّب إلى الله تعالى.

فعلى الداعي أن يعرف نفسه ويعرف موقعه وأنّه فقير محتـاج لا يملـك لنفسـه نفعاً ولا ضرّاً، وأن يعرف ربّه وأنّه غنيّ ذاتاً وانّه «**قـاضي الحاجـات**» وأنّـه «**كـافي المهمّات**»، وأن يطلب منه أن يقرّبه إليه وأن يذيقه حلاوة المناجاة والعبادة والدعاء.

يقول إمامنا سيّد الساجدين عليه السلام مخاطباً ربّه: «**يا من حاز كلّ شيء ملكوتاً، وقهر كلَّ شيء جبروتاً، صلّ على محمّد وآل محمّد، وأولج قلبي فرح الإقبال إليك وألحقني بميدان المطيعين لك**».[1]

ولا يخفى أنّ من جملة الأُمور الّتي تجلب للعبد توفيق الطاعة هو إطاعة الوالدين و برّهما، واحترام المعلّم وأداء حقوقه.

قراءة أذكار ليلة القدر باللغة الفارسية

س140: هل يمكننا أن نقرأ أذكار ليلة القدر باللغة الفارسية؟

ج: قراءة الأذكار باللغة الفارسية فيه ثواب، ولكن يؤتى بها لا بقصد الورود.

المراد من الحور العين في الروايات

س141: ورد في بعض الأدعية طلب الزواج بالحور العين من الله تعالى مثل «وزوّجني من الحور العين»، فهل أنّ هذا الدعاء مخصوص بالرجال أم يجوز للنساء الدعاء به تعبّداً؟ وإذا كان عامّا فبأيّ قصد تأتي النساء به؟

ج: الزواج يعني قرين الشيء والشخص، وهو أعمّ من الموافقة الجنسية والمخالفة، وإن كانت المتبادر منه واستعماله الغالب هو في القرين المخالف بالجنس كما في الحيوانات والموادّ الّتي فيها ذكر وأُنثى، ولكن في الأشياء الّتي

---

١. قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٢٦٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٣١.

ليس فيها تخالف جنس، يراد منه القرين. وعليه، عندما تقول المرأة: «**ومن الحور العين فزوّجنا**»، فمعنى ذلك إنّها تطلب القرين والعديل من الحور العين وبعبارة أُخرى يمكن القول بأنّ معنى ﴿**زَوَّجْنَاكَهَا**﴾[1] و ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾،[2] هو «قرّبناكها»، «من كلّ شيءٍ خلقنا قرينين»؛ والّذي يستفاد منه عرفاً المزاوجة بمعناها العرفي بمناسبة استعمالها في المورد الّذي فيه ذكر وأُنثى.

ومن هنا كان لفظ «النكاح» أو «أنكحت» في عقد الزواج أصرح من لفظ «زواج» أو «زوّجت».

وأغلب الظنّ بأنّ هذا هو الداعي الّذي جعل العلماء يذكرون مثل هذا الدعاء في كتب الأدعية ولم يخصّصوه للرجال.

ومع ذلك إذا قرأت المرأة هذا الدعاء بلفظ «أخدمني» بدل «زوّجني» بقصد الرجاء، فلا مانع.

قراءة أدعية شهر رجب وتكليف المرأة

س142: ورد في أدعية شهر رجب، «حرّم شيبتي على النار» بعد القبض على اللحية، فكيف تفعل المرأة في هذا المورد؟

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

٢. سورة الذاريات، الآية ٤٩.

ج: إذا قرأت المرأة هذا الدعاء بعنوان التعبّد، فالرجاء شمولها بالثواب، ولو وضعت يدها على شعرها وقالت حرّم شيبتي بقصد الرجاء، فالمأمول حصولها على الثواب إن شاء الله.

اعتبار دعاء «ناد عليّاً»

س143: ما هو رأيكم بدعاء «ناد عليّاً»؟ وهل هو معتبر أم لا؟

ج: ما يحضرني الآن هو أنّ هذين البيتين، خطاب ـ بحسب النقل ـ إلى رسول الله ﷺ، وقد ذكرها «الميبدي» من علماء أهل السنّة في «شرح الديوان» حرف الميم، والعلّامة المجلسي ﷺ في «البحار»،[1] وعليه فلا يمكن تأييد اعتبارهما، ولكن لا ينفيي احتمال صحّتهما، وعليه فلا مانع من قراءتهما بقصد الرجاء، لا بقصد الورود.

تكرار بعض عبارات الأدعية

س144: في دعاء الندبة ذكرت عبارة كلمة «أين الحسن؟ أين الحسين؟» مرّة واحدة، ولكنّهم يقرأونها تسعة مرّات، وفي دعاء الكميل وردت كلمة «يا ربّ» ثلاث مرّات، ولكنّهم يقرأونها تسع مرّات، فهل هذا التكرار صحيح؟

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٠، ص٧٣.

ج: لا إشكال في أصل تكرار الأذكار والأدعية والآيات القرآنية حتّى في الصلاة، مضافاً إلى أنّه موجب لزيادة ثواب كما أنّه يزيد في التوجّه، فمثلاً إذا كرّر عبارة «**أين الحسن؟ أين الحسين؟**» في دعاء الندبة بقصد استحضار الذهن لفضائل ومقامات ومصائب هؤلاء الأطهار وللبكاء عليهم وندبتهم، فلا مانع من ذلك، ولكن ينبغي أن لا يكون بقصد ورود الدعاء بهذا النحو، وإلّا فلا يصحّ.

حكم لعن غاصبي حقّ أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام

س145: هل يجوز لعن غاصبي حقّ أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام علناً وإظهار العداوة لهم؟

ج: جائز إذا لم يكن مخالفاً للتقيّة وموجباً للفتنة. والله العالم.

قراءة الأدعية بقصد الاستحباب

س146: هل يجوز قراءة الأدعية والزيارات الموجودة في كتاب «مفاتيح الجنان» بقصد الاستحباب؟

ج: إذا كان بقصد الاستحباب المطلق فلا إشكال فيه وهو موجب للأجر والثواب. والله العالم.

استحباب بعض الأدعية المعروفة

س147: هل أنّ دعاء الندبة، الكميل، التوسّل، دعاء الإمام الحسين يوم عرفة، المناجاة الخمسة عشر، الزيارة الجامعة الكبيرة، الزيارة الجامعة الصغيرة، زيارة أمين الله، زيارة عاشوراء مستحبّة أم لا؟

ج: بعض الأدعية والزيارات المذكورة مثل «الزيارة الجامعة» و «زيارة العاشوراء» و «زيارة أمين الله» و «دعاء الندبة» و «دعاء عرفة» هي معتبرة مشتملة على مضامين عالية ومعارف إسلامية كبيرة مضافاً إلى اعتبارها.

فالاستحباب المطلق ثابت فيها جميعاً، وبعضها واردٌ ومستحبّ بخصوصه.

والله العالم.

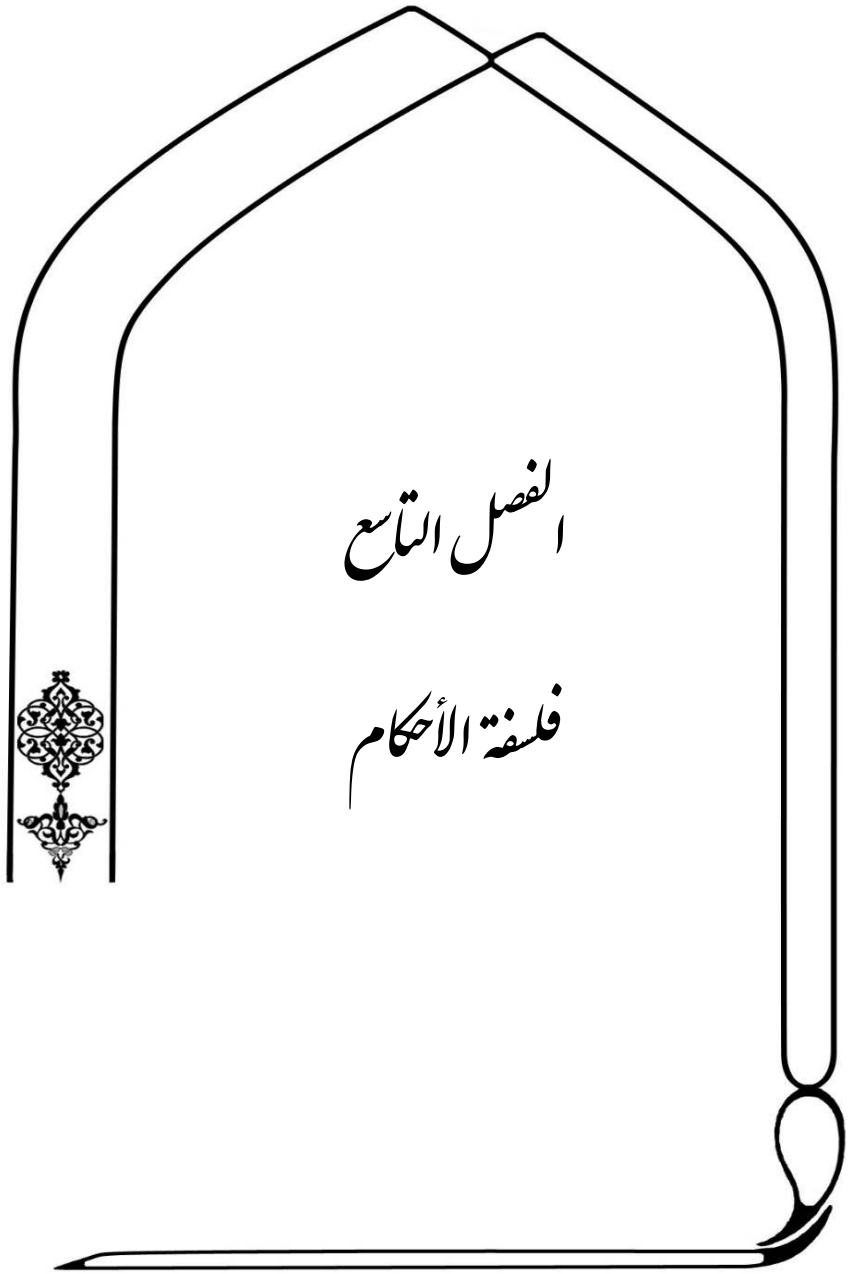

الفصل التاسع

فلسفة الأحكام

السؤال عن فلسفة الأحكام الشرعية

س148: هل يجوز لنا السؤال عن فلسفة الأحكام الشرعية؟

ج: إنّ الأحكام الشرعية وتعاليم الشريعة الإسلامية المقدّسة كلُّها مبنيّة على جلب المصالح أو دفع المفاسد ومتضمّنة لفوائد كثيرة ونابعة من الحكمة.

وقد بُيِّنت في القرآن الكريم والروايات الشريفة، المصالح الكليّة لهذه الأحكام كما ذكرت المصالح الخاصّة لكثير منها؛ كما أنّ العقل يدرك الحكمة والفائدة الموجودة في الكثير منها.

و مع ذلك، لا تتيسّرُ الإحاطةُ بحكمةِ وفائدة كلِّ هذه الأحكام من الواجبات والمستحبّات والمحرّمات والمكروهات في المجالات العبادية والاجتماعية

والأخلاقية والتربوية والروحية والجسمية والعلاقات العائلية والسياسية والمالية والقضائية و... . مثل الإحاطة بكلّ فوائد نعم عالم الخلقة والتكوين فإنّها غير ميسَّرة للإنسان.

فلا يصحّ تعيين علّة تشريع حكمٍ من الأحكام بدون الاستناد إلى القرآن الكريم والحديث الشريف والعقل القطعي، ومع ذلك، فالتفكير والسؤال عن فوائد هذه الأحكام والاستفسار عن الحكمة الموجودة فيها ـ إذا لم يكن بعنوان الاعتراض ـ غير ممنوع، بل هو موجب لمزيد من المعرفة.

وهذه الجامعية للإسلام في أحكامه تعدّ من المعجزات والأُمور الّتي اعترف بها أهل الفكر والفهم والاطّلاع من الأجانب الّذين لا يدينون بالإسلام.

وفي هذا الموضوع مطالب كثيرة لا مجال لشرحها وبيانها هنا، ولكن على المؤمن أن يسلّم بأحكام الله تعالى حتّى لو لم يعرف فائدتها وفلسفتها، إذ أنّه إذا أراد أن يجعل عمله بها مشروطاً بمعرفة ملاكاتها وفلسفتها، لم يكن عمره ليفيَ بذلك ولتخلف عن العمل بها وضاعت عليه، مثل المريض الّذي لا يتناول الدواء الّذي يصفه له الطبيب الحاذق، بحجّة أنّه لا يعرف خصوصيات الدواء وتركيبه وفوائده التفصيلية.

فمن الواضح أنّ مثل هذا المريض الّذي عليه أن يستعمل الدواء بسرعة ولا يضيع عليه فرصة الشفاء، سيهلك إذا بقي مصرّاً على عدم تناول الدواء بحجّة عدم الوقوف على خصوصياته.

وعلى أيّ حال، فإنّ الاستفسار والسؤال عن علل وفلسفة الأحكام ـ بالنحو الّذي بيّنّاه ـ من ذوي الخبرة والاطّلاع، مفيدٌ. والله العالم.

المراد من «موقوتاً» في الآية الشريفة

س149: ورد في الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾، وكذلك ورد في نهج البلاغة الكتاب 52، ضمن إرشادات أمير المؤمنين عليه السلام إلى الولاة في خصوص اقامة الصلاة في أوقات معيّنة ما يلي: «أمّا بعد فصلّوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حيّة في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان، وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاجّ إلى منى، وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل، وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه، وصلّوا بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتّانين».[1]

وبناءاً على هذا، فلماذا نجمع نحن الشيعة بين الظهرين وبين المغرب والعشاء ولا نلتزم بمفاد الآية الشريفة وما جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام؟

---

١. نهج البلاغة، الكتاب ٥٢ (ص٤٢٦).

نرجو من سماحتكم بيان هذا الموضوع مفصّلاً.

ج: أمّا الآية الكريمة ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**﴾،[1] فليس لها دلالة على جواز وعدم جواز الجمع أو التفريق في الصلوات والقول بجواز الجمع كالقول بوجوب التفريق لا ينافي توقيت الصلاة، هذا مضافاً إلى أنّ الوارد في الروايات في تفسير «موقوتاً» هو «مفروضاً وثابتاً».

وأمّا الأوامر الصادرة عن مقام أمير المؤمنين عليه السلام والّتي ذكرت في نهج البلاغة، فهي مشعرةٌ بجواز التفريق، وهي حكم وفرمان لترتيب وتنظيم الجماعات، وتلك مسألة أُخرى.

وحتّى لو كانت لبيان الوظيفة والتكليف فهي لا تدلّ على أكثر من أنّ أداء الصلوات في هذه الأوقات جماعة هو الأفضل، فلا يتضمّن هذا الأمر حكم الصلاة فرادى ولا الجمع بين الصلاتين منفرداً.

فأصل مسألة جواز الجمع بين الصلاتين في الظهرين والعشاءين بنحو التقديم أو التأخير هو مورد اتّفاق الإمامية وموافق لإطلاقات الآيات القرآنية الكريمة في مورد أوقات الصلوات، كما أنّه المطابق لسهولة ويسر الشريعة السمحاء السهلة .

---

١. سورة النساء، الآية ١٠٣.

أضف إلى ذلك، أنّه الثابت بحسب الأخبار المعتبرة الصحيحة وقد روي هذا المعنى أيضاً من طرق أهل السنّة وفي كتب الصحاح، وأنّ الرسول الأعظمﷺ قد جمع بين الصلاتين بلا عذر ويظهر أنّها كانت جماعة.

وعليه، فإنّه بحسب أُصول المذهب والأدلّة الصحيحة كتاباً وسنّة وإجماعاً، لا شبهة في جواز الجمع، وبالشرح الّذي ورد في كتب الفقه المبسوطة.

وما ذكره أهل السنّة من وجوب التفريق برغم الأدّلة، مردود. حتى أنّ بعض محقّقي علماء أهل السنّة قالوا بصحّة مذهب الإمامية بحسب التحقيق، بل إنّهم أثبتوا جواز الجمع بين الصلاتين ـ وهو مذهب الإمامية ـ في كتاب خاصّ بهذه المسألة، مثل «الحافظ العماري» في «إزالة الخطر عمّن جمع بين الصلاتين في الحضر» ومثل «حامد بن حسن شاكر التميمي» في «قرّة العين في الجمع بين الصلاتين».

أجل، إنّ أفضلية التفريق على الجمع ثابتة في الجملة بحسب الروايات ولكن ثبوتها بنحو الإطلاق وبحسب الأدلّة، محلُّ تأمّل، بل هو معلوم العدم، والقدر المسلّم من أفضلية التفريق عند الإتيان بالنوافل أو انتظار الجماعة ونحوهما، وإن كانت حصول التفريق باتيان النافلة محلّ تأمّل.

والخلاصة، إنّ المستظهر من مجموع الأدلّة هو أنّ أداء الصلاة في أوّل الوقت وفي كلّ زمان هو الأقرب إلى أوّل الوقت، هو الأفضل إذا لم يكن التأخير بسبب النافلة أو انتظار الجماعة، وإلّا كان التفريق والتأخير أفضل فمثلاً إذا لم يكن

قاصداً النافلة أو منتظراً للجماعة فإنّ أداء صلاة العصر بعد صلاة الظهر أفضل، ولكنّ الجمع بين الصلاتين بنحو جمع، التأخير بدون علّة مرجوح، فخلاصة الاستظهار هي أنّ الجمع بين الصلاتين بالجمع في حدّ نفسه أفضل من التفريق. والله العالم.

علّة وجوب التقليد

س150: الرجاء بيان علّة وجوب التقليد؟

ج: التقليد واجبٌ لوجوب رجوع «الجاهل» في كلّ المواضيع إلى «العالم»، فمثلاً الجاهل بالطبّ عليه أن يرجع إلى الطبيب، وهكذا في كلّ الفنون، وهذا أمر ارتكازي وفطري. والله العالم.

من شرائط المرجع التقليد أن يكون رجلاً

س151: لماذا يتعيّن أن يكون المرجع رجلاً؟ أليست المرأة مثل الرجل (عقلائياً) فهي لا تختلف عنه حتّى في التقوى والورع؟

ج: أمّا ما ذكرته من عدم اختلاف الرجل والمرأة (عقلائياً) فنقول: أوّلاً، هل يستطيع أحد أن يثبت أنّه قد تعرّف على كلّ أبعاد شخصية الرجل أو شخصية المرأة أو على حقيقة الإنسان ككلّ؟

بحسب اطلّاعنا فإنّ آلاف العلماء والمحقّقين على طول التاريخ وإلى يومنا هـذا يعترفون بعجزهم عن معرفة كلّ أبعاد هـذا الموجـود بجنسـيه الرجـل والمـرأة، وإنّ عليهم التحقيق والبحـث أكثـر فـأكثر للتعـرّف عليـه، ومهـما تعرّفنـا علـى بعـض المجهولات في ماهية هذا الموجود فإنّه ستبقى أُمور كثيرة مجهولة عنـدنا، بـل يمكـن القول بأنّه كلّما تعرفنا أكثر واكتشفنا أسرار هـذا الموجـود فإنّنـا سـنواجه مجهـولات وأسرار أُخرى، ولعلّ أحد معاني «**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**» هـو هـذا المعنـى، وهو أنّ معرفة الإنسان ـ كما ينبغي ـ غير ميسّرة لأحد ولا تصل إلى حدٍّ ونهاية. فإذا كان الإنسان عاجزاً عن معرفة نفسه، فكيف يمكنه التعرّف على خالقـه الحـقّ جـلّ وعلا، فكما أنّ معرفته بنفسه إجمالية وليست تفصيلية فكذلك معرفته بالله إجمالية.

ثانياً: صحيح أنّ بعض النساء أقوى من كثير من الرجال في القدرة العقلية وأنّ رشدهنّ الفكري آكد، ولكن بحسب النوع فإنّ النساء أكثـر عاطفـة مـن الرجـال وأشدّ تأثّراً ورحمـة وشـفقة، مـع أنّ الجميـع ذوو عقـول، وأنّ مـا ورد في الآيـات القرآنية المجيدة من مدح ذوي الألباب والعقول شـامل للنسـاء ـ كـما هـو شـامل للرجال ـ فقوله تعالى: ﴿**أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾،[1] ﴿**أُولِي النُّهَى**﴾[2] يطلق على الجنسين معاً.

---

١. سورة البقرة، الآية ١٩٧؛ سورة آل عمران، الآية ١٩٠؛ سورة المائدة، الآية ١٠٠؛ سورة يوسف، الآية ٤٣، ١١١؛ سورة الزمر، الآية ١؛ سورة غافر، الآية ٥٤.

٢. سورة طه، الآية ٥٤، ١٢٨.

ولكن مع ذلك، فإنّ نوع الرجال أقوى من النساء في التدبير والتحمّل والإدارة وصلابة النفس، وأقلّ تأثّراً من النساء في مواقف الرأفة والرحمة والإيثار، فإنّ الرجل أنسب المجموعة من الوظائف والمسؤوليات الخاصّة، كما أنّ المرأة أنسب لبعض المسؤوليات الخاصّة الأُخرى.

كما أنّ كلّ واحد منهما وبحسب مصلحة جسده يناسب تكويناً وتشريعاً بعض المناصب والوظائف الخاصّة به دون الآخر بدون الحرمان من صلاحيتهما العامّة في عالم التكوين والتشريع.

وعلى هذا الأساس، إذا كلّف الرجل ببعض الوظائف الثقيلة الّتي تتناسب مع طبعه وطبيعته وأُعفيت المرأة من تلك الوظائف، فإنّ ذلك لا يعني المحرومية لها، بل هو تخليص لها ممّا يرهقها ويجهدها لما لا تطيق.

وفي الحقيقة، ليس هناك أيّة محرومية في عالم التكوين والتشريع لأيّ أحد، أي أنّه لم يحرم أحدٌ من شيء يجب أن يمتلكه، وإن كنّا غير مطلّعين على كلّ تلك الجهات.

وممّا تقدّم، يعلم بأنّه متى ما وجدنا تمييزاً من قبل الشريعة لأحد الجنسين (الذكر والأُنثى) على الآخر، لابدّ أن نعرف أنّه لو لم يكن كذلك لخرجت الأُمور عن مسارها الطبيعي وخالفت الاعتدال في التكوين والتشريع، وفي الحقيقة إنّ التعبير بالتمييز والتفاوت هنا ليس تعبيراً حقيقياً، لأنّ التفاوت إنّما يكون فيما لو تساوت الشرائط، وأمّا إذا كان لكلٍّ منهما خصوصياته المميّزة له، فسيكون التعبير بالتفاوت

مجازياً فلا يوجد أيّ تفاوت وتمييز بينهما، فكلّ واحد منهما هو هو وفي موقعه الطبيعي المنسجم مع خصوصياته التكوينية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الإسلام الّذي هو أكمل الأديان وخاتمها قد اعتبر المرأة في مقام الإنسانية وكسب الكمالات، كالرجل وفي مرتبته تماماً، ولذا يقول عزّ من قائل: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾،[1] و ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.[2]

فكما أنّ الرجال بشِّروا بالقرب إلى الله والفلاح ودخول الجنّة والحياة الطيبّة في ظلّ الإيمان والعمل الصالح، فكذلك النساء على السواء بشِّرن بنفس الثواب، فالمحروم الحقيقي في الثقافة الإسلامية هو المحروم في نيل هذه المقامات وكسب الكمالات المعنوية.

وعلى هذا، وبالالتفات إلى كلّ النكات الدقيقة الّتي أُشير إليها في التعاليم الإسلامية، فإنّه إذا وجد مورد تمّ التمييز في التكليف فيه بين الرجل والمرأة فإنّ ذلك نابع على أساس الوحي والمعرفة الإلهية الواقعية لهذين الجنسين في أكثر ما نجهله نحن

---

١. سورة النساء، الآية ١٢٤.

٢. سورة النحل، الآية ٩٧.

من المصالح والحِكَم الكائنة في الأُمور ولكنّنا نسلِّم بحكم الله تعالى ونعلم بأنّه سبحانه وتعالى هو الوحيد الّذي يعرف ما ينبغي وما لا ينبغي لنا والواقف على مصلحتنا.

وحتّى في العبادات حيث نجد أحياناً التمييز بين الرجل والمرأة فإنّ ذلك بلا شكّ ناشئ عن وجود مصلحة لهما معاً.

فمثلاً، إذا كان مستحبّاً للرجل في الحجّ استلام الحجر وتقبيله، أو الجهر بالتلبية، أو الهرولة بين «الصفا» و «المروة» ولم يكن كلّ ذلك مستحبّاً للمرأة، فإنّ هذا لا يعني إهمال المرأة وعدم احترامها، وإنّما حفظاً لحشمة المرأة واحترام مقامها المقدّم على استلام الحجر والهرولة والجهر.

وهكذا في الصلاة وفي أحكام الإرث، القضاء، الشهادات، الجهاد والدفاع، فكلّ الأحكام صادرة على أساس الحكمة الإلهية والمصالح الاجتماعية وحفظ شؤونات المرأة وشخصيّتها وحفظ نظام كلّ المجتمع.

فالأصل هو ما أشير إليه في الآيتين السابقتين، وفي آيات أُخرى مثل: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾.[1]

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

فإنّ الملاك في الرجل والمرأة معاً هو الإيمان والعمل الصالح لكسب الكمال الحقيقي ونيل الغرض الغائي والفائدة النهائية من خلق الرجل والمرأة، وكلّ الأحكام هي فرع هذا الأصل فإذا حرم أحدٌ هنا فهو المحروم.

هذا هو تفكيرنا وفكرنا وثقافتنا نحن المسلمين، خلافاً للكثيرين وللفكر الغالب اليوم والّذي ابتلي به وللأسف الكثير من النساء والرجال المسلمين أيضاً.

وعلى أساس هذا الفكر الصحيح تأتي كلّ التمييزات المادّية والحرمان من بعض المناصب والمقامات الظاهرية، فمثلاً إنّ «كلينتون» غير محروم، لأنّه صار رئيساً، بفضل شيطنته وتزويره والآخرون محرومون، لأنّهم لم يصلوا إلى هذا المنصب، أمّا من وجهة نظر الإسلام فإنّ من يصل إلى منصب معيّن ـ وإن كان بحقّ ـ فهو مسؤول ومكلّف ويتحمّل وظيفة ثقيلة على عاتقه.

فالغرض، هو أنّه لابدّ أن تكون رؤيتنا شاملة ثاقبة نسلِّم تسليماً لتقسيم الوظائف والمسؤوليات بين الرجل والمرأة من قبل الإسلام.

وفيما يرتبط بمرجعية المرأة أيضاً لابدّ من ملاحظته على نفس هذا الأساس، فإنّ الإفتاء من أخطر وأدقّ الأُمور، ولذا فإنّ بعض الأعاظم يتحرّزون من الإفتاء مادام هناك مَخلَص ولم يكن تكليفاً عينياً عليهم.

وبأيّ دليل ونظر كان شرط الذكورة في المرجعية، فإنّ المرحوم الفقيه المحقّق والمرجع الكبير آية الله الخوئي ﷺ ـ كما جاء في أحد تقريرات دروسه ـ يذكر الأدلّة

على اشتراط الذكورية في مرجع التقليد ويبحثها ويستنتج من البحث بأنّ الاشتراط مستفاد من تعاليم الإسلام وما هو المقصود من كمال الرجل والمرأة ونظام المجتمع وجهات سعادة الجنسين، والمسألة مرتكزٌ قطعي في أذهان المتشرّعة، وبطبيعة الحال بالمفهوم الصحيح فإنّه ليس في ذلك أيّ امتياز مالي وربح للرجل وليس هناك أيّ مصادرة لحقّ مالي من حقوق المرأة ولا حرمانها من الانتفاع إذ أنّ المسألة مسألة تكليف ومسؤولية كلِّف بها الرجل ولم تكلَّف بها المرأة، مثل تكليفه بالجهاد دونها.[1]

وبهذه النظرة الإسلامية لا محرومية للمرأة، إلّا إذا جعلت المرجعية وسيلة لنيل الأغراض والمصالح الدنيوية، فحينئذ ستكون المرأة محرومة منها، فكان على الجميع حتّى لو لم يكن لهم صلاحية السعي لكسب هذا المنصب وغيره، ولكنّنا قلنا بأنّ ذلك ليس من ثقافة الإسلام وقيمه وتعاليمه بل هو بالضبط في مقابل نظرة الإسلام ومبادئه، ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾.[2]

فكلّ المسائل المرتبطة باشتراك النساء في بعض الأعمال الرجالية والمسؤوليّات الثقيلة إنّما هو بسبب العدول عن ثقافة ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾

---

١. الخوئي، التنقيح، ج١، ص٢٢٤.

٢. سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

إلى ثقافة اللعب واللهو، ولو دقّقتم النظر لوجدتم أنّ مظاهر هذه الثقافة الشيطانية كثيرة.

وعلينا ـ نساءاً ورجالاً ـ أن نفرّق بين هذه المظاهر بدقّة وبالاهتداء بضياء هداية القرآن المجيد والأحاديث الشريفة وأن نعرف جيّداً مدى ارتباط كلّ ظاهرة منها بهاتين الثقافتين والرؤيتين.

ففي الثقافة والتربية الإسلامية، يبتعد الإنسان المؤمن عن تحمّل المسؤوليّات والمناصب العامّة ـ إذا لم تكن واجبة عليه بالوجوب العيني وبملاحظة المسائل المعنوية ـ ولا يرشّح المؤمن نفسه لمقام ومنصب لمجرّد نيل ذلك المقام والمنصب، فضلاً عن السعي والتزوير وإعطاء الرشا والخديعة والدعاية الكاذبة الخادعة وتطميع الآخرين، فالمؤمن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس بأنّ الإمارة والحكومة عنده أهون من نعل لا قيمة لها «**إلّا أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً**».[1]

فمسؤوليّة إقامة الحقّ وإقرار العدل ودفع الباطل والظلم هي الّتي تدفع شخصاً مثل أمير المؤمنين عليه السلام لقبول منصب أو مقام، فهذا تكليف وليس نحلة وهبة وعطيّة وجائزة ليقال بأنّ مثل السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام قد حرمت منها وأُعطيت إلى زوجها.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣٣ (ص٧٦).

بعكس الثقافة الغربية فإنّ مثل ذلك يعدّ حرماناً للمرأة، فإذا ما لاحظ حياة الترف والبذخ الّذي يعيشه رئيس أكبر دولة في العالم مثل أمريكا وحياة زوجته الّتي تعتبر السيّدة الأُولى في المجتمع والّذين يعيشون حياة أخلاقية متدنّية يأنف القلم العفيف عن تسطيرها، فبحساب تلك السنن والثقافات إذا لم تكن المرأة وزيرة أو أميرة أو قاضية أو محامية و...، فإنّها ستعتبر محرومة كما أنَّ الرجل أيضاً، إلى لم يصل إلى ذلك المقام فإنّه يعدّ محروماً مسلوب الحقوق.

فأين هذه الثقافة المنحطّة من ثقافة الإسلام؟

والحاصل أنّه لابدّ في دراسة كلّ المسائل أن لا تختلط علينا الثقافتان، فلا ندرس الثقافة الإسلامية على أساس النظرة الغربية، ولا ننسى أنّنا مسلمون نؤمن بالإسلام وأحكامه.

اشتراط الذكورية في التصدّي للمناصب الّتي تتضمّن ولاية وحكومة على عامّة الناس

س152: 1. ألا يعتبر اشتراط الذكورية في التصدّي للمناصب الّتي تتضمّن بنحو من الأنحاء ولاية وحكومة على عامّة الناس، حرماناً للمرأة ونكراناً للقيم الإنسانية؟

2. ما هي المناصب والمقامات الّتي تعتبر مصداقاً «للولاية»؟

3. ما هو الدليل ـ فقهيّاً ـ على عدم تصدّي النساء للأُمور المرتبطة بالولاية؟

ج: بملاحظة أنّ اشتراط الذكورية لا يعني حرمان المرأة وسلب حقّها وعدم احترام القيم الإنسانية وإثبات امتياز ونفع خاصّ للرجل، وبملاحظة أنّ معنى الاشتراط هذا هو إعفاء المرأة من مجموعة من الوظائف والتكاليف الثقيلة الصعبة والخطرة وتكليف الرجل بها، يمكن دراسة القضيّة من خلال وجهتي نظر ثنتين.

فمن وجهة نظر المجتمع الغربي، فإنّ هذا الشرط يوجب حرمان المرأة من امتيازات الحكومة، لأنّ الغربي ينظر إلى الحكومة نظرة مادّية ويرى بأنّ هذا المقام أو ذاك إنّما هو مكسب مادّي صرف، فهو عندما يرى القصور والترف والبذخ وتلك المراسيم التشريفاتية في قصر «الإليزيّة» و «البيت الأبيض» ويرى بلاط الجبابرة والإمبراطوريات وكلّ ذلك الاستكبار والاستعباد والاستبداد، يقول: لماذا تحرم المرأة من كلّ هذه المظاهر الحياتية الممتّعة وكلّ هذه النعم والمكاسب المادّية؟ ولماذا كلّ هذه المنافع تصبّ في صالح الرجل دون المرأة؟

وهذا القول والتساؤل، تساؤلٌ بحقّ، فإنّه إذا كان البناء على نيل هذه المكاسب الدنيوية والالتذاذ بهذه النعم المادّية (الّتي لا يحقّ لأحدٍ في الإسلام أن يسعى لكسبها) فليس للرجل حقّ الأولوية على المرأة في هذا الجانب فلماذا التمييز؟

وأمّا من وجهة نظر الإسلام والمدرسة الّتي تريد أن تستبدل «قصر الزيزفون» أو «بلاط قيصر روما» بمدينة «محمّدﷺ» و«كوفة عليّؑ» وتؤسّس لحياة متواضعة بسيطة، وتقود القادة والمجتمع من منطق ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1] فإنّ الاقتراب من تلك المناصب وحفلات الترف والبذخ يعني الاقتراب من خطر عظيم وموقفٌ بين الجنّة والنار لا يرشّح أحدٌ نفسه له إلّا ذلك الأوحديّ من الناس وأُولئك الّذين يجدون في أنفسهم كمال الوثوق من عدم الانحراف والاغترار، ولن يعني إعفاؤهم من تلك المناصب محرومية في نظرهم ولا غصباً لحقوقهم ولا مخالفاً للقيم الإنسانية أبداً.

فقبول هذه المقامات والمناصب المرتبطة بأُمور عامّة المجتمع هو قبولٌ لمسؤولية وتعّهدٌ بأُمور خطيرة يعرف خطورتها أُولئك المؤهّلون لها، ولا يقبلونها إلّا من حيث إنّها تكليف عيني شرعي واجب عليهم، فيقبلونها ويتوكّلون على الله لإعانتهم على تحمّلها، فلا يرشّح مسلمٌ نفسه لهذا المنصب وذاك المقام إلّا إذا رأى نفسه مكلّفاً وصالحاً له.

ولذا فإنّ القضيّة هنا ليست قضيّة تفضيل رجل على امرأة والاشتباه إنّما نشأ من عدم التمييز بين الحكم والحقّ وبين التكليف والاختصاص.

---

١. سورة القصص، الآية ٨٣.

فمن وجهة نظر إلهية، ومن وجهة نظر المرأة المسلمة الواعية، فإنّ هذه الأحكام مثل عدم وجوب صلاة الجمعة على المرأة وسقوط الجهاد عنها، ليس محرومية، بل هو سقوط تكليف شرعي وإعفاء من واجب شرعي ثقيل، فهو عناية خاصّة بالمرأة وصيانة لها ولحشمتها وحفظٌ لمكانتها وقيمتها العالية.

ولا شكّ في وجود أسرارٍ وحِكم أُخرى في هذا الحكم، مثل ضرورة الشدّة والصدامة والصلابة في ممارسة التصدّي لأُمور الحكم والقضاء والحروب، بل يحتاج أحياناً إلى الخشونة وهو ما لا تتحمّله المرأة بعواطفها المرهفة، وهذا عين كمالها. فالنساء يتميّزن عن الرجال فِسلُجيّاً بالرِّقة واللطافة والشفّافية والتأثّر حيال المشاهد المروِّعة والعاطفية، فالمرأة مظهر العاطفة والحنان والأحاسيس الرقيقة، بعكس الرجل الّذي يتميّز بالقاطعية والجرأة والإقدام.

٢. أمّا ما يرتبط بمصاديق الولاية ومناصبها، فلابدّ أن يُعلم بأنّ الحدّ الأدنى والقدر المتيقّن من الولاية الّتي يشترط فيها الذكورية هي مناصب مثل: رئاسة الجمهورية، رئاسة الوزراء، والوزراء، ممثّلي مجلس الشورى، وبنحو عامّ المشاركة في الشورى العامّة والمحافظ، والقائم مقام ومدير الناحية والمختار وقادة الجيش والشرطة.

ومن البديهيّ، فإنّه في موارد الشكّ في بعض المصاديق بالنسبة لمن يريد أن يعطى الولاية وبالنسبة لأفعال شخص يشكّ في صحّة ولايته، فالأصل عدم التأثير وعدم نفوذ ولايته.

وبالنسبة للآخرين فلا يجب عليهم إطاعته وترتيب أيّ أثر على أوامره وتصرّفاته، فالأصل عدم الإطاعة.

ولا يخفى، أنّ القضاء غير منظور في هذا البحث، لأنّه باب مستقلّ وله أدلّته الخاصّة.

٣. وأمّا من جهة الأدلّة الشرعية على اشتراط الذكورية، وهو أهمّ جهة في البحث، فيقال: لولا التأثّر والانخداع بتلقينات العالم الغربي والانبهار بالأنظمة الغربية والتقليد الأعمى للمدارس الأُوربية، وابتعاد ثقافتنا خلال نصف قرن عن الإسلام الصحيح، لم يكن هناك أيّ استغراب لمثل هذا الاشتراط، فسيرة النبيّ الأكرمﷺ وسيرة أمير المؤمنينؑ بل وحتّى التزام خلفاء الجور بهذا المنهج مع عدم إنكار الأئمّةؑ وارتكاز المسلمين، كان هو المتّبع.

فأيّ دليل أفضل وأقوى من هذا الدليل مع وجود شخصيات نسائية عظيمة في عصر الرسالة والإمامة مثل السيّدة فاطمة الزهراءؑ والسيّدة زينب بنت أمير المؤمنينؑ وهي من اللواتي يتمتّعن بكلّ الصلاحيات والفضائل والمؤهّلات، والمفضّلات على كلّ نساء ورجال عصرهنّ، باستثناء رسول اللهﷺ والأئمّةؑ؟

بل إنّ الزهراءؑ كان لها مقام الولاية الباطنية، ومع ذلك لم يأمرها النبيّ الأكرمﷺ بالتدخّل الظاهري في الأُمور العامّة والتصدّي الرسمي بولايتها؛ فلو كان هذا الاشتراك والتصدّي أمراً شرعياً، لما تركه رسول اللهﷺ وهو الّذي محا كلّ السنن الباطلة لعصر الجاهلية ورفع المرأة إلى مكانتها السامية وأعلن لكلّ

العالم حقوق المرأة وقيمتها وأخرجها من الظلمات إلى النور ومن الأسر إلى الحريّة، وفي الحقيقة إنّ إحالة الأُمور الولائية إلى غير الأصلح مع وجود الأصلح غير جائزة. ومع وضوح هذا الأمر ومضافا إلى ما ذكر ـ لأن استقصاء الأدلّة الأُخرى وشرحها وبيانها يحتاج بنفسه إلى كتاب مستقلّ ـ سنشير إلى بعضها بدون الدخول في المباحث الفقهية المعمّقة:

من خلال الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾[2] وآيات سورة النور والأحزاب والروايات الدالّة على عدم وجوب الجمعة على المرأة وعدم استحباب الجماعة ولو بنحو رجحان صلاتها إفراداً وفي بيتها على صلاتها الجمعة، وعدم جواب تصدّيها للقضاء، والروايات الكثيرة في الأبواب المختلفة في الفقه والأخلاق، يثبت بالأولوية عدم جواز حكومة وولاية النساء، فلا يتصوّر بأنّ الشريعة الّتي قرّرت مثل هذه المقرّرات العبادية للمرأة، تبيح لها الحكومة والولاية والاشتراك في مجالس المشاورة فليس الأُمور العامّة، والبحث والمجادلة مع الأجانب. فإنّ ذلك ينقض الأغراض الإصلاحية والاجتماعية.

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

من خلال الآيات الخاصّة مثل قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[1] ومثل قوله: ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾[2] حيث تدلّ الأُولى على أنّ الحكومة وإدارة الأُمور العامّة هي للرجال، كما أنّ القدر المتيقّن من الآية الثانية هو ولاية الرجال على الأُمور ولا تقبل التقييد بأُمور العائلة ومسائل الأُسرة خاصّة الآية الأُولى وبمناسبة التعليل العامّ فيها ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ فإنّها صريحة في هذه القيمومة والولاية.

الروايات الكثيرة الدالّة على ذلك، وهي وإن كان بعضها ضعيف السند ولكن بالنظر إلى عمل الأصحاب بها فإنّ ضعف سندها منجبر بعملهم، مضافاً إلى القاعدة القائلة: «الأخبار يقوّي بعضها بعضاً»، فإنّ اعتبارها يتأيّد، فكما أنّ مثل هذه الأخبار يعمل بها في سائر موارد الفقه ويستند إليها، فكذلك في المقام هي معتبرة، ومن جملتها رواية وردت في كتب أهل السنّة وصحاحهم ومسانيدهم مثل «صحيح البخاري»، «سنن النسائي»، «مسند أحمد»، وفي كتب الشيعة الروائية مثل «تحف العقول» و«البحار» وقد استند عليها في كتب الفقه، وقد وردت بأسانيد متعدّدة ومتون مختلفة ومضمون واحد، وأحد متون تلك

---

١. سورة النساء، الآية ٣٤.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

الرواية يقول: «**لَنْ يفلحَ قومٌ ولّتهم امرأة**»، وفي نصّ آخر: «**لَن يفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة**».[1]

وبديهيّ فإنّ مثل هذا الحديث مع تلك الشواهد والمؤيّدات الموجودة في الأحاديث الأُخرى ومع قبول الفقهاء لها واستنادهم عليها وموافقتها للشهرة بل للإجماع، لهي دليل محكم وغير قابل للردّ، وحتّى لو كان مأخذ الرواية كتب الحديث السنيّة، فانّ ذلك لا يضرّ بها، وتبقى معتبرة.

وللمحقّق المرحوم الأُستاذ فقيه الشيعة بل الأُمّة آية الله العظمى البروجردي ـ أعلى الله مقامه ـ تحقيق في هذا الشأن خلاصته هي: إنّ في الأخبار والأحاديث المأثورة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام أغلب النظر إلى روايات أهل السنّة، فيردّون ما كان موضوعاً وغير معتبر ويبّينون حكم الله فيها، وما شخّصوا أنّه مجملٌ أو مطلق أو عامّ، بيّنوا مبيّنه أو مخصِّصه أو مقيِّده، أي أنّهم كانوا يبيّنون أحكام ومقاصد الشيء ـ الحقيقية الصحيحة ـ للناس، وأمّا في الموارد الّتي لم يرد عنهم شيء فيها وكانت رؤيتهم عن الحديث موافقة وكان أصل الحديث معتبراً، فإنّ تلك الأحاديث تترك على حالها.

وبناءاً على هذا التحقيق، لابدّ أن نمثّل له بهذا الحديث فإنّه وإن كان من

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٩٤.

مصدر سنّي وعن محدّثيهم، فإنّه على هذا الأساس يكون معتبراً واعتباره عقلائي وثابت.

ومن جملة هذه الأحاديث، حديث أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حيث يقول عليه السلام: «**ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها**»،[1] وحديث «**إذا كانت أُمراؤكم خياركم...**» الّذي أخرجه «الترمذي» في كتاب «الفتن»[2] ومن جملتها كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عائشة، كما ذكر في «جمهرة رسائل العرب»[3] وجاء فيه: «**فإنّك خرجت عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ما بال النساء والحرب والإصلاح بين الناس**».

ومن جملتها كتاب «أُمّ سلمة» إلى عائشة الّذي جاء فيه: «**إنّ عمود الدين لا يثاب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهنّ إن صدع، حماديّات النساء غضّ الأطراف وخفض الأصوات وخفر الأعراض...**».[4]

---

١. نهج البلاغة، الكتاب ٣١ (ص٤٠٥).

٢. الترمذي، سنن، ج٣، ص٣٦١.

٣. صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج١، ص٣٧٨.

٤. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج٢، ص١٣٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٢٢٠.

ومن مثل كلمات الصحابة والصحابيات هذه يستفاد بأنّ المسلمة كانت متّفقاً عليها وموافقةً لمرتكزات الجميع.

ومثل هذه الأحاديث والكلمات كثيرة في أحاديث السنّة والشيعة وأحاديث الصحابة والصحابيات والتابعين والتابعيات ومن المفيد الالتفات والتأمّل في هذه الرواية القائلة: «**النساء عورة فاستروا أعينهنَّ بالسكوت وعورتهنّ بالبيوت**».[1]

الأمر المهمّ الآخر هو أنّ مناسبات الحكم والموضوع وأنّ الإذن بالشيء إذن بلوازمه، مؤيّد لهذا الاشتراط أيضاً، لأنّ أرباب هذه الولاية مثل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والمحافظ وعضو المجلس وغيرهم، يتّفق بهم الاشتراك في بعض المحافل والمنتديات الّتي لا ينبغي للنساء المؤمنات الملتزمات بالآداب الإسلامية، الاشتراك فيها، أو على الأقلّ يكون اشتراكهنّ فيها مخالفة للعفّة والحشمة الّتي أرادها لها الإسلام.

وآخر ما نريد قوله هنا، هو أنّ على الجميع ـ سواء المرأة المسلمة أو الرجل المسلم ـ قبول الأحكام الإلهية والتسليم لحكم الله تعالى، كتسليم إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام في قضيّة الأمر بالذبح، ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾.[2]

---

١. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٦، ص٣٧٨ (نقل بالمضمون).

٢. سورة الصافّات، الآية ١٠٣.

لماذا يجب على المرأة أن تستر بدنها في حال الصلاة إذا كانت تصلّي في مكان بعيد عن الأنظار

س153: لا شيء يخفى على الله تعالى، سواء كان مغطّى أو ليس مغطّى، فلماذا يجب على المرأة أن تستر بدنها في حال الصلاة إذا كانت تصلّي في مكان بعيد عن الأنظار؟

ج: «حسن السؤال نصف التعلّم»، وهذا السؤال يمكن طرحه ببيان آخر حول الرجل أيضاً وهو سبب وجوب ستر عورة الرجل أثناء الصلاة إذا كان بعيداً عن أنظار الآخرين؟

فالسؤال عن الساتر أثناء الصلاة لا يختصّ بالمرأة، بل يشمل الرجل أيضاً والجواب واحد فيهما. فإذا ما أردنا أن نخصّص السؤال في المرأة، علينا أن نصيغ السؤال بهذه الصياغة: لماذا يجب على المرأة أن تستر كلّ بدنها متى ما عدا العورتين في أثناء الصلاة وحتّى لو كانت لوحدها في مكان خال من الغير وبعيداً عن الأنظار، بينما لا يجب ستر ما عدا العورتين في الرجل؟

وعليه، فإنّه هنا سؤالان، ولابدّ من الاجابة عليهما بالترتيب. أمّا ما يرتبط بوجوب ستر العورة في الخلوة حال الصلاة مع أنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية، فان أردتم الدليل الفقهي على ذلك، فانّ دليله أحاديث معتبرة ودستورات السنّة القولية والفعلية للنبيّ الأكرمﷺ والأئمّة الطاهرينعليهم السلام

والإجماع القولي والعملي للمسلمين في العصر الأوّل إلى الآن وبطبيعة الحال، فإنّ مثل هذا الحكم المعروف المتّفق عليه لا يمكن أن لا يكون صادراً من صاحب الشريعة المطهّرة. ومع ذلك، ولمزيد من البصيرة في خصوص هذا السؤال والسؤال الثاني، يمكنكم مراجعة الجوامع الحديثية والفقهية.

وإذا كان الغرض من السؤال هو التعرّف على حكمة هذا الحكم وفلسفته، كما هو ظاهر السؤال فنقول في الجواب: إنّ العبادة بمعناها الأعمّ ـ الشامل لطاعة أمر الله تعالى والنظم الإلهية في جميع شؤون الحياة المادّية والمعنوية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية وترك طاعة الطواغيت والنظم اللاإلهية وترك عبادة غير الله ـ هي أعلى وأسمى حالات البشر، وهي أرقى مرتبة يكون فيها الفرد والجماعة في أوج مقام الإنسانية والحريّة والمساواة، متحرّراً من الاستثمار والاستعباد والرقّية لغير الله تعالى.

وهذا هو لبُّ وروح وحقيقة دعوة الأنبياء والرسل، والّذي يتلخّص في قول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾،[1] وقد قيل: «**من أصغى إلى ناطق فقد عبده**»[2] فإن كان الواعظ ينطق عن الله فقد

---

١. سورة النحل، الآية ٣٦.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٩٤.

عبد المتّعظ الله عزّ وجلّ، وإذا كان الواعظ يتحدّث عن الشيطان وأتباعه وحزبه، فقد عبد السامع الشيطان وحزبه، وكلّ من عمل بمنهج ونظام وآمن به وقبله بلسانه أو عمله وأعلن تأييده له، فقد عبد ربَّ ذلك النظام والمنهج فإن كان نظاماً ومنهجاً إلهياً فقد عبد الله، وإن لم يكن نظاماً إلهياً فقد عبد غير الله.

وهذا البحث في العبادة بالمعنى الأعمّ مفيدٌ جدّاً، ودركه لازم ومنجٍ، وأنّ شعبه وفروعه تشمل كافّة نواحي الحياة، ولا يسع هذا الجواب المختصر لبيانه.

الحاصل: أنّ كلّ طاعة وائتمار لابدّ أن يكون لله تعالى ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾.[1] حتّى لو كره المشركون والطواغيت الّذين يريدون استعباد الناس.

والمعنى الأخصّ للعبادة وبعبارة أُخرى: المعنى الخصوصي لها هو تلك النظم الشرعية المقابلة للنظم المالية والسياسية والاجتماعية، وإن كانت تلك النظم مندرجة أيضا، في النظم المالية والاجتماعية والسياسية وأنَّ كلَّ الأحكام مرتبط ببعضها البعض.

وببيان آخر: النظم الّتي يعتبر فيها قصد القربة ونيّة الطاعة والائتمار لله تعالى والّتي تشتمل على داعوية إلهية مثل: الصلاة والصيام والحجّ وحتّى الزكاة.

---

١. سورة البيّنة، الآية ٥.

وهذه العبادة كانت ملوّثة في الجاهلية بالجنبة الحيوانية واللهو واللعب مضافاً إلى عبادة الأوثان، وبهذا يصرّح القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾،[1] فكانت صلاتهم وعبادتهم مشتملة على اللهويات، بل كانت مجرّد صفير وتصفيق، كما هو الحال اليوم في بعض طرق المتصوّفة المشتملة على اللهو واللعب والطرب والحركات الّتي لا تمتّ إلى الشرع الحنيف بصلة.

حتّى أنّه في الجاهلية وأثناء الطواف جاء صرورة لم يكن من «حمس» أي «قريش» و«كنانة» و«خزاعة» ومن التحق بهم، ولم يستعر أو يستأجر ثوباً من «أحمسي» فطاف عارياً، ومن المشهورات طواف تلك المرأة عارية وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كلُّه ... وما بدا منه فلا أُحلُّه

وجاء الإسلام وهذّب العبادة والطاعة وجعلها تحت مظلّة التوحيد والهداية الراشدة، وحارب أنواع الطقوس الأصلية، والفرعية للعبادات المنحرفة المشركة، وأنهى المظاهر المستهجنة والقبيحة والوحشية لعصر الجاهلية.

كما أنّ الإسلام أعلن بكلّ تأكيد توقيفية البرامج العبادية، ومنع تدخّل الإنسان في صياغة البرامج العبادية، وعرض البرامج المشحونة بالتوحيد

---

١. سورة الأنفال، الآية ٣٥.

والتقديس الإلهي، الطاهرة المنزّهة عن التجسيم والتشبيه، وجعل العبادة مظهراً تعبّدياً للتسليم الّذي هو روح وحقيقة الإسلام وأهمّ أسرار العبادة.

وفلسفتها وربّى أفراداً كان إقبالهم على الطاعة في الموارد الّتي تخفى فلسفتها وحكمتها بنفس قوّة طاعتهم في المواد الّتي تكون فلسفتها وحكمتها واضحة، ولم يستفسروا عن العلّة والحكمة في ذلك، بل سلّموا أمرهم لله تسليماً كتسليم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولم يسألوا عن الفائدة والغرض من هذا التشريع أو ذاك فصار إسلامهم مضرباً للمثل في العالمين، وقال فيهم عزّ من قائل: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾.[1]

وبعد هذه المقدّمة نقول: إنّ الصلاة، من أظهر وأكمل مصاديق العبادة، ومعراج المؤمنين، ووسيلة تقرّب الأتقياء، ولابدّ من مراعاة كلّ الآداب المناسبة لشأن ومدى ذلك المقام.

والحكمة في ستر العورة في هذا الحال الشريف والمقدّس ليست في إخفاء وستر العورة عن الله تعالى، إذ لا يحتجب عن علم الله شيءٌ، بل إنّ أحد دواعي الستر هو المناسبة العرفية الواضحة بين الكون في حال الصلاة وستر العورة، فالعرف

---

١. سورة الصافات، الآية ١٠٢ـ١٠٣.

يحكم بأنّ كشف العورة حال الصلاة توهينٌ واستهزاء ومخالفة لأدب القيام بين يدي الله، كما أنّ عظمة وقداسة الصلاة تقتضي طهارة البدن واللباس ومحلّ السجود وأن لا يكون المكان واللباس مغصوباً وأن يكون المصلّي طاهراً من الحدث والنجس ومستور العورتين، والخلاصة، لابدّ من الطهارة المعنوية والظاهرية وفي كلّ هذه الجهات حال الصلاة.

والحكمة الأُخرى في ذلك، هي أنّ مراعاة هذه الآداب مؤثّرة في حصول حضور القلب من الناحية النفسانية، ورعاية هذه المقرّرات ينقل المصلّي من الغياب إلى الحضور، ويزيل كلّ الحجب والموانع الروحية بين المصلّي وربّه.

الحكمة الثالثة هي أنّ الحياء والخجل من الغرائز البشرية، وقد أوصى الإسلام بذلك أيضاً، فيلزم المصلّي بستر عورته حال الصلاة لتقوية تلك الروح اللطيفة فيه، فإنّ عدم اشتراط ستر العورة في حال الصلاة منافٍ لتلك الغريزة الإنسانية.

الحكمة الرابعة المتصوّرة هي أنّ برنامج الصلاة مؤثّر في حياة الإنسان، فإذا لم يشترط عليه ستر العورة حال الصلاة، لم يعد الإنسان يعرف أهمّية لستر عورته في غير حال الصلاة وبعبارة أُخرى يتجرّأ على كشف عورته وهذا ما لا يريده الدين الصحيح.

وهناك قضيّة أُخرى هنا، وهي أنّ الإنسان في حال الصلاة لا يكون في محضر الله فقط، وإنّما هناك ملائكة وكثير من الأرواح الطيّبة الّتي تراه وإن لم يكن هو

يراها. فهذا الستر حال الصلاة وإن لم يكن مانعاً من علمهم بحاله، لكنّه مانع من رؤيتهم له بتلك الحال.

وأمّا فيما يرتبط بالسؤال الثاني وهو علّة ستر المرأة ما عدا العورتين حال الصلاة فالجواب هو:

أنَّ صحّة معتقدات البشر في الإلهيات، هي على رأس المسائل الإسلامية، فالإسلام لا يسمح للإنسان أن يقترب ولو بمقدار شعرة للخرافات والأوهام، ويحاول الحفاظ على حريم العقائد والعبادات والطاعات من التأثّر بالفكر الأجنبيّ الملوّث.

فصناعة التماثيل المجسّمة ممنوع في الإسلام، فلا يجوز صنع التمثال ولا أخذ المال على صناعته، وتعدُّ تلك المعاملة باطلة، لماذا؟

لأنّ للتماثيل والأصنام تاريخ أسود قبيح، فلقد كانت التماثيل وسائل وأدوات للشرك، وهي مظهر من مظاهر الانحدار والتسافل والانحطاط الفكري ووصمة عار في تاريخ البشرية، وقد كان الطواغيت والجبابرة يستعبدون الناس ويفرضون عليهم عبادة تلك الأحجار والأخشاب الّتي اختصّوها لأنفسهم.

والتماثيل اليوم في المتاحف العالمية الكبيرة، هي تذكار لتلك الحقبة الزمنية السوداء ولعصور الاستعباد واستضعاف المجتمعات البشرية، فنحن نتفرّج على

هذه الأصنام ونتأسّف خجلاً على أُولئك الّذين كانوا يتوسّلون ويعظّمون هـذه الشخصيات الطاغوتية، أليس كلّ الناس متساوين؟ أليسوا جميعاً بشراً؟ فما الّـذي كان عند تلك الشخصيات غير استضعاف الآخرين وسلب حقوقهم وحرّيّاتهم وتشييد القصور العالية وقتل وسلب النـاس وتخريـب هـذا البلـد وذاك البلـد، والعدوان على هذا الشعب وذاك؟ فأيّ فضـيلة لهـؤلاء الّـذين يسـمّونهم قـادة التاريخ وأبطاله؟

ولكي لا تتكرّر نماذج الاستعباد والاستضعاف، ولكي لا تعـود الفـوارق الطبقيـة والتمييز، ولكي لا ترجع الدكتاتوريات والطغيان، حـرّم الإسـلام صـناعة التماثيـل، حذراً من عودة عبادة الأوثان، ولكي لا يرد الظلمة والمستبدّون إلى حريم عبادة الله.

وفيما يرتبط بستر المرأة لكامل بدنها في الصلاة مضافا للعورة، فهذا الحكم هو أحد أسرار مسألة تنزيه الله عن العيـب وإبعـاد النـاس عـن التجسـيم والتشـبيه ولتحصين فكر وعقيدة الناس.

فصلاة المرأة بلا حجاب أمام العوامّ والمحارم، يعرضهم إلى توهّم وجـود جنبـة جنسية في حريم الكبرياء وساحة الرفعة والقدس ومقام الربوبية، كما توهّم الـبعض أُنوثة الملائكة. ففي مصر، وإلى ما قبل طلوع فجر الإسلام، كان المصريون ينتخبون في كلّ سنة أجمل فتياتهم ويلقونها في نهـر النيـل بطقـوس زواج ومراسـم عـرس خاصّة، ليرضوا بزعمهم ربّ الماء ويشـبعون غريزتـه الجنسـية، فمسـألة حفـظ

البشر من التلوّث بهذه الخرافات والانحرافات الفكرية المرتبطة بتنزيه الله أو المرتبطة بحماية العقائد، لهي مسألة مهمّة جدّاً.

والحكمة الأُخرى في الساتر أثناء الصلاة، هي أنّ نفس الحجاب ـ في حدّ ذاته ـ محبوب ومطلوب لله تعالى، وعليه فمن اللائق أن تحفظ المرأة هذا الحال الشريف في كلّ حالاتها إلّا تلك الحالات الّتي يجب فيها أو يستحبّ لها أن تكشف عن بدنها، أو فيما إذا اقتضت الضرورة عادة ذلك.

الحكمة الأُخرى هي: أنّ أنسب لباس للمرأة حال الصلاة هو ذلك اللباس الّذي يدلّ على عفّتها وطهارتها واهتمامها بحفظ قيمتها ومكانتها، والّذي ينزّهها عن تهييج الغريزة الجنسية، وما ذلك إلّا اللباس الّذي يستر كامل بدنها.

حكم خروج المرأة من المنزل مرتدية البنطلون والمانتو

س154: هل يحرم خروج المرأة من المنزل مرتدية البنطلون والمانتو؟وإذا كان حراماً، فنرجو بيان السبب؟

ج: فيما يرتبط بعفّة وحجاب المرأة، فإنّ المستفاد من التعاليم الإسلامية هو أنّ الحجاب كالعباءة والشادر، كلّما كان فضفاضا ومانعاً عن تجسيد حجم أعضاء الجسد ومفاتنه كان أفضل. ومثل هذا الحجاب صار هو المتعارف بين النساء المسلمات وهو ما التزمن به.

والمستعمرون وأياديهم وأذنابهم الّذين حاولوا منع الحجاب بيد عمّالهم مثل «مصطفى كمال» و«رضا خان» وقد استعملوا كلّ وسائل الإرعاب والعنف والتعذيب والقتل، كانوا يهدفون إلى منع هذا النوع من الحجاب الّذي يحافظ على وقار وحشمة المرأة وعلى السنن الإسلامية، والمانع من الاختلاط المحرّم بين الرجل والمرأة. فهؤلاء كانوا واثقين من أنَّ هذا الحجاب والتزام المرأة المسلمة به، مانعٌ من سيطرتهم الكاملة على المجتمعات الإسلامية.

ولابدّ من دراسة هذه القضايا بنظرة عقلانية حكيمة، بعيداً عن النظرة الّتي تجرُّ المجتمع إلى الغرائز الجنسية والميل إلى الإغراء والإثارة والابتلاء بالمفاسد الاجتماعية. وفي المجتمعات غير الإسلامية، ارتفع الحياء ـ إلى حدٍّ مّا ـ بارتداء المرأة الملابس الضيّقة والملوّنة والحاكية عن جسدها والمجسّدة لهندامها، وجعلوا المرأة وسيلة لكسب المنافع التجارية وأداة للدعاية لجذب أنظار الرجال ذوي الهوس والشهوة للوصول إلى مقاصد سياسية وتجارية وغيرها.

فهؤلاء، لا يرون بأنّ هذه المفاسد الّتي تنشأ من مثل هذه الحرّية الكاذبة ومهما كانت آثارها السلبية، عيباً وعاراً ومخالفة للشرف ولعفّة المرأة والمجتمع، فقد تصدر أحياناً من بعض المجلّات والجرائد ووكالات الأخبار بعض الأفعال القبيحة والمشينة الّتي لا تصدر حتى من الحيوانات الوحشية.

وللأسف، فإنّ تأثّر بعض المسلمين والمسلمات بالثقافة الغربية قد جرّهم إلى التشبّه بتلك الحياة المنحطّة، فصدرت منهم بعض التجاوزات والإهانات للحرمات والسنن الأخلاقية.

فكلّ البرامج الّتي لا يراعى فيها الحشمة وعدم الاختلاط بين الجنسين هي من أجل اقتلاع جذور بنيان العفّة الإسلامية وزعزعة أساس الأُسرة المسلمة وإنّ خطر هذه البرامج ليس بأقلّ من خطر الموادّ المخدّرة والهيروئين والترياق الّتي تكافح اليوم.

وقد كُتبت في هذا الموضوع كتب ومقالات من قبل العلماء والمفكّرين المسلمين وغير المسلمين منذ صدر الإسلام وإلى زماننا، شيعة وسنّة، ويستفاد من جميع هذه الكتب بأنّ حفظ ورعاية الحجاب والستر المناسب مثل العباءة والشادر، بل وحتّى ستر الوجه، لهو من أهمّ أوجه التمايز بين نساء المسلمين ونساء الكفّار.

فكلّ البرامج الّتي قرّرها الإسلام في نواحي حياة المرأة المختلفة هي لحفظ شرف المرأة ورعاية الشؤون الاجتماعية، وأنّ امتثال هذه البرامج والمناهج ـ خاصّة في القرن الأخير ـ هو من أهمّ أهداف الاستعمار السياسية، سواء الاستعمار الغربي أو الشرقي، فكان ولا زال عمّالهم وأياديهم المأجورة ـ سرّاً وعلناً ـ من الكتّاب والشعراء والصحفيّون يحاولون هدم مباني عزّة وشرف المسلمين، ويروّجون للمفاسد الأخلاقية باسم الثقافة والحضارة.

فعلى الرجل المسلم والمرأة المسلمة، وفي الوقت الّذي يتمسّكون به بكلّ عزم وتصميم راسخ بالتعاليم الإسلامية السامية، عليهم أن يكتفوا من تواجدهم في مجالات الرقيّ الواقعي في العلم والصناعة وأن لا يغفلوا عن مؤامرات هؤلاء المزوّقة بالزخارف والزبارج وأن يحاربوا تلك البرامج المخالفة للإسلام بكلّ ما أُوتوا من قوّة.

سنّ التكليف الشرعي للبنات

س155: هل أنّ الفقه التجديدي يتدخّل في وجوب الصوم على البنت في سنّ التاسعة؟ فمع الآخذ بنظر الاعتبار أنّ نموّ الإنسان يختلف من منطقة إلى أُخرى بحسب طبيعة المناخ ودرجات الحرارة باختلاف المناطق، فهل أنّ سنّ التكليف الشرعي يبقى واحداً وهو تسع سنوات؟

ج: لابدّ من بيان بعض الأُمور ليتّضح المطلب جيّداً:

إنّ الأحكام الشرعية المقدّسة تصدر من مقام الوحي والعصمة (المصونة من الريب والاشتباه) وهي عين الحقيقة والواقع والعلم النهائي.

إنَّ العقل الإنساني غير المعصوم، عاجز عن درك فلسفة وفائدة الأحكام، وما يقال في فلسفة الأحكام هو ليس كلّ فوائدها وحكمتها، والقياس والاستحسان في استنباط الأحكام، باطل في مذهب الشيعة طبقاً للأدلّة.

إنَّ الملاك في الحكم الشرعي محدَّد بتلك القيود والحدود المذكورة في لسان الشارع، وتجاوز تلك الحدود والقيود تجاوز للحكم الشرعي نفسه.

والنتيجة هي أنَّه، لو قال الشارع بأنّ ملاك بلوغ البنت هو إتمامها لتسع سنين قمرية ولم يذكر قيداً آخر، فلا يحقّ لنا وبحجّة التجديد والبحث الفقهي واختلاف درجات الحرارة في المناطق والبلدان أو أيّ أمر آخر، أن نتدخّل في الحدّ الّذي حدَّده الشارع مع كمال علمه، فنزيد أو ننقص من ذلك المقدار أو العمر.

وللتوضيح نقول: قد لا يبدو لنا وجود فرق بين ولد أنهى خمسة عشر سنة من عمره تماماً وبين ولد بقي له يوم واحد لينهى تلك المدّة من حيث الرشد والنموّ الجسدي والعقلي، ولكن مع ذلك نقول بوجوب الصوم على الأوّل وعدم وجوبه على الثاني.

فحلّال المشاكل في مثل كلّ هذه الموارد هو أنَّ الشارع وهو الله تعالى العارف بكلّ أحوال الإنسان، ماضيه وحاضره ومستقبله، والعارف باختلاف المناطق الجغرافية في الحرارة والرطوبة وغيرها، قد قرّر مقرّرات ووضع قيوداً وحدوداً معيّنة للحكم؛ فمثلاً اعتبر إتمام تسع سنين قمرية شرطاً للبلوغ والتكليف في الأُنثى فلو كان للحرارة واختلاف المناطق دخلٌ في سنّ التكليف عند البنت، لذكره الشارع العارف بكلّ ذلك، ولـمّا لم يذكر ذلك نعرف أنّه ليس لهذه الأُمور دخل في هذا الحكم الشرعي، وإلّا لزم الإغراء بالجهل وهو قبيح عقلاً ويستحيل صدوره من الشارع الحكيم.

وينبغي التنبيه هنا على أنَّ علامات البلوغ في الرجل والمرأة هو أحد أُمور ثلاثة: ١. نبات الشعر على العانة، ٢. خروج المنيّ، ٣. العمر. ولا فرق في علامة العمر بين المناطق الجغرافية المختلفة كما ذكرنا، وأمّا من جهة علامة نبات الشعر أو الاحتلام وخروج المنيّ، فيمكن أن تختلف باختلاف المناطق والمناخات.

علماً، بأنّ صحّة معاملات الولد والبنت تتوقّف على الرشد حتّى لو لم يبلغا سنّ البلوغ الجنسي، ولا مجال هنا لبيان تفاصيل هذه القضايا. وفّقكم الله تعالى.

حكم النكاح المنقطع

س156: ورد في كتاب «الأحوال الشخصية» تأليف «الشيخ محمد أبو زهرة» أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول بأنّه إذا عرف برجل محصن قد تمتّع فإنّه سيرجمه.

هل يجوز للمتزوّجين التمتّع؟

ألا يعتبر النكاح المنقطع نوعاً من أنواع بيع المرأة نفسها؟ وهل أنَّ حيثية وشأن المرأة يجيز لها أن تسلّم نفسها لرجل غريب في قبال مال معيّن؟

ألا يعتبر هذا العمل (الزواج الموقّت) طريقا يستغلّه عبّاد الشهوات لإشباع شهواتهم؟

ورد في كثير من الاحاديث أنّ الزواج الموقّت عمل مستحبّ، فهل أنّ ذلك صحيح؟

ج: في الجواب على أسئلتك المرتبطة بالحكمة والمصلحة في النكاح الموقّت (المتعة) والاستنتاجات الخاطئة بسبب استغلالها من قبل البعض، أقول: إنَّ الدين الإسلامي المقدّس، هو خاتم الأديان وأكملها، والجامع لكلّ مناهج وطرق السعادة والصلاح للبشر، وقد لوحظ في تشريعاته وتعاليمه، المصالح والمفاسد الموجودة في الأعمال الحسنة والقبيحة.

فالإسلام أوجب كلّ عمل فيه مصلحة يلزم تحصيلها، وحرَّم كلّ عمل فيه مفسدة يلزم اجتنابها والاحتراز منها، وجعل الأعمال الّتي فيها مصلحة لا يلزم تحصيلها، مستحبّة، وجعل الأعمال الّتي فيها مفسدة لا يلزم الاحتراز عنها، مكروهة، وكلّ عمل فيه مصلحة ومفسدة معاً، لاحظ الإسلام الجانب الأهمّ فحكم على ذلك الفعل على أساس تلك الأهمّيّة.

وكلّ هذه الجهات قد لوحظت في الأحكام وقوانين الزواج والطلاق وأحكام الأُسرة وحقوق الرجل والمرأة والعلاقات القائمة بينهما، وهي أكمل التعاليم والمقرّرات الاجتماعية والأُسرية وللحدّ من الفحشاء والفساد الأخلاقي والرذائل ولحفظ مقام المرأة وقيمتها.

وقد لاحظ الإسلام في مسألة الزواج، الغريزة الجنسية وأخذها بنظر الاعتبار، وجعل الضوابط اللازمة لإشباعها، فإذا ما نهى الإسلام عن الزنا واللواط بتلك الحدّية والجدّية وقرّر العقوبات الشديدة في الدنيا والآخرة على

مرتكبيها فإنّ ذلك لا يعني أنّه منع أصل الالتذاذ بهذه الغريزة وكبتها ومنع المقاربة بين الرجل والمرأة، بل إنَّ الإسلام يشجّع على العيش المشترك والزواج والاستمتاع ولكن بضوابط ونظم صحيحة ودقيقة، قال رسول الله ﷺ: «**من تزوّج فقد أحرز نصف دينه**»،[1] ومنه يعرف أنَّ إشباع الغريزة الجنسية كم هو مهمٌ وضروري بنظر الإسلام.

فالإسلام يريد المنع ـ في واقع الأمر ـ من الإفراط والتفريط.

فلم يسمح الإسلام بإشباع الغريزة بنحو الإباحية والحرّية المطلقة عن الضوابط والقيود، ولا هو يمنع ذلك الإشباع مطلقاً وبدون شروط.

وفي خصوص النكاح الموقّت، فإنّ من المعقول أن يكون محلّلاً في مجتمع يمنع الفرد فيه من الزنا والعلاقات غير الشرعية وغير القانونية ويمنع فيه الاختلاط المخالف للعفّة وأن يكون مثل هذا الزواج مسموحاً به ومشرّعاً وقانونياً، وكلُّ هذه المناسبات ملحوظة في تشريع «المتعة».

والنكاح الموقّت له نفس الآثار المهمّة والرئيسية للنكاح الدائم، ولا وجه لمنعه وتحريمه، والآثار السلبية لمنعه هي نفس الآثار السلبية لمنع الزواج الدائم.

---

١. الكليني، الكافي، ج٥، ص٣٢٩؛ الطوسي، الأمالي، ص٥١٨؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٥.

وموارد المقاصد العقلية والعرفية للرجل والمرأة اللذين يريدان الزواج موقّتاً، متعدّدة ومتنوّعة، وينبغي أن لا يحرم المجتمع من تحصيل تلك الفوائد المشروعة.

ومجرّد أنّ بعض الناس يقدم على هذا الزواج أو الزواج الدائم لمجرّد إشباع رغباته الشهوانية الطائشة لا يبيح لنا منع الجميع من ذلك، كما أنّ الزواج الموقّت لا يعتبر أبداً بيع النفس مقابل المال ولا يجعل المرأة سلعة رخيصة، بل في الواقع إنّ هذا الزواج يكون في أكثر الأحيان ضرورياً للنساء أيضا.

فإذا كانت القضيّة مجرّد كلام وجدل، فإنّ نفس هذا الجدل يأتي في الزواج الدائم، فهو أيضاً مقابل مهر ومال، فهل يدّعي أحد أنّه بيع المرأة نفسها للرجل مقابل مال؟ أبداً. فينبغي أن لا ننظر إلى قضيّة النكاح ـ الدائم أو الموقّت ـ والّذي يعتبر من الأركان الاجتماعية الحياتية واللازمة لحفظ الأنساب والّذي شرّعت له القوانين الكثيرة، من خلال هذه النظرة الضيّقة.

فالزواج الموقّت مثل الزواج الدائم، ليس فقط مستحبّاً بل إنّه في بعض الموارد يصير واجباً، فلا ينبغي معالجة هذه القضايا معالجة سطحية هامشية والتدثّر بالأحاسيس والعواطف، بل لابدّ من دراستها بشكل معمّق علمي وبالتأمّل في كلّ الجوانب والملابسات المكتنفة للقضيّة.

وهنا أُحبّ أن ألفت نظركم إلى أنّنا لا نريد بكلامنا هذا، تشجيع ودعوة الآخرين إلى الزواج الموقّت، بل غرضنا هو أنّ مثل هذا الزواج، نظراً للفوائد

الكثيرة المترتّبة عليه، والضرورات المؤدّيّة إليه لابّد أن يكون مجازاً وخاصّة مع عجز الكثير من الناس عن الزواج الدائم.

فإفراط البعض في الاستجابة لشهواته الجنسية واستغلال هذا الزواج للّعب واللهو، لا يسلب الشرعية من الزواج الموقّت ولا يسمح لنا بمنع الأفراد الّذين يريدون الحفاظ على عفّتهم من خلال إشباع غرائزهم بشكل شرعي وقانوني مؤدّب.

المراد من الآية الشريفة «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»

س157: أصحيح أنَّ حكم المرتدّ هو الإعدام؟ وإن كان هذا الحكم موجوداً، ألا يخالف قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ والاختيار في انتخاب الدين عن تفكّر وفحص وتحقيق؟ (فصحيح أنّي مسلم، ولكن قد لا يكون إسلامي ناجماً عن فحص وتفكّر، بل لأنّي ولدت في أُسرة مسلمة، وقد أكون مجبراً على إعتناق الإسلام. فإذا ما تبيّن لي من خلال الفحص والتحقيق ـ وإن كنت مخطئاً ـ بأنّ ديناً آخر هو الصحيح، فهل يجب أن أُقتل؟).

ج: لابدّ من بيان أمرين في معرض الإجابة عن هذا السؤال:

الأوّل: تفسير آية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.[1]

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

الثاني: كيف يمكننا الجمع بين حكم وجوب جهاد الكفّار خصوصاً غير أهل الذمّة الّذين يخيَّرون بين الإسلام والقتل، وكذلك الحكم بوجوب قتل المرتدّ الفطري، وبين السماح بالتحقيق والدراسة في العقائد وترك التقليد الأعمى؟

أمّا ما يرتبط بالأمر الأوّل، فبناءاً على رأي من يقول بأنّ مدلول هذه الآية منسوخ بآيات دعوة الكفّار إلى الإسلام وجهادهم، فالأمر واضح حينئذ، إذ مع نسخ الآية يبقى وجوب الحكم بجهاد الكفّار وحكم الارتداد حجّة يجب اتّباعه.

وأمّا بناءاً على القول بعدم نسخ الآية، فقالوا في تفسيرها بأنّ هذه الجملة جملة إخبارية وليست إنشائية، والمراد هو أنَّ الدين أمر قلبي وعقيدي وباطني ولا يمكن الإكراه عليه، فإنّ الفرد حرّ في أمر قلبه وفي اعتقاده بنفي أو إثبات أيّ موضوع من المواضيع.

فليس الدين والعقيدة من أفعال الجوارح والأعضاء ـ مثل اللسان والعين والرجل ـ ليمكن إكراهها على فعل مّا، بل هما من أفعال القلب والباطن، وهذا المعنى لا يتنافى مع حكم جهاد الكفّار أو الحكم بمجازاة المرتدّين، فهما مقولتان لا ربط بينهما.

فعقيدة المرتدّ ـ حتّى لو أجرينا عليه حكم القتل ـ باختياره. وبناءاً على هذا، فإنّ المعنى الإخباري للآية ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ يمكن أن يجتمع مع المعنى الإنشائي لحكم جهاد الكفّار، ولا ينفي أحدهما الآخر.

وحتّى لو قلنا بأنّ معنى ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ إنشائي لا إخباري، فإنّه أيضاً لا يتعارض مع المعنى الإنشائي لأحكام الجهاد والارتداد، لأنّ المعنى الإنشائي لآية ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ هو معنى إرشادي ومفهوم النهي فيه هو عدم إكراه شخص على معتقده الباطني والديني ـ والّذي هو أمر قلبي ـ لعدم تحقّق الإكراه فلا مجال لتوهّم أيّ إشكال في ناحية مدلول الآية مع أدلّة الجهاد والارتداد.

والمسألة الأُخرى الّتي تبحث هنا هي أنّه السماح للإنسان بالتحقيق والاجتهاد في العقائد وترك التقليد الأعمى مع إلزامه بالالتزام بالعقيدة الإسلامية وعدم حرّيته العقائدية في اتّخاذ الدين الّذي توصل إلى أحقّيته من خلال الفحص والتحقيق، وإن كان مخطئاً؟

فبحسب ما ورد في السؤال فإنّ هذا الشخص عمل بوظيفته في مقام التحقيق والفحص ولكنّه أخطأ النتيجة، فهل يجب قتله؟ أم أنّه يجب أن يعذّر؟

الجواب هو: لا يؤاخذ أيّ أحد على معتقداته القلبية الباطنية ولا يقتل ولا يعاقب أبداً، ولكنّ الشخص يكلّف في الظاهر بالتسليم للمقرّرات الإسلامية والتقيّد بالنظم الدينية بالمعنى الّذي جاء في الآية الشريفة: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾[1] فبالتشهّد بالشهادتين بلسانه يعلن التزامه

---

١. سورة الحجرات، الآية ١٤.

بمراعاة التعاليم الإسلامية، حتّى لو كان في باطنه وقلبه غير معتقد بها، كالمنافقين الّذين ذكرت أحوالهم في القرآن الكريم.

وعليه، فإنّ مسألة الكفر والارتداد ووجوب الاقرار بالشهادتين باللسان، أو قبول أحكام الذمّة وكسب الأمان وحرمة الارتداد يعني إعلان الكفر، والعقوبة عليه، هي من المسائل النظامية في الإسلام والّتي يعاقب الأفراد في حال التخلّف عنها، حتّى لو أظهر الإنسان الكفر بلسانه وأخفى الإيمان بقلبه، فإنّه يؤاخذ أيضاً ويعاقب.

فالمرتّد الفطري ـ إذا تاب واقعاً ـ يعاقب إذا ما ثبت ارتداده.

إذن، فلا يرد إشكال التنافي بين الإلزام بإظهار الإسلام والتسليم لنظمه وقوانينه ومجازاة الكافر والمرتدّ، مع الأمر بالتحقيق في العقائد.

فإذا ما دقّقنا في هذه التوضيحات يرتفع الإشكال، لأنّ معنى الحرّية الشخصية بل لزومها، ليس مطلق الحرّية حتّى البيان والأقوال.

ففي النظام الإسلامي لا يجوز التصريح علنا بعدم الاعتقاد بأحكام الإسلام إلّا لأهل الذمّة، فإنّ لهم أحكامهم الخاصّة، فإنّ ذلك مخالف للتسليم بالمقرّرات والنظم وللشهادة بالتوحيد والرسالة.

وفي الخاتمه نكرّر تأكيدنا بأنّنا نؤمن بأحكام الإسلام بلساننا وبقلبنا ونقولها بكلّ أدب في مقام العبادة والعبودية ولا نقول مقالة الشيطان ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ**

﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.[1] بل نريد أن نعلنها إبراهيمية وإسماعيلية بأجلى مظاهر القبول والتسليم حيث علموا أهل المعرفة والبصيرة حقيقة الإسلام.

والخلاصة، لابدّ من رعاية أدب العبودية والطاعة وأن نستشعر حقارتنا وصغرنا بالقياس مع الكائنات الأُخرى وأن نقرّ بعظمة الخالق وقدرته ونقول كما قالت الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.[2]

فكلّما ازدادت معرفة الإنسان وكثر علمه، وكلّما أقرّ بعجزه وضعفه وقلّ تكبّره حتّى يصل إلى مرتبة التسليم المحض العالية، فيبدأ بالعروج والصعود.

حكمة وجوب الجهر ببعض الصلوات اليومية والإخفات في البعض الآخر

س158: لماذا يجب علينا أن نجهر ببعض الصلوات اليومية ونخفت في البعض الآخر؟

ج: إنَّ الثابت والمتيقّن من خلال الدليل هو أنّ كلّ أحكام الله كأفعاله من قبيل خلق السماوات والأرض وكلّ المخلوقات من الجماد والنبات والإنسان و الحيوان، لها مصلحة وحكمة.

---

١. سورة ص، الآية ٧٦.

٢. سورة البقرة، الآية ٣٢.

فكما أنّ عالم التكوين مخلوقٌ بالحقّ، فكذلك عالم التشريع والأحكام الإلهية مقـرّرة بحقّ، لكنّ الإحاطة والاطّلاع على كلّ المصالح المقصودة في هذه الأحكام ليس متيسّراً للإنسان، كما أنَّ الاطّلاع على حكمة ومصلحة وجود الكائنات صغيرها وكبيرها غير متيسّر لكلّ الناس، ولكنّ ما عرفه البشر مـن خـلال تحقيقاتـه ومـا توصّل إليه من معلومات، دالٌّ على وجود مصالح وفوائد كثيرة وأنظمـة دقيقـة تحكم هذا العالم.

فلا يوجد شيء أو أمر يمكن القول بانّه صدر بدون حكمة ومصلحة، ولكـن قد تخفى علينا تلك المصالح والأسرار.

ومن يدّعي عدم المصحلة والفائدة في هذا الخلق فهو جاهل. ومن هنـا نجـد بأنّ القرآن الكريم وهو كلام الله ـ جلّ وعلا ـ يذكر اعتراف العاقلين المتفكّـرين بحقّانية هذا الخلق ويقول على لسانهم: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً**﴾.[1]

وهذا الكلام يأتي أيضاً وينطبق على الأحكام الشرعية، فالمصـلحة الكليّـة في أكثر الأحكام ـ بل كلّها ـ مثل الصلاة والصوم والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكلّ القوانين الأخلاقيـة والاجتماعيـة والسياسـية، معلومـة وواضحة لأهل المعرفة والتعقّل.

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٩١.

فإذا ما خفيت علينا بعض الخصوصيات الجزئية ولم نهتد إلى معرفتها، فإنّ ذلك لا يقدح بالأمر شيئاً، فإنّ الطبع البشري يعجز عن معرفة كلّ هذه المصالح، ولو أنّ الإنسان قضى كلّ عمره في هذا السبيل ـ حتّى لو طال عمره ـ فإنّه لن يصل إلى معرفة ذلك.

فالوظيفة حينئذ هي التسليم لكلّ هذه الأحكام خاصّة وإنّ الجنبة القصدية ظاهرة في هذه الخصوصيات وعبودية الإنسان في قبال حضرة الحقّ تعالى أظهر.

ومع ذلك، فإنّه قد ورد في الأحاديث بيان بعض المصالح والحكم لهذه الخصوصيات ـ بما يتحمّله إدراك البشر العادي ـ ولا شكّ في أنّ تلك المصالح المذكورة ليس كلّ ما في هذه الأحكام من حكمة ومصلحة، فمثل كتاب «علل الشرائع» للشيخ الصدوق ذكر بعض الأجوبة لمثل هذه الأسئلة عن علل الأحكام وفلسفتها وقد ذكر حكمة لنفس هذا الموضوع أيضاً.

والأمر الأخير الّذي أُريد أن أقوله هو أنّه بعدما عرفنا بأنّ الأفعال والأحكام الإلهية لا تصدر إلّا عن حكمة ومصلحة، يجب علينا أن نسعى لتعلّم هذه الأحكام والسؤال عنها من أجل الطاعة والعلم بها، مثل المريض الّذي يراجع طبيباً حاذقاً ـ يعرف أنَّ تشخيصه صحيح ـ فيجيز له دواءاً، فعلى المريض أن يبذل قصارى جهده لتعلّم طريقة الاستفادة من الدواء للإسراع بالشفاء والعلاج. والله العالم.

فلسفة الحكم ببطلان الصوم إذا ما ارتمس الصائم في الماء

س159: ما هي فلسفة الحكم ببطلان الصوم إذا ما ارتمس الصائم في الماء؟ وما معنى ما ذكرتموه في رسالتكم العملية «توضيح المسائل» من أنّ رمس نصف الرأس دفعة ثمّ نصف الرأس الآخر دفعة أُخرى لا يبطل الصوم؟

ج: في الأحكام الإلهية، يجب على الإنسان أن يسلّم ويتعبّد بها وأن يتيقّن بأنّ سعادته هي في العمل بتلك الأحكام الإلهية، وبنحو عامّ، بأنّنا نعتقد بعدم وجود حكم خالٍ من المصلحة فالأحكام تابعة للمصالح والمفاسد وإن كنّا نعجز عن درك تلك المصلحة أو المفسدة في بعض الأحكام.

فعالم التشريع مثل عالم التكوين، فأنتم تشعرون بوجود مصلحة في كلّ عضو من أعضاء جسدكم الكبيرة والصغيرة، ولكن قد لا نعرف واحداً من ألف من المصالح الموجودة في الجسد.

والحاصل، وكما هو المستفاد من بعض الروايات، فإنّنا كالمريض وإنّ الله تعالى هو الطبيب الحقيقي، فالمريض عليه أن يلتزم بنصائح الطبيب بحذافيرها، فلو كان المريض طبيبا يعرف المنافع والمضارّ الموجودة في الأغذية والموادّ الّتي يتناولها والأدوية الّتي يستعملها، لما راجع الطبيب إذن.

فالغرض، هو أنّ المعرفة والاطّلاع على بعض أسرار وفلسفة الأحكام الشرعية وإن كان حسناً ومفيداً، حتّى أنّه ذكر في القرآن الكريم والروايات، ولكن

لـمّا كانت الإحاطة بكلّ الأسرار والمصالح والمفاسد، غير متاحة، ولـمّا كان إثبات عدم وجود مصلحة في الأحكام محالاً، ولـمّا كان مشرِّع هذه الأحكام عالماً حكيماً بكلّ الجهات والأبعاد الوجودية بهذا الشيء فإنّه شرّع كلّ هذه الأحكام طبقاً للحكمة، فعلينا أن نقوّي في أنفسنا جنبة التطبيق والعمل بهذه الأحكام.

ومع ذلك، نقول فيما يرتبط بفلسفة وحكمة هذا الحكم الجزئي للارتماس: لـمّا كان الصوم إمساكاً عن جملة من الأُمور والأشياء الموافقة والمطابقة لطبع الإنسان (مثل الأكل والشرب و...) فإنّ الارتماس والسباحة وخاصّة في فصل الصيف هي من هذا القسم من الأُمور، ولذا يجب الإمساك عن الارتماس بنحو إدخال كلِّ الرأس دفعة واحدة تحت الماء، ولا يستفاد من دليل حرمة الارتماس مبطلية إدخال نصف الرأس دفعة ونصفه الآخر دفعة أُخرى. والله العالم بمصالح أحكامه وحكمها. وفّقتم للخيرات إن شاء الله.

النيابة عن الأموات في الأُمور المستحبّة

س160: المعروف أنَّ العبادات ـ الواجبة والمستحبّة ـ مشروطة بقصد القربة والامتثال، وهنا سؤال وهو: كيف يتصوّر حصول قصد القربة والامتثال عند النائب عن الميّت في المستحبّات (مثل: الحجّ والزيارات والصدقات وأمثالها)؟ فإنَّ التكليف يرفع عن الإنسان بموته، والمفروض

أنَّ ذمَّة الميّت غير مشتغلة بالأُمور الاستحبابية ليأتي بها النائب بقصد إبراء ذمّة الميّت منها مع أنّ النائب يأتي بها بقصد النيابة عن الميّت لا بقصد نفس العمل وإهداء ثوابه للميّت؟ نرجو من سماحتكم التفضّل ببيان هذا الأمر بالتفصيل.

ج: الأصل ومقتضى القاعدة الأوّلية في الطاعات هو عدم صحّة النيابة عن الغير، وعدم كفاية عمل الغير عمّن على عهدته العمل إلّا ما خرج بالدليل، وكما أنّنا استفدنا جواز النيابة عن الغير في الواجبات من دليل بقائها على عهدة الميّت والأمر بالنيابة عنه والتبرّع به، كذلك يستفاد من أدلّة وأوامر التبرّع بالصدقة والبرّ والخير والزيارات عن الميّت، جواز تدارك ما فاته من مصالح الأفعال المستحبّة بالنيابة عنه.

فإذا ما مكّننا الشارع المقدّس من ذلك فلا محذور. والله العالم.

علّة تحريم الشطرنج والورق

س161: تفضّلتم وقلتم بأنّ الشطرنج والورق حرام، فما هي علّة التحريم؟

ج: إنّ دليل حرمة المحرّمات الشرعية هو النهي الشرعي الوارد في القرآن المجيد والسنّة القولية أو العملية للرسول الأكرمﷺ والأئمّة المعصومينعليهم السلام وكلّ من كان مؤمناً بالله مسلماً بأحكامه عليه أن يقبل ذلك بدون تردّد.

فكما ورد في الروايات: إنّ الإيمان يجب أن يصل إلى درجة بحيث لو أُمر بأكل نصف الثمرة وترك أكل نصفها الثاني، قبل ذلك، ومعنى الإيمان بالله هو أن يسلّم الشخص ويقبل بحكم الله تعالى.

ومن جهة أُخرى فانّ أحكام الشرع المبين كلّها تابعة لمصالح وفوائد فردية واجتماعية شاملة وجامعة لكلّ جوانب ونواحي الحياة الإنسانية.

وكما ورد في الإحاديث الشريفة، إنّ الله تعالى أمر بكلّ ما من شأنه أن يقرّب الإنسان إلى الله وإلى السعادة والفلاح ويبعّده عن النار وعن الشقاء، ونهاه عن كلّ ما يبعّده عن الله وعن السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ويقرّبه إلى الشقاء والنار والعذاب؛ أي إنّ الإسلام لاحظ في مجموع برامجه ومقرّراته، مسألة خير وصلاح البشر وجلب المنفعة لهم ودفع المفسدة والضرر عنهم، وإن كنّا في بعض الموارد نعجز عن درك جهات فوائد الأحكام، ولكنّ المصلحة واضحة من خلال ملاحظة القسم الأعظم من الأحكام، حتّى لأُولئك الّذين لا يمتّون إلى الإسلام بصلة.

وعليه إذا ما عجزنا عن إدراك المصالح الموجودة في بعض الأحكام، ينبغي أن لا ننكر الفائدة الموجودة فيها.

وعالم التشريع، كعالم التكوين فيه أسرار ومصالح وفوائد وكما أنّ الوقوف على كلّ أسرار عالم التكوين غير متاحة للبشر فكذلك عالم التشريع، فكلّ شخص يمكنه

التعرّف على جانب من جوانب الفائدة وبمقدار استعداده ومعلوماته مع أنّه ليس الجميع إلّا أُولئك المؤيّدين من عند الله قادرين على فهم كلّ شيء ولم يفهموا ذلك، وما يقال «بأنّ الجميع بإمكانهم معرفة كلّ شيء» غير صحيح وغير تامّ.

فمَثَل من يتعلّل في أداء التكاليف الشرعية بحجّة الرغبة في التعرّف على أسرارها وفلسفتها، مثل من هاجمته أفعى سامّة خطرة ويقف إلى جنبه رجل رشيد عالم يحذّره منها، لكنّه يتعلّل عن الهرب بالسؤال عن أسباب الخوف من الأفعى ومضارّ سمّها وعلل تأثيره، إلى أن تلدغه الأفعى فيهلك.

فالقضيّة هي أنّ الله تعالى حذّرنا من شرب الخمر وأكل المال بالباطل والظلم ولعب القمار وعبادة الأوثان ولعب الشطرنج والورق ونهانا عن الاقتراب من الفواحش والمناهي والملاهي، وحذّرنا من الكذب والغيبة والخيانة والاستماع إلى الموسيقى وآلات الطرب و... . فعلينا أن نلتزم بتحذيرات الله تعالى الحكيم العليم، خالق الكائنات جميعا، العارف بأسرارها وفوائدها ومضارّها، وهذا ما تقتضيه العبودية بالضبط.

فكمالُنا في أن نكون عباداً مطيعين لأوامره ونواهيه.

وممّا سبق يعلم الجواب عن سبب حرمة لعب الشطرنج والورق وسائر آلات القمار، فاللعب بآلات القمار محرّم شرعاً.

ومن جملة الحكم المتصوّرة في النهي عن الشطرنج والورق هي أنّ اللعب بهما يمكن أن يجرّأ الإنسان على لعب القمار مضافاً إلى أنّ نفس اللعب بها يعدُّ من الملاهي والألعاب الّتي تلهي الإنسان عن ذكر الله ـ وإن لم يكن فيها ربح وخسارة ورهان ـ وتشغله عن الأُمور المفيدة وهو ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**﴾.[1]

ورواج هذه الألعاب واللعب بها بين طلّاب المدارس والجامعات له أضراره الجسيمة، ولا شكّ في كونه موجباً لركود رقيّ المستوى الدراسي والتعليمي عندهم.

فهؤلاء الّذين يكرّمون الطفل الفلاني ويعطونه الجوائز ـ لفوزه في مسابقة الشطرنج ـ مخطئين تماماً، فهذا التشويق والتشجيع والترغيب على مثل هذه الألعاب بين الشباب والصبيان والطلبة، له آثاره التربوية السيّئة ويتسبّب في تأخّرهم عن الدراسة والتحصيل.

وما يقال في أنّ هذه الألعاب تؤدّي إلى تقوية الفكر وزيادة الذكاء، كلّها حجج واهية لإلهاء الناس عن الأعمال المفيدة والبرامج المربّية الناجحة.

وإنّ أُولئك الّذين يردون في هذا المسلك فإنّهم سيقضون ويتلفون أعمارهم بلعب الشطرنج وينشغلون عن كلّ أمر مفيد، ولو كان الحقّ معهم، لوجدنا أكثر

---

١. سورة المائدة، الآية ٩١.

المخترعين والمبتكرين العظام مقبلين على لعب الشطرنج وأمثاله من الألعاب الّتي يدّعى أنّها مقوّية للفكر والذهن.

ولو سنحت لكم الفرصة لمطالعة كتاب «رنج شطرنج» ـ مضارّ الشطرنج ـ لوقفتم على حقيقة هذه اللعبة ومضارّها وآثارها السلبية وخطر شيوعها على المجتمع والأُمّة.

لكنّ الأهمّ من كلّ ذلك هو ما ذكرناه من أنّنا نتّبع الشرع المبين الّذي حكم بحرمة اللعب بآلات القمار، ومن هنا فإنّنا نجتنب عنها مثل اجتنابنا عن سائر المحرّمات.

وفي الخاتمة، نشير إلى بعض الروايات الواردة في حرمة اللعب بالشطرنج:

روي في «بحار الأنوار» عن الإمام الرضاﷺ ما ملخّصه: لـمّا جيء برأس الإمام الحسينﷺ إلى يزيد الملعون، وضع يزيد رأس الحسين تحت سريره وأخذ يلعب الشطرنج وبدأ يتجاسر على سيّد الشهداء وأبيه وجدّه رسول اللهﷺ وهو يشرب الفقّاع... .[1]

قال الإمام الرضاﷺ: «**فمن كان من شيعتنا فليتورّع عن شرب الفقّاع واللعب بالشطرنج، ومن نظر إلى الفقّاع أو إلى الشطرنج فيذكر الحسينﷺ وليلعن يزيد وآل زياد يمحو الله عزّ وجلّ بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم**».

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٧٦.

وقد ورد في روايات متعدّدة النهي عن السلام على لاعب الشطرنج وأنّ السلام عليه معصية، وورد النهي أيضاً عن بيع الشطرنج والنرد وصنعهما.

وروى الفقيه الكبير «ابن إدريس» في كتاب «السرائر» الشريف عن «جامع البزنطي» عن الإمام الصادق عليه السلام: «بيع الشطرنج حرام، السلام على اللاهي بها معصية وكبيرة موبقة واللاهي بها والناظر اليها في حال ما يلهى بها، والسلام على اللاهي بها في حالته تلك في الإثم سواء».[1]

وأمثال هذه الروايات في كتب الحديث المعتبرة، كثيرة.

وفي الخاتمة أودّ تذكير نفسي وتذكيركم وتذكير الشباب والصبيان الأعزّاء الّذين يريدون النجاة في خضمّ أمواج الامتحان والابتلاء الّتي تهدّد دين وشرف وحيثية الإنسانية، بهذا الذكر المستفاد من مضمون الأحاديث الشريفة: ورد في الروايات: «**حلال بيّن وحرام بيّن**» فالمعصوم يوصينا بفعل الحلال الّذي لا شبهة ولا خطر ولا مسؤوليّة فيه، وينهانا عن فعل الحرام الّذي لا شبهة في حرمته.

وفي البين توجد مشتبهات وأعمال وأُمور يحتمل حرمتها «**فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات، ومن ارتكب الشبهات وقع في المحرّمات**».

أسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعاً وينصرنا ويعيننا في طريق التقوى والورع «فإنّ خير الزاد التقوى، والعاقبة للمتّقين».

---

١. ابن إدريس الحلّي، السرائر، ج٣، ص٥٧٧.

التدخين

س162: لماذا لا تحرّمون التدخين مع وجود ابتلاء كلّ بهذه المضارّ الكبيرة فيه؟

ج: في العصر الحاضر، تمّ التعرّف على تأثير الكثير من أنواع الأغذية في التقليل من عمر الإنسان والإضرار بسلامته، ولكنّ العرف والعادة والقوانين لم تتّخذ الإجراءات الصارمة على منعها والحدّ من استعمالها، بل تنظّم برامج ومناهج للتغذية بحسب وضع الأفراد وحالاتهم المزاجية وشدّة وقلّة تأثّرهم بتلك الأطعمة والأشربة، والمراعى في تلك الأنظمة الغذائية بالدرجة الأُولى هو تلك الأخطار القريبة والكبيرة لكلِّ شخص، فلا يمكن إلزام جميع الناس برعاية برامج غذائية بحجّة أنَّ هذا اللون من الطعام فيه مضارّ تتحقّق على المدى البعيد (مثل التقليل من عمر الإنسان) ففي أكثر الموارد لا يكون الإلزام في صالح الجميع.

نعم لابدّ من تقديم الإرشادات الصحيحة والنصائح وبيان فوائد البرامج الغذائية والصحيحة وترك تناول بعض الأطعمة والأشربة وبيان مضارّها.

فكما أنّ هناك ما لا يقلّ عن ١٣٥ شخص يموتون يوميّاً بسبب التدخين بعد عمر طبيعي نسبياً، فكذلك يموت نفس هذا العدد أو أقلّ أو أكثر بسبب تناول السمن الفلاني أو الغذاءالكذائي أو بسبب عوامل وأسباب أُخرى.

والحاصل فالنسبة المئوية لعدد الوفيات تنقسم بهذه الصورة على البرامج الغذائية و... والّتي يكون الاجتناب عن أكثرها غير ممكنٍ ولا يجوز تحريمها.

وبناءاً على هذا، فإنّ التدخين حاله حال تلك الأطعمة والأشربة الّتي تضرُّ بعض الناس على المدى البعيد والّتي يستند إليها موت نسبة منهم.

وممّا يعدُّه العرف ضرراً لابدّ من مراعاته والاعتناء به هي الأخطار القريبة المدى الكبيرة الّتي يجب شرعاً وعقلاً اجتناب أسبابها وموجباتها، فمثلاً المصاب بالقلب الّذي يمنعه الطبيب من التدخين ويحذّره من خطر فعلي محدق به، يكون التدخين محرّماً عليه شرعاً وعقلاً، لأنّ التدخين حينئذٍ سيكون بمثابة الانتحار بالنسبة له، علماً بأنّ الجميع يفتي بحرمته حينئذٍ. وأمّا مجرّد أنّ نسبة من حالات الموت تتأثّر بالتدخين، ونسبة منها بالدهون والشحوم ونسبة منها عن شيء آخر، لا يوجب تحريماً. هل هذه الأغذية والأشياء وعلى كلّ الناس، وعدّ كلّ ذلك إضراراً بالنفس وإلقاءاً بالتهلكة؟

ومع ذلك نقول في خصوص التدخين للأشخاص السالمين، والأهمّ للأشخاص المرضى بأنّ التدخين ليس مهمّاً مثل الأطعمة والأشربة ومع احتمال المضارّ ولو على المدى البعيد، خاصّة مع تحذيرات الأطبّاء والمتخصّصين في الصحّة، فعلى الأشخاص الراغبين في طول العمر، تركه. والله العالم.

التسمية على الذبيحة

س163: مع أنّه لا يستفاد وجوب التسمية على الذبيحة من الآية الثالثة والخامسة من سورة «المائدة» فلماذا يحرّم أكل الذبيحة الّتي لا يذكر عليها «باسم الله»؟

ج: لابدّ أن نعرف بأنّ مدرك فهم واستنباط الأحكام هو القرآن المجيد وسنّة النبيّ والأئمّة عليهم السلام.

فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد علّم الناس الكثير من الأحكام من خلال أفعاله وأقواله، كما أنّه صلى الله عليه وآله قد بيّن وشرح لهم المراد من الآيات القرآنية الشريفة، الّتي تحتاج إلى تفسير وشرح.

ولقد أخذ المسلمون تكاليفهم منذ صدر الإسلام من القرآن والسنّة القولية والفعلية لهؤلاء الأطهار عليهم السلام، فقد لا تصلون إلى الحكم من مراجعة القرآن الكريم فقط، بينما إذا رجعتم إلى السنّة القولية والفعلية للمعصومين الأطهار عليهم السلام ـ وهما حجّة علينا ـ فستقفون على المستند وبطبيعة الحال فإنّ البحث ومطالعة المدارك ومستندات الأحكام يرجع إلى الفقهاء والمتخصّصين بالفقه وهو من أهمّ العلوم الإسلامية وفي غاية التكامل والإتقان والاستحكام. وفيما يرتبط بالآيتين الشريفتين المذكورتين في السؤال، فالآية الأُولى القائلة: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ**

﴿الْـمَيْتَةُ...﴾[1] وأنّ الحيوان المذكّى حلال، فأقول: من جملة الشروط المذكورة للذبيحة على لسان النبيّ الأكرم والأئمّة المعصومين عليهم السلام هو التسمية إلى جانب الشروط الأُخرى.

أمّا الآية الشريفة: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ...﴾[2] فبحسب ما ورد في الروايات عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّ المراد من الطعام هو الحبوب ولا يشمل اللحوم، وهذا المعنى موافق للّلغة أيضاً، فاللغويّون يصرّحون بأنّ الاصحّ، هو عدم إرادة اللحوم من الطعام.

مضافاً إلى ذلك، فإنّ في القرآن الكريم آية أُخرى تدلّ على حرمة أكل لحم الذبيحة الّتي لم يسمّ عليها، وهي الآية ١٢١ من سورة الأنعام، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ...﴾.

قراءة الصلاة باللغات الأُخرى

س164: لماذا لا يجوز لنا أن نصلّي صلاتنا بلغتنا ونحن لا نجيد العربية؟ مع أنّ من الضروري الالتفات والتوجّه لمعاني الكلمات، فأكثر الناس لا يعرفون معاني ما يقرأون في الصلاة؟

---

١. سورة المائدة، الآية ٣.

٢. سورة المائدة، الآية ٥.

أليس من الأفضل أن نقرأ في صلاتنا ترجمة السور والأذكار؟

ج: إنَّ الأحكام الإسلامية وإن كانت قد شرّعت بملاحظة المصالح والفوائد والحكم، ولكن يجب قبولها تعبّداً، ويجب الإتيان بالعبادات بنحو الطاعة والامتثال لأمر الله تعالى بتحقّق المنافع المرجوّة منها.

وينبغي أن لا نتأثّر بالأذواق والسلائق الشخصية والنظريات الّتي لا تمتّ إلى المعرفة بصلة، ولا نعملها في الأحكام الشرعية.

فنحن مكلّفون أن نصلّي بالنحو المقرّر، وكذلك العبادات الأُخرى، ولا يحقّ لنا أن نخترع أُموراً لم تصلنا من الشارع.

ولا شكّ في أهمّية الوقوف على معاني الآيات والأذكار الّتي تقرأ في الصلاة ومعرفة ترجمتها، وهذا موجب لكمال الصلاة وكثرة فضلها وزيادة الثواب عليها. ولكن يجب أيضاً أن نقرأ ذلك كما ورد وعيّن من قبل الشارع، فلو تخلّفنا عن ذلك لم يتحقّق عنوان الطاعة، ولم تحصل الفوائد المنظورة منها، ولا يحصل المصلّي على ثواب قراءة القرآن وفوائد التلاوة فيما إذا قرأ ترجمة الآيات.

مضافاً إلى ذلك، ولأنّ القرآن الكريم هو وحي الله والمعجزة الخالدة لنبيّ الإسلامﷺ، فإنّ ترجمته الدالّة على تمام المعاني المتوخّاة منه غير ممكنة أبداً. باعتراف أهل الفنّ والمطّلعين على النكات الأدبية.

ولذا، فإنّ المطالب العلمية الّتي يستفيدها العالم من قراءته للقرآن الكريم، لا يمكنه أن يستفيدها من أيّ ترجمة أُخرى ومهما كانت دقيقة، بل يتّفق أحياناً أن تكون الترجمة مانعة من استفادة بعض الحقائق القرآنية.

أضف إلى ذلك، أنّ قراءة الترجمة في الصلاة وبلغات عديدة يؤدّي إلى تشتّت المسلمين وعدم ظهورهم بمظهر القوّة والوحدة، فإنّ ذلك سيودّي إلى إثارة التعصّبات القومية وغيرها، مع أنّ الإسلام جاء ليوحّد الناس ويرفع الفرقة والتشتّت والاختلاف اللغوي والقومي وغيره.

واليوم، فإنّ إحدى جهات اتّحاد الأُمّة الإسلامية هي وحدتها واتّفاقها في هيئة العبادات والصلاة والصوم والحجّ وغير ذلك، وهذا له دخل كبير في تشييد الأُخوّة الإسلامية وتقويتها.

فلو صارت الترجمة كافية وملاكاً في العمل، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى هجر القرآن الكريم والاكتفاء بترجمته وهذا يؤدّي إلى الحرمان الكبيرمن التعرّف على المعاني العالية لكلام الله ومن التفكّر والتدبّر في الآيات القرآنية والاستفاضة من أنوار معارفه اللامتناهية.

وفي الحقيقة إنّ اعتماد الترجمة القرآنية في العبادات سيؤدّي إلى تغيير صورة المجتمع الإسلامي الواحدة وستتعدّد صور عباداتهم وطاعاتهم بعدد اللغات المحلّية للأُمّة الإسلامية، وستظهر الشعائر الإسلامية بغير صورتها الّتي أرادها

الله تعالى، وهذا ما يرفضه الشارع المقدس جملة وتفصيلاً.

وأمّا ما ذكرتموه من أنّ أكثر الناس لا يعرفون معنى ما يقولون ويقرأون في عباداتهم وخاصّة الصلاة، فأقول:

أوّلاً: إنّ أكثر الناس يعرفون أنّ الصلاة هي إقبال العبد إلى ربّه، وأنّ العبادات الّتي يقرأونها متضمّنة لمعنى التوحيد والتمجيد والتسبيح والدعاء والاستغفار والإقرار بالشهادتين، وإن كانوا لا يعرفون تفاصيل وجزئيّات ذلك، أو أنّهم يعجزون عن بيانه.

ثانياً: إنّ تعلم هذه المعاني بنحو الإجمال سهل وليس صعباً حتى أنّه كتب في الرسائل العملية المطبوعة باللغة الفارسية أو اللغات الأُخرى، وهي متوفّرة بيد عامّة الناس. فترجمة الأذان والإقامة والأذكار كلّها مكتوبة، وإنّ القرآن المترجم إلى عدّة لغات متوفّر في مكتبات المسلمين ومنتدياتهم في دول العالم، ويمكن لكلّ أحد أن يقتني القرآن الكريم بلغته أو بلغة يعرفها.

إذن، فالمسلم الّذي يريد القرب من الله تعالى بقراءة كلامه المجيد، عليه مضافاً إلى تعلّمه معاني الآيات وترجمتها وتفسيرها، أن لا يحرم نفسه من فيوضات نفس قراءة القرآن المجيد بلغته العربية، فلا يعتبر أنّ قراءة الترجمة تغني عن قراءة نفس القرآن، فالقرآن هو الأصل والترجمة بَدَل، والقرآن كلام الله والترجمة ليست كلام الله.

حكمة التيمّم

س165: إنّ أحكام الدين الإسلامي المقدّس لابدّ أن تكون مطابقة للمنطق والعلم، ولقد ارتقى المستوى الفكري للبشر اليوم بحيث إنَّ بعضهم يطلب تفسيراً منطقياً وبرهاناً واضحاً للواجبات والمحرّمات، ومعرفة للمصالح الموجودة فيها ولو بنحو الإجمال.

فمثلاً أحد الإشكالات الّتي طرحها عليّ أحد المخالفين يرتبط بقضيّة التيمّم، وسؤاله هو: ما هي الفائدة من التيمّم وتفسيره العلمي؟ فنحن نلاحظ بأنّ مواضع التيمّم وهي اليدين والجبهة قبل التيمّم هي أنظف منها بعد التيمّم لتلوّثها بالتراب والغبار، وهذا مخالف لإرشادات ونصائح علم الطبّ الحديث.

نرجو من سماحتكم بيان الحكمة من التيمّم من وجهة نظر الشرع المقدّس؟

ج: أوّلاً: إنّ الإحاطة بحكمة وفوائد الأوامر الشرعية، غير ممكنة لأكثر الناس إن لم يكن لجميعهم، فإذا ما أراد الإنسان أن يترك العمل بالأوامر الشرعية بحجّة عدم معرفة فلسفتها فإنّه سيتأخّر عن العمل ويحرم من المصالح الموجودة فإنّه سيتأخّر عن العمل ويحرم من المصالح الموجودة فيها، مثل المريض الّذي يرفض تناول الدواء بحجّة الرغبة في معرفة أسراره وفوائده، مع أنّ الطبيب الّذي وصف له ذلك الدواء طبيب حاذق لا يخطي أبداً. فإنّ أمثال هذا المريض

سوف يتأخّر شفاؤه وعلاجه ولن يصل إلى معرفة أسرار ذلك الدواء وقد يهلك بسبب المرض.

ثانياً: إنّ الأوامر الدينية الفرعية يكفي في وجوب إتّباعها والعلم بها أن لا تكون مخالفة لمنطق العقلاء وللعلم الثابت، حالها حال النصائح الطبّية الّتي يكفي في وجوبها إتّباع اليقين وبعدم مخالفة الطبيب للقواعد والنظريات الطبّية العلمية الصحيحة الثابتة، مع فارق مهمّ وهو علمنا بعدم وجود أيّ درجة من الاشتباه والخطأ في الأوامر والنصائح الدينية.

ثالثا: أمّا فيما يرتبط بالتيمّم فنقول: إنّنا نتيمّم تعبّدا وطاعة لأمر الله تعالى، فقد تكون أعضاء التيمّم قبل التيمّم أنظف ـ يعني أنّها غير ملوّثة بالتراب ـ ولكن قد ثبت علميّاً في زماننا بأنّ التراب في ذاته ليس قذراً بحيث يتسبّب في إشاعة الأمراض، بل بالعكس ثبت بأنّ التراب قاتل للميكروبات المؤذية ومبيد الموادّ الآلية.

فقد يكون ذلك الغبار الّذي تتلوّث به أعضاء التيمّم مبيداً للميكروبات الّتي تستقرّ على ظاهر جسد الإنسان، فالتيمّم من الصعيد الطيّب (التراب النظيف) الّذي أمرنا القرآن بالتيمّم به ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**﴾،[1] هو منظّف لليد والوجه فتكون أعضاء التيمّم بعد التيمّم أنظف منها قبله.

---

١. سورة النساء، الآية ٤٣؛ سورة المائدة، الآية ٦.

الحكمة الأُخرى في التيمّم هي أنّ الوضوء والغسل واجب للصلاة وعلى المكلّف أن يطهّر نفسه بالماء ـ وهو أحد وسائل التطهير والتنظيف ـ فإذا كان المكلّف معذوراً من استعمال الماء، فلا يليق أن يقف بين يدي الله تعالى بدون طهارة، ولـمّا كان التراب مطهّراً أيضاً ـ شرعاً وعلماً ـ فقد أمر الشرع المبين المكلّف أن يتيمّم ليحضر في مقام الصلاة بنظافة وطهارة فيجبر الطاعة الفائتة بسبب عذره عن استعمال الماء.

وحكمة أُخرى في التيمّم هي: أنّه لو لم يكن للوضوء والغسل بدلٌ سيستهين بأمر الطهارة ويستخفّه.

وقد يكون للتيمّم حكمة أُخرى وفوائد تظهر بمرور الزمن وتقدّم الفكر ومع ما ذكرناه، نؤكّد هنا بأنّ علينا أن نؤدّي العبادات امتثالاً للأمر الإلهي وقربة إلى الله تعالى، لنحظى بالفوائد العالية الروحية والأخلاقية.

العاقلة في الحقوق الإسلامية

س166: عندي بحث حول «العاقلة في الحقوق الإسلامية» ولذا أرجو من سماحتكم الإجابة عن هذه الأسئلة:

1. من هم العاقلة، ومتى يأتي دورها في القضاء؟

2. ما هو المستند لهذه الجماعة الحقوقية، من القرآن والسنّة والتاريخ؟

3. هل يمكن إعمال مبدأ «العاقلة» في المجتمع المعاصر؟

٤. كيف يكون ضمان العاقلة؟ وهل هو ضمّ ذمّة أم أنّه نقل ذمّة؟

٥. هل يوجد بديل للعاقلة في زماننا؟ (مثل التأمين الاجتماعي)

ج١: للبحث والتحقيق حول «العاقلة» وأحكامها وتفاصيلها لابدَّ من مراجعة الكتب الفقهية المفصَّلة مثل «جواهر الكلام»، ولكي لا يبقى سؤالكم بلا جواب ولو بنحو الاختصار، أكتفي بتعريف شيخ الطائفةﷺ في كتابه «الخلاف»؛ يقول الشيخ الطوسي في الخلاف، مسألة ٩٨، كتاب «الديات»: العاقلة كلّ عصبة خرجت عن الوالدين والمولودين وهم الإخوة وأبناؤهم إذا كانوا من جهة أب وأُمّ أو من جهة أب، والأعمام وأبناؤهم والمولى ...».[1]

ومورد العاقلة ودورها، في قتل الخطأ وجناية الخطأ في الأطراف. والله العالم.

ج٢: والمستند الفقهي لحكم العاقلة هو الروايات، مضافاً إلى وجود إجماع المسلمين في موردها، كما ذكر ذلك الشيخ الطوسيﷺ في «الخلاف» بقوله: «دية النفس على العاقلة في قتل الخطأ وفي أطرافه كذلك بلا خلاف».[2] والله العالم.

ج٣: لا شكّ في أنّ حكم العاقلة يمكن تطبيقه في المجتمعات المعاصرة

---

١. الطوسي، الخلاف، ج٥، ص٢٧٧.

٢. الطوسي، الخلاف، ج٥، ص٢٦٩.

واللاحقة ـ إلى يوم القيامة ـ والعجب ممّن يتصوّر عدم إمكان تطبيق هذا الحكم الشرعي المسلَّم في المجتمعات المعاصرة، ويعتبره حكماً موقّتاً بمرحلة صدر الإسلام، ويغفل عن الإشكالات المتعدّدة على هذا التصوّر.

وبمثل هذه الآراء اللامدروسة، فتح باب التصرّف والتغيير في كثير من أحكام الله، وبدأ التشكيك في خاتمية وجامعية وشمولية الإسلام. فلو فتح مثل هذا الباب و المجال وقبلناه، فلن يتوقّف ذلك عند «العاقلة» بل سيتطاول على كلّ أحكام الديات والقصاص بحجّة أنّها لا تتناسب مع الأنظمة الموضوعة والقوانين العلمانية.

فأكثر هذه الإشكالات والآراء ناشئة عن التأثّر بالغرب وعاداته ورسومه، وتقليدهم واحتقار ثقافتنا.

وفي الحقيقة، إنّ معايير التقييم والردّ والقبول عند المجتمع الإسلامي والفرد المسلم تختلف عن المعايير المتّبعة اليوم في المجتمعات الغربية والعلمانية وحتّى الديمقراطية، اختلافا جوهرياً، ولا يمكن استبدال معاييرنا بمعايير الغرب.

نعم، يمكن دراسة أصل المسألة بين المسلمين وغير المسلمين وبين مدرسة الإسلام والمدارس الأُخرى، وأمّا التفاصيل والجزئيات، فهو بحث خاصّ لا يمكن طرحه وبحثه.

وعليه، أقول: إنّ من يرتكب جنايةً خطأً، فلابدّ أن يتـدارك دم المجنـيّ عليـه بدية لكيلا يضيع دمه هدراً، فإذا كان أقرباؤه متمكّنون مالياً من دفع الديـة، فـما المشكلة الحقوقية في ذلك؟ فإن كـان الحكـم في مـورد شـخص معـيّن ـ كـما لـو ارتكب زيدٌ جناية خطأً في حقّ عمرو وتعهّد أقرباؤه بدفع ديتـه ـ لكـان الإيـرادُ وارداً، لكنّ الحكم عامّ وجارٍ في كلّ الأقارب، بنحو أنّ هـذه الخسـارة والضرـر يتعهّد به الجميع في قبال الجميع، فما المانع من ذلك؟

فقد يكون الجاني اليوم زيداً وغداً عمـرواً وهكـذا، فهـذا نـوع مـن التكافـل والتضامن بين الأقارب.

فهذه التعهّدات هي في قبال تعهّد شخص الجاني، كما لو كانـت ضـمن عقـد شرعي وقانوني.

والخلاصة، إنّ تعهّد العاقلة لهذا الشخص ليس مجّانياً وبلا عـوض، بـل هـو مقابلٌ بتعهّده هو والآخرين لهذه العاقلة، مثل ما لو تعاهدت عدّة دول في العـالم بتحمّل خسارة أيّ بلد من مجموعها يتعـرّض للحـوادث والكـوارث وغيرهـا. فهذا أمر طبيعي ومعقول، أقرّه الشارع المقدّس في هذا المورد بالخصوص كحكم شرعي له ضوابطه الخاصّة به.

والعجب كلّ العجب ممّن ينكر إمكانية تطبيق قانون «العاقلة» اليوم وهو يرى بعينه كيف أنّ العالم المتمدّن المتحضّر المدّعي لرعاية حقوق البشر، يفرض التعويضات المالية

على شعب مستضعف كامل بسبب جناية أو خيانة عمدٍ يرتكبها أحد أفراد هذا الشعب أو ذاك، حتّى لو بلغت عشرات بل مئات الميليارات بل وأحياناً يتمّ استعباد واسترقاق شعب كامل مع أجياله اللاحقة!!؟ فكيف تقبل الدول الغربية مثل هذا القانون الظالم الجائر ولا يعترض عليه حتّى المسلمون والحقوقيون، في حين أنّهم يعترضون على قانون «العاقلة» الإلهيّ الحكيم؟!

في هذا العالم الّذي لازال يعاقب الشعب الألماني بتهمة قتل عدّة يهود خانوا الشعب الألماني، فقتلهم هتلر، وبعد مرور أكثر من نصف قرن لازال الشعب الألماني يدفع لليهود الغرامة، وأنّهم يعتبرون ذلك قانوناً ويقبلونه، بينما يرفضون قانون العاقلة في مورد قتل الخطأ والّذي له دليل قانوني وحقوقي والفرق واضح بينهما ولا قياس؟

فاليهود يطلبون الغرامة حتّى من الشعوب الّتي كان لحكوماتها علاقات صداقة مع هتلر، فتأخذ أمريكا وباقي دول الاستكبار تلك الغرامة من تلك الشعوب وتدفعها لليهود.

وفي هذا الحين الّذي نكتب فيه هذه الأسطر، فإنّ اليهود يطالبون سويسرا بغرامة على ذلك الموضوع وقد رضيت سويسرا بدفع (٦٠٠/٠٠٠/٠٠٠$) لإسكات الصهاينة فقط!!

فكلّ هذا الظلم والاستهتار بحقوق الإنسان، لا يُعترض عليه ولا يقول لهم قائل: ما ذنب الشعب السويسري ليدفع غرامة على ما يعتبره اليهود وأصدقاؤهم جناية؟

ليس ذلك إلّا لأنّ الغرب يعتبر ذلك قانوناً يطبّقه بالقوّة والجور، ولا يعتبر ذلك مخالفا للحقوق، بينما يعترض الغربيون والمتأثّرون بثقافتهم من المسلمين على قانون «العاقلة» في الإسلام والّذي قبله المسلمون الّذين اختاروا الإسلام ديناً ومنهجاً وقانوناً لحياتهم.

ولا شكّ في أنّ مثل هذه الإثارات ليس لها سبب إلّا الشعور بالحقارة وفقدان الثقة بالنفس وعدم احترام الثقافة الإسلامية، إذ أنّ المسلم القويّ والمؤمن والملتزم، يرى نفسه ويرى ثقافته وتعاليم دينه هي الأسمى من كلّ فكر وثقافة وقانون. والله العالم.

ج٤: إذا لم يكن للقاتل عاقلة، أو لم تتمكّن العاقلة من دفع ديته، كانت الدية على نفس القاتل. والله العالم.

لماذا لا تتّحد المرجعيات في الزمن الواحد

س167: أحد الأشخاص سأل سؤالاً وهو: لماذا لا تتّحد المرجعيات في الزمن الواحد، والحال أنّه في زمان الرسول الأكرمﷺ ومن بعده في زمن الأئمّةعليهم السلام كان هناك شخص واحد بعنوان إمام وزعيم وقائد؟

ج: إنّ مثل العلماء ومراجع التقليد، مثل أصحاب النبيّ الأكرم والأئمّةعليهم السلام الّذين ينقلون علوم النبيّ والأئمّة إلى سائر الناس ويروون أحاديثهم.

ولقد كان في نفس عصر الأئمّة عليهم السلام علماء يروون عنهم ويعلّمون الناس علومهم ولم يكونوا منحصرين في شخص واحد وعدّة أشخاص، ولقد ذكر «ابن عقدة» أنّ عدد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام فقط هم أربعة آلاف.

لبس السواد في مراسم الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام

س168: ما هو رأيكم الشريف في لبس السواد في مراسم الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، هل هو راجح شرعاً كرأي صاحب «الحدائق» أم لا؟

ج: سلام الله وسلام أنبيائه وملائكته على سيّدنا ومولانا أبي عبد الله الحسين المظلوم سيّد الشهداء وأبي الأحرار وعلى أهل بيته وأولاده وأصحابه.

بالنظر إلى أنّ لبس السواد هو شعارُ أهل المصيبة وعلامة الحزن والعزاء، فإنّ لبس السواد في مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام راجح بلا شبهة، وهو تعظيم شعائر وإعلان ولاية وبراءة من أعداء آل محمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وتجليل لإيثار وفداء وشهادة أبي الأحرار في سبيل الله والحفاظ على الدين والمذهب وغيره من العناوين الراجحة.

من الشعائر الّتي يلتزم بها أهل العراق في العشرة الأُولى من شهر محرّم في كلّ عام هي نشر الأعلام السوداء على سطوح المنازل، حتّى أُولئك الّذين يعيشون

في الأكواخ والصحارى.

ولا شكّ في رجحان كلّ هذه البرامج والتوشّح بالسواد في البيوت والحسينيات والتكايا والمجالس المتضمّنة لدروس مربّية جدّاً، وموجبة لارتقاء الأفكار والأهداف وتبلور الشعور المذهبي والإنساني، وهي أحد أسباب إحياء وبسط أمر الأمر وتحكيم العلاقات والروابط بين الناس وبين بيت الرسالة والعصمة، وتجديد ميثاق التشيّع ومتابعة أُولئك الأطهار وتولّيهم، والبراءة من أعدائهم ومن ظلمهم وهو إدانة للظم والاستضعاف والاستكبار. وأمّا مسألة كراهة لبس السواد الّتي استند فيها إلى الإجماع وأخبار الكراهة:

أوّلاً، إنّ أصل الحكم بالكراهة مخدوش ومحلّ إشكال؛ لأنّ عمدة دليله ـ وهو الإجماع ـ غير محصّل، وعلى فرض أنّه محصّل، فمع وجود احتمال استناد المجمعين على الأخبار، لا يكون مثل هذا الإجماع حجةً وكاشفاً عن قول المعصوم عليه السلام والأخبار الّتي استندوا إليها مراسيل وضعاف، والتمسّك بها بعنوان التسامح في أدلّة المكروهات جرياً على التسامح في أدلّة المستحبّات، لا يثبت الحكم بالكراهة.

مضافاً إلى أنّ إثبات حكم موضوعٍ لموضوع آخر، أو إثبات حكم موضوع ذي خصوصية لفاقد الخصوصية بدون تيقّن تساوي الموضوعين في الموضوعية للحكم، وبدون اليقين بعدم دخالة الخصوصية ـ مثل ما نحن فيه ـ قياس وحكم بغير علم.

وعليه، فلا يثبت بأخبار التسامح في أدلّة السنن، التسامح في أدلة الكراهة والحكم بالكراهة، مضافاً إلى أنّ إشكالنا في أصل المقيس عليه واستفادة الحكم باستحباب ما بلغ فيه الثواب عن النبيّ ﷺ فإنّ فيه تأمّلاً.

غاية الأمر نقول: إنّه يستفاد من هذه الأخبار أنّ من بلغه عن النبيّ ﷺ ثوابٌ على أمر ثبت رجحانه بالشرط سواء كان مستحبّاً أو واجبا أو لم يثبت عدم رجحانه، إن أتى به التماسا لهذا الثواب، يعطى به ذلك الثواب ويؤجر به، وأين هذا من الحكم بالاستحباب حتّى يقال به في غيره؟

وعلى أيّ حال، فإنّ الأخبار الدالّة على الكراهة، فاقدة للاعتبار السندي، وجبران ضعف السند بعمل الأصحاب إنّما يتمّ فيما لو تيقّنّا إستناد الأصحاب بالفتوى إلى نفس الخبر، وفي موردنا لا يمكن إثبات ذلك لإمكان اعتماد الأصحاب على قاعدة التسامح في الأدلّة فلا يثبت الاستناد إلى نفس الخبر.

مضافاً إلى ذلك، ولو فرضنا قبول جبر ضعف السند، فإنّ دلالة الروايات على الكراهة مطلقاً، مشكلة، إذ المستفاد من نفس هذه الروايات بأنّ الحكم في هذا الموضوع ليس بالعنوان الأوّلي بل لتعنون الموضوع بعنوانٍ ثانوي وهو كون السواد شعار ولباس بني العبّاس، وفي الواقع فإنّ النهي عن لبس السواد كان بملاحظة هذه الجهة وهي أنّ لبس السواد في ذلك الوقت يكون تشبّهاً بالظلمة ممّا يظهر كثرتهم ونفوذهم وزيادة أتباعهم، ومثل هذا الحكم يدور مدار بقاء

الموضوع معنوناً بهذا العنوان، فإذا زال تعنون الموضوع زال الحكم.

فإذا زال بنو العبّاس، زالت تلك الشعارية والعنوان وانتفى الموضوع، أو إذا تبدّل لون لباسهم وصار شعار أهل الباطل والظلمة لوناً آخر، حينئذ يتبدّل الحكم طبقاً للموضوع الجديد ويكون لبس اللباس الجديد الّذي صار شعاراً للظلمة والكفّار مكروهاً، مثل لبس ربطة العنق.

ثانياً: حتّى لو قبلنا بأنّ أصل الحكم ثابت في الجملة، فإن كان دليله الاجماع، فلانّ دخول لبس السواد في مراسم العزاء، والّذي يظهر أنّه كان متدأوّلاً في أعصار الأئمّة عليهم السلام وبعد أعصارهم دخوله في معقد الإجماع غير معلوم، والقدر المتيقّن منه هو موارد لبس السواد في غير مراسم العزاء، بل الموارد الّتي يصدق عليها التلبّس بلباس الظلمة وشعارهم.

وحتّى لو اعتبرنا تلك الأحاديث وقلنا بقوّة أسانيدها، فإنّ شمول وظهور إطلاقها أو عمومها في هذا المورد بمناسبة الحكم والموضوع، ممنوعٌ.

وبعد كلّ هذه التفاصيل، فإنّ نفس الرواية الّتي نقلها «صاحب الحدائق» بعنوان تأييده النفي بعد استثناء لبس السواد في عزاء سيّد الشهداء عليه السلام عن «جلاء العيون» للعلّامة المجلسي رحمه الله هي خير دليل، وبنظري فإنّ الرواية يثبت بها حصر مفاد روايات الكراهة في غير موارد العزاء، ـ كما يثبت بها تقييد أو تخصيص روايات الكراهة على فرض وجود إطلاق أو عموم فيها ـ والسبب في عدم استناد

صاحب الحدائق صريحاً إليها هو عدم ذكر سندها في «جلاء العيون» وعدم اطّلاعه أو عدم مراجعته للكتب الأُخرى لضيق المجال.

وقد روى المحدّث الشهيد «أحمد بن محمّد بن خالد البرقي» من الطبقة السابعة، في كتاب «المحاسن»،[1] عن أبيه «محمّد بن خالد» عن «الحسن بن ظريف بن ناصح» من الطبقة السادسة عن أبيه «ظريف بن ناصح» من الطبقة الخامسة عن «الحسين بن زيد» والظاهر أنّه الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام المعروف بـ«ذي الدمعة» وهو من الطبقة الخامسة، وهو عن عمّه «عمر بن عليّ بن الحسين عليه السلام» رواية بهذا السند والمتن:

«عنه، عن الحسن بن ظريف بن ناصح، عن أبيه، عن الحسين بن زيد، عن عمر بن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: لـمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا تشتكين من حرٍّ ولا برد، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمأتم».[2]

ويستفاد من هذا الحديث الشريف ـ المعتمد والحجّة والّذي رواه المشاهير والثقات وأكابر أهل البيت عليهم السلام ـ عدّة أُمور:

---

١. البرقي، المحاسن، ج٢، ص٤٢٠، ح١٩٥.

٢. روي هذا الحديث «العلّامة المجلسي رحمه الله» عن المحاسن في البحار، ج٩٧، ص٨٤ (باب التعزية والمأتم، ح٢٤).

١. إنّ لبس السواد في المأتم والعزاء كان مرسوماً منذ الصدر الأوّل للإسلام، ولذا فإنّ عقائل بني هاشم المعظّمات قد لبسن السواد في مأتم سيّد الشهداء عليه السلام.

والظاهر أنّ ذلك كان عادة، وسنّة كانت جارية حتّى عصر الرسالة، وكأنّ لبس السواد بعنوان ترك التزيّن وشعارٍ للحزن، كان متداولاً ومرسوماً.

وعليه، فإنّ روايات كراهة لبس السواد لا تشمل مثل هذا اللبس الموقّت ومنصرفة إلى اللبس الدائمي المتعارف. وعلى فرض وجود الإطلاق أو العموم فإنّ هذه الرواية تكون مقيّدة أو مخصّصة.

٢. إنّ ترغيب الإمام السجّاد عليه السلام وحثّه على هذا العمل، دليل على رجحانه، والمستفاد منها بأنّ الاستمرار على هذا الفعل من أجل بقاء واقعة عاشوراء التاريخية العظيمة حيّة خالدة ومن أجل إحياء ذكرى سيّد الشهداء عليه السلام، راجح ومستحبّ.

فلا يقال؛ إنّ الحديث حكاية عن فعل النساء وإنّ تأييد الإمام السجّاد عليه السلام إنّما هو تأييد مختصّ بفعل النساء فلا يشمل لبس الرجال لسواد، فإنّه يقال: بأنّ إمضاء الإمام عليه السلام إنّما كان من أجل حال الحزن والمصيبة، والّذي تمّ إظهاره وترجمته من خلال لبس السواد، ولم يلحظ فيه خصوصية صدور هذا الفعل من النساء أو الرجال، فمن أيّ واحد صدر هذا الفعل لإظهار الحزن كان مطلوباً.

فلو كان إظهار الحزن منحصراً بلبس النساء للسواد لقلنا باختصاص الحكم بهنّ، وأمّا إذا كان الإظهار مشتركاً بينهما ـ وهما عند العرف سواء في ذلك ـ أو

كان عند الرجال أظهر منه عند النساء، لم يكن هناك وجه لتخصيصه بهنّ، مثله مثل ما قيل في رجل شكّ بين الثلاث والأربع، فإنّ هذا الشكّ يحصل عند المرأة والرجل على السواء فلا يختصّ بالرجل، ومن ثمّ اشترك الرجل والمرأة في حكم النشوز.

وهذا الحديث مثل كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «**الخضاب زينة ونحن قومٌ في مصيبة**»،[1] والّذي يستفاد منه بأنّ الزينة لا تناسب حال المصيبة، سواء كانت خضاباً أو أيّ شيء آخر، وسواء كان أهل المصاب رجالاً أو نساءاً.

ويستفاد من هذا الحديث أيضاً، إمضاء إظهار العزاء بواسطة لبس السواد سواء من الرجال أو من النساء، ولا يعني أنّه مختصّ بالنساء إذا أمكن إظهاره من قبل الرجال فرجحانه مشترك بينهما، فإنّ العرف يرى بأنّ موضوع مطلوبية ورجحان هذا العمل هو إراءة حال العزاء والحزن، وصدوره مطلوب من المرأة والرجل على السواء.

بل يمكن القول، بأنّ المستفاد من مثل هذا الحديث أنّ إراءة وإظهار حال الحزن والعزاء على مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام بأيّ نحو مشروع ـ والّذي يعتبره العرف عزاءاً ـ مطلوب سواء بلبس السواد، أو كان بالصياح والتّأوّه، أو كان بالبكاء وقراءة المراثي، أو المشي حافياً وغير ذلك من الصور المشروعة والمقبولة الأُخرى، وأنّه موجب للثواب الإلهي في الآخرة.

---

١. نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٣ (ص٥٥٨).

جعلنا الله من القائمين بها، وحشرنا في زمرتهم، بحقّ محمّد وآله الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.

هل يجوز تأجيل ذبح في منى وعزل ثمنه ثمّ يذبح عندما يعود إلى وطنه

س169: إذا تيقّن الحاجّ بأنّ لحوم الأُضحيّة في أيّام الحجّ في منى ـ وبعد الفحص والسعي ـ لا يستفاد منها وتتلف حتماً (أي أنّه يتيقّن بأنّها تحرق وتدفن ولا يحصل لها مستحقّ في منى ويعلم بأنّها لا ترسل إلى فقراء المسلمين في سائر البلاد الإسلامية ولا يأكل منها المؤمنون)، فهل له أن يؤجّل الذبح في منى ويعزل ثمن الذبيحة ثمّ يذبح عندما يعود إلى وطنه (في نفس شهر ذي الحجّة من سنة حجّه أو في السنة القادمة) ثمّ يوزّع لحم الذبيحة طبقاً للمقرّر في مصرفها؟

ج: لا يجوز مثل هذا العمل ولا غيره من الأعمال المبنيّة على السلائق والتصرّف في أحكام الله، فإنّ في الحجّ أسراراً وحِكم وبرامج وشعائر لابدّ من تطبيقها حرفياً طابق النعل بالنعل. فهنا تعريف وتربية على التسليم الإبراهيمي والإسماعيلي، فعندما قال إبراهيم لابنه: ﴿**إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾، لم يقل إسماعيل: ما هي الفائدة والفلسفة من ذبحي، ولم يجادل ولم يقل: إنّ هذا إسراف

ومن قبيل هذه الأعذار، وإنّما قال بدون تأمّل: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾.[1]

ففي الحجّ، وكما هو المستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إنّ الله يتعبّد عباده ببعض الأعمال، وإن لم تظهر لهم فائدة ظاهرية واضحة، مثل الطواف والسعي وكثير من محرّمات الإحرام. فإذا ما جاء بها المكلّف بعنوان التعبّد فإنّ بركاتها الكثيرة وفوائدها العظيمة الّتي لا توجد في أيّ عبادة أُخرى، ستحصل وتتحقّق ويستفيد منها الحاجّ.

ومع ذلك، فإنّ إمكان الاستفادة من لحوم الأُضحيّة موجود وقائم، ويمكن الحدّ من تلفها تماماً، فإنّه يمكن بالاستفادة من الإمكانات التكنلوجية الموجودة، تعليب تلك اللحوم وإرسالها إلى المستحقّين والمحرومين.

أسئلة حول الموسيقى

س170: سيّدي! خطرت في ذهني شبهات وإبهامات في خصوص الموسيقى، أعرضها عليكم راجياً منكم الإرشاد. إنّ الله تعالى فنّانٌ وجميل، ويحبّ الفنّ والجمال. والموسيقى أحد الفنون الدنيوية، حتى أنّ الكثير من العلماء الماضين المطّلعين على كلّ علوم زمانهم، كان لهم اطّلاع بهذا الفنّ أيضاً؛ فكيف يمكن أن يكون هذا الفنّ الجميل فيه إشكال شرعي، أي كيف

---

١. سورة الصافّات، الآية ١٠٢.

تكون الموسيقى ـ العزف ـ وسماعها محرّماً أو غير جائز؟ فالفنّ جميل، والإنسان يلتذّ بالجمال، ففي أيّ صورة يكون هذا الفنّ محرّماً؟

وما هو الغناء، والموسيقى المطربة واللهو واللعب؟

وكيف يمكن تشخيص هذه الأُمور؟

وهل أنّ العزف على كلّ آلات الموسيقى حرام؟

وفي أيّ صورة يكون العزف بها حراماً؟

وهل أنّ العزف على «الناي» و «الكمان» جائز؟

وهل أنّ رعاة الأغنام الّذين يعزفون على «الناي» في حال الرعي في الصحارى، يقومون بعمل محرّم؟

أيّ نوع من الاستماع للموسيقى يكون حراماً؟

وإذا افترضنا أنّ العزف على أحد تلك الآلات محلّلٌ، فكيف يمكن اقتناؤه إذا كان بيع وشراء كلّ الآلات الموسيقية محرّماً؟

أرجو من جنابكم سيّدي الموقّر الإجابة عن أسئلتي قدر الإمكان، فإنّي شابٌّ أبحث عن التقوى والسعادة الدنيوية والأُخروية لكى أُنعم بحياتي.

ج: رسالتك تنمُّ عن اهتمامك بأُمور الدين والتزامك بالإسلام ورغبتك في زيادة معارفك وبصيرتك ورشدك المعنوي.

وأسأل الله تعالى أن يحفظك وكلّ الشباب المعاصرين من شرور الهجمة الثقافية ومضارّ المنشورات المعادية والأفلام الهدّامة المضلّلة ويصونكم من مفاسدها، وأن يزيد في غيرتكم الإسلامية وشعوركم الديني وأحاسيسكم الإيمانية.

إنّ كلّ عالم الخلقة بمجموعاته الهائلة العظيمة الّتي لا يعرف حجمها إلّا خالقها والّتي لا يستوعبها التصوّر البشري، مع كلّ النجوم والمنظومات والمجرّات والكائنات الصغيرة والكبيرة، والذرّات والالكترونات، والبحار والمحيطات والجبال والحيوانات والإنسان، وأنظمتها البديعة، وخلايا جسم الإنسان بكلّ أجزائه وأفراده، فكلّ منها عالم عجيب ومحيّر وجذّاب للطبع المحبّ للجمال، كلّها جميلة ومحبّبة ومحيّرة، وكلّها تجلّيات لجمال الخالق الواحد الأحد ذي الجلال وذي الكمال وذي الجمال. فجمال الشمس، جمال القمر، جمال الإنسان، جمال الجبال، السهول، المراتع، الصحاري، البساتين، الرياحين، المزارع، الأوراد، وجمال علم وقدرة واستعداد البشر ـ ظاهره وباطنه، بجسمه وروحه ـ وجمال الليل والنهار ونور الحياة والحسّ والحركة ـ الموجودة في كلّ أجزاء هذا العالم ـ كلّها جذّابة وجميلة ومحيِّرة.

وفوق كلّ ذلك وأجمل من هذا كلّه، جمال محمّدﷺ وجمال المهديعليه السلام وهي آيات جمال الحقّ، والجمال المطلق، والكلّ مجذوب إلى جمالهم وعاشقهم.

والقضيّة المهملة في هذا العالم الجميل بكلّه وعلى الرغم من أنَّ الميل إلى

الجمال وحبّه وذائقة دركه تكويني فطري كسائر الرغبات والميول البشرية، إلّا أنّ هذه الغريزة يمكن أن تنحرف بسبب تعدّد أبعاد الشخصية الإنسانية، أو يشتبه عليها الأمر فتحتاج إلى هداية تشريعية، فمثلاً الغريزة ترى أنّ هذا الشيء جميل، من جهة وزاوية خاصّة، ولكنّها تراه قبيحاً من زاوية أُخرى من زوايا وأبعاد الشخصية الإنسانية المتعدّدة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الدنيا: «**مثل الدنيا مثل الحيّة، ما ألين مسّها وفي جوفها السمّ الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوى إليها الصبيّ الجاهل**».[1]

فالجمال الظاهري يختلف عن الجمال الواقعي والجمال الحقيقي يختلف عن الجمال المجازي.

فالصوت الحسن الجميل مثل الوجه الجميل والهندام الحسن، جمالٌ، ولكن كيفية الاستفادة من هذا الجمال تختلف، فتارة تكونُ الاستفادة وبالاً ويتحوّل الجمال إلى القبح، ويصير الحسن قبيحاً.

فالغناء والنشيد ـ وهي أصوات تشتمل على ترجيع خاصّ مناسب لمجالس اللهو ـ بحسب الذوق الحيواني اللهوي البشري، جميلٌ ولكنّه في الواقع قبيح وخطر وآفة، يضرّ روح الإنسان بل وحتّى جسده، خصوصاً على المدى البعيد.

---

١. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٣٦.

والموسيقي وهي استعمال آلات الطرب، كلّها من الملاهي الّتي تشغل الإنسان عن ذكر الله وعن الجمال الحقيقي، وكلّ ما يلهي ويشغل الانسان عن التوجّه إلى ذلك الجمال وعبادته، فليس بجمال.

مضافاً إلى أنّ الموسيقي تؤثّر سلباً على الأعصاب وإذا ما حقّقتم في القضيّة فستجدون أنَّ الأشخاص والمبتلين بهذه الأُمور محرومون من السعادة والالتذاذ الروحي والمعنوي، وأنّهم سقطوا في دركات الفساد ومن جملتها؛ الإدمان على المخدّرات و... .

وحتّى الأجانب يعتقدون بمضارّ الموسيقى وكتبوا الكثير من الكتب في بيان أضرارها.

إنَّ الله تعالى الّذي خلق البشر لكلّ هذه الاستعدادت الجميلة، هو أعرف بمصالح هذا البشر، فهو كالطبيب الّذي يحذّر مرضاه من بعض الأطعمة، يحذّر عباده من مضارّ هذه الأعمال.

وقد ورد في الرواية: «**أنتم كالمرضى وربّ العالمين كالطبيب**»،[1] وعلى الطبيب أن يصف كلّ ما هو صالح ومفيد لمريضه، وأن يمنعه عن كلّ ما يرغب فيه إن كان فيه ضرر عليه.

---

١. ابن فهد الحلّي، عدّة الداعي، ص٣٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص١٠٧.

وينبغي أن تلتفتوا إلى هذه النقطة أيضاً وهي: أنَّ المهمّ في الإسلام هو التسليم للارشادات الدينية الإلهية، كالمريض الّذي يسلّم أمره للطبيب الحاذق الناصح، ويستعمل كلّ الأدوية الّتي يصفها له، الحلوة والمرّة منها.

في المجموع، هذا هو الإسلام، وهذه هي أحكامه في مختلف نواحي الحياة وأبعادها الروحية و المعنوية والجسمية والسياسية والإجتماعية والفردية والمالية والاقتصادية والجزائية، الّتي تتضمّن مصالحه وتدفع عنه المفاسد والمضارّ، وعلينا أن نقبل بتلك الأحكام وتفصيلاتها بلا مناقشة.

أسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ أُمّتنا ـ خاصّة الشباب ـ من الاشتغال بالموسيقى والملاهي والمناهي والبرامج الخاوية والمسابقات الفارغة السخيفة ـ الّتي تهدر عمر الإنسان ـ وأن يحرسنا بحراسته .

س171 : لو أنَّ الموسيقى جعلت شخصاً بحالة روحانية يتقرّب فيها إلى الله وكأنّه يطير ويحلّق من هذه الدنيا ولا يعتني بها، فهل أنَّ عزفه للموسيقي وسماعه لها محرّم أيضاً؟

ج: إنَّ الاستماع أو العزف بتلك الآلات المذكورة محرّم على الجميع، ولا فرق بحسب الأدلّة الفقهية المذكورة في الكتب الاستدلالية المفصّلة، بين مثل هذا الشخص وغيره.

فمن الخطأ أن يتصوّر شخص أنّ تلك الحالة هي حالة روحانية ومعنوية وأنّها قرب من الله، بل هي حالة نفسانية معلولة لتلك الأصوات الموسيقية، أي أنَّ روحه وعلى أثر سماع تلك الأصوات أو العزف بالآلات تتأثّر تأثّراً كبيراً تجعله منشداً إليها وغافلاً عمّا حوله، وقد تجعله يبكي أحياناً. إذ كيف يمكن لعمل ثبت بالبرهان أنّه مخالف للشرع المقدّس وأنّه حرام ومعصية لله وقد نهي عنه، أن يكون مقرّباً إلى الله؟!

أضف إلى ذلك، فإنّه أحياناً يكون العمل فيه فائدة ومصلحة ومع ذلك يحرّمه الشارع لوجود مفسدة أكبر من المصحلة، ومضارّ أكبر من الفائدة، ذلك لأنّ الله تعالى عالم بكلّ هذه الجهات، فمثلاً في شرب الخمر والقمار وبحسب ما ورد في القرآن الكريم، فإنَّ فيها منافع وفوائد، ولكن مضارّها أكبر من منافعها، ولذا فقد حرّمها الله تعالى. فالمسلم، عليه أن يسلّم لأحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه وفي الرواية «**أنتم كالمرضى وربّ العالمين كالطبيب**»، والطبيب يصف لمريضه ما فيه صلاحه وينهاه عمّا فيه الضرر عليه، ولا يلحظ ما يشتهيه وما لا يشتهيه المريض. فكثير من الأطعمة والأشربة والأدوية لها فائدة من جهة معيّنة ولكن لها ضرر من جهات أُخرى فيمنعه منها الطبيب بملاحظة الضرر الأكبر، وعلى المريض أن يطبّق إرشادات الطبيب. والله العالم.

الرقّيّة في الإسلام

س172: إذا كان الإسلام مخالفاً للرقّيّة والعبودية، فلماذا لم يحرّمها كما حرّم شرب الخمر؟

ج: إنَّ الإسلام حارب الرقّية، ولابدّ أن تنقرض الرقّية والاسترقاق في المجتمع الإسلامي.

فالنبيّ الأكرمﷺ ومنذ الأيّام الأُولى لبعثته الشريفة في مكّة المعظّمة، وقبل هجرته إلى المدينة المنوّرة، وفي الوقت الّذي لم تكن فيه الأحكام الأساسية وأُصول الإسلام قد نزلت وكان أكثر التركيز على مبادئ التوحيد، دعا إلى تحرير العبيد والرقيق، مع أنّ تلك الدعوة كانت تشكّل خطراً كبيراً عليه في ذلك الوقت لقلّة أتباعه وعدم استقرار أمر الرسالة، مع ذلك فإنّه أعلن بأنّ تحرير العبيد والإماء ووفق منهج خاصّ، هو من أفضل الأعمال والطرق المؤدّية إلى القرب من الله، ثمّ قرّر عليه الصلاة والسلام وبموجب القرآن الكريم ومن ضمن مشروعه المالي، بأنّ أحد مصارف الزكاة ـ وهي من أهمّ الموارد المالية في الإسلام ـ هو تحرير العبيد.

ولقد أعتق أمير المؤمنينؑ ألف عبدٍ من مدخوله المالي الخاصّ.

وهكذا كان سائر الأئمّةؑ فقد كانت لهم مشاريع خاصّة بتحرير العبيد، وكلّ هذا يعدُّ منهجاً في محاربة الرقِّ وإزالة تجارة الرقيق.

أضف إلى ذلك، أنَّ الإسلام جعل تحرير الرقاب والعبيد كفّارة لبعض المخالفات الشرعية مثل قتل النفس، والإفطار العمدي وغير ذلك... .

وأمّا سبب عدم تحريم الرقّ كتحريم الخمر، فلعلّه من أجل أنّ العبيد كانوا يشكّلون شريحة مهمّة وكبيرة من اليد العاملة في مجالات الزراعة والتجارة والإنتاج الحيواني، وغير ذلك من مجالات عجلة الاقتصاد في المجتمع، وأنَّ تحرير ملايين العبيد دفعة واحدة كان سيؤدّي إلى شلٍّ حركة الاقتصاد في ذلك اليوم، كما أنَّ نفس العبيد كانوا سيتضرّرون من هذه الحركة اللامدروسة.

فالإسلام، وضع برنامجاً متوازناً من شأنه أن يقضي على حركة الاتّجار بالعبيد على المدى البعيد، من جهة، وأرسى قواعد إصلاح الوضع اللاإنساني الموجود آنذاك في التعامل مع العبيد والّذي نسب أيضاً ـ خلافاً للواقع ـ إلى شريعة موسى وعيسى عليهما السلام والّذي قبله الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو، فأوجد الإسلام انقلاباً كبيراً في تلك المفاهيم الخاطئة، واعتبر العبد إنساناً كاملاً له ما لسائر الناس من الحقوق الإنسانية المحترمة.

بل، لقد تقدّم الإسلام وتقدّم إلى درجة أنّه أعطى لبعض العبيد مقاماً لم ينله الآلاف بل الملايين من تجّار الرقيق والأحرار، وذلك بحسب قيمتهم الواقعية حتّى جلس بعض العبيد على مسند القضاء وحاكموا السادة والأحرار طبقاً للضوابط الإسلامية وأُصول القضاء.

ولقد سطر لنا تاريخ الإسلام حكايات وحكايات عن العبيد في صدر الإسلام وفضائلهم ومواقفهم الإنسانية والإيمانية الشجاعة، وهذا شاهدٌ على ما منحهم الإسلام من قدر وقيمة إنسانية.

هذا وقد سنّ الإسلام قوانين سالمة لتنظيم العلاقة بين العبد وسيّده ليعيش العبد بكلّ احترام محفوظ الحقوق والكرامة ولقد كانت تلك القوانين في صالح العبد إلى درجة أنّ بعض السادة كانوا يعتقون عبيدهم خوفاً من المسؤوليّة الشرعية والقانونية في حال عدم رعاية حقوق العبيد كما ينبغي، و خوفاً من المسؤوليّة يوم القيامة.

ولقد تحوّل التعامل مع العبيد إلى غاية التعامل الإنساني والإسلامي إلى درجة أنّ بعض العبيد لم يكن يرغب بعتق سيّده له، ولو أعتقه فإنّه لم يكن يقطع علاقته بمولاه ولم يزل يراوده.

وكلّما كان أمير المؤمنين عليه السلام يدخل السوق ليشتري له قميصاً فإنّه كان يشتري قميصين، أحدهما له والآخر لغلامه وكان يعطي أفضلهما للغلام ويأخذ الثاني له. لقد كان «قنبر» غلاماً لعليّ عليه السلام فكان تلميذاً ومريداً للإمام عليه السلام، فالعلاقة بينهما علاقة التلميذ المؤمن مع أُستاذه، وكان عاقبة أمره أن يقتل بيد «الحجّاج» في طريق ولايته وحبِّه لعلي عليه السلام.

ولقد حرّر رسول الله ﷺ غلامه «زيد بن حارثة» عندما جاء أبوه وأقاربه ليشتروه ويأخذوه معهم، فأراد النبيّ ﷺ أن يبيّن لهم أنّه ليس تاجر رقيق، فخيَّر زيداً بالذهاب معهم أو البقاء عنده، فاختار زيد البقاء مع رسول الله ﷺ وصار في عداد الصحابة المعروفين ورجالات صدر الإسلام، حتّى استشهد في معركة «مؤتة» بعد استشهاد «جعفر الطيّار» وتنصيبه لقيادة الجيش، فحاز مقاماً في التاريخ وعند الله، يغبطه عليه ملايين وملايين الموالي والأحرار.

ولقد زوّج النبيّ ﷺ ابنة عمّته الّتي كانت من أشراف قريش للعبد المحرّر زيد في وقت كان مثل ذلك الزواج يعدّ عاراً في عرف الجاهلية.

واكتفي بهذا المقدار من التوضيح في هذا الموضوع الّذي كتب فيه المحقّقون والكتّاب وحتّى بعض المستشرقين بما يغني عن التفصيل، ويمكنكم مراجعة تلك المقالات والكتب لمزيد الاطّلاع.

س173: كما هو واضح لديكم، فإنّ أئمّة الهدى عليهم السلام وفي حال وجود المقتضي، كانوا يبيّنون علل بعض الأحكام الشرعية، وبطبيعة الحال فإنّنا نعرف أنّ عقولنا قاصرة عن درك كلّ العلل، ولكن لمّا كانت دائرة الشبهات الّتي تثار من قبل أعداء مذهب أهل البيت عليهم السلام، قد اتّسعت، كان بيان أسرار وفلسفة الأحكام ضروريا وخاصّة للشباب، لكي يكونوا على

بصيرة، ولذا فإنّنا نطرح على حضرتكم بعض الأسئلة راجين بيان الإجابات عنها بقلمكم إن أمكن.

فلسفة وجوب الحجاب على المرأة

1. ما هي فلسفة وجوب «الحجاب» على المرأة؟

ج: لقد كتبت كتب كثيرة وبلغات متعدّدة في بيان الحكمة من الحجاب وفوائد الشادر وأصلحيته لنفس المرأة، ومن جملتها كتاب «وسيلة العفاف أو طومار العفّة» وإنّ أهل البصيرة لو تأمّلوا بدقّة وتعمّق في الجملة الإخبارية القرآنية ﴿**ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾[1] الّتي جاءت بعد الجملة الإنشائية ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾، فسوف يتّضح لهم مقدار كبير من فلسفة الحجاب وفوائده، ومضارّ الاختلاط بين النساء والرجال الأجانب، والجلسات والمجامع والمدارس والجامعات المختلطة، وسوف يقتنعون بهدف الشارع المقدّس، وهو صيانة المجتمع من الفساد والابتذال والفحشاء.

دليل حرمة حلق اللحية

2. ما هو الدليل على حرمة حلق اللحية، وما هي العلّة؟

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

ج: لعلماء الإسلام الكبار تأليفات مهمّة في قضيّة حلق اللحية كالعلّامة المجاهد والنابغة المتفكّر «الشيخ محمد جواد البلاغي» يمكنكم مراجعتها.

ولكنّ القدر المسلّم هو أنَّ التأسّي بالأنبياء والأئمّة عليهم السلام يقتضي عدم الحلق.

ولقد كان حلق اللحية قبيحاً ومذموماً عند المسلمين منذ الصدر الأوّل للإسلام إلى هذا اليوم، ولكن لـمّا اختلط المسلون بالأجانب وتأثّر بعض ضعاف الإيمان وانبهروا بالتكنلوجيا الغربية، أخذوا يقلّدون الغربيّين في حلق اللحية كما قلّدوهم في عاداتهم الأُخرى.

علّة تحريم الاختلاط بين النساء والرجال

3. ما هو سبب تحريم الاختلاط بين النساء والرجال في حفلات الأعراس، وفرق الأناشيد وغيرها؟

ج: العجب في السؤال عن سبب الحرمة بعد وضوح مفاسدها ومضارّها.

فلسفة حرمة لبس الذهب للرجال

۴. ما هي فلسفة حرمة لبس الذهب للرجال؟

ج: بطبيعة الحال لا يمكننا بيان فلسفة الأحكام وعللها ـ كما ينبغي ـ فكم من مورد يستحيل علينا درك علّته وحكمته، ولكن بنحو الإجمال وبالأخذ بنظر

الاعتبار علل أكثر الأحكام، نعلم ونعتقد بوجوب مصالح في كلّ الأحكام الشرعية، وعلينا أن نسلّم بها في مقام العمل، ونعمل بما نجهل حكمته كعملنا بما نعلم حكمته، بالضبط كالمريض الّذي يمتثل لارشادات الطبيب وتجويزه.

ومع ذلك، وفيما يرتبط بحرمة لبس الذهب على الرجال، فإنّ في ذلك حكمة مهمّة وهي الحدّ من رواج الإقبال على التزيّن بالذهب والتفاخر به، والحثّ على الاهتمام بالأُمور الروحية المعنوية، ولكي لا تكون هذه التزيّنات وسائل للتفاخر والتعالي على الآخرين.

علّة حرمة التشبّه بالكفّار

٥. ما هي علّة حرمة التشبّه بالكفّار ولبس «الكرفات» وتقليد الأجانب في الشعر والملابس وغير ذلك؟

ج: إنّ الحكمة في ذلك واضحة تماماً، فالتشبّه بالكفّار مخالف للاستقلال الفكري الإسلامي، وحاك عن ضعف معنويات المجتمع وثقته بثقافته، وإكبار ثقافة الغير وتقوية دعائم استضعافهم للمسلمين.

ومن المؤسف جدّاً، إقبال المسلمين على تقليد الكفّار، في حين أنَّ الكفّار اليوم مقبلون على اعتناق الإسلام وترك عاداتهم ورسومهم ومنها لبس الكروات.

حكمة حرمة الرقص والغناء واللهو

٦. ما هو الدليل والحكمة في حرمة الرقص والغناء واللهو واللعب والموسيقى؟

ج: إنَّ اللهو واللعب والرقص والموسيقى والملاهي، كلّها أُمور تقوّي الجنبة الحيوانية في الإنسان، وتضعّف الجنبة الروحانية الملكوتية فيه، وتشغله وتلهيه عن ذكر الله تعالى، وتعيقه عن طيّ مراحل السير في العوالم المعنوية والكمالات الإنسانية.

فلسفة تفاوت دية الرجل عن دية المرأة وكذلك تفاوتهما في الإرث

7. ما هي فلسفة تفاوت دية الرجل عن دية المرأة وكذلك تفاوتهما في الإرث؟

ج: لعلّ الحكمة في ذلك هو بعض الجهات الاقتصادية وملاحظة المسؤوليات المالية الملقاة على عاتق الرجل خاصّة، وبقتله تنتفي المسؤوليّة.

فلسفة مبغوضية الطلاق

8. ما هي فلسفة مبغوضية الطلاق والتساهل في قضيّة الزواج في الإسلام؟

جواب هذين السؤالين واضح، فحكم الطلاق من الأحكام الإسلامية الّتي لابدّ من تشريعها في فقه الأُسرة، ولكن ترويج الطلاق واستسهاله، له مضارّه وآثاره السلبية الّتي لابدّ من السيطرة عليها من خلال هذا التشدّد في أحكامه وشرائطه.

وتسهيل أمر الزواج له فوائده الكثيرة، وللأسف فإنّ العادات الجارية اليوم تعقَّد هذه القضيّة، وبعض المقرّرات والتحديدات والقيود المفروضة اليوم بعنوان القوانين المدنية تتعارض وتتنافى مع المصالح العالية للزواج، والّتي يستلزم بيانها شرحاً مفصّلاً.

فلو أنّ تلك القيود كانت مقرّرة في المجتمع الغربي ـ الّذي لا يرى في العلاقات اللامشروعة بين الرجل والمرأة ذنباً ـ لكان ذلك أمراً مقبولاً طبقاً لثقافتهم الابتذالية، وأمّا في مجتمعنا الإسلامي، فلابدّ من تسهيل أمر الزواج بدون تعقيدات لا شرعية، ولا محذور في ذلك.

وبنظري، فإنّ تسهيل أمر الزواج وتشكيل الأُسرة ـ والّتي تحدّد للأسف ببعض القيود والمقرّرات ـ يدلّ على النظرة الشافية الصحيحة العالية للشارع المقدّس، من أجل حفظ المجتمع من السقوط في هاوية الفحشاء والزنا.

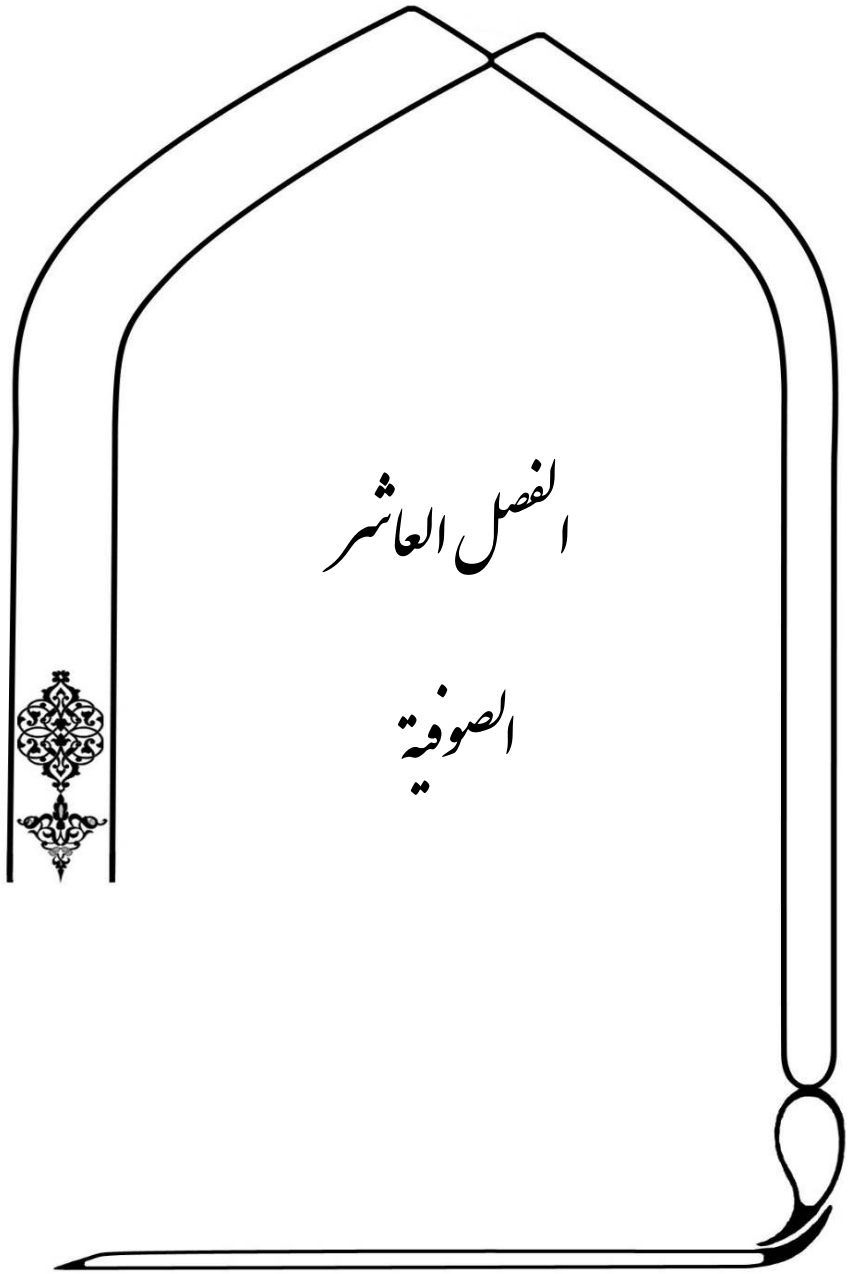

الفصل العاشر

الصوفية

أسئلة حول الصوفية

س174:

1: هل أنَّ فرقة «العشرية» لها جذور إسلامية؟ وهل هي مكفية من الخمس؟

2: ما هو رأي الإسلام بالصوفية؟ وإذا لم يكونوا ينكرون ضروريات الدين، ويقولون بوجوب «العشر» بدل «الخمس» ويطلقون الشارب، أو يلتفّون حول القطب أكثر من اللازم، فهل أنّ مذهبهم هذا بدعة وكفر؟

3: هل يجوز الزواج من بناتهم؟ وما حكم معاشرتهم؟

۴: الرجاء منكم أن تعرّفوا لنا «العارف» و «العرفان» (وإن كان هذا المفهوم السامي لا يمكن بيانه بجملة واحدة).

٥: هل يجوز لنا أن نردّ على كتبهم بالكتابة والنقد (بلا تجريح، بل بمراعاة كامل الشؤون الإسلامية)؟

٦: يقول الصوفية ردّاً على من ينتقدهم وعلى إطلاق الشارب، الّذي يعتبرونه شعاراً لهم: «في رأينا لا إشكال في حلق الشارب ولا في إطلاقه، ولـمّا كان حلق الشارب مستحبّاً لا واجباً، فإذا ما أطلقنا الشارب لم نكن قد ارتكبنا معصية».

وعندهم بعض المعتقدات سوف أُصيغها بقالب الأسئلة راجياً من سماحتكم الإجابة عنها:

ألف. مع أنَّ الآية الشريفة ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] تعني «وثيابك فقصّر»، أي تنهى عن تطويل الثياب، لماذا يجعل العلماء زيّهم الثياب الطويلة؟

ب. مع أنّ لبس العمامة الّتي يزيد طولها على ثلاث دورات، مكروه، وأنّ لبس السواد مكروه، فلماذا يلبس العلماء العمّامة الطويلة ويجعلونها شعاراً لهم، ولماذا يلبس السادات منهم عمّامة سوداء؟

ج: وصلني كتابكم. بعد شكري وتقديري لاهتمامكم، أرجو أن توفّق للتحقيق والبحث، ونيل الحقّ والحقيقة، وأن تكون سبباً لهداية ونجاة الآخرين من الشبهات والضلالة.

---

١. سورة المدّثّر، الآية ٤.

فيما يرتبط بالفرقة المذكورة من فرق الصوفية، فإنّ الكثير من المطّلعين على مشارب وطرق هذه الفرقة، لا يحسنون الظنّ بها، وهؤلاء وإن كانوا يقرّون ويعترفون ـ ظاهراً أو واقعاً ـ ببعض العقائد الحقّة، ولكنَّ عقائدهم في بعض الموارد الأُخرى فاسدة ومنحرفة، وإنَّ الكثير من الصوفية أحسن حالاً من هؤلاء في تلك العقائد.

فنفس هذا الموضوع وهو تجزئة الدين إلى طريقة وشريعة، ودعوى الإجازة الخاصّة من حضرة بقيّة الله ـ أرواح العالمين له الفداء ـ في تلقين الأذكار والطريقة ـ بزعمهم ـ ولزوم اتّصال العلماء ـ وباصطلاحهم علماء الشريعة ـ بهم بوسائط غير مخدوشة، كلّها دعاوي كانت ولا زالت مخالفة للإجماع واتّفاق الشيعة، ولم يدّع أحدٌ من علماء وفقهاء ومحدّثي الشيعة البارعين الكاملين ذلك، منذ عصر الغيبة الكبرى وإلى زماننا الحاضر، مثل «الصدوق» و «الشيخ المفيد»، «الشيخ الطوسي»، وهذا الادّعاء مرفوض ومردود قطعاً،فهو ذريعة أهل البدع والفرق الضالّة المنحرفة.

وبطبيعة الحال، فإنّ من يتشهّد الشهادتين ويقرُّ بولاية الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام ولا ينكر ضرورة من ضروريات الإسلام، فهو محكوم بالإسلام والتشيّع، ولا يجوز تكفير الآخرين ولكن في دراسة عقائد الصوفية لابدّ من مراجعة أقوال

ومقالات وكتابات وأشعار أقطابهم وملاحظة برامجهم وأذكارهم وأورادهم وحالاتهم من الوجد، السماع، والعشق المجازي، ومن خلال ابتعادهم عن المتشرّعة.

وحتّى بدعة كيفية التشرُّف بزعمهم والأوامر الّتي يصدرونها إلى ما يقال عنهم من أنّهم عندما يقرأون ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1] يقصدون بها المرشد، أو يحضرون صورته في الذهن، كما أنَّ السلسلة الّتي ينسبون مرشدهم إليها غالباً ما يكونون مجهولي الحال أو من غير أهل التشيّع ومن فاسدي العقيدة.

فنفس شعار «١٢١» الّذي يكتبونه أوّل رسائلهم ومقالاتهم بدل شعار الإسلام القرآني «بسم الله الرحمن الرحيم»، كيف يمكن تصحيحه؟ ولماذا يعرضون عن شعار المسلمين المقدّس ويعزلون أنفسهم عن المسلمين بهذا الشعار المخترع؟ يجب على هؤلاء أن يتركوا هذه البدع والمظاهر الأُخرى مثل إطلاق الشارب، ويلتحقوا بالشيعة وسائر المسلمين في مظاهرهم.

فإذا كان هؤلاء منصفين وسليمي النوايا، فإنّهم يعرفون جيّداً بأنّ جعبتهم خالية ولا يرتبطون بالمقام الأقدس بأيّ رابطة.

---

١. سورة الفاتحة، الآية ٥.

لابدّ أنَّ جنابك قد توصّلت إلى هذه الحقيقة أيضاً وتعرف هؤلاء الّذين ادّعوا القطبية خلال نصف القرن الأخير، واحداً بعد واحد وأتّهم ورّثوا دعوى القطبية والإرشاد إلى أبنائهم، فإذا لم يكن لآخر قطب أو مرشدٍ ولد، فإنّ عمّه الّذي يعمل في العدلية يقوم مقامه، فما هي علاقة هؤلاء الأفراد الخاصّة بمقام وليّ الله الاعظم أرواحنا فداه؟

فلو كان هذا العمّ المحترم المحامي القارئ لعلم الحقوق يمتلك الشجاعة الكافية لأعلن للجميع ختم هذه القضيّة وبطلان هذا التوريث ولخلّص مجموعة كبيرة من الاشتباه والخطأ... .

وأمّا الاجابة عن الأسئلة

ج١: «العشرية» بصورتها المعمولة بين الدراويش، بدعةٌ وحرام، وليس لها أيّ أصل إسلامي، ولا تجزي عن الخمس.

ج٢: إنَّ الصوفية بفرقها وانشعاباتها المتعدّدة ليست بمستوى واحد، فبعضها ليس خارجاً عن ربقة الإسلام ولكنّها في المجموع منحرفة، وإنَّ عقائدهم الخاصّة ليست إسلامية.

فنفس الالتفات الخاصّ والزائد عن الحدّ حول القطب أو المرشد، هو شرك وكفر في بعض الصور، فلابدّ من تعيين الصورة لكي يتّضح مستوى الانحراف، وهل هو من مصاديق البدعة أم أكثر من البدعة؟ هل هو شرك وكفر، أم لا؟

وعلى أيّ حال فإنّ إنكار أحد ضروريات الدين، كفرٌ.

ج٣: لابدّ من الاحتراز جدّاً عن معاشرة هؤلاء ومجالستهم ومزاوجتهم ومصاحبتهم، لأنّ ذلك يجعل الإنسان في معرض الضلالة وفساد العقيدة والانحراف، وحتّى لو لم يكن عدم التزام هؤلاء بالعقائد والبرامج الإسلامية وإنكار الضروريات واضحاً، فلابدّ من الاحتياط الشديد في ترك الارتباط بهم «**أخوك دينك فاحتط لدينك**».[1]

ج٤: إنَّ التعريف الخالي من الاصطلاحات والمقرون بالحقيقة لـ: «العارف» و «العرفان» و «المعرفة» مثل النور، مقولة تشكيكية تتفاوت مراتبها ودرجاتها.

فحقيقة العرفان والمعرفة، هو التعرّف وهو مفهوم بديهيّ إلى حدٍّ مّا للجميع وفي غاية الوضوح، أي أنّ كلّ إنسان بحدّ معيّن من المعرفة، يرى هذه الحقيقة في نفسه، مهما كان متعلّق المعرفة والعرفان، فهذا المعنى ثابت في مورد عرفان ومعرفة الله تعالى.

فتلك المرأة العجوز الّتي قالت: عرفت الله من حركة المغزل هي عارفة وصاحبة عرفان ومعرفة، وترى تلك الحقيقة في نفسها. إلى ذلك الراعي الّذي يرعى غنمه في المراتع ويهتدي إلى طريق معرفة الله من خلال آيات الطبيعة، إلى

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٦٧.

ذلك الفلكي والنجومي والعالم الّذي يقضي عمره في كسب المعارف والتفكّر بالآيات السماوية والأرضية، إلى ذلك الأوحدي الفريد، تلك النسخة الّتي لا تتكّرر، الّذي قال لمقام حضرة الأحدية «**لا أُحصي ثناءاً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[1] والّذي قال: «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا**»،[2] وقال: «**ما لله آية أكبر منّي**»،[3] كلّ هؤلاء عرفاء، ولكنّ الفاصلة بين مراتبهم كالفاصلة بين الأرض والسماء.

ج٥: قد أُجيب عن كتب هؤلاء وأفكارهم وآرائهم، يمكنكم الرجوع إلى كتاب: «الخيراتية»، «حديقة الشيعة»، «نقد المثنوي»، «ماذا يقول الصوفي والعارف»، «فضائح الصوفية»، «العرفان والتصوّف»، وكتابات «كيوان القزويني» الّذي كان سنوات عديدة من كبار شخصيات ـ باصطلاحهم ـ هذه الفرقة الّتي تسألون عنها، وكتاب «از كوي صوفيان تا حضور عارفان» تأليف «السيّد تقي الواحدي الصاحب عليشاه» وغيرها من الكتب الكثيرة.

ج٦: أوّلاً، إذا كان هناك اعتراض على من يعترض على إطلاق الشارب في

---

١. المجلسي، بحار الأنوار. ج٧١، ص٢٣.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٢٥٣.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢٠٦.

مورد آخر، فهذا لا يرفع الاعتراض عليهم، فورود الاعتراضين ليس بنحو مانعة الجمع، وإثبات أحدهما لا ينفي الآخر.

فالمسألة هي أنّ حلق الشارب مستحبّ كما أقرّ به في عبارة السؤال بصراحة، وبتعبير الآخرين، إنّ إطلاق الشارب مكروه، وقد وردت الروايات الكثيرة والمتواترة القطعية عن رسول الله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام تدلّ على التوصية الأكيدة على إحفاء الشارب، أي المبالغة في أخذه. وهذا الأمر والسنّة القولية والعملية الثابتة لأُولئك الأطهار أمر ثابت. فما معنى ترك هذه السنّة؟ ومن لم يعمل بها وترك غيرها من الآداب والمستحبّات لم يكن إشكالنا عليه كإشكالنا على من جعل عكس السنّة شعاراً، فهذا يعدّ مخالفة صريحة للأدب الديني ولسيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

فمعنى هذا التعبّد والالتزام بإطلاق الشارب والترويج له واستحسانه، هو إنكار لحكم شرعي ثابت حتّى لو كان مستحبّاً فإنّ إنكاره كإنكار حكم الواجب، إذا ما دقّقنا في معنى هذا الالتزام.

وبعبارة أُخرى هناك فرق كبير بين ترك المستحبّ (مثل إحفاء الشارب أو تقليم الأظافير أو صلاة الليل) وبين إنكار استحباب هذه الأعمال وترجيح تركها (مثل الفرق بين ترك الصلاة عملياً وبين إنكار الصلاة والالتزام بتركها).

فترك الصلاة الواجبة، معصية كبيرة، وترك صلاة النافلة وحلق الشارب، ترك لمستحبّ، ولكنّ إنكار وجوب الصلاة أو استحباب النافلة، موجب للكفر.

فالمواظبة والاعتقاد بترك هذه الأعمال ـ أعمّ من الواجبة والمستحبّة ـ وجعلها وظيفة مع الالتفات إلى لوازمها، كفرٌ.

وبطبيعة الحال، ليس غرضنا تكفير كلّ من يطلق شاربه، حاشا وكلّا، لأن أكثر أصحاب الشوارب غير ملتفتين إلى لوازم هذا الالتزام العملي، ولكنّ على أُولئك الّذين يصدرون الإرشادات لهؤلاء بإطلاق الشارب، عليهم أن يفكّروا بإنصاف بمعاني هذه الأوامر والإرشادات ولوازمها، وكيف يمكن تفنيد كونها بدعة.

ثانياً: فيما يرتبط بالآية الشريفة ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾،[1] فإنّه وإن كان ظهورها الابتدائي ـ لغير المطّلعين على ثياب العرب الطويلة ـ في الأمر بتطهير وتنظيف الثوب، ولكنّ الوارد في الروايات الشريفة هو تفسير التطهير «بالتقصير» وهذه الروايات الواردة عن المعصوم في عصر الجاهلية كان العرب ـ خاصّة المتكبّرون منهم ـ يطيلون ثيابهم إلى درجة سحب أذيالها حين المشي، ونظر الآية الشريفة هو تقصير الثوب إلى حدّ لا يتجاوز مفصل القدم: كما أنّ ذلك التقصير وارد في

---

١. سورة المدّثّر، الآية ٤.

الأطراف والأكمام أيضاً فيستحبّ أن لا يتجاوز كمّ القميص رسغ اليد، وقد روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقصّ هذا المقدار من أكمام القميص.

وعليه، وكما هو الملاحظ والمستفاد من الروايات، فإنّ لباس أهل العلم لا يتعدّى مفصل القدم، والكثير من العلماء كانت ملابسهم أقصر من ذلك.

وعلى أيّ حال، فإنّ التقصير المراد من الآية الشريفة متحقّق في لباس أهل العلم والعلماء، مضافاً إلى دلالة الروايات على كفاية هذا المقدار.

والنكتة الظريفة في هذا البحث هي التناسب بين «فطهِّر» و «فقصّر» بمعنى تقصير الثوب إلى درجة عدم ملامسة الأرض، ذلك أنَّ مثل هذا التقصير يوجب حفظ طهارة الثوب وعدم تلوّثه بالقذارات والكثافات الّتي قد توجد على الأرض حال المشي.

ثالثاً: فيما يرتبط بالعمّامة،لا دليل على كراهة لبس عمّامة يزيد طولها على ثلاث دورات، فلقد كانت عمّامة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الموسومة بالسحاب تسع دورات، ولعلّ السبب في كون عمّامة بعض العلماء كبيرة هو التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا لبس العمّامة السوداء، مستثنى بلا شكّ من كراهة لبس السواد، طبقاً للروايات. ومع ذلك فإنّ لبس العمّامة البيضاء أيضاً كان معمولاً به، ولكن وبمرور الزمان ولتعظيم نسل رسول الله صلى الله عليه وآله ولإبراز مقام السيادة، خصّص اللون الأسود عرفاً وبحسب العادة لتمييز السادات العظام زاد الله تعالى في شرفهم.

وهذه الأُمور لا تقاس بمسألة إطلاق الشارب بعنوان الرجحان والشعار والارتباط المعنوي وكمسلك وطريقة.

أسأل الله تعالى أن يحفظ المسلمين من شرور وشباك أهل البدع ـ خاصّة أدعياء التصوّف والعرفان والسير والسلوك ـ وفّقتم إن شاء الله تعالى.

انتساب الصوفية إلى رسول الله ﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام

س175: إنّ الصوفية يرجعون تاريخ التصوّف إلى زمان رسول الله ﷺ وتأييد الأئمّة الطاهرين عليهم السلام فهم يعتقدون بأنّ النبيّ الأكرم ﷺ ألبس عليّاً عليه السلام الخرقة ووضع التاج على رأسه ولقّنه الذكر، وإنّ عليّاً عليه السلام نقل ذلك «لسلمان الفارسي»، و «أُويس القرني» و «كميل بن زياد» و «الحسن البصري» فهل يوجد حديث معتبر في هذه القضيّة أم لا؟

ج: لم أعثر على حديث معتبر في هذا المجال، وإنَّ كلّ الأحاديث الّتي يعتمدها الصوفية، ضعيفة أو مجعولة أو أنّها تدلُّ على مشاربهم الباطلة.

ويمكنكم في هذا الموضوع مراجعة بعض الكتب مثل «الخيراتية» و «حديقة الشيعة» و «نقد المثنوي» و «فضائح الصوفية» و «العرفان والتصوّف».

ولكنّ في هذا البين، توجد أحاديث معتبرة تذمُّ الصوفية وتأمر بلزوم الاجتناب عنهم وعن معاشرتهم والارتباط بهم. والله العالم.

الصوفية المصطلح بالعرفاء

س176: ما هو رأيكم في الأشخاص الّذين يذكرون في زمرة العرفاء باصطلاحهم (الصوفية أمثال «محيي الدين ابن العربي»، «بايزيد البسطامي»، «الحسين بن منصور الحلّاج» و «جلال الدين محمّد البلخي المولوي»)؟

ج: بعد تقديري اهتمامك واطّلاعك، فإنّه كما ورد في رسالتك بأنّ هؤلاء الأشخاص ـ الّذين يصطلح عليهم أنّهم عرفاء ـ لديهم انحرافات فكرية وعقائدية وطرق خرافية، ولهم كلمات مخالفة لنصوص القرآن المجيد والأحاديث الشريفة.

فالأشخاص الّذين ذكرت أسماءهم لم يكن لهم طريقة المتشرّعة والملتزمين بالأحكام والآداب الشرعية، وحتّى لو برّأهم البعض من العقائد الفاسدة، فإنّ عقائدهم ليست حجّة على الإنسان المسلم.

والقدر المسلّم هو أنَّ هؤلاء الأفراد وآراءهم لم تكن في يوم من الأيّام وعلى مرّ أربعة عشر قرناً، مرجعاً في محيط المذهب والتشيّع.

فلقد كان للشيعة في كلّ الأدوار والأعصار، علماء في العقائد أمثال «ابن بابويه والد الشيخ الصدوق»، «المفيد»، «الشيخ الطوسي»، «العلّامة الحلّي»، «العلّامة المجلسي»، و مئات وآلاف العلماء الآخرين من هذا القبيل، الّذين كان رأيهم وكلامهم الفيصل في بيان الحدود بين الكفر والإسلام.

واليوم، فإنّ الطريق والصراط المستقيم هو نفس طريق هؤلاء الأعلام.

حكم العشرية بدل الخمس

س177: إنَّ المتصوّفة يلتمسون بعض الأخبار والفتاوى لتوجيه مسألة «العشرية» وإظهارها بمظهر شرعي، ففي كتبهم الّتي نشرت في هذا الخصوص، ذكروا أنّ المكلّف معفوّ من نصف العشرية ـ المكفية عن الخمس ـ في زمان غيبة الإمام عليه السلام واستندوا ـ كما ذكرت لكم ـ بأخبارٍ نقلاً عن كتاب «الوافي» أبواب الخمس، باب «تحليلهم الخمس لشيعتهم وتشديدهم الأمر فيه» (وقد أشاروا فقط إلى هذه الأخبار ولم يذكروها بمتنها) وقد اعتمدوا على كلام للمرحوم «الفيض» بهذا المضمون: «وأمّا مثل هذا الزمان حيث لا يمكن الوصول إليهم عليهم السلام فيسقط حصَّتهم عليهم السلام رأساً لتعذّر ذلك وغنائهم عنه رأساً دون السهام الباقية لوجود مستحقّيها ومن صرف الكلّ حينئذ إلى الأصناف الثلاثة فقد أحسن واحتاط والعلم عند الله» وبهذا يعتبرون أنّ دفع سهم الإمام عليه السلام أو عدم دفعه، سواء، وبهذا يوجّهون عدم دفع العشرية المكفي عن الخمس إلى غير المجتهد. وبهذا أيضاً يقلّلون من أهمّيّة ارتباط أتباعهم بالمرجعيات الدينية والعلماء لكي يأمنوا الخطر المتوجّه إليهم وإلى أفكارهم من جهة المرجعية ولهذا فهم يتشبّثون بكلام المرحوم «الفيض» والّذي لا يعلم صحّة نسبته إليه.

والسؤال هو: أساساً هل توجد مثل هذه الأخبار؟ وإذا كانت موجودة، فهل أنّ الإعفاء من سهم الإمام مطلق أم مقيّد بشروط معيّنة؟ فبحسب علمي وتتبّعي لم أعثر على هذا المضمون المنقول قبل الصوفية، فأرجو من جنابكم الكريم بيان ما يرتبط بهذا الأمر بقلمكم الواضح الشافي.

ج: فيما يرتبط بالعشرية، أوّلاً ينبغي أن نعلم بأنّ الإشكال الوارد على هؤلاء المتحلين للإسلام والتشيّع، ليس إيراداً فرعياً وجزئياً، بل الإيراد على أساس مسالكهم ومشاربهم الّذي إذا لم نقل عنه إنّه كفر وشرك، فهو ليس إسلامياً ولا مذهبياً، وكان على الدوام مردوداً ومرفوضاً من قبل علماء الإسلام والمذهب العظام.

فالإيرادات الواردة على عقائد هذه الفرق، والانحرافات الّتي عندهم والّتي ملئت بها كتبهم، هي أبعد وأكبر من هذا الإيراد الجزئي.

وثانياً: كما أشرتم في السؤال، فإنّ هناك باباً في «الكافي» وأحاديث متعدّدة يدلّ بعضها على تحليل الخمس، ويدلّ بعضها على التشديد في أمر الخمس، وأحاديث أُخرى تفسّر هاتين الطائفتين وتوجّهها، وبطبيعة الحال فإنّ دراسة هذه الأحاديث مختصّ بأهل الفنّ وأصحاب قوّة الاجتهاد القدسية.

والمستفاد من مجموع هذه الأحاديث هو أنَّ الأئمّة عليهم السلام قد أباحوا لشيعتهم التصرّف في الأموال الّتي يأخذونها ممّن لا يعتقد بالخمس (الكفّار والمخالفين) بملاحظة المصالح المهمّة وأنّهم حلّلوا تلك الأموال لهم لتطيب انتفاعاتهم بها.

والنظر الأوسع لهذا التحليل، هو شموله للأموال المأخوذة من معتقدي الخمس الّذين لا يخمّسون، فإذا ما اشتراها المؤمن أو تملّكها بنحو من الأنحاء، فلا يجب عليه تخميسها، بل يبقي الخمس في ذمّة مالكها السابق وعليه أداؤه.

وهنا يوجد قولٌ شاذٌّ أيضاً، وهو تحليل كلّ الخمس في عصر الغيبة. وقول آخر هو الإعفاء من سهم الإمام فقط، والبحث الفقهي، وهذان القولان الأخيران مردودان بحسب الاستنباط، نظراً لفوات الحكمة والمصالح المهمّة الموجودة في تشريع الخمس إذا ما أخذنا بهما.

ولا يخفي، أنّ أحد أهمّ الآراء الّتي أفتى بها القدماء من علمائنا هو أنّ أخبار التحليل مختصّة بالمناكح، مثل الإماء اللّاتي يؤسرن في حروب المسلمين مع الكفّار في فترة حكومة الخلفاء الغاصبين للخلافة وعلى أيّ حال، لا يمكن إثبات أكثر من هذا القول والقول الأوّل بهذه الأخبار، فلا يثبت التحليل الكلّي للخمس.

وأمّا الكلام المنقول عن المرحوم «الفيض» فهو ما ذكره في آخر هذا الباب بعد بيانات أُخرى، وهذا القول الّذي يذهب إلى تحليل السهم المبارك للإمام ولا يشمل سهم الأيتام والمساكين وابن السبيل والّذي قوّاه «الفيض» قول ضعيف كما أشرنا.

والحاصل، أنّ المسألة مسألةٌ فقهية، وإذا لم يكن الشخص مجتهداً، كان عليه أن يقلّد المجتهد والفقيه الجامع للشرائط.

والخلاصة، أنّه حتّى على رأي الفيض لا يصحّ مذهب العشرية، فإنّه على رأيه يتحوّل الخمس إلى العشر، ولكنّ هذا العشر يدفع فقط إلى السادات، لا إلى المرشد والقطب والمراد والخانقاه، فكلّ من كان له رأي الفيض كان عليه أن يدفع العشر إلى السادات الأيتام والمساكين وأبناء السبيل، فأين هذا من العشرية الّتي يأخذونها؟ فبأيّ نحو درسنا القضيّة وجدنا أنّ عمل هؤلاء مخالف للفقه ومخالف للشرع. والله العالم.

مسلك درويشي

س178:

ج: أقول في صدد الجواب عن رسالتكم:

الدين، نظامٌ كامل للحياة، يشمل نواحي الاعتقاد، الفكر، الأخلاق، أعمال الدنيا والآخرة، والروح والجسم.

فإن كان المنهج الفكري والعملي مأخوذاً عن الله والنبيّ الأكرمﷺ والقرآن المجيد والأحاديث المعتبرة، فلا شكّ حينئذٍ أنّ الشخص متديّنٌ بدين الله. وإن كان مأخوذاً من أشخاص آخرين ـ بأيّ إسم ورسم ـ كان الشخص الملتزم بذلك المنهج والسالك لذلك المسلك، متديّناً بدين هؤلاء الآخرين.

ولقد ذكرت جنابك، بانّك ملتزم بمرام ومسلك درويشي، يعني أنّك درويش ترابي، فماذا تقصد من هذا المرام والمسلك (الّذي تريد أن تعرف أنّه حقّ أم باطل)؟

وهل عندك منهج فكري عملي وأخلاقي وعبادي خاصّ، أم أنّك انتخبت فقط لفظ الدرويش الترابي لنفسك كانتخاب اللقب؟

فإن كان من القسم الثاني، فلا إشكال في ذلك، ولا ينبغي البحث في الألفاظ، وإن كان مقصودك هو القسم الأوّل، فلابدّ حينئذ لهذا الدرويش الترابي من منهج فكري أخلاقي عبادي وعملي خاصّ. وحينئذٍ، وحتّى لو لم نقل بأنّ صاحب هذا المرام والمسلك، متديّن بدين خاصّ، ولكن في الحقيقة هو متديّن بهذا المنهج والمسلك، لأنّه ملتزم ومقيَّد به.

فإذا كنت حقّاً تسألني عن حقّانية أو بطلان هذا المسلك، فعليك أن تكتب لي حقيقة مسلكك ومرامك وما تمتاز به عن الآخرين، فلا تطلب منّي أن أبيّن لك أحقيّة أو بطلان مسلك مجهول ومنهج خاصّ بك من دون معرفة حيثياته.

ألم يكن الأفضل أن تذكر لي أصل المطلب والقضيّة وتذكر لي بشكل واضح مسلكك ومنهجك بدلاً من بيان محاورتك التفصيلية بالجزئيات مع ذلك الشخص، لكي أُجيبك بالجواب الشافي والكافي؟

ومع ذلك، يجب عليك وعلى من يشاطرك الرأي في مسلك أن تلاحظوا هذه الطريقة والمنهج الّذي تتّبعوه، ما هو مأخذه ومن أيّ شخص تعلَّمتموه؟

وعليكم أن تعرضوا هذا المنهج بكلّ صدق وبلا مجاملة وتعصّب، على كتاب الله وأخبار وأحاديث أهل البيت عليهم السلام المعتبرة، ليتّضح لكم الحقّ والباطل.

إنَّ طريق قادتنا وأئمّتنا المعصومين عليهم السلام واضح ومعروف. وأنتم تعرفون طريقتكم ومنهجكم، فاتركوا هذه الألفاظ والمصطلحات واهتمّوا أكثر بالحقائق. فبدلاً من أن تبحثوا في كفر وإيمان الأشخاص الّذين لا يعتبر رأيهم ومنهجهم حجّة على الآخرين برأي الإسلام والتشيُّع، ولا يمكن أن يكون مأخذاً ومراماً للانسان، ارجعوا إلى من حاز ـ باعترافكم ـ على أكمل مقام القرب إلى الله تعالى وهم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام.

فصرف أنّ فلاناً من الناس مضمون شعره كذا أم كذا، لا يوجب الانقسام والفرقة، فإنّ بعض الأشعار الّتي ذكرتموها لها معانٍ أُخرى غير المعاني المذكورة، فإن كان مرادهم هو تلك المعاني وكانوا يعتّدون بها، كان ذلك كفراً.

وعلى أيّ حال، مهما كان مراد المنشئ لهذا الشعر، فلا ربط له بمسألة مذهب شيعي تابع للقرآن المجيد ولتعاليم النبيّ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام فما هو وجه الارتباط بين إيمان وكفر هؤلاء الأشخاص بدينكم ومنهجكم؟ فلو أنّكم لم تتعرّفوا على هؤلاء الأشخاص لم يقدح بدينكم شيئاً، ولكن إذا كان لهؤلاء عثرات باعتبار عدم أو قلّة معرفتهم بعلوم آل محمّد صلى الله عليه وآله فإنّكم ستبتلون بانحرافاتهم بلا اختيار منكم من باب حسن الظنّ بهم.

فلا شكّ في أنَّ أئمّة الإسلام والتشيّع الّذين يعدُّ قولهم وعملهم حجّة وهو ميزان أعمال الناس ـ ليسوا أحد هؤلاء الأشخاص ـ حتّى لو كان إيمان هؤلاء وعلمهم محرزاً ومسلّماً. ولو أنَّ شخصاً اعتبر هؤلاء أئمّة، فإنّه يكون قد اتّخذ ديناً وطريقة منفصلة.

علينا أن نتّبع فقط وفقط طريق قادة الدين (الأئمّة عليهم السلام) الّذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله عدل القرآن وقال فيهم: «**لن يفترقا**»، في الأذكار والأوراد والزهد والعرفان.

وأُذكّركم مرّة أُخرى:

تامّلوا وفكّروا جيّداً في هذا الإسلام الّذي تسمّيتم به أنتم ورفاقكم واعلموا بأنّ الدين الصحيح هو أعزّ شيء عند الإنسان.

فإن كان منهجكم وطريقتكم هي نفس منهج وطريق الآخرين وهو برنامج الإسلام الأخلاقي وأدعيته وأوراده وأذكاره وعباداته، فلماذا تسمّيتم إذن باسم آخر؟ فإنّ ذلك يؤدّي إلى الفرقة والانقسام ويزلزل وحدة الأُمّة الإسلامية في وقت هي بأمسّ الحاجة للتوحّد.

وإن كانت طريقتكم ومنهجكم طريقة خاصّة، فاعلموا أنّ كلّ طريقة ـ في العبادة والطاعة أو في الأخلاقيات والرياضات ووضع الظاهر أو في العقائد واتّباع الآخرين ـ لم تثبت عن طريق القرآن المجيد والأخبار المعتبرة، فهي ضلالة

وانحراف، بل قد تؤدّي أحياناً إلى الشرك والكفر ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾.[1]

تأمّلوا في دعوة النبيّ الأكرمﷺ، وسيرة الأئمّةعليهم السلام وتاريخ حياتهم وكلماتهم وأدعيتهم الّتي تقضى بها حوائج المحتاجين وتنقل الإنسان وتهديه إلى كمال الدين الإنساني.

والاصطلاحات الإسلامية معروفة، وهي مأخوذة من القرآن وكلمات أولياء الدين، ومركز تجمّعها الديني والعبادي معلوم ومشخّص، فلا حاجة للمصطلحات والمراكز الأُخرى.

عليكم أن تكتفوا باسم ورسم الشيعة والإسلام وأن تحذروا الطقوس والرسوم الاختراعية.

وإن قلتم فرضاً بأنّ أئمّتناعليهم السلام لم يردعوا عن المناهج الّتي تنسبون أنفسكم إلى بعضها، ولم يقدحوا في أربابها، فإنّنا نقول: إنّ الثابت قطعاً والمتيقّن هو عدم إمضاء الأئمّة لمثل هذه المناهج. ولم يردنا أبداً أنّهمعليهم السلام رضوا لشيعتهم اتّباع هذه الطرق والمسالك.

---

١. سورة النجم، الآية ٢٣.

إنّكم تدافعون عن صاحب هذه الأشعار أو كاتب تلك الأذكار، وتتأذّون إذا فسّرها شخص بغير ما تتصوّرون في تفسيرها ومعناها، عليكم أن تفكّروا جيّداً، فإن كان غرضكم هو الدفاع عن شخص مسلم احتراماً لإسلامه وأن تتألّمون لكلّ مسلم يتعرّض للتهمة، فهذا أمر مستحسن. وأمّا إذا كنتم تتأذّون لمجرّد أنّكم تعتبرونهم قادتكم وأولياءكم وتتحسّسون ممّن يشكل على معتقداتهم ومعاني أشعارهم، فاعلموا حينئذٍ أنّكم قد انحرفتم، إذ مع أنّكم مسلمون وشيعة، وتعرفون أنّ غير النبيّ والأئمّة عليهم السلام لا يستحقّون هذه السمة والمقام وأنّ رأيهم ومنهجهم ليس ميزاناً لاتّخاذ طريقة ومنهج معيّن.

أقول لكم باختصار وبلا جدال: إنَّ الطريقة والمنهج الّذي ينجي الإنسان من الضلال ويقرّ به إلى الله هو إتّباع تعاليم وأحكام الشرع الإسلامي المقدّس ـ المأخوذ من القرآن المجيد والأحاديث المعتبرة ـ في العبادات، الأخلاق، الأذكار، الأوراد، الأعمال، والعقائد، وأن يتأسّى الشخص بالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وهم سفن النجاة، وأن لا يخترع من نفسه أو من الآخرين طريقة ومنهجاً في العبادة والرياضة وتربية النفس وتكميلها وتكميل الأخلاق وأن لا يتجاوز الحدود المعلومة في القرآن المجيد والأحاديث الشريفة.

اعتبار الأحاديث الموجودة في مدح الصوفية

س179: كتب أحد الصوفية كتاباً يزعم فيه أنّه يردّ فيه على مخالفيهم، يذكر فيه ثلاث أحاديث في مدح الصوفية معارضة للأحاديث الواردة في ذمّهم والاحتراز منهم، ويقول: لابدّ من الجمع بين الأحاديث في مقام التعارض ما دام الجمع ممكناً فنحمل أخبار الذمّ على ذمّ صوفية أهل السنّة والنواصب، ونحمل أخبار المدح على مدح صوفية الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام أو نعمل بقانون «التعادل والتراجيح» ويظهر من كلامه أنّه يقدّم أخبار المدح ويرجّحها.

ونسب هذا الشخص إحدى تلك الروايات الثلاث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا اللفظ: «من سرَّه أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوّف»، والخبر الثاني والّذي لم ينسبه إلى أحد، هو بهذا اللفظ: «لا تطعنوا أهل التصوّف والخرق فإنّ أخلاقهم أخلاق الأنبياء ولباسهم لباس الأنبياء».

والخبر الثالث وينسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وجاء فيه: «التصوّف أربعة أحرف: تاء وصاد وواو وفاء، التاء ترك وتوبة وتقى، والصاد صبر وصدق وصفاء، والواو ورد وودّ ووفاء، والفاء فرد وفقر وفناء».

و قد تمسّك هذا الشخص بقول بعض الفقهاء أيضاً.

فإذا ما وضّحتم لنا هذه المقولة، فإنّنا نستفيد كثيراً.

ج: أوّلاً، إنّ الأخبار الثلاثة غير معتبرة، ولا شكّ في كونها مجعولة ولم ترد في كتاب معتبر، والكتب الّتي نقلت عنها، لا يعتمد عليها ولا يستند إليها، اذ لا يستند في أبواب المسائل الشرعية على خبر منقول عن هذين الكتابين «المحلّى» و «عوالي اللئالي»، والأحاديث الثلاثة كلّها مرسلة ولم يرد اسم رواتها.

ثانياً: إنَّ خير دليل على كون هذه الأخبار مجعولة، هو نفس متون تلك الأخبار:

أمّا الخبر الأوّل، فمردود من جهة أنّه يذكر حثّ الرسول الأكرمﷺ على مجالسة أهل التصوّف، فمن هم أهل التصوّف في زمن النبيّﷺ وما هو الكتاب الّذي ذكر وجودهم في ذلك الزمان؟ وما هي ميّزتهم عن سائر المسلمين في ذلك العصر؟ وأيّ منهج وطريقة غير طريقة ومنهج النبيّﷺ حتّى يدعو الناس إلى تلك الطريقة؟

وما هذا الكلام المبهم الّذي ينسب إلى رسول اللهﷺ؟

قد يقال: إنّهم الفقراء والمساكين من أهل الصفّة، ولأنّ مجالسة الفقراء والمعوزين محبّبة ومستحسنة وفيها من الفوائد الأخلاقية والاجتماعية الّتي تحيي القلب بعكس مجالسة ومعاشرة الأثرياء، لذلك حثّ النبيّ الأكرمﷺ على مجالستهم.

ولكن الإشكال هو أنَّ أهل الصفّة لا يسمّون بأهل التصوّف ليكون الخبر إشارة إليهم. فعلى كلّ حال، لا شكّ في كون هذا الخبر مجعولاً.

وأمّا الخبر الثاني، فهو مثل الخبر الأوّل غير مفهوم، فمن هم أهل التصوّف أُولئك؟ وهل كانوا مكلّفين بغير ما كلّف به سائر المسلمين من وظائف وعبادات؟ أم أنّهم هم الّذين اخترعوا منهجاً لأنفسهم واعتزلوا المسلمين وخالفوا النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا**﴾[1] أم أنّهم مجرّد مجموعة لبست الصوف واعتزلت الدنيا وصارت مثل الكفّار والمرتاضين الهنود، خالفوا كتاب الله وإرشاداته حيث يقول: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾،[2] فحرّموا على أنفسهم حلال الله؟

أضف إلى ذلك، إذا كان الصوف لباس الأنبياء، فلا يعني أنّ مجرّد لبس الإنسان للصوف يجعله متخلّقاً بأخلاق الأنبياء؛ ومن أين جاءوا بهذا الحديث؟ وفي أيّ كتاب معتبر موجود؟ ومن هم رجال سنده ورواته؟

أمّا الحديث الثالث: فإنّ جعله ووضعه واضح جداً، فإنَّ مقام أمير المؤمنين عليه السلام صاحب تلك الخطب البليغة والاستدلالات والاحتجاجات والإرشادات المنطقية المعقولة الفريدة، يجلّ عن النزول إلى هذا المستوى من التخاطب العامّي، فانّ في مقابل هذا الكلام، كلام وهو القول: التصوّف أربعة، «التاء»

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

٢. سورة الأعراف، الآية ٣٢.

تعب وتبار، «الصاد» صنم وصدع وصعب، «الواو» ويل ووزر ووهن، و «الفاء» فتنة وفساد وفسق. فالإنصاف هو أنَّ الاستدلال بمثل هذه الأخبار الواهية غير المعتبرة لتأسيس فرقة عقائدية، في غاية العجب.

وأعجب من ذلك، محاولات ترجيحها على تلك الروايات الواردة في ذمّ التصوّف والصوفية، والمعتبرة سنداً والمنقولة في الكتب الموثّقة المعتبرة، في مقام التعارض ـ المدّعى ـ والتعادل والتراجيح، ومثل هذا الشخص لا يعي بأنّ هذه الأخبار حتّى لو لم يكن لها معارض فإنّها ليست معتبرة ولا يؤخذ بها، إذ في باب التعادل والتراجيح، كلّما كان عندنا خبران معتبران في حدّ نفسهما، وتامّان دلالة، ولم يكن لهما معارض، حينئذ يعمل بهما من خلال إعمال قواعد هذا الباب، وأمّا إذا كانت الأخبار من قبيل ما استدلّ به هذا الشخص، فهي في نفسها ساقطة وغير معتبرة فلا تصل النوبة إلى الجمع بينها وبين غيرها.

وأمّا كلام الشهيد في كتاب الوقف في «الدروس» فإنّه لا يدلّ على شيء من المدّعى، لأنّ هذا العَلَم وبعد أن صحّح الوقف حتّى على أهل الذمّة وجوّزه، صحّح الوقف على الصوفية بنحو الوقف على أُولئك الّذين يشتغلون بالعبادة ويعرضون عن الدنيا ويزهدون فيها، ومع ذلك يقول: الأقرب اشتراط الفقر والعدالة فيهم، ثمّ يقول: «وأولى منه اشتراط أن لا يخرجوا عن الشريعة الحقّة».[1]

---

١. الشهيد الأوّل، الدروس الشرعية، ج٢، ص٢٧٥ـ٢٧٦.

وعبارة «كشف الغطاء» أيضاً تدلّ على القدح بالصوفية لأنّه يقول: إذا كان الواقف عارفاً متّقياً، أي له معرفة بالدين وعارفاً بفساد عقيدة الصوفية بنحو الإجمال، ثمّ أوقف على الصوفية فان وقفه ينصرف إلى الإشخاص المعرضين عن الدنيا المشغولين بالعبادة، ولا يشمل الصوفية المصطلحين وأتباعهم.[1]

فالعجب، مع كلّ هذه التصريحات لكبار العلماء والفقهاء والمحدّثين الدالّة على بطلان وفساد فرق الصوفية، ومع دلالة الأخبار المعتبرة في التحذير منهم، أن يأتي شخص ويستدلّ للصوفية بحديثين أو ثلاثة أحاديث مكذوبة موهونة فاقدة للسند، ويتشبّث بجملتين لبعض العلماء لا تدلّ على مراده.

وأعجب من كلّ هذا، نسبة التصريح بصحّة التصوّف إلى «العلّامة المجلسي» الثاني﵀ فلابد من القول: بأنّ هذه تهمة وإهانة لشخص مهمّ خصّص قسماً كبيراً من جهاده العلمي الديني لمحاربة التصوّف، وهداية الناس والشيعة إلى التشيّع الخالص، المنزّه عن التصوّف.

فالمجلسي هذا هو الّذي أدخل الكساد على سوق التصوّف في زمانه، والّذي راج بسبب بعض العوامل، وكانت نتيجة فضح المجلسي لهؤلاء أن أُغلقت مراكزهم في أصفهان ومنذ ذلك اليوم بدأ تحديث وتجديد بناء تشيّع عصر الأئمّة﵈.

---

١. كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ج٢، ص٣٧١.

ولو كان «زين العابدين الشيرواني» صاحب «رياض الساحة وبستان السياحة» وهو من المتصوّفة المعروفين، هو الّذي اتّهم المجلسي الثاني بهذه التهمة، لم يكن مستبعداً.

فكلّ من له أدنى اطّلاع عن أحوال المجلسي الثاني، وكان قد قرأ كتبه، فإنّه سيعرف جيّداً بأنّ هذا العالم النحرير صاحب موسوعة «بحار الأنوار» والكتب المهمّة الأُخرى، لا يمكن أن يميل بمقدارذرّة إلى التصوّف فهو بريء من هذه الاتّهامات ومنزّه عنها.

المصافحة بيدين عند الصوفية

س180: إنّ الصوفية يولّون أهمّية كبيرة للمصافحة بيدين ثمّ تقبيل اليدين بعد المصافحة، ويشيرون في هذا المجال إلى حديث عن «عيون أخبار الرضاعليه السلام» حيث يقول: «عقد البيعة هو من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام وفسخها من أعلى الإبهام إلى أعلى الخنصر». كما يشيرون إلى رواية «سليم بن قيس» عن «سلمان الفارسي» والّتي ورد فيها أنَّ «سلمان» جاء إلى أمير المؤمنينعليه السلام بعدما بايع الثاني أبا بكر، وكان أمير المؤمنين مشغولاً بتجهيز رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال له: بأنّ أبا بكر جالس على منبر رسول اللهصلى الله عليه وآله والناس يأتون ويبايعونه وأنّه لا يرضى بالبيعة بيد واحدة».

والغرض هو أن يقول بأنّ المصافحة في صدر الإسلام كانت بالكفّين معاً كما يشيرون أيضاً إلى حديث «تشبيك الأصابع» أثناء المصافحة بهذا اللفظ «شبّك أصابعه في أصابعه» ويقولون بأنّ المقصود من التشبيك ليس تشابك كلّ الأصابع ولم يرو ذلك في أيّ تاريخ وخبر، فيكون الأقرب إلى التشبيك الحقيقي هو المصافحة الفقرية. وأمّا فيما يرتبط بتقبيل اليد بعد المصافحة، فهم يستندون إلى خبر «أبي خالد القمّاط» عن الباقر عليه السلام، حيث يقول: «إنّ المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فصافح أشدّهما حبّاً لصاحبه»[1] فهم يقصدون بالتقبيل تقبيل اليد الّتي صافحها الله تعالى.

ج: فيما يرتبط بالمصافحة: فإنّ رواية عيون أخبار الرضا عليه السلام وحديث سلمان ورد في مورد البيعة[2] ولا علاقة له بمصافحة المؤمنين بعضهم لبعض ويختلف موردها عن الكثير من الروايات الدالّة على المصافحة بيد واحدة.

وأمّا حديث «تشبيك الأصابع»[3] فالمراد منه، إمّا نفس أخذ الأصابع بالأصابع، أو نفس تشبيك الأصابع في الأصابع ولا يستفاد منه أمر آخر.

---

١. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٧٩.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٣٩.

٣. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٨٠.

وأمّا ما قيل من أنّه لم يرد في أيّ تاريخ وخبر أنّ المراد من التشبيك هو نفس المعنى الظاهر من التشابك، فجوابه: لابدّ من الرجوع في معرفة المعنى إلى أهل اللغة واللسان وكتبهم، ولم نعثر في كتب اللغة على غير المعنى الظاهر من كلمة التشبيك.

وأمّا فيما يخصّ حديث الإمام الباقر عليه السلام وجملة: «**إنّ المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فصافح أشدّهما حبّاً لصاحبه**»،[1] فإن كان المقصود من الاستدلال به هو استفادة استحباب المصافحة بالكفّين معاً ولملاحظة كلمة «أيديهما» فالجواب هو نفس ما ذكره المجلسي رحمه الله وما قاله أُستاد الفن، الشيخ رضي رحمه الله وهو المستفاد أيضاً من القرآن الكريم في مثل موارد الجمع هذه وأنّ المراد هو التثنية، ومن ثمّ لم يقل أحد بقطع يدي السارق معاً استناداً لقوله: ﴿**فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾[2].[3]

وإن كان المقصود، استحباب تقبيل اليد بعد المصافحة، فهذا ما لا يستفاد من الحديث بأيّ نحو من الدلالات الثلاث، ولكنّ هذا العمل حسنٌ، تأدّباً ونظراً لمثل هذه الفضيلة.

---

١. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٧٩.

٢. سورة المائدة، الآية ٣٨.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٤.

وعلى أيّ حال، فإنّ هذه المطالب جزئية، وليست هي أُمّهات المطالب في الاعتراض على الصوفية، وإنّما الاعتراض هو في تأسيس واختراع الفرق وبعض العقائد الفاسدة والقطب والمرشد، عندهم وتلك الأشعار الكفرية والكلمات المخالفة لنصّ القرآن المجيد والسنّة والّتي تصدر عنهم ويفتخرون بها ويسمّونها «الشطحيات» وهي شركية وإلحادية، ولكنّنا لا ننسبها إلى كلّ من يعتبر نفسه، صوفياً ولكنّ مسالك هؤلاء لا تطابق في أصلها الشرع المبين، وهي داعية إلى التفرقة والتشتّت والانفصال عن طريق أهل البيت عليهم السلام والكتاب والسنّة. فالإيراد هو هنا، فلماذا يجب أن يخلف الولد أباه إذا مات في قيادة الصوفية، ثمّ من بعده ابنه ثمّ من بعده عمّه؟! وبالصورة الّتي يفهم منها أنّهم لا يريدون التخلّي عن هذه المنظومة ويبقون الناس في الحيرة والضلال والاشتباه، فما هو دليل كلّ هذه التصرّفات وما هو المجوّز الشرعي لها؟ فما معنى المصافحة «الفقرية» ومثل هذه المصطلحات؟ فليس في الإسلام فقير وغير فقير. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ**﴾،[1] فالكلّ فقير بالنسبة إلى الله، والكلّ يتصافح. وليس هناك هذا وذاك ومشرّف وغير مشرّف، فمثل هذه البرامج وقضيّة التشرّف الّتي ردّها وفنّدها مثل «كيوان القزويني» الّذي قضى عمره بزعمهم في

١. سورة فاطر، الآية ١٥.

الفقر وكان وحيداً في الفضل والعلم، فهو قد انتقد كلّ هذه الطقوس. فمن أين أخذوا كلّ ذلك؟

فالمسألة أوضح من أن تحتاج إلى بيان ضلال وانحراف هؤلاء المرشدين والأقطاب.

ومع كلّ ذلك، فإنّ الكتب الّتي كتبها العلماء والمحدّثون وحملة علوم آل البيت عليهم السلام في الردّ على هذه الطائفة وفرقها وإثبات انحرافها وفي كفر الكثير من قادتهم، كثيرةٌ ولا تدع مجالاً للشكّ.

فهذا الشخص الّذي يقول بأنّ أخبار الذمّ مختصّة بالصوفية السنّة، لابدّ أن يعرف بأنّ أكثر الأشخاص الّذين يعظّمهم هم من أهل السنّة، فنفس شجرة النسب المضحكة السخيفة الّتي كتبها لكم رجل من العوامّ و... أكثر افراد هذه الشجرة هم من أهل السنّة بل ومن مريدي معاوية.

فلماذا كلّ هذا الإجحاف وعدم الإنصاف وإنكار الحقائق؟!

الصوفية النوربخشية

س181: نحن خمسة أشخاص اخترنا المذهب الحقّ والفرقة الناجية، ولكن الناس يشوّشون على أذهاننا ويوحون إلينا بعض الأسئلة والشبهات، نرجو منكم الإجابة عنها مفصّلاً:

1. هل كان مذهب التشيّع موجوداً سابقاً، أم الصوفية النوربخشية؟

2. متى بدأ تأريخ أهل التصوّف؟

3. متى بدأ تاريخ الفرقة الهمدانية النوربخشيّة؟

ج: أُبارك لكم وأُهنّئكم على تشرّفكم بالتشيّع الّذي هو الإسلام الحقيقي والاتّباع للقرآن الكريم ولعترة رسول الله ﷺ وأسأل الله تعالى أن يثبّتكم على هذا الاعتقاد الأصيل.

وأمّا جواب أسئلتكم بنحو الإيجاز:

ج١: إنّ عنوان «الشيعة» عنوان أطلقه نفس رسول الله ﷺ على أتباع عليّ بن أبي طالب ؑ، وعندما نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾.[1] قال رسول الله ﷺ لعليّ ؑ: «**هم أنت وشيعتك**»،[2] كما أطلق النبيّ ﷺ هذا العنوان على أتباع وشيعة عليّ ؑ في مناسبات أُخرى، ويستفاد من كلّ ذلك أنَّ الفرقة الناجية هي شيعة عليّ ؑ.

ومذهب الشيعة، يعني ولاية وخلافة عليّ ؑ، قد أُبلغت للمسلمين من أوائل البعثة النبوية الشريفة، ففي واقعة «يوم الدار» و «يوم الإنذار» وعندما نزلت

---

١. سورة البيّنة، الآية ٧.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٤٥٨.

الآية: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[1] وجمع النبيّ ﷺ أقرباءه في مجلس الضيافة المعروف، أبلغهم رسول الله ﷺ صراحة بخلافة ووزارة عليّ عليه السلام.

وتكرّرت مناسبات إبلاغ هذا الأمر حتّى كان يوم «غدير خمّ» وذلك الاجتماع العظيم والمهيب، والّذي أعلنت فيه رسمياً خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بإبلاغ حكم «**من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره...**»،[2] وبحسب أحاديث «الثقلين» و «السفينة» و «الأمان» المتواترة وغيرها من الأحاديث الكثيرة، فإنّ رسول الله ﷺ قد أرجع الأُمّة إلى عليّ عليه السلام وأهل بيته وعترته ليأمنوا من الضلالة والضياع والانحراف.

وفي أحاديث كثيرة ومن جملتها ما ورد في «مسند أحمد» بأكثر من ٣٤ طريقاً أنّ النبيّ الأكرم ﷺ قال: «**الأئمّة من بعدي اثنا عشر**» ولا يتحقّق مصداق ذلك إلّا في أئمة أهل البيت عليهم السلام ومذهب التشيّع الاثنى عشري الحقّ الّذي كان لكم شرف اختياره وسعادة الإيمان والاعتقاد به. وهذه المطالب الّتي ذكرناها كلّها موجودة في كتب الحديث والصحاح والسنن والتفسير والتاريخ عند أهل السنّة، والمستفاد منها جميعاً أنَّ الفرقة الناجية هي فقط فرقة عليّ ابن أبي طالب عليه السلام والّذي

---

١. سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٨٧.

قال فيه رسول الله ﷺ: «**عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور حيثما دار**»،[1] وكذلك ما قاله ﷺ في القرآن وأهل البيت عليهم السلام: «**ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا فإنّهما لن يتفرّقا أو لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**».

فالإسلام في عصر الرسالة هو رسالة محمّد وخلافة عليّ، ولكن بعد رسول الله ﷺ ظهرت هذه الفرقة الحكومية الّتي سمّيت فيما بعد «السنّة». والله العالم.

ج٢، ٣: إنَّ التصوّف فرقة مستحدثة، وليس الإسلام إلّا ما دعا اليه رسول الله ﷺ من الأُصول والفروع، والّذي بيّنه القرآن والعترة الطاهرة، مفسّرو القرآن المأمونون.

وفرق الصوفية، بعقائدهم، في ضلال.

وإنَّ الكثير من محقّقي الشيعة والسنّة لا يعتقدون بإسلامية أصل التصوّف؛ ولقد تشعّب هؤلاء بمرور الزمان إلى شعب وفرق كثيرة من جملتها الهمدانية النوربخشية. وكلّ برنامج يدعو إليه هؤلاء، إذا لم يكن مطابقاً لمنهج الإسلام والمسلمين ـ بعنوان الفرق والأقطاب والمرشدين وكلمات الشرك والكفر ـ فهو باطلٌ، وموجبٌ لتقهقر وتخلّف المسلمين. والله العالم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

١. الأميني، الغدير، ج٣، ص١٧٨.

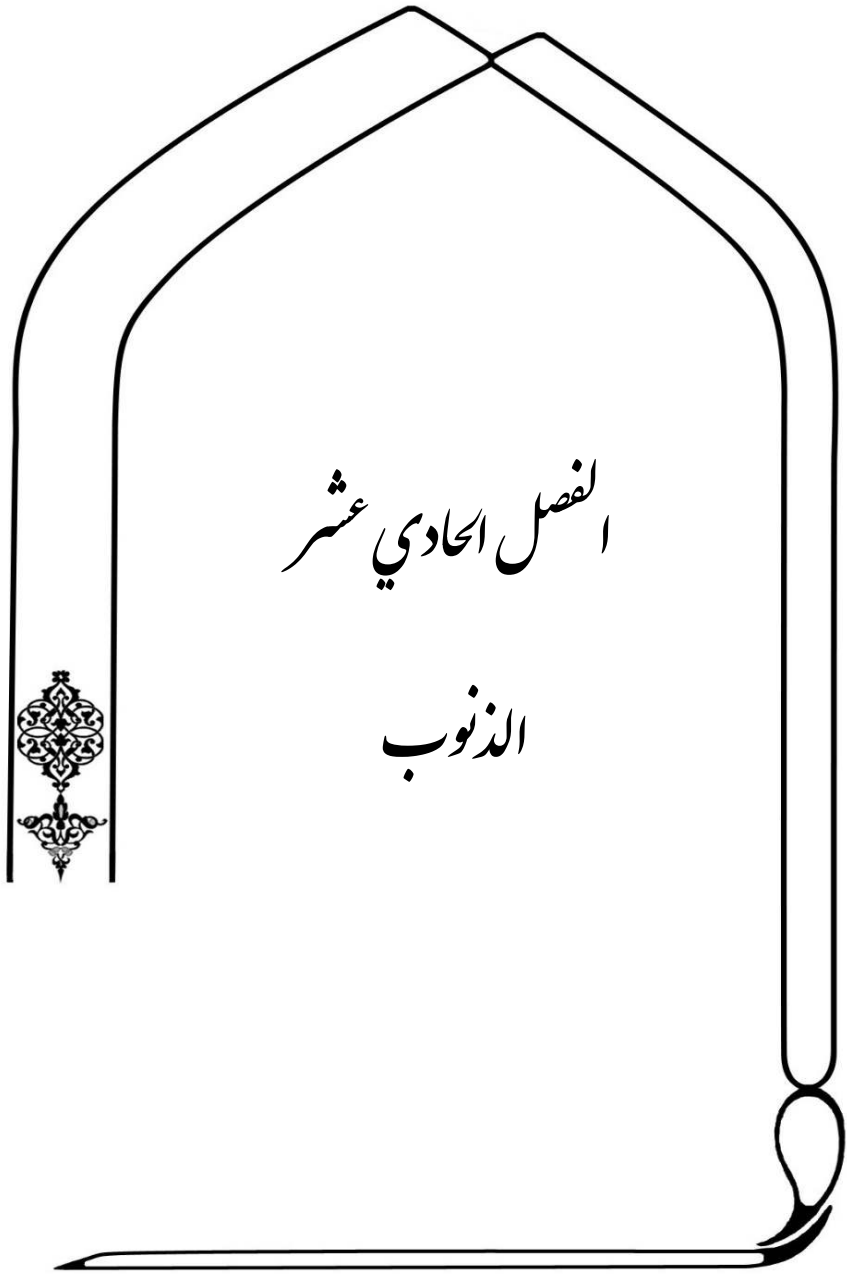

الفصل الحادي عشر

الذنوب

قبول توبة المرتكب الكبيرة

س182: إذا ارتكب شخص معصية كبيرة، ثمّ ندم على فعله وبدأ ضميره يؤنّبه باستمرار، فكيف يعرف أنَّ الله التوّاب الرحيم قد قبل توبته، ليرتاح من عذاب الضمير؟

ج: إنّ القرآن المجيد والأحاديث الشريفة تدلّ على أنَّ الله تعالى يقبل توبة من أناب إليه ويعفو عن ذنوبه، فبالتوبة يرتاح الوجدان، وعلى الإنسان أن يراقب نفسه في المستقبل ويعزم على عدم العود إلى الذنب. والله العالم.

حكم نيّة المعصية

س183: إذا نوى الإنسان أن يرتكب معصية كبيرة ولكنّه لم يوفّق لذلك، فما هو حدّ جرمه؟

ج: لا يكتب لمثل هذا الشخص أيّ ذنب، ولكن لابدّ أن يعرف الإنسان أنّ التفكير بارتكاب الذنوب وخاصّةً إذا تكرّر ذلك، مضرّ، وقد يؤدّي بالتدريج إلى الجرأة على ارتكاب الذنب.

إذا صادف شخص في موقف المعصية ولم يقدر على السيطرة على نفسه

س184: إذا صادف أن ابتلي شخص بمثل موقف يوسف من زليخا ولم يقدر على السيطرة على نفسه، فما هو جرمه؟

ج: مادام لم يفعل شيئاً ـ كما ذكرنا في السؤال السابق ـ لا تكتب له معصية، ولا يجوز ارتكاب المعصية مهما كانت الظروف، إلّا إذا أُكره الشخص عليها.

حكم من يهيّئ الظروف المناسبة لشخص آخر كي يرتكب المعصية

س185: ما هو حكم من يهيّئ الظروف المناسبة لشخص آخر كي يرتكب المعصية، وما هو حكم من يرتكب تلك المعصية؟

ج: كلاهما مذنب، وهناك حدٌّ شرعي في بعض الموارد لمن يهيّئ الأجواء المناسبة لشخص كي يرتكب المعصية، وبشكل عامّ، إذا ثبت ذلك الذنب عند الحاكم الشرعي فإنّ المذنب يستوجب الحدّ الشرعي أو التعزير، بحسب المورد.

حكم تفسير الأحلام

س186: هناك شخص يفسّر الأحلام، وغالباً ما يكون تفسيره مطابقاً للواقع، وتارةً يكون تفسيره كاشفاً عن المغيّبات والمستقبل، فما هو حكم حكاية الأحلام لهذا الشخص ليفسّرها؟

ج: إنَّ التعبير والتفسير بالاحتمال، وإذا لم يكن مشتملاً على إهانة لمؤمن، ولم يكن مستلزماً للمفاسد مثل الاسترباح والابتزاز، ولم يكن موجباً للعداوة، فلا مانع منه.

معنى الغيبة

س187: ما معنى الغيبة؟

ج: الغيبة هي إظهار عيوب الآخرين في غيابهم بنحو لا يرضاه المغتاب إذا سمعه، ولا فرق في ذلك بين العيوب الجسدية أو الأخلاقية أو الاجتماعية والحياتية، وكلّ ما يرتبط به، وبشكل عامّ: أن يقول شيئاً لا يرضاه الطرف المقابل. والله العالم.

الغيبة من الكبائر

س188: هل الغيبة من الكبائر؟ وما هي الغيبة برأيكم؟

ج: الغيبة من الكبائر، وهي عبارة عن ذكر المؤمن بشيء لا يرضاه ويكون موهناً له، وكان ذلك النقص موجوداً فيه، وأمّا إذا لم يكن متّصفا به فهو تهمة. والله العالم.

دائرة حرمة الغيبة

س189 : هل أنَّ الحكم بحرمة الغيبة مختصّ بالشيعة؟ وهل أنّه مختصّ بالبالغين؟ (أي هل يجوز إغتياب المميّز غير البالغ وغير المميّز؟).

ج: الأحوط تركها. والله العالم.

استماع الغيبة

س190 : هل يجوز الاستماع إلى الغيبة؟ فإذا كان يصغي إلى شخص وعرف في الأثناء أنّه يستغيب الآخرين، فهل أنَّ ذلك الاستماع له نفس الحكم؟

ج: إذا علم في الأثناء أنّ المتكلّم يستغيب، فلا يجوز له الاستماع بعدها. والله العالم

حكم انتقاد بعض المسؤولين في الدولة

س191 : ما هو حكم انتقاد بعض المسؤولين في الدولة على تصرّفاتهم ـ كأن يقول الشخص: إنَّ المسؤول الفلاني فعل كذا أو لم يفعل كذا وكذا ـ فهل يعتبر ذلك غيبة محرّمة شرعاً؟

ج: إذا كان غرض المنتقد إظهار العيوب لا غير ـ كأن يذكر عيوبه الجسدية ـ فتلك غيبة محرّمة، وإن كان انتقاده بنّاءاً وفي خصوص عمله وأداء مسؤوليته وكان هدفه معالجة مشكلة اجتماعية أو إدارية، فلا إشكال في ذلك وهو جائز إذا ما تحقّق المقصود. والله العالم.

بيان خصوصيات بعض المرشّحين للحملات الانتخابية

س192: قد يتعرّض الإنسان لبيان خصوصيات بعض المرشّحين للحملات الانتخابية في المجلس النيابي أو لرئاسة الجمهورية مثلاً، فيقول: إنَّ الشخص الفلاني كذا وكذا، أو أنّه غير صالح لهذا المنصب، وأمثال ذلك، فهل يعدّ ذلك غيبة محرّمة شرعاً؟

ج: إنَّ الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى بيان تفصيلات لا تسعها هذه الرسالة والاستفتاء. وعلى كلّ حال ينبغي على المسلم أن يحترم عرض وماء وجه أخيه المسلم، وأن يكتفي في مقام النصيحة بما عليه الضرورة الشرعية فقط. والله العالم.

الغيبة في حالة طلب المشورة والنصح

س193: هل تجوز الغيبة في حالة طلب المشورة والنصح؟ وإذا لم يطلب منه المشورة ولكن شعر بخطر عدم بيان الحقيقة، فهل تجوز الغيبة في هذه الحال؟

ج: في موارد الأُمور المهمّة والخطيرة الّتي يستشار فيها عادة إذا كان الشخص يهدف إلى إبداء النصيحة وكان ذلك يتوقّف على إبداء العيب، جاز ذلك. وأمّا في موارد الاحساس بالخطر وبدون طلب المشورة، فهنا الأمر مختلف، ولا يمكن تجويز الغيبة بهذا العنوان الكلّي. والله العالم.

موارد جواز الغيبة

س194: متى تجوز الغيبة؟

ج: تجوز الغيبة في عدّة موارد من جملتها: مقام التظلّم ومقام دفع المنكر. والله العالم.

هل أنَّ سلب الصفات الكمالية أو سلب الفضائل غيبة محرّمة

س195: هل أنَّ سلب الصفات الكمالية (مثل الشجاعة والعلم) أو سلب الفضائل (مثل أداء صلاة الليل) غيبة محرّمة؟ فمثلاً لو قال الشخص: إنَّ الدكتور... لا يحمل علماً يناسب شهادته وشأنه؟

ج: ذكر هذه العبارات وأمثالها يعدّ منقصة فلا يجوز ذكرها. وأمّا إذا استلزمت هذه الصفات مضارّ أُخرى أهمّ من الانتقاص مثل انخداع الآخرين وغير ذلك فلا مانع حينئذٍ من ذكرها، ولكن تشخيص الموارد مشكل جدّاً. والله العالم.

الاستماع إلى كلام في رجل لا أعرفه

س196: لو استمعت إلى كلام في رجل لا أعرفه ـ بنحو لو كنت أعرفه لكانت غيبة ـ ولكن من المحتمل أن أتعرّف عليه في المستقبل، فهل أنَّ ذكر عيوبه وذنوبه المستورة قبل التعرّف عليه غيبة محرّمة؟

ج: في فرض السؤال، يكون المتحدّث مستغيباً ومرتكباً للحرام، وعلى المستمع الّذي يحتمل ـ احتمالا عقلائياً ـ أنّه سيتعرّف على الطرف المستغاب، أن لا يستمع إلى الحديث، وإذا كان قد سمع شيئاً عليه أن لا يذكره للآخرين. والله العالم.

تدارك الغيبة

س197: في خصوص حقّ الناس، فمثلاً إذا اغتاب شخصاً أو اتّهمه بتهمة، فهل يجب عليه أن يستوهبه أم يكفي التوبة؟ فإذا لم يهبه ولم يرض عنه، فهل أنّ التضرّع وطلب العفو من الله يغفر الذنب أم لا؟

ج: إذا لم يستلزم الاستيهاب مفسدة، فليطلب منه ذلك، وأمّا إذا ترتّب عليه مفسدة أو تيقّن آنه لا يهبه ولا يرضى عنه، فليتب إلى الله ويستغفر لذلك الشخص، وإن شاء الله يغفر له. وبطبيعة الحال إذا كان قد تسبّب في إهانة وإراقة ماء وجه ذلك الشخص في المجتمع، عليه أن يتلافى ذلك ويجبره.

عفو الـمغتاب لساناً

س198: لو قال لشخصٍ: «عفوت عنك لاتّهامك إيّاي» ولكنّه لم يعـف عنه قلباً، فماذا يفعل المتّهم».

ج: إذا كان الـمستغيب يعرف تماماً أنَّ الـمستغاب لا يعفـو عنـه قلبـاً وإنّـما يقول ذلك بلسانه فقط، فلا أثر لهـذا العفـو، وعليـه أن يتـوب إلـى ربّـه، وإذا لم يمكن الجبران، كفت التوبة. والله العالم.

معنى الكذب

س199: ما هو الكذب؟

ج: الكذب هو قول ما يخالف الواقـع، مثـل أن يخـبر بوقـوع أمـر لم يقـع، أو يدّعي أنّه قال كلاماً، لم يقله في الواقع. والله العالم.

حكم الكذب اضطراراً

س200: إذا اضطرَّ إلى الكذب، فما هو حكمه؟

ج: تختلف موارد الاضطرار، ففي بعضها يجوز الكـذب، كـما لـو كـان عـدم الكذب يتسبّب في قتله، وأمّا حالات الاضطرار المعروفـة بـين النـاس وأغلبهـا ليس اضطراراً، فلا يجوز الكذب فيها. والله العالم.

موارد جواز الكذب

س201: هل يجوز الكذب في حالات دفع الضرر النفسي أو المالي أو عن عرضه وعرض المؤمنين، أو في حالة الحرب، وحالة الإصلاح بين الناس (إصلاح ذات البين)، أو حالة تسكين الزوجة عن خلف الوعد؟ وبنحو عامّ، في أيّ الحالات يجوز الكذب؟

ج: بنحو عامّ، إذا كان في الكذب مصلحة (مصلحة راجحة شرعاً لا كلّ ما يتصوّره المتحدّث مصلحة) فلا يحرم الكذب، بل أنّه في بعض الأحيان يكون واجباً مثل الكذب لحفظ العرض والنفس، بل وحتّى إصلاح ذات البين. والله العالم.

الكذب بقصد الهزل

س202: هل يجوز الكذب في حالات الهزل بنحو يُعرف أنَّه كذب من خلال القرائن الحالية؟

ج: في مفروض السؤال، لا يمكن القول بحرمته، وإن كان الاحتياط يقتضي تركه. وقد ورد في الروايات: لا يذوق المؤمن طعم الإيمان حتّى يترك الكذب جدَّه وهزله.[1] والله العالم.

---

١. البرقي، المحاسن، ج١، ص١١٨.

الاستماع إلى الكذب

س203: هل يجوز الاستماع إلى الكذب؟

ج: لا يمكن القول بحرمة مجرّد الاستماع للكذب إذا لم يترتّب عليها مفاسد أُخرى. والله العالم.

حكم قراءة الأدعية مع عدم الالتزام بمضامينها

س204: هناك عبارات نكرّرها في الأدعية أو في الصلاة تتضمّن معاني توحيدية عالية مثل «إلهي من لي غيرك»، «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» فكيف نتخلّص من الكذب حالة إنشاء هذه العبارات الّتي لا نلتزم بمضامينها حقّاً؟

ج: إذا كان يعتقد بصحّة مضامينها ومعانيها ـ وإن كان لا يطبّقها في مقام العمل ـ فلا يعتبر كذباً. والله العالم.

حكم القصص الخيالية

س205: هناك قصص تكتب استناداً إلى الخيال وليس لها واقعية ولكنّها مفيدة للتربية وتعليم المخاطبين، فما هو حكم الشريعة حيال هذه القصص؟

ج: إذا كان ناقل هذه القصّة يعلم بكذبها، فلا يجوز له أن ينقلها بنحو الإخبار عن واقع. والله العالم.

معنى التورية وحكمه

س206: ما هو المراد من «التورية»؟

ج: المراد من «التورية» أن يكون ظاهر كلام الانسان مخالفاً لما يريده. والله العالم.

س207: هل أنَّ التورية جائزة مطلقاً، أم أنَّ التورية المانعة للمفسدة هي الجائزة فقط؟

ج: لا إشكال في التورية إذا لم يلزم منها مفسدة. والله العالم.

س208: ما هو حكم التورية المجرّدة عن المفسدة والمصلحة معاً؟

ج: جائزة. والله العالم.

إفضاح أسرار الصاحب عند الآخرين

س209: إذا فضح شخص أسرار صاحبه أمام الآخرين، فهل أنَّ ذلك معصية؟

ج: نعم، كشف أسرار الناس معصية. والله العالم.

كشف أسرار الوالدين والآخرين للأصدقاء

س210: هل أنَّ كشف أسرار الوالدين والآخرين ـ في صورة عدم علمهم بـذلك ـ للأصدقاء الّذين يطمئنّ إليهم لبثّ همومه أو طلباً للنصيحة فيه إشكال شرعي؟

ج: نعم، فيه إشكال. والله العالم.

وظيفتنا قبال الشخص الّذي يسبّ والديه وعائلته ومعلّميه و...

س211: هل يجوز لنا ضرب الشخص الّذي يسبّ والديه وعائلته ومعلّميه ويضربهم؟ أو يستغيب العلماء ويتجاسر عليهم أو يضربهم؟ وما هي وظيفتنا في مثل هذه الموارد؟

ج: بالنسبة إلى الفحش والسبّ والشتم، يمكنه أن يراجع حاكم الشرع، فإذا ثبت عند الحاكم ذلك، عمل طبق الضوابط الشرعية المقرّرة من الحدّ والتعزير.

وأمّا بالنسبة إلى الضرب، فأيضاً يرفع ذلك إلى حاكم الشرع ليطبّق الضوابط القانونية حال ثبوت التعدّي، من القصاص والدية أو التعزير.

وإذا كان دفع الضرب عن هؤلاء يتوقّف على ضرب المعتدي، جاز ضربه بمقدار رفع الشرّ. والله العالم.

الاستهزاء ببعض الأقوام بقصد أن يضحك الآخرين

س212: بعض الناس عندما يريد أن يذكر نكتةً يضحك بها الآخرين، ينسب ذلك إلى بعض القوميّات، فهل في ذلك إشكال شرعي؟

ج:إذا كان ذلك يعدّ اهانة، فهو حرام. والله العالم

معنى الكبر

س213: هل أنَّ «الكبر» من الكبائر؟ وبشكل عامّ ما معنى «الكبر»؟ وهل هو ذنب قلبي، أم أنّه ليس ذنباً ما لم يظهر؟

ج: إذا لم يظهر «الكبر» في العمل، فليس بمحرّم، ولكنّ المستفاد من مجموع الروايات والإرشادات الإسلامية بأنّ هذه الصفة هي من الصفات المهلكة، ولابدّ من التخلّص منها. والله العالم.

معنى الرئاء

س214: ما هو «الرئاء»؟

ج: الرئاء هو أن يأتي بالطاعات والعبادات لإراءتها للناس، لا لله؛ وهو مبطل للعمل. فمن كان مؤمناً بالله واليوم الآخر، وكان محرّكه للطاعة والعبادة هو الله تعالى، لا يرائي. فإنّ الرئاء يضيع العمل. والله العالم.

قطيعة الرحم

س215: هل أنَّ قطيعة الرحم من الذنوب الكبيرة؟

ج: نعم، هو من الذنوب الكبيرة. والله العالم.

معنى الرحم

س216: من هم المقصودون بـ«الرحم»؟

ج: «الرحم» هم الأشخاص الّذين ترتبطهم قرابة نسبية بالإنسان مثل الأب، الأولاد، الأخ، العمّ، الخال، وغيرهم. والله العالم.

مقابلة قاطع الرحم بالمثل، قطيعة الرحم الكافر...

س217: هل يجوز مقابلة قاطع الرحم بالمثل؟ وهل أنَّ قطيعة رحم الكافر الحربيّ، أو الذمّي الفاسق وتارك الصلاة جائزة؟

ج: لا يجوز المقابلة بمثل قطيعة الرحم، وصلة رحم الكافر الحربي أو الذمّي أو تارك الصلاة والفاسق، إذا كانت لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي مطلوبة. فإن لم تنفع ولم يرتدع هؤلاء، لابدّ من ترك معاشرتهم. والله العالم.

حدّ تحقّق الصلة الواجبة

س218: بأيّ شيء تتحقّق الصلة الواجبة؟ وهل حدّدت حدودها في الفقه، أم أنّ العرف هو الّذي يحدّدها؟ وهل أنَّ أقرباء الزوج بالنسبة للزوجة رحمٌ؟

ج: ليس هناك حدّ معيّن لصلة الرحم، وتختلف باختلاف الموارد، فتارة تتحقّق ببذل المال، وتارة باللقاء والتزاور، وتارة بمجرّد التحيَّة والسلام فقط. وأقرباء الزوج ليسوا رحماً. والله العالم.

العقائد الخرافية

س219: هناك أُناس ـ خاصّة النساء ـ يعتقدون بجملة من الخرافات، يقولون بأنّ زيداً من الناس عينه مالحة!! أو أنَّ فلاناً محسودٌ أو أنَّ فلاناً يده ثقيلة، أو اعتقاد البعض بأنّ بعض الطيور تجلب التعاسة. فهل أنَّ مثل هذه المعتقدات صحيحة؟

ج: من غير المعلوم أنَّ «العين» تؤثّر بعض الآثار السلبية وفي كلّ الموارد، ولكن بنحو الإجمال قد يكون للعين أثر سيّء في بعض الموارد. لكن ليس بالصورة الّتي يعتقد بها بعض الناس من أنَّ كلّ ضرر أو أثر سيّء ـ حتّى تلك الأُمور الّتي يعلم عللها الطبيعية ـ ولا ينبغي معالجة ذلك بأكثر من التصدّق والدعاء لدفع البلاء، خاصّة وأنَّ نسبة بعض الأضرار من الحوادث إلى حسد شخص معيّن، حرام.

والاعتقاد بأنّ طيراً خاصّاً يوجب التعاسة والبلاء مجرّد خرافة.

ووظيفة المسلم هي أن يؤدّي أعماله بشكل منطقي معقول وأن لا يتّهم بهذه الظنون، وأن يدعو الله بما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لدفع البلاء، وأن يتصدّق لدفع البليّات. «**ادفعوا البلاء بالدعاء**».[1]

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٩، ص٣٨٠.

الفصل الثاني عشر

التوبة

تدارك الذنوب بالتوبة

س220: هل أنّ هناك ذنوباً لا يغفرها الله تعالى؟

ج: كلّ الذنوب إذا تداركها الإنسان بالتوبة فإنّ الله يغفرها. فتدارك الشرك بالله ـ سواء الشرك العقائدي أو الشرك العملي ـ يكون أوّلاً بتصحيح العقيدة والاعتقاد بالتوحيد، ثمّ بترك الأعمال الشركية والتوبة النصوح.

وأمّا الظلم وحقّ الناس، فيتدارك بأداء حقّ كلّ ذي حقّ وبالتوبة والعزم على عدم العود. وإذا لم يكن الشخص قادراً على أداء الحقّ الّذي عليه، قد تكون التوبة وطلب المغفرة لصاحب الحقّ، موجبة لجبران حقّه في الآخرة.

وأمّا الذنوب الخاصّة، بمعنى عدم امتثال الأوامر الإلهية، فإن كانت عملية

ولها قضاء وجبران (مثل ترك الصلاة)، فتتدارك بالقضاء والتوبة، وأمّا إذا كانت معصية صرفة مثل كثير من الذنوب الصغيرة والكبيرة، فتداركها يكون بالتوبة النصوح. والخلاصة، إنَّ طريق التوبة مفتوح.

نعم، قد يكون لبعض الذنوب أو للإصرار على بعض المعاصي أثر وضعي وهو عدم التوفيق للتوبة والندم، كما يقول القرآن المجيد: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾.[1]

والقضيّة المهمّة الأُخرى هنا هي أنّه وكما ورد في القرآن الكريم والروايات الشريفة، إنَّ الإنسان إذا مات مشركاً فلن يغفر ذنبه، وأمّا الذنوب الأُخرى فقد تغفر له حتّى لو لم يتب منها، كما ورد في خصوص أهل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. والآية ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾،[2] والروايات تقسّم الظلم إلى ثلاثة أقسام «**الظلم ثلاثة: وظلم يغفره الله...**»[3] تدلّ على هذه المعاني، ولا مجال للتفصيل فيها الآن.

---

١. سورة الروم، الآية ١٠.

٢. سورة النساء، الآية ٤٨.

٣. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦، ص٥٢. عَنْ أبي جعفر عليه السلام قال: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله؛ فأما الظلم الّذي لا يغفره فالشرك».

كيفيته رفع آثار الذنوب الكبيرة

س221: كيف ترتفع آثار الذنوب الكبيرة (من قبيل الزنا، شرب الخمر، الغيبة، الغصب و...) والّتي يرتكبها الإنسان عن جهل وغفلة، بعد انتباهه؟

ج: أمّا الغصب، فترتفع آثاره الوضعية بعد أداء المال المغصوب إلى صاحبه وأداء أُجرة مثل زمان الغصب بعد أداء حقّ الناس، وبالاستغفار والتوبة النصوح، يتوب الله عليه إن شاء الله تعالى.

وأمّا بالنسبة لشرب الخمر، فعليه أن يتوب جدّاً ويستغفر الله تعالى، ليغفر له إن شاء الله، وفي حالة الجهل بالموضوع لا يحسب له ذنب، أمّا بالنسبة للغيبة، فعليه أن يطلب الحلّية من المستغاب قدر الإمكان، فإن لم يكن ممكناً أو كانت فيه محاذير مثل إثارة العداوة، يكتفى بنفس الاستغفار.

حكم توبة المريض والأفعال الّتي يؤدّيها بعد اطّلاعه على المسألة

س222: ما هو حكم توبة المريض والأفعال الّتي يؤدّيها بعد اطّلاعه على المسألة؟

ج: بحسب الآية الشريفة ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ**﴾[1] فإنّ الّذين يقضون أعمارهم باللهو واللعب والمعصية والظلم إلى ساعة الموت، لا تقبل توبتهم فهي كتوبة فرعون حال غرقه.

---

١. سورة النساء، الآية ١٨.

وأمّا الأشخاص الّذين يبتلون بالأمراض المهلكة الّتي يحتمل فيها الشفاء بنسبة ضعيفة، وليس حالهم حال الاحتضار والموت فيمكنهم التوبة، أي يجب عليهم التوبة ورجاء رحمة الله تعالى ومغفرته، فهؤلاء ليسوا من مصاديق تلك الآية. فالاستغفار والاسترحام يمكن أن يقع مفيداً في كلّ الأحوال، ويغفر للمستغفر وتشمله الرحمة الإلهية الواسعة.

وعليه، فعلى هؤلاء الأشخاص أن لا يفقدوا الأمل، ويجب عليهم تدارك ما فاتهم، بالعمل إن أمكن، أو الوصية بالإتيان بها والوصية بأُمور الخير، وعليهم أن يحسنوا الظنّ بالله كما بيّنت الروايات هذه المعاني بشكل مبسوط.

كيفية تدارك عقوق الوالدين بعد وفاتهما

س223: كيف يمكن تدارك عقوق الوالدين بعد وفاتهما؟

ج: يمكنه ذلك بقراءة القرآن نيابة عنهما، وبفعل الخيرات والإحسان إليهما، فإنّ ذلك يوجب إدخال السرور عليهما وأن يطلب المغفرة له ولهما ويقول: «**ربّ اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربّياني صغيراً**».

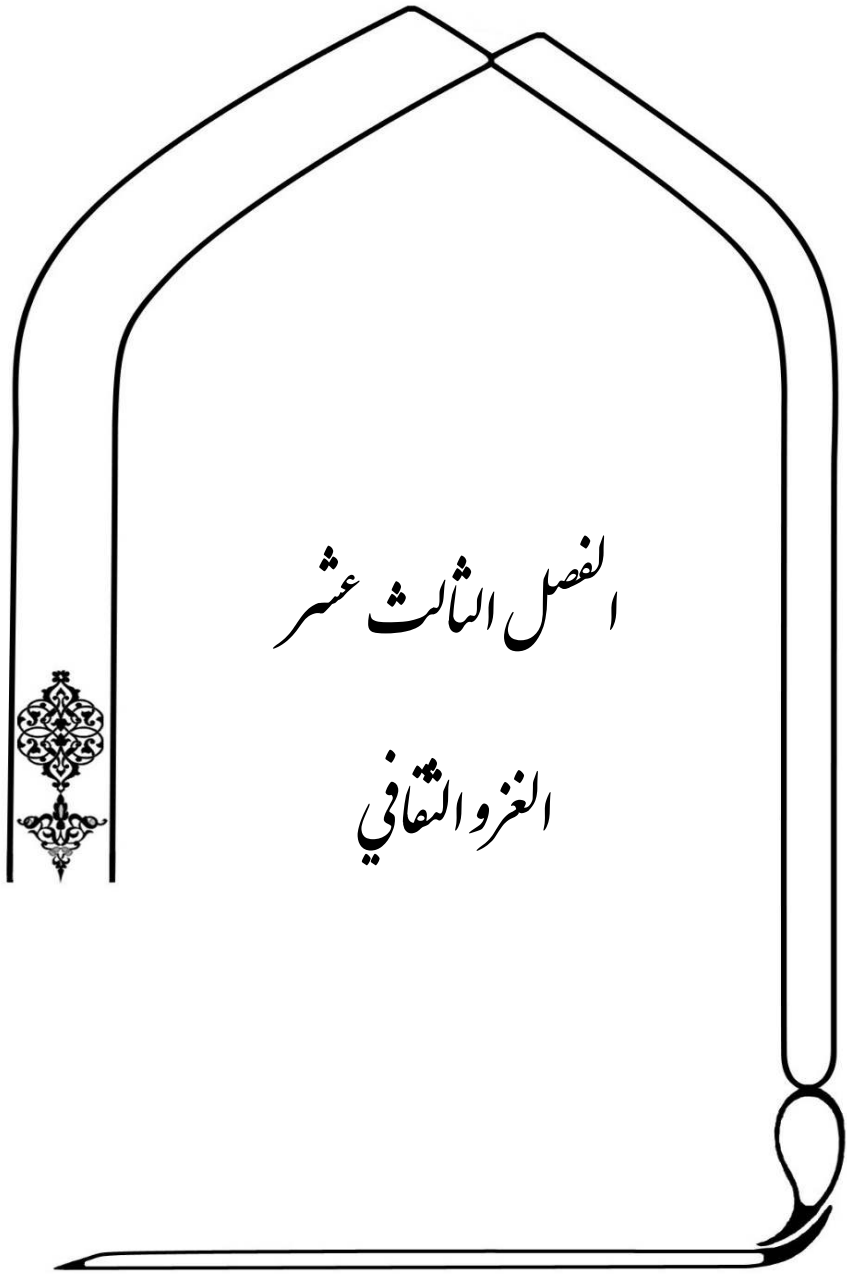

الفصل الثالث عشر

الغزو الثقافي

تعريف الغزو الثقافي وطرق مواجهته هذا الغزو الثقافي

س224: كما تعرفون بأنّ وسائل الإعلام والخطباء ومنذ فترة يتحدّثون عن الغزو الثقافي الغربي ومخاطره وضرورة مواجهته. أرجو من سماحتكم توضيح الأُمور أدناه لكي تتّضح الصورة للجميع ويعرفون وظائفهم حيال هذه القضيّة المهمّة.

1. تعريف الغزو الثقافي الغربي مع الإشارة إلى بعض نماذجه الملموسة وبيان مخاطره وأضراره.

2. طرق مواجهة هذا الغزو الثقافي.

ج١: كلّ نهضة وحركة تهدف إلى إلغاء آداب ومدنية ورسوم وقوانين التربية

والتعليم والشعائر والسنن الدينيّة والقوميـة لمجتمـع مّـا، وإضـعاف اعتقاداتـه والتزام أفراده وخاصّة الشباب والصبيان بثقافتهم ومعتقداتهم لتهيئـتهم لقبـول ثقافة الأجانب وعاداتهم، هي غزو ثقافي لذلك المجتمع.

وعليه، فالغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية، هو حركة فكرية وبرامج ثقافية هدّامة، تقف وراءها السياسات الثقافية الاسـتعمارية لـترويج الأخـلاق الدخيلـة وخاصّة الغربية في الوقت الحاضر، من أجل محو الشخصية الإسلامية للمسـلمين وإذابتها في الثقافة الغربية وعاداتها ورسومها، ورفع الحدود الأخلاقية وخاصّـة في العلاقات بين الرجل والمرأة، وتأسيس حكومـة علـى نمـط الحكومـات الغربيـة وطريقتها، ونفي أصالة حكومة الدين وحاكمية الأحكام، وقد بدأت هذه الهجمة الثقافية منذ ما يقارب القرنين من الزمن في البلاد والممالك الإسلامية بصور مختلفة شملت كلّ مجالات ومظاهر الحياة تقريباً، وفي كلّ العالم الإسلامي ماعـدا بعـض نقاطه، وشملت الكثير مـن العـادات والآداب وحتّـى لبـاس المسـلمين وطريقـة معاشرتهم ولقاءاتهم ومراسم أعراسهم وأفراحهم وأحزانهم.

وبطبيعة الحال، فإنّها ليست المرَّة الأُولى الّتي يحاول فيها الأجانـب السـيطرة واستضعاف المسلمين من خـلال الغـزو الثقـافي، فالتـاريخ يخبرنـا بـأنّ السـبب الرئيسي لسقوط الدولة الإسلامية الحضارية في الأنـدلس (إسـبانيا) هـو الغـزو الثقافي الغربي لتلك البلاد.

وأمّا هذه الموجة الجديدة العامّة الشاملة للهجمة الثقافية الراميّة إلى عزل الإسلام ـ والّتي بدأت منذ قرنين بواسطة المستعمرين وأياديهم من أدعياء الثقافة المسلمين والمنفتحين على الغرب والمرتزقة ـ قد عمّت كلّ البلاد الإسلامية تقريباً، وهذه الهجمة وإن كان أساسها في كلّ مكان هو الدول الأجنبية، ولكنّهم استفادوا من الأنظمة البوليسية الحاكمة في العالم الإسلامي لقمع وقتل وسجن المسلمين، لمحو الإسلام وإزالة كلّ مظاهر المدنية الإسلامية ولمسخ الهوية الإسلامية، كما حصل في إيران وتركيا.

والعامل الأساسي لنجاح هذا الغزو في الداخل، هو بعض الأشخاص الّذين روّجوا لهذه الحركة في جرائدهم ومجلّاتهم ومنشوراتهم وخطاباتهم وأشعارهم، باسم الحرّية والتجديد الثقافي والانفتاح الفكري، والّذين شجّعوا أمثال البهلوي في إيران لمحاربة الإسلام ومظاهر الدين بكلّ وحشية وشراسة، فالهدف الأصلي لهذا الهجوم الخائن الغادر هو تضعيف ومحو التزام المسلمين بالأحكام والشعائر والسنن الإسلامية، تلك الأحكام والشعائر الّتي كانت حجر عثرة ومانعاً من ترسيخ النفوذ السياسي والاقتصادي للأجانب في الدول الإسلامية.

والهدف الثاني هو الفصل بين علماء الدين وبين المسلمين من خلال تضعيف نفوذهم وتجريدهم من مواقعهم الاجتماعية والقيادية، إذ أنَّ علم ونفوذ كلام العلماء وخاصّة في صيانة الإسلام والعقائد والأفكار على طول القرون الأربعة

عشر الماضية، كان عاملاً أصلياً في الحفاظ على الهوية الإسلامية في كلّ المجتمعات الإسلامية وتمييزها عن هوية المجتمعات الأُخرى.

فالاستعمار كان يتوخّى تحقيق هذا الهدف سواء في المجتمعات الإسلامية الشيعية أو السنّية، وهذا ما كانت تحاول تحقيقه أيادي وعملاء الاستعمار باسم الحرّية والتجديد وحتّى باسم الحرقة على المسلمين وتخلّفهم عن المجتمعات الصليبية.

فابتليت إيران بدورة حكم «البهلوي» المنحوسة الّتي استمرّت لخمسين عاماً وابتليت تركيا بنظام «مصطفى كمال» العلماني ولا زالت تعاني من تبعات ذلك النظام، وهكذا حاولوا تجزئة وتقسيم كلّ الدول الإسلامية السنّية إلى حكومات عميلة ومرتبطة بهم. وشرح وبيان هذه المطالب ودسائس هؤلاء يحتاج إلى تأليف كتاب مستقلّ كبير، أو إلى أكثر من كتاب.

وفي إيران الإسلامية ـ والحمد لله تعالى ـ وبعد الثورة الإسلامية، فشلت تلك الخطط والمؤامرات، وبتحكيم المظاهر والشعائر الإسلامية وعودة المرأة المسلمة إلى أصالتها وحجابها وإلى التربية والتعليم السليمين، وكسر الأصنام والتماثيل، وإقرار القوانين الإسلامية وحاكمية الدين، وترك مظاهر التشبّه بالغرب، بكلّ ذلك بُعث الأمل من جديد وردّ الله كيد الأجانب إلى نحورهم كما فشلت مؤامراتهم في الحرب العسكرية الماديّة، وسدَّت كل الثغرات في هيكل إستقلال هذا المجتمع المتديّن المحبّ للإسلام.

ولكن وكما نعلم، فإنّ الغزو الثقافي موضوعٌ غير مرئيّ ومثل البرامج التجسّسية، سرّي، بل هو أكثر سرّية منها.

فتارة يرد على المجتمع بلسان ناعم ناصح محبّ مشفق وبألفاظ وعبارات جذّابة خدّاعة، فيوقع الرجال والنساء في شباكه، فهم يستفيدون من مصطلحات رنّانة مثل: التطوّر والرقيّ والتجديد والحداثة، والمجتمع المدني والوطنية ومحاربة الفوارق الطبقيّة والمساواة وتوحيد الشعوب والأُمم و... .

وبهذا العمل، يوطّئون للاستعمار الثقافي والاقتصادي وفي النتيجة الاستعمار السياسي، وكلّ هدفهم القضاء على حاكمية الدين ووحدة الدين مع السياسة والّذي هو من الأُصول المسلّمة القرآنية والإسلامية.

فهؤلاء يخدشون فكرة مرجعية الدين الّتي تعتبر الرأي الفصل في القضايا، ويحاولون الانتقاص من الفقهاء الّذين ينبغي الرجوع إليهم، ليأمنوا الخطر المتوجّه إليهم من ناحية الفقهاء الحافظين لمصالح المجتمع، بهدف إشاعة، أفكارهم وتطبيق مناهجهم التربوية المفسدة للشعوب الإسلامية.

فإذا ما فقد الناس الطبيب الحاذق الّذي يعالج مشاكلهم، أو إذا أضحت كلمته غير مسموعة وصار كلّ واحد منهم طبيب نفسه، راجت الأفكار الهدّامة بلا رقيب وحسيب.

وعلى أيّ حال، إنّ العدوّ يهدف من غزوه الثقافي أغراضاً كبيرة وخطيرة، ويعتبر ذلك من أكثر البرامج تأثيراً في القضاء على الإسلام واستقلال المسلمين.

وفي دولتنا الإسلامية العزيزة، وبالتزامن مع سقوط النظام البهلوي العميل، انمحت كلّ أو أكثر آثار الهجمة الثقافية ومظاهرها ورسوم وعادات الكفر والاستعمار، وزالت كلّ العادات اللاشرعية الّتي حكمت البلاد لمّدة خمسين عاماً والّتي سيطرت على الدوائر والمؤسّسات التجارية والتعليمية والتربوية والجامعات وحتّى الحياة الشخصية العائلية والاجتماعية والسياسية للناس، وحتّى الميادين والساحات العامّة أُزيلت منها التماثيل والأصنام، وتجلّت فيها مظاهر الإسلام، وأشرق عصرٌ جديد للحكومة الإسلامية وعظمتها.

وقد استرجعت النساء المسلمات كرامتهنّ وعزّتهنّ وشخصيّتهنّ وتخلّصن من قيود الابتذال الغربي والاختلاط المفسد. ويئس الأجانب من المكنة من السيطرة العسكرية وفشلوا في الحرب الدامية ولكنّهم لم ييأسوا من الغزو الثقافي أبداً.

إنَّ أعداء الإسلام وإيران، لازالوا يترصّدون بنا ويحاولون اختراق المجتمع وفتح الثغور الّتي ينفذون منها لاستعادة سيطرتهم وإعادة نهبهم لخيرات هذا الشعب والبلد الّذي ينعم بخيرات كثيرة.

فهؤلاء يحاولون الدخول من خلال المصطلحات الجذّابة الخدّاعة مثل «حقوق البشر» و «حرّية الصحافة» و «حرّية الفكر» و «حرّيّة النساء» وأمثالها من الكلمات الرنّانة الكاذبة. ومن جهة أُخرى، ونظراً لوجود بعض الأشخاص الّذين ينخدعون بمثل هذه الألاعيب والمؤامرات والإعلام الكاذب، والّذين

يعتبرون تقليد الغرب تطوّراً وثقافة ووعياً، هؤلاء يحاولون نشر كلّ ما هو مذموم في الإسلام ممدوح في الغرب.

والخلاصة، إنَّ هذا الغزو الفكري الثقافي، قد استقطب الكتّاب المتأثّرين بالغرب، فأخذوا يبلّغون للثقافة الغربية خاصّة، ويرغّبون الناس ـ بشكل مبطن ـ إلى ترك الإسلام والسنن الإسلامية والأخلاق الدينية. فهم يروّجون للفنون الممنوعة كالطرب والموسيقى والغناء، إلى درجة عدّ هذه الأُمور غير مخالفة للإسلام.

إنَّ الغزو الثقافي حربة يمكنها أن تقلّب الحقائق فتظهر ما يخالف الإسلام، بمظهر الموافق للإسلام، وتلبس الرذائل ثوب الفضائل، وتصوّر المذموم ممدوحاً.

وإذا ما دقّقنا النظر وجدنا أنَّ وسائل الإعلام والمحافل والمجامع الاستعمارية والإذاعات الأمريكية والأُوروبية هي الّتي تذرف دموع التماسيح على مظلومية الفنّ والصحافة والقلم في مجتمعنا، وتحاول استبدال الثقافة الإسلامية بثقافةٍ استعمارية لقيطة فاسدة.

ولكنّ المسلم الواعي لا ينخدع بذلك، ولا يترك ثقافته وسننه وعاداته الإسلامية، وهناك آلاف وآلاف من المسلمين الواعين في أُوربا وأمريكا وكندا، حافظوا على هويّتهم الإسلامية رغم كلّ تلك الأجواء المشحونة بالفساد والرذيلة، ولم تؤثّر فيهم تلك الثقافة قيد أنملة.

فهم، لا يشتركون في مجالس اللهو والرقص والموسيقي الّتي يسمّيها الغرب «فنّاً»، ولا وجود للاختلاط في قاموس حياة نسائهم وبناتهم، بل يفتخرون باستقلالهم الفكري والثقافي، فرجالهم رجالٌ مسلمون ونساؤهم سيّدات مسلمات.

ومن خلال ما ذكرناه يتّضح لكم ما سألتم عنه من مخاطر الغزو الثقافي في الجملة، فالغزو الثقافي يعني المواجهة بين الكفر والإسلام وعزّة واستقلال الأمّة الإسلامية.

وأمّا النماذج الملموسة لقبول هذه الثقافة الدخيلة والتغرّب الفكري والثقافي، فإنّ أكثرها محسوسة وملموسة من قبل المسلم الواعي الملتزم بدينه. ولا شكّ في أنَّ هذه النماذج ليست كلّها في مستوى واحد، فبعضها لا يتجاوز حدّ الكراهة الشرعية في حدّ نفسه، وبعضها محرَّم؛ ولكن من جهة كونه عدولاً عن الثقافة الإسلامية وقبولاً لثقافة الأجنبي فهو تضعيف لإيمان المسلم، وارتباطه بتلك الثقافة وابتعاده عن التعاليم الإسلامية، والتشبّه بالأجانب، وهذا كلّه إذا كان بقصد التشبّه وتقليد عادات الأجنبي والكافر، فهو حرامٌ بكلّ مستوياته وأشكاله.

وبنحو الإجمال والكلّية، فإنّ هذه النماذج نشاهدها أحياناً في بعض مؤسّساتنا ومدارسنا ودوائرنا ومحافلنا وأسواقنا ومراكزنا التعليمية وفي الإذاعة والتلفزيون، وأهمّ تلك المشاهد هي: الاختلاط اللامشروع بين الجنسين وحضور الرجال والنساء معاً في المراكز والمشاغل، والاهتمام بالموسيقى والعزف على الآلات الموسيقية بعنوان «الفنّ» وتجليل وتكريم الملحنين والعازفين على

هذه الآلات المحرّمة وتسميتهم بأساتذة العزف والرقص، وإحياء ذكرى ولاداتهم وموتهم، وتأسيس مدارس للموسيقى والرقص، وإعداد برامج ومسابقات وألعاب مثل: الملاكمة والشطرنج وإعداد مسابقات رياضية للنساء، مثل تسلّق الجبال والتنس وترغيب النساء بترك الشادر وانتخاب اللباس المجسّد للبدن، وتقليد المؤديلات المبتذلة، والاستفادة من البنات في مراسم استقبال الشخصيات السياسية لإهداء الورد لهذا وذاك أو حمل العلم والتصفيق والصفير بدل إهداء الصلوات والتكبير، وغيرها من المراسم واللقاءات المختلطة البعيدة عن الروح الإسلامية، وإجراء القوانين غير الإسلامية في أُمور الأُسرة والعلاقات العائلية والحقوق المدنية والسياسية للأفراد، ونصب التماثيل بعنوان تكريم الشخصيات.

ج٢: طرق مواجهة الغزو الثقافي تتلخّص في:

معرفة القيم والقيم المضادّة من وجهة نظر الإسلام والفقه والفقهاء والتمسّك المحكم والثابت بالقيم الصحيحة وترك القيم المضادّة. وبعبارة أُخرى جعل التعاليم المأخوذة من الفقه الجواهري هي القياس في الحياة الفردية والإجتماعية والسياسية، وتنظيم كلّ العلاقات على أساسها.

حثّ الآخرين على التمسّك بهذه القيم الصحيحة عن طريق الخطابة والكتابة والصحف والمجلّات ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

فضح الآثار السيّئة للبرامج والأفراد والمجاميع الّتي تهتك حرمة القيم والمقدّسات الإسلامية، أو تلك الّتي تحاول تطبيق وإشاعة القيم المضادّة، ومحاسبتها ومعاقبتها بما يقتضيه الحال، وتكريم الأفراد والمجاميع الّتي تحافظ على القيم والمقدّسات والآداب الإسلامية وتلتزم بها وتنشرها في المجتمع.

التأكيد على إسلامية نظام التربية والتعليم وهداية الشباب على أساس التعاليم الإسلامية السامية وانتخاب الأساتذة الأكفّاء والمدراء والمعلّمين والمربّين اللائقين والملتزمين والمؤمنين بالثقافة الإسلامية.

تنقيه محيط المنتجعات والحدائق والمنتديات من الظواهر الفاسدة المخرّبة مثل الأُوركسترا والموسيقى والاختلاط والبرامج المنحرفة.

تزويج ثقافة الاستقلال والثقة بالنفس، وتجليل الشعائر الإسلامية، وتحقير التبعية للكفّار وتقليد آدابهم وعاداتهم.

تبيين وتبليغ مفاسد الثقافات المضرّة المادّية المعادية للايمان بالله، وأصالة الأخلاق والمعنويات، ومضارّ المدنية المجرّدة عن الدين، وخواءها، وإرشاد الجميع وخاصّة الشباب إلى فوائد ومصالح التمسّك بالإسلام والالتزامات الدينية والكمالات الحقيقية للإنسان.

نشر وتبليغ سيرة الأنبياء عليهم السلام وخاصّة سيرة رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام والدعوة إلى التأسّي بهم في مظاهر الحياة.

إفهام الناس وخاصّة الشباب إلى حقيقة أنَّ المدنيـة والحضـارة التكنولوجيـة (التقدّم الصناعي) الغربية ليست معلولة لترك الـدين والأخـلاق، فـإنّ الرقـيّ الصناعي وكسب العلـوم الطبيعيـة المهمّـة لا ينـافي الالتـزام الـديني الصـحيح والأخلاق الفاضلة، بل أنّ أحدهما يكمّل الآخـر. وأنّ السـعادة الحقيقيـة لكـلّ البشرية مرهونة بتحقّق هذين الأمرين معاً، وأنّ الاستفادة الصحيحة من العلـم والصناعة وكلّ النعم المادية وبالشكل الّذي لا يوجـب ظلـم أحـد واستضـعافه واستعباده، لا تتحقّق إلّا في ظلّ الإيمان بالله والالتزام بالأخلاق الحقيقية.

١٠. وأخيراً، بـدعم الجميـع وخاصّـة المسـؤولين والعلـماء الأعـلام وأربـاب الخطابة والكتّاب وسائر طبقات المؤمنين. لابدّ من تقويـة ثقافـة الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة إجراء أحكام الله وسدّ أبواب ورود الثقافـة الأجنبيـة، وبنحو يكون المسلم المؤمن الملتزم مشرفاً وناظراً على كلّ المؤسّسات والمطبوعات والجرائد والكتب ووسائل الإعلام وكيفية مواجهتها والحدّ من تأثيرها.

أسأل الله تعالى أن يحفظ دولتنا ومجتمعنا وكلّ المجتمعات الإسلامية من مفاسد هذه الهجمة الثقافية المشؤومة، وأن يحميهم في ظلّ الالتزام بالأحكام الإسلامية وهدايـة نـور القرآن ليرفعوا راية الحضارة الحقيقية والأصالة الانسانية على مرّ العصور. بحـقّ محمّـد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

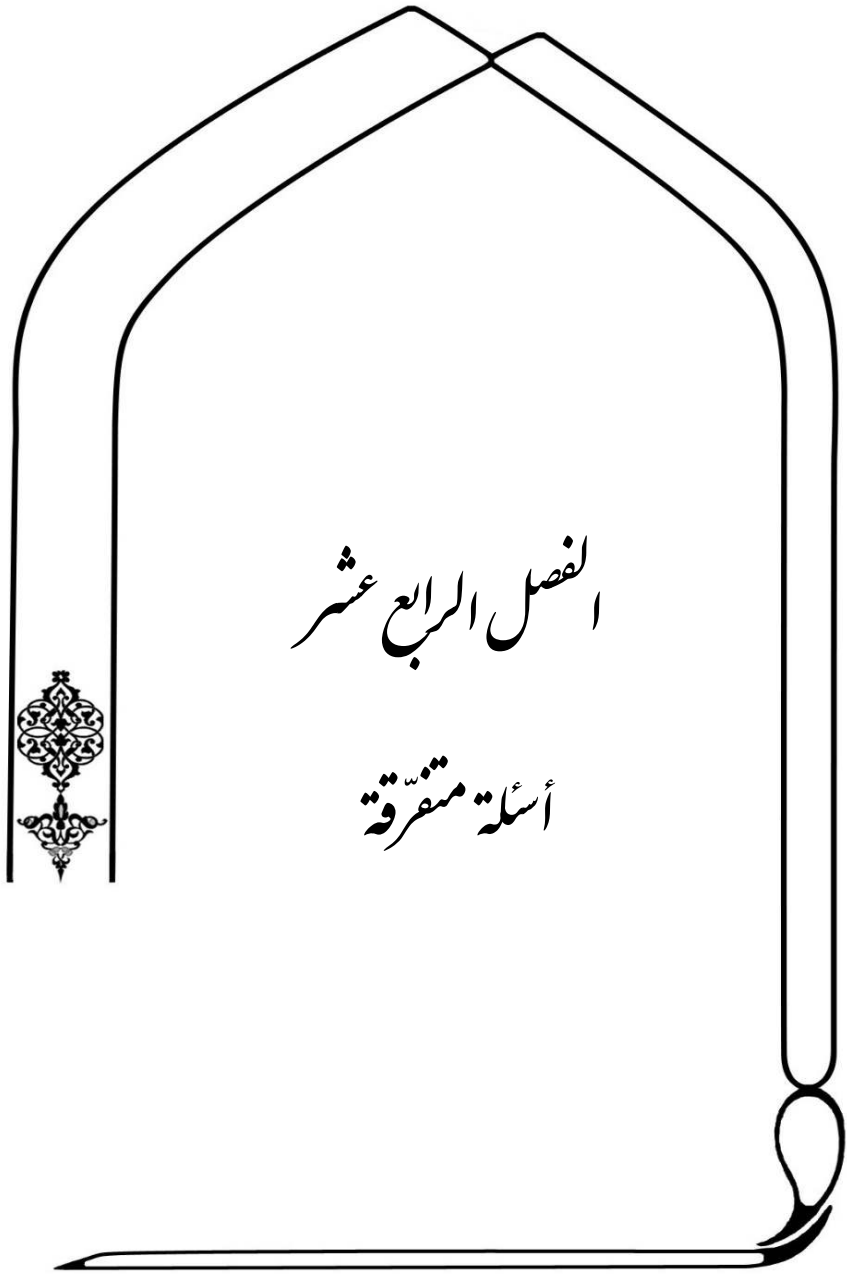

الفصل الرابع عشر

أسئلة متفرّقة

لو اتّفق ذات يوم أنّ أكثر الإيرانيّين قالوا: لا نريد الإسلام فماذا نفعل

س225: لو فرضنا أنّه اتّفق ذات يوم أنّ أكثر الإيرانيّين ـ لا سمح الله ـ قالوا: «لا نريد الإسلام» فماذا نفعل؟

ج: نأمل أن لا تبتلى إيران الإسلامية برجوع الكفر، وأن يبقى هؤلاء الأكثرية المسلمة على إسلامهم واتّباعهم لمدرسة أهل البيت عليهم السلام حتّى ظهور بقيّة الله الأعظم، قائم آل محمّد أرواح العالمين له الفداء.

وكان الأفضل طرح هذا السؤال حول وظائف المسلمين في الدول الّتي يشكّل غير المسلمين فيها الأكثرية السكّانية، بلحاظ أنَّ المسألة لها فروع كثيرة في أبعاد التكاليف الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والجواب على كلّ هذه الفروع يحتاج إلى رسالة مستقلّة أو كتاب.

أرجو من حضرتكم أن تبيّن مرادك لكي يأتيك الجواب كاملاً، فإن كنت تقصد: إذا طلبت الأكثرية غير المسلمة من الحكومة الإسلامية القائمة على أساس العدل والأحكام الإلهية، تغيير النظام أو تعطيل بعض أحكام الله، أو إجراء أحكام غير إسلامية، فإنّ الموافقة على طلبها غير جائز حينئذٍ، فإنّ مشروعية حاكمية أحكام الله والحكومة الإسلامية ثابتة بنفسها، وحتّى لو أجمع كلّ الناس على سلب تلك المشروعية، ما سلبت، فطلب الأكثرية لا يجعل ما خالف الإسلام مشروعاً ومقبولاً.

معنى الحرج وملاكه في الفقه الجعفري

س226: ما معنى «الحرج» في الفقه الجعفري، وما هو الملاك في تشخيصه؟

ج: الحرج، هو المشقّة الشديدة الّتي لا تتحمّل عادة. والله العالم.

كيفية تحقّق الاضطرار الرافع للحرمة وطريق تشخيصه

س227: كيف يتحقّق «الاضطرار» الرافع للحرمة، وما هو طريق تشخيصه؟

ج: موارد الاضطرار مختلفة، فمثلاً قد يصل الجوع عند شخص إلى حدٍّ بحيث إذا لم يأكل يتلف ويهلك، فهذا مورد اضطرار ومثل هذا الشخص، لو فرض أنَّه كان في صحراء ولم يجد إلّا ميتة جاز له الأكل منها، بمقدار رفع الحاجة والخلاص من الهلاك، ويحرم عليه أكل أزيد من ذلك. والله العالم.

س228: في مورد الاضطرار حيث يكون الشخص مضطرّاً فيما إذا صار في موقع حرج وصعب، ولكي يتخلّص من ضرر، لم يكن سبباً في تحقّقه، يضطرّ إلى إدخال ضرر على الغير، وفي بعض الحالات يكون إقدامه الاضطراري من باب دفع الضرر الأكبر، عندي عدّة أسئلة، فإنّي أبحث في الجامعة وأُحقّق في هذه القضايا، لذا، أرجو من سماحتكم التفضّل وبيان رأيكم الفقهي والاجتهادي في خصوص هذه الأسئلة:

س1. لو فرضنا أنّ سائقاً سيّارة اضطرّ للتخلّص من السقوط في وادٍ، أن يرطم الجدار الخشبي لبعض المباني المجاورة الّتي يملكها أشخاص، ففي مثل هذه الحالات يتصرّف الإنسان العرفي بمثل هذا التصرّف، فهل يجب جبران هذا الضرر المتوجّه إلى الغير؟

وبعبارة أُخرى، هل هناك «ضمان مالي» بالاصطلاح، أو «مسؤولية مدنية» بالاصطلاح الحقوقي، على هذا الشخص أم لا؟ وبعبارة أدقّ، هل أنَّ الإضرار بالغير لرفع الضرر عن النفس جائز؟ وهل هناك فرق في حالات الاضطرار لدفع الضرر المالي عن حالات الاضطرار لدفع الضرر عن النفس؟

ج١: إذا كانت نفس الإنسان في معرض الخطر، وتوقّف رفع الخطر على التصرّف في أُمور الآخرين وإدخال الضرر عليها، جاز ذلك التصرّف، وعليه الضمان، مثل أن يتعرّض شخص للهلاك على أثر الجوع ولا ينقذه من الموت إلّا التصرّف في أموال

شخص آخر، ففي هذه الصورة يجوز له التصرّف في مال ذلك الشخص بمقدار ما يحفظ حياته، لا أزيد من ذلك، ولكنّه يكون ضامناً لقيمة ما يأخذ. ولكن، لا يجوز الإضرار بالغير من أجل حفظ ما له هو. والله العالم.

س2: إذا اضطرّ لرفع الضرر المتوجّه إليه بسبب وقوع بيته في مسير السيل أن يغيّر مجرى السيل عن ملكه إلى ملك الغير ويتسبّب بإدخال الضرر على الغير، فهل يجوز مثل هذا التصرّف؟ والحال، أنّ هذا الشخص المضطرّ محتاج إلى مثل هذا التصرّف الخاصّ في ملكه، بنحو لو لم يقم بذلك لتضرّر، فهنا يقع التعارض بين قاعدتين فقهيّتين معتبرتين هما «قاعدة لا ضرر» و «قاعدة التسليط»، وعدم جواز تصرّف الشخص المضطرّ يوجب الحرج والتضيّق عليه، والقاعدة تقول «لا حرج» فكيف يرتفع التعارض هنا؟

ج٢: لا تزاحم بين القاعدتين في مورد السؤال، وذلك لأنّ قاعدة التسلّط تعني سلطته على ماله، وهي منصرفة عن مورد السؤال، إذ أنّ العرف يرى بأنّ حرف مسير السيل عن ملكه إلى ملك الغير ليس تصرّفاً في ملكه هو ليكون مشمولاً بقاعدة «التسلّط» فتتزاحم مع قاعدة «لا ضرر». وهكذا الحال بالنسبة لقاعدة «لا حرج» وتوضيحه: أنَّ هذه القاعدة لا تشمل الإضرار بالغير لدفع المشقّة عن نفسه، فمثلاً إذا طغت الشهوة الجنسية عند إنسان، فلا يستطيع أن يعتدي على إمرأة أجنبية بحجّة قاعدة «لا حرج». ولكن إذا سدّ الإنسان طريق نفوذ السيل

المفتوح إلى ملكه، ونفذ السيل إلى ملك الغير، لم يكن ضامناً للخسارة، لأنّ حفظ ملك الغير في عهدة الغير. والله العالم.

س3: إذا إضطرّ الشخص واحترازاً من إدخال الضرر الأكبر بالنسبة لشخص أو أشخاص، أن يدخل الضرر على الآخرين، كالطيّار الّذي يحاول إنقاذ حياة 700 راكب عن طريق حرف مسير الطائرة ـ المعرضة للارتطام مثلاً ـ فيدخل الضرر على بعض المنازل أو السيّارات وسائقيها. أو مثل الشخص الّذي يحاول إطفاء الحريق عن طريق كسر باب دار الغير، فما هو حكم الضرر الوارد على الغير هنا؟

وبعبارة أدقّ، هل أنّ الإضرار بالغير لدفع الضرر عن آخر، جائز أم لا؟ وهل يختلف الحال في دفع الضرر المالي عن دفع الضرر عن النفس، وحال إدخال الضرر على الغير مع حال إدخال الضرر على نفس الغير، أم لا يختلف؟

ومن جهة أُخرى، هل أنّ هذا الشخص المضطرّ في هذه المسألة عليه مثل هذه المسؤولية أم لا؟ (باعتبار أنّ المضطرّ هنا محسنٌ، وقاعدة «الإحسان» من مسقطات الضمان).

ج٣: كما ذكرنا سابقاً، فإنّه يجوز للإنسان أن يدخل الضرر على مال الغير إذا توقّف عليه حفظ النفس، ولكن لا يجوز له ذلك إذا كان لحفظ المال، وقاعدة الإحسان موردها فيما لو كان عمل الشخص يعدّ إحساناً عرفاً، وحرف مسير

الطائرة لإنقاذ المسافرين وإن إستلزم إدخال الضرر المالي على الآخرين وإن كان جائزاً، ولكنّه لا يرتبط بقاعدة الإحسان، بل هو مشمول لقواعد أُخرى مثل قاعدة الأهمّ والمهمّ.

ومثال موارد قاعدة «الإحسان» هو أن تكون حياة شخص معرضة لخطر المرض أو الاحتراق ونظير ذلك، وتوقّف حفظه من الخطر على التصرّف بماله، ففي مثل هذا المورد إذا قام شخص بالتصرّف في ماله لإنقاذ حياته، كان محسناً في نظر الناس وقد يقال بعدم الضمان أيضاً هنا.

وأمّا هبوط الطائرة بالنحو المذكور وفي الوضعية المفروضة الّتي تستلزم الفعل العمدي، فلا يجوز.

ولا يوجد أيّ توجيه لتجويز قتل عدد من الأشخاص لحفظ عدد أكبر، فهو كما لو كان عندنا عشرة أشخاص مصابين بفقر الدم ومشرفين على الموت نريد إنقاذ حياتهم بقتل عشرة أشخاص سالمين نسحب منهم الدم لتزريقه في أُولئك العشرة كي لا يموتوا، فليس لهذا الفعل أيّ توجيه وتخريج مقبول.

وفي مفروض السؤال، الناس يعذّرون الطيّار إذا ما امتنع عن الهبوط في الأتوستراد وقتل الأبرياء من أصحاب السيّارات، حتّى لو أدّى إلى تحطّم الطائرة وقتل ركّابها، ولا يلومه أحد، بخلاف ما لو استطاع الهبوط في موضع لا يتضرّر به أحد ولم يهبط، فإنّه سيكون ملاماً وغير معذور. والله العالم.

س٤: لو اضطرّ الإنسان لدفع الضرر عن الغير، على إدخال الضرر على نفسه، مثل أن يحرّف سيّارته لكي لا يصدم حيواناً أو إنساناً في طريقه، فهل يجوز له إدخال الضرر على نفسه؟ وهل يحقّ له في الصورة المفترضة مطالبة المستفيد بالخسارة المتوجّه عليه، من باب قاعدة «إدارة مال الغير فضولة»؟

ج٤: في مورد السؤال، يجوز الإضرار بالنفس بالنحو المذكور، وهو إحسان للغير، ولكن ليس له حقّ المطالبة شرعاً بالخسارة الواردة عليه، ويمكن القول بأنّ هذه المسألة عرفية، أي إنّ العرف يستقبح المطالبة بالخسارة في مثل هذه الموارد، وإن كان جبرانُ الخسارة من قبل المستفيد مستحسناً وممدوحاً. والله العالم.

س٥:لو كسرت سفينة في البحر وتعرّض المسافرون لخطر الغرق ومرّت سفينة أُخرى بقربهم فرفض قبطانها إنقاذ حياة الغرقى إلّا بعد تعهدّهم بدفع مبلغ كبير من المال، فهل أنّ مثل هذه المعاملة صحيحة بعد أن كانت قد تمّت في حالة الاضطرار؟ وهل يحقّ للمتضرّرين بطلبه إبطال مثل هذا التعاقد والمطالبة بخسارتهم؟

ج٥: في مفروض السؤال، يكون هذا العقد صحيحاً ونافذاً ولا يجوز إبطاله، لأنّه وقع برضاهم الكامل وقد يتصوّر خطأً أنّ هذا العقد وقع في حالة الإكراه والإجبار وعدم تحقّق الرضا الكامل في مثل تلك الظروف، ولكن هذا التصوّر خاطئ، إذ أنّ أُولئك الأشخاص ونتيجة لإحساسهم بالخطر المحدق بهم، رضوا

بأن يدفعوا ذلك المبلغ الكبير من المال، وهذا ليس من مصاديق الإجبار، بل هو إضطرارٌ، وإنَّ حقيقة الرضا محقّقة وإن كانت بالاضطرار. والله العالم.

ولاية الفقيه

س229: هل أنَّ ولاية الفقيه مطلقة كولاية الأئمّة؟ ما هي المصادر الّتي تقترحونها للبحث والتحقيق في هذا المطلب؟

ج: راجعوا كتابنا «ضرورة الحكومة».

س230: البعض يذهب إلى فصل الدين عن السياسة، ويقول بعدم ضرورة ولاية الفقيه، بل يرى بأنّ قائد المجتمع الإسلامي يجب أن لا يكون من الفقهاء. نرجو إرشادنا في هذا الموضوع.

ج: إنَّ أحكام الدين الإسلامي المبين لا تنحصر بالعبادات كالصلاة والصوم والحجّ والخمس والزكاة، والأخلاق بل هي شاملة لكلّ مجالات الحياة البشرية. فأبواب المعاملات مثل البيع والإجارة والصلح والرهن والقرض والمزارعة والمساقاة والأبواب السياسية ونظام الحياة مثل القضاء والشهادة والحدود والديات، وأبواب نظام الأُسرة مثل النكاح والطلاق والنشوز والنفقات، والأبواب الكثيرة الأُخرى، وحفظ الأمن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع والجهاد والوصيّة والإرث وأُمور الغائب والقصّر والأموال العامّة والطرق

والشوارع و... كلّها أو أكثرها في الأُمور السياسية والولائية، ويجب أن تكون مجازة من قبل الشارع المقدّس في إجرائها وتطبيقها، كما أنّ المجتمعات الأُخرى تحتاج إلى إجراء ومدير ومنفذ إجرائي في كلّ أُمورها.

ومن البديهيّ أن يكون مجري هذه الأحكام المهمّة الحافظة لكيان المجتمع، عالماً بتمام جهات هذه الأحكام، ومطّلعاً علىّ كل أبعادها، وإلّا كان إفسادها أكبر من إصلاحها، ومضارّها أكبر من فوائدها، ومثل هذا الشخص الّذي لابدّ أن يتحلّى بالأخلاق الفاضلة مضافاً إلى العلم، ليس إلّا من يصطلح عليه «الفقيه» الجامع للشرائط والمجتهد، والّذي ثبتت ولايته بحسب الأدلّة. فلا أحد أولى من هذا الفقيه في التصدّي لهذا المقام، عقلاً وشرعاً.

فإذا كان هذه الحقيقة لا تعجب بعض الناس، لعدم اطّلاعهم على المنهج الإسلامي الكامل وشمولية أحكامه الشرعية، أو كان لهم أغراض خاصّة، فإنّ الإيراد سيرد عليهم هم، فإنّ الله تعالى قال في محكم كتابه: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾.[1]

نسأل الله تعالى أن يهدي الجميع إلى الطريق المستقيم.

---

١. سورة الإنسان، الآية ٣.

إجراء عقد الأُخوّة مع عدّة أشخاص

س231: هل يجوز إجراء عقد الأُخوّة مع عدّة أشخاص؟ ولو فرضنا أنّ أحدهم ندم بعد ذلك، فهل تبطل الصيغة لوحدها؟ وهل تجب الشفاعة والدعاء والزيارة لهؤلاء؟ أي هل أنّ عقد الأُخوّة مثل النذر والعهد واليمين؟

ج: لا إشكال في إجراء عقد الأُخوّة مع عدّة أشخاص، ولا تجب بذلك الزيارة والدعاء لهم، ولكنّ الأحوط هو القيام بذلك.

العطاس

س232: ما هو رأيكم في «العطاس»؟ وهل يجب التأنّي في العمل؟ وإلى أيّ مدّة؟

ج: لا يجب الصبر والتّأني، ولكن العجلة في الأُمور مكروهة.

ما هو الفرق بين الحكومة الإسلامية والجمهورية الإسلامية

س233: ما هو الفرق بين الحكومة الإسلامية والجمهورية الإسلامية؟

ج: الجمهورية الإسلامية عنوان لنظام الدولة، كما أنّ نظام كلّ دولة له عنوان. والحكومة الإسلامية هي حاكمية الإسلام، أي أنّ القانون المطبق في هذه البلاد هو الإسلام وأحكامه.

حكم السلام في برامج الراديو والتلفزيون

س234: ما هو حكم السلام في برامج الراديو والتلفزيون والبرامج العامّة الأُخرى؟

ج: إذا كان منظوركم السلام في رسالة، فإنّ جواب السلام يكون في الردّ على تلك الرسالة. وإذا كان منظوركم ردّ السلام في الراديو والتلفاز، فلا يجب ردّ هذا السلام.

ردّ السلام بغير اللغة العربية

س235: هل يكفي ردّ السلام بغير اللغة العربية؟ وهل يجب ردّ السلام مقدّمي البرامج التلفزيونية؟

ج: ردّ السلام بغير العربية غير مجزئ ولا يتأدّى به التكليف الواجب. ولا يجب ردّ سلام مقدّمي البرامج التلفزيونية. والله العالم.

الردّ على الرسائل والزيارات

س236: هل يجب الردّ على الرسائل والزيارات مثل ردّ السلام؟ وهل هو من الأحكام أم من الحقوق الصرفة القابلة للإسقاط، أم أنّه ليس منها معاً؟

ج: الردّ على الرسالة ليس له حكم ردّ السلام، ولكنّ مقتضى الأخلاق والآداب السلامية والانسانية الردّ. والله العالم.

حكم الناس الّذين يعيشون في مناطق لم يصلها نداء الإسلام وأحكامه

س237: يسأل بعض الطلّاب في المدرسة الابتدائية عن حكم الناس الّذين يعيشون في مناطق لم يصلها نداء الإسلام وأحكامه فهل هم مكلّفون بأحكام الإسلام؟ وما هو مصيرهم في الآخرة؟

ج: ما هذا السؤال الّذي يسئل في المدرسة الابتدائية، عليهم أن يسألوا عن أحكامنا نحن الّذين وصلنا نداء الإسلام وعندنا قرآن ومعارف إسلامية، فما هو تكليفنا وكيف يجب علينا أن نتصرّف ليكون عملنا مؤدّياً إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وأن نتأدّب بآداب الإسلام.

فلو توسّع فكر وذهن هؤلاء الأطفال لقالوا: كيف يمكننا إيصال أحكام الإسلام إلى أُولئك الّذين لم يسمعوها.

وأمّا مصير هؤلاء في الآخرة، فهذا ليس شأني وشأن هؤلاء الأطفال، فإنّ الله تعالى يتعامل معهم بمقتضى عدله وحكمته ورحمته.

ولكن، ولكي لا يبقى السؤال بلا جواب، أُشير إلى أنّ هؤلاء الّذين لم

يصلهم صوت الإسلام، لن يعذّبهم الله تعالى. وبعض الآيات القرآنية الشريفة تدلّ على هذا المعنى.

حاولوا إن شاء الله أن تسألوا وتعلّموا الأطفال أن يسألوا عن أشياء مفيدة ترتبط بعقائدهم وما يجب عليهم أن يتعلّموا من التعاليم الدينية والأخلاقية الإسلامية الّتي تكون موجبة لهدايتهم وخلاصهم من الشقاء، وأن يتعلّموا كيفية التعامل الحسن فيما بينهم وكيفية الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أرجو لكم الموفقية جميعا إن شاء الله.

زواج أولاد آدم

س238: إنّ الدين الإسلامي هو أكمل الأديان السماوية وغير السماوية، وعلى هذا الأساس فإنّ كلّ الأديان الّتي سبقت الإسلام هي ضمن مجموعته، ونستنتج من ذلك أنّ زواج الأخ من أُخته محرّم في كلّ الأديان، وأوّل إنسان هو آدم وحوّاء، ولا يمكن أن يكون قد تمّ الزواج بين أبناء آدم، فمن أين جاء هذا النسل البشري والحال أنّه لا يوجد إنسان آخر ليتزوّج أولاده من بنات آدم أو بالعكس؟

ج: إنّ بعض التعاليم الدينية وتعاليم الأنبياء، جاءت وفق ما تقتضيه حاجة الناس والمجتمع البشري ليتّصل بالدين الإسلامي المقدّس إلى الكمال اللازم.

ومن البديهي، أنّه لا يمكن تطبيق التعاليم الموجّهة إلى مجتمع كبير على مجتمع لا يتجاوز عدد أفراده عدد الأصابع، وبملاحظة هذه المحدودية تتحدّد العلاقات الأُسرية والعائلية في المجتمعات، ولا يجب علينا أن نعرف تفاصيل خصوصيات تلك التعاليم الموجّهة إلى كلّ المجتمعات، فلا فائدة فيها لنا. وبشكل عامّ، فإنّ المجتمع قد اتّسع، ونحن اليوم في مجتمع بشري يتجاوز عدد أفراده عدّة ميليارات إنسان، ونحتاج إلى تعاليم تتلائم وتتناغم مع احتياجات هذا المجتمع، وقد تفضّل علينا الله تعالى بهذه النعمة وهو من نصفه بـ «**يا مبتدءاً بالنعم قبل استحقاقها**»،[1] وعلمنا تلك التعاليم ببركة الإسلام، والّتي تتّضح الحاجة إليها كلّما تطوّر المجتمع البشري وظهرت حقانية الإسلام وكماله. وبهذا يعرف، بأنّه لا يمكن تكليف مجتمع صغير لا يتجاوز عدد أفراده عدد أصابع اليد، بنفس تكاليف المجتمع البشري الكبير، إذ أنَّ بعض التكاليف اليوم لا موضوع لها في المجتمع الصغير، فلا يصحّ أن نقول: لماذا لم يكن العلم الكذائي غير المحرّم علينا اليوم، محرّماً على المجتمع الّذي كان يتشكّل من عائلة واحدة. ومع ذلك وطبقاً لما ورد في بعض النقولات قد ذكرت عدّة أوجه متصوّرة لكيفية ازدياد النسل البشري من جملتها ولادة التوأم (الذكر والأُنثى)

---

١. الصدوق، التوحيد، ص٢٢٢.

وبطبيعة الحال فإنّ هؤلاء إخوة حتّى بنظر ذلك المجتمع الصغير، ولكنّهم تزاوجوا مع توأم آخر، ثمّ بدأت الحدود تتّضح وعنونت المقرّرات وأُسس تشكيل الأُسرة شيئاً فشيئاً.

وهناك صورتان أُخريات ذكرتا لتوجيه القضيّة، ولكنّ المهمّ في مثل هذه القضايا هو ما ذكرناه من خطأ هذا التصوّر القائل بضرورة حرمة كلّ ما هو محرّم علينا، على أفراد ذلك المجتمع الصغير، ووجوب كلّ ما هو واجب علينا، عليهم أيضاً.

وبناءاً على ذلك، لا يبقى مجال لمثل هذا السؤال، فبأيّ صورة وقع ذلك التزاوج فقد كان مشروعاً في ذلك الزمان. والله العالم.

موارد وجوب التقيّة وملاكها

س239: ما هي موارد وجوب التقيّة؟ وما هو ملاكها؟ وهل يشمل ارتكاب المحرّمات الكبيرة (في قبال الكفّار والمشركين وأهل الكتاب أحياناً)؟

ج: موارد التقيّة مختلفة، فإن كان هناك خوف على النفس أو على أُمور أهميّتها أكبر من ارتكاب الحرام، وتندفع بالتقيّة، جازت التقيّة حينئذٍ. والله العالم.

لحظة طلوع الفجر

س240:

ج: السلام عليكم. وصلتني رسالتكم المتضمّنة للاستفتاء منّي حول ملاحظة أذان الصبح.

إنّ التشخيص الدقيق للحظة طلوع الفجر في البلدان والنقاط المختلفة في العالم، لا يمكن إدراكه عن طريق الحسّ، لأنّ مطالع الفجر متعدّدة وكثيرة مثل المشارق والمغارب والمتعدّدة على طول الأربع والعشرين ساعة خلال اليوم والليلة ففي كلّ لحظة يوجد طلوع.

وإذا أمكن ذلك عن طريق الحساب وقواعد علم الهيأة والاستخراجات العلمية الدقيقة من قبل العلماء والمحقّقين والمتخصّصين في هذا الفنّ، كانت معرفة وقت الأذان على هذا الأساس ولا يمكن رؤية ذلك عادة.

وما هو الموضوع في الأحكام الشرعية، إنّما هو طلوع الفجر العرفي المحسوس والقابل للرؤية.

وعليه، يمكن أن يتفاوت موعد الطلوع الحقيقي غير المحسوس وغير المرئيّ مع الطلوع المحسوس العرفي المرئيّ، بعدة دقائق قد تصل إلى العشرة.

وبناءاً على ذلك فإنّ إعلام الوقت على أساس الطلوع المرئيّ يكون خطأً وغير متطابق مع التعيين العلمي الدقيق. الّذي يمكن ضبطه وحسابه إلى

الدرجة الثانية. فإذا قامت مؤسّسة جيوفيزياوية بتعيين وقت الطلوع الدقيق، فإنّ هذا الطلوع يكون محسوساً ومرئياً بعد دقائق من حدوثه وتحقّقه، وهذا هو التفاوت بين الطلوع الحقيقي العلمي مع الطلوع العرفي. فإذا ما استطاع بعض الأفراد الموثوقين الملتزمين بالمواعيد من ضبط الفاصلة الزمانية بين الطلوع الحقيقي والطلوع العرفي وتحديدها لعشر دقائق من خلال التجارب المتعدّدة والمتوالية، لم يكن ذلك منافياً لما توصّلت إليه تلك المؤسّسة الجيوفيزياوية، فإنّ المؤسّسة والتقويم إنّما تعّين الوقت الحقيقي والعلمي للطلوع ويجب تأخير صلاة الفجر لعشر دقائق، وإذا صام المكلّف طبق الوقت الحقيقي كان ذلك موافقاً للاحتياط، وإذا أذّن المؤذّن الموثوق الملتزم بالمواعيد في الوقت الشرعي، جاز الصلاة في ذلك الوقت وهي مجزية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

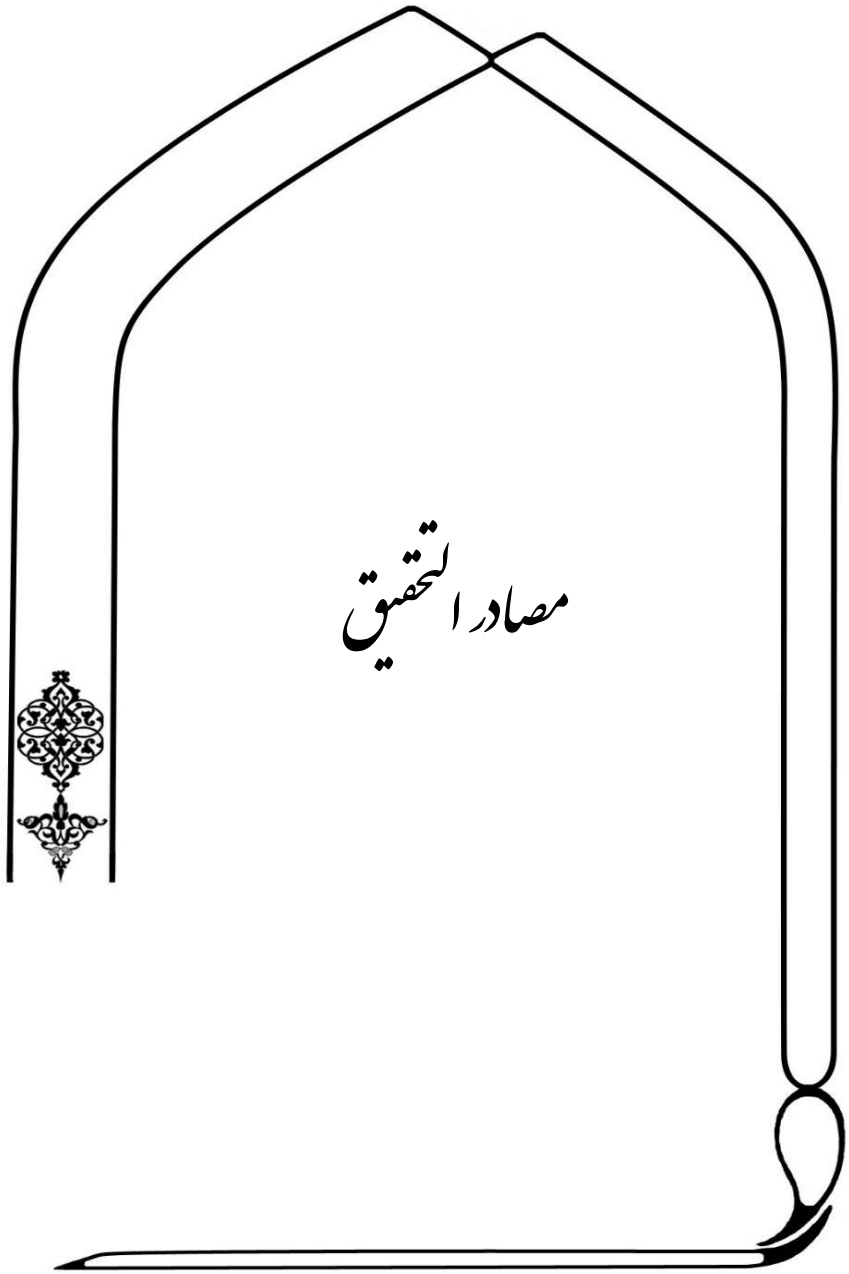

مصادر التحقيق

* القرآن الكريم

١. ***الاحتجاج***، الطبرسي، أحمد بن عليّ (م. ٥٦٠ق)، مشهد، نشر المرتضى، ١٤٠٣ق.

٢. ***أعيان الشيعة***، الأمين العاملي، السيّد محسن (م. ١٣٧١ق)، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٣ق.

٣. ***الأمالي***، الصدوق، محمّد بن عليّ (م. ٣٨١ق)، قم، مؤسّسة البعثة، ١٤١٧ق.

٤. ***الأمالي***، الطوسي، محمّد بن الحسن (م. ٤٦٠ق)، قم، دار الثقافة، ١٤١٤ق.

٥. ***امامت و مهدويت***، الصافي الگلپايگاني، لطف الله، قم، دفتر تنظيم ونشر آثار آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني.

٦. ***أمان الأُمّة من الضلال والاختلاف***، الصافي الگلپايگاني، لطف الله، قم، المطبعة العلمية، 1397ق.

٧. ***بحار الأنوار***، المجلسي، محمّد باقر (م. ١١١١ق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ق.

٨. ***بلاغات النساء***، ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (م. ٢٨٠ق)، قم، مكتبة بصيرتى.

٩. ***البلد الأمين والدرع الحصين***، الكفعمي، إبراهيم بن عليّ (م. ٩٠٥ق)، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤١٨ق.

١٠. ***بيان الآيات***، النجفي الجيلاني، يوسف (م. ١٣٢٧ق).

١١. ***تجريد الاعتقاد***، الخواجه نصير الدين الطوسي، محمّد بن محمّد (م. ٦٧٢ق)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧ق.

١٢. ***تحف العقول عن آل الرسول*** صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحرّاني، حسن بن عليّ (م. قرن٤)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ق.

١٣. ***تفسير الصافي***، الفيض الكاشاني، محسن بن المرتضى (م. ١٠٩١ق)، طهران، مكتبة الصدر، ١٤١٦ق.

١٤. ***تفسير الشريف اللاهيجي***، الشريف اللاهيجي، محمّد بن عليّ (م. ١٠٨٨ق)، طهران، دفتر نشر داد، ١٣٧٣ش.

١٥. ***تفسير نور الثقلين***، الحويزي، عبد عليّ بن جمعه (م. ١١١٢ق)، قم، مؤسّسة

إسماعيليان، ١٤١٢ق.

١٦. *تنبيه الخواطر ونزهة النواظر* (مجموعة ورّام)، ورّام بن أبي فراس، مسعود بن ورّام (م. ٦٠٥ق)، قم، مكتبة الفقيه، ١٤١٠ق.

١٧. *تنقيح المقال في علم الرجال*، المامقاني، عبد الله (م. ١٣٥١ق)، النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢ق.

١٨. *التنقيح في شرح العروة الوثقى*، الخوئي، السيّد أبو القاسم الموسوي (م. ١٤١٣ق)، تقرير عليّ الغروي التبريزي، قم، ١٤١٨ق.

١٩. *التوحيد*، الصدوق، محمّد بن عليّ (م. ٣٨١ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٩٨ق.

٢٠. *تهذيب الأحكام*، الطوسي، محمّد بن الحسن (م. ٤٦٠ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ق.

٢١. *ثواب الأعمال وعقاب الأعمال*، الصدوق، محمّد بن عليّ (م. ٣٨١ق)، قم، الشريف الرضي، ١٤٠٦ق.

٢٢. *جامع الأخبار*، الشعيري، محمّد بن محمّد (م. ٦٧٩ق)، قم، الشريف الرضي، ١٤٠٥ق.

٢٣. *جمهرة رسائل العرب*، صفوت، أحمد زكي.

٢٤. *الخرائج والجرائح*، قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله (م. ٥٧٣ق)، قم، مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٩ق.

٢٥. *الخصال*، الصدوق، محمّد بن عليّ (م. ٣٨١ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ق.

٢٦. *الخلاف*، الطوسي، محمّد بن الحسن (م. ٤٦٠ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ق.

٢٧. *الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور*، السيوطي، جلال الدين (م. ٩١١ق)، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ق.

٢٨. *الدروس الشرعية في فقه الإمامية*، الشهيد الأوّل، محمّد بن المكيّ العاملي (م. ٧٨٦ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٢ق.

٢٩. *دعائم الاسلام*، المغربي، قاضي نعمان بن محمّد التميمي (م. ٣٦٣ق)، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٣ق.

٣٠. *ديوان الإمام عليّ* عليه السلام، الكيدري، محمّد بن حسين (م. قرن ٦)، طهران، دار الأُسوة، ١٣٧٣ش.

٣١. *ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى*، الطبري، أحمد بن عبد الله (م. ٦٩٤ق)، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٦ق.

٣٢. *روائح النسمات در شرح دعاي سمات*، الميرجهاني الطباطبائي، محمّد حسن، طهران، مكتبة الصدر، ١٣٧٠ش.

٣٣. *روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه*، المجلسي، محمّد تقي (م. ١٠٧٠ق)، قم، مؤسّسة كوشانپور، ١٤٠٦ق.

٣٤. *الروضة المختارة*، ابن أبي الحديد، عزّ الدين (م. ٦٥٦ق)، بيروت، مؤسّسة الأعلمي.

٣٥. *رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين الإمام عليّ بن الحسين*، المدني الشيرازي، سيّد علي خان بن أحمد (م. ١١٢٠ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٥ق.

٣٦. *السرائر*، ابن إدريس الحلي، محمّد بن منصور (م. ٥٩٨ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٠ق.

٣٧. *سنن الترمذي*، الترمذي، محمّد بن عيسى (م. ٢٧٩ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣ق.

٣٨. *سنن الدارمي*، الدارمي، عبد الله بن رحمن (م. ٢٥٥ق)، دمشق، مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩ق.

٣٩. *سنن النسائي*، النسائي، أحمد بن شعيب (م. ٣٠٣ق)، بيروت، دار الفكر،

١٣٤٨ق.

٤٠. *شرح أُصول الكافي*، المازندراني، محمّد صالح بن أحمد (م. ١٠٨١ق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ق.

٤١. *شرح نهج البلاغة*، ابن أبي الحديد، عزّ الدين (م. ٦٥٦ق)، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ق.

٤٢. *شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت* عليهم السلام، الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله (م. ٥٠٦ق)، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١ق.

٤٣. *صحيح البخاري*، البخاري، محمّد بن إسماعيل (م. ٢٥٦ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١ق.

٤٤. *صحيح مسلم*، المسلم النيشابوري، مسلم بن الحجّاج (م. ٢٦١ق)، بيروت، دار الفكر.

٤٥. *عدّة الداعي ونجاح الساعي*، ابن فهد الحلّي، أحمد بن محمّد (م. ٨٤١ق)، قم، مكتبة وجدانى.

٤٦. *عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية*، ابن أبي جمهور الأحسائي، محمّد بن عليّ (م. ٨٨٠ق)، قم، مطبعة سيّد الشهداء، ١٤٠٣ق.

٤٧. ***عيون أخبار الرضا*** عليه السلام، الصدوق، محمّد بن عليّ (م. ٣٨١ق)، طهران، نشر جهان، ١٣٧٨ق.

٤٨. ***الغدير في الكتاب والسنّة والأدب***، الأميني، عبد الحسين (م. ١٣٩٢ق)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٧ق.

٤٩. ***غرر الحكم ودرر الكلم***، الآمدي، عبد الواحد بن محمّد (م. ٥١٠ق)، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠ق.

٥٠. ***الفائق في غريب الحديث***، الزمخشري، محمود بن عمر (م. ٥٣٨ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ق.

٥١. ***فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير***، المناوي، محمّد بن عليّ (م. ١٠٣١ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ق.

٥٢. ***قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام***، العلّامة الحلّي، حسن بن يوسف (م. ٧٢٦ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٣ق.

٥٣. ***الكافي***، الكليني، محمّد بن يعقوب (م. ٣٢٩ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ق.

٥٤. ***كتاب التفسير***، العيّاشي، محمّد بن مسعود (م. ٣٢٠ق)، طهران، المطبعة العلمية، ١٣٨٠ق.

٥٥. *كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء*، كاشف الغطاء، جعفر (م. ١٢٢٨ق)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢ق.

٥٦. *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*، العلّامة الحلّي، حسن بن يوسف (م. ٧٢٦ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ق.

٥٧. *كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر* عليهم السلام، الخزّاز القمي، عليّ بن محمّد (م. ٤٠٠ق)، قم، منشورات بيدار، ١٤٠١ق.

٥٨. *كلم الطيّب در تقرير عقايد اسلام*، الطيّب، السيّد عبد الحسين (م. ١٤١٢ق)، مكتبة الإسلام، ١٣٦٢ش.

٥٩. *كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال*، المتّقي الهندي، عليّ (م. ٩٧٥ق)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ق.

٦٠. *مجمع البحرين*، الطريحي، فخر الدين (م. ١٠٨٥ق)، طهران، دفتر نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨ق.

٦١. *مجمع البيان في تفسير القرآن*، الطبرسي، فضل بن حسن (م. ٥٤٨ق)، طهران، منشورات ناصر خسرو، ١٣٧٢ش.

٦٢. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، الهيثمي، عليّ بن أبي بكر (م. ٨٠٧ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ق.

٦٣. *المحاسن والمساوي*، البيهقي، إبراهيم بن محمّد (م. قرن ٤)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦٤. *المحاسن*، البرقي، أحمد بن محمّد (م. ٢٧٤ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠ش.

٦٥. *مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول* ﷺ، المجلسي، محمّد باقر (م. ١١١١ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ق.

٦٦. *المزار الكبير*، ابن المشهدي، محمّد بن جعفر (م. ٦١٠ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ق.

٦٧. *مستدرك الوسائل*، المحدّث النوري، ميرزا حسين (م. ١٣٢٠ق)، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٨ق.

٦٨. *المستدرك على الصحيحين*، الحاكم النيشابوري، محمّد بن عبد الله (م. ٤٠٥ق)، بيروت، دار المعرفة.

٦٩. *مسند أحمد بن حنبل*، أحمد بن حنبل، الشيباني (م. ٢٤١ق)، بيروت، دار صادر.

٧٠. *مشكاة الأنوار في غرر الأخبار*، الطبرسي، عليّ بن حسن (م. قرن ٧)، دار الحديث، ١٤١٨ق.

٧١. *مصباح الشريعة*، المنسوب للإمام الصادق، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٠ق.

٧٢. *مصباح المتهجّد*، الطوسي، محمّد بن الحسن (م. ٤٦٠ق)، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، ١٤١١ق.

٧٣. *المصباح*، الكفعمي، إبراهيم بن عليّ (م. ٩٠٥ق)، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٣ق.

٧٤. *معاني الأخبار*، الصدوق، محمّد بن عليّ (م. ٣٨١ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦١ش.

٧٥. *مناقب آل أبي طالب*، ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ (م. ٥٨٨ق)، قم، منشورات العلّامة، ١٣٧٩ق.

٧٦. *المناقب*، الخوارزمي، موفّق بن أحمد (م. ٥٦٨ق)، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١١ق.

٧٧. *مهج الدعوات ومنهج العبادات*، ابن طاووس، السيّد عليّ بن موسى (م. ٦٦٤ق)، قم، دار الذخائر، ١٤١١ق.

٧٨. *نزهة الناظر وتنبيه الخاطر*، الحلواني، حسين بن محمّد (م. قرن ٥)، قم، مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٨ق.

٧٩. ***النهاية في غريب الحديث والأثر***، ابن الأثير، مبارك بن محمّد (م. ٦٠٦ق)، قم، مؤسّسة إسماعيليان، ١٣٦٤ش.

٨٠. ***نهج البلاغة***، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الشريف الرضي، تحقيق صبحي الصالح، قم، دار الهجرة، ١٤١٤ق.

٨١. ***نهج الحقّ وكشف الصدق***، العلّامة الحلّي، حسن بن يوسف (م. ٧٢٦ق)، قم، دار الهجرة، ١٤١٤ق.

٨٢. ***وسائل الشيعة***، الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن (م. ١١٠٤ق)، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٤ق.

٨٣. ***وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*** صلى الله عليه وآله، السمهودي، عليّ بن أحمد (م. ٩١١ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

84. ***ينابيع المودّة لذوي القربى***، القندوزي، سليمان بن إبراهيم (م. ١٢٩٤ق)، دار الأُسوة، ١٤١٦ق.

الفهرس

الفصل الأوّل: الكتب الاعتقادية ٧

أهمّ الكتب الاعتقادية 9

الطريق الصحيح في الأبحاث العقائدية 10

هل أنّ الكتب العقائدية الموجودة كافية لحلّ الشبهات 11

اعتبار وحجيّة العقل في المسائل الاعتقادية 11

حكم قراءة الفلسفة والكلام..... ١٢

اعتبار كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق 12

أحسن الكتاب..... 13

الفصل الثاني: التوحيد ١٥

هدف الخلقة 17

دراسة الموضوع من وجهة نظر المصادر الإسلامية 30
تقسيم الوجود ٣٥
المادّة والحركة 37
كيفية التعامل مع الأشخاص الّذين يثيرون الشبهات 39
الاسم الأعظم 40
عدد الأسماء الحسنى 50
المراد من الهداية العامّة 52
انتساب اللفظ الجلالة (الله) إلى المعصومين عليهم السلام ٥٤
العلم والإرادة الإلهية ٥٦
لماذا نقول «إن شاء الله» كلّما أردنا القيام بعمل معّين ٥٦
الإرادة الإلهية وإرادة الإنسان 57
علم الإلهي والأنبياء والأئمّة واختيار الإنسان 57
فائدة خلق الإنسان وتشريع التكليف 58
دور الاختيار في الإنسان 59
إرادة الله في عالم الوجود 61
علّة ضعف الفطرة وخمولها 70
ما هو الهدف من خلقة العالم وخلقة الإنسان 73
علم الإلهي ومجازاة العاصين 74

الفصل الثالث: النبوّة ٧٥

معجزات النبيّ الاكرمﷺ 77

اطّلاع النبيّ الأكرمﷺ على عالم الغيب 78

السيادة 78

انتخاب النبيّ 79

الدليل على أنّ رسول اللهﷺ هو خاتم النبيّين 81

لماذا بعث الأنبياء في منطقة الشرق الأوسط فقط 83

الفصل الرابع: الإمامة ٨٥

فضائل الإمام عليّ ﷺ 87

لماذا علماء العامّة مع تصديق وقبول فضائل أمير المؤمنين عليّ ﷺ لا يتركون مذاهبهم.... 93

اعتبار روايات مبايعة عليّ ﷺ مع أبي بكر 95

تصدّق أمير المؤمنين ﷺ خاتمه في حين الصلاة 96

الشهادة بولاية أمير المؤمنين ﷺ في الأذان والإقامة 97

لماذا لم يصرّح النبيّ ﷺ بلفظ «الخلفية» بدل «الولي» يوم الغدير 100

إثبات واقعة الغدير بالأدلّة القرآنية 105

حكمة عدم تصريح القرآن باسم عليّ والأئمّة ﷺ 106

لماذا اختار النبيّ ﷺ فترة مرض موته وقتاً لكتابة الوصية التاريخية 108

علّة تلطّف الرسول ﷺ على مخالفي منهجه بعد حياته 110
منصب الإمامة..... 113
ما هي الحكمة في مبايعة أمير المؤمنين ﷺ لأبي بكر 124
لماذا ينسب المذهب الشيعي إلى الإمام الصادق ﷺ 130
لماذا لم يصل أبو الفضل العبّاس ﷺ إلى مقام الإمامة 131
خلود قتلة الإمام الحسين ﷺ في النار..... 131
إنكار علماء أهل السنّة خلافة أمير المؤمنين ﷺ..... 131
آية التطهير وعصمة أهل البيت ﷺ 132
طلب مغفرة الأنبياء والعصمة 136
علم الإمام..... 140
علم الإمام عليّ ﷺ بشهادته..... 140
دائرة علم الإمام ﷺ..... 144
المهدوية 154
هيئة الإمام المهدي ﷺ عند بدء الغيبة الكبرى 154
مدّة الغيبة الصغرى 155
مدة الغيبة الكبرى..... 155
الدليل على حياة الإمام المهدي ﷺ..... 155
تسمية الإمام المهدي ﷺ باسم النبيّ الأكرم ﷺ..... 156

الوقوف عند سماع اسم «القائم» 156
التصدّق لسلامة الإمام المهديّ عليه السلام 156
ماذا نفعل لكي نحظى بلطف والتفات الإمام المهديّ عليه السلام إلينا 157
ما هو المراد من «لا ينالك منّي ضجيج ولا شكوى»: في دعاء الندبة 158
تعيين وقت الظهور 159
مثلّث برمودا 159
مدّة حكم السفياني 160
ظهور الإمام المهدي عليه السلام في عصرنا 160
وظيفتنا في عصر الغيبة 161
اعتبار أحاديث الأمان 161
ما هي فائدة نصب الإمام إذا كان غائباً عن الأنظار وغير متصرّف في الأُمور ... 166
اعتبار الحكايات الّتي تبيّن تدخّل الإمام المهدي عليه السلام في الأُمور 169
استغاثة الناس بإمام العصر عليه السلام في عصر الغيبة 171
كيفية التمسّك في بحث ولاية الفقيه بالتوقيع الشريف 173
وجود الإمام عليه السلام يكون بعثاً لاطمئنان المؤمنين 175
ظهور حكمة غيبة الإمام بعد الظهور 176
هل أنّ سيف أمير المؤمنين عليه السلام موجود عند الإمام المهدي عليه السلام 179
اعتبار الرؤى والأحلام الّتي نرى فيها الأئمّة الأطهار عليهم السلام 182

هل يمكن أن يتمثّل الشيطان بصورة أحد الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في الرؤيا 183
كيف يمكن الاطمئنان إلى أنّ الشخص المرئيّ في الرؤيا هو الإمام عليه السلام؟ 183
هل يتحقّق الوعد الّذي يقطعه الإمام عليه السلام في الرؤيا لشخص مّا 184
مخاطبة أهل البيت عليهم السلام بلهجة ولسانٍ عامّي 184
استعمال الأشعار المتضمّنة لبعض المصطلحات العرفانية في مدائح ومراثي أهل البيت عليهم السلام 186
المنافسة والتسابق في مجالس الإمام الحسين عليه السلام 187

الفصل الخامس: المعاد ١٩١
حكم من ينكر وجود الجنّة والنار الآن 193
الجنّة والنار خالدتان 194
حكم من لا يعتقد بالرجعة 194
كيفية الرجعة 195
اسم الملائكة الّذين يتولّون السؤال من الإنسان في قبره 195
أوّل ما يُسئل عنه المرء في قبره 195
كيفية السؤال في القبر 196
حكم من قدّم خدمات للمجتمع الإسلامي ولم يكن منتمياً إلى المذهب الشيعي الحقّ 196
الموت في سنّ الشباب أو سنّ الطفولة 197
أسئلة الروح 198

الروح ممكنة الوجود 198
كيفية تعلّق الروح بالبدن 198
المقصود من «الهلاك» في قوله تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» 199
الأرواح والعقول مخلوقة 200
قدم الله تعالى وحدوث الروح 201
الإضافة التشريفيّة في الآية «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» 201
هل أنّ الروح موجودة قبل وجود البدن 203
قضيّة تناسخ الأرواح من منظر الإسلام 203

الفصل السادس: أسئلة قرآنية ٢٠٧

علّة وجود بعض الآيات المتشابهات في القرآن الكريم 209
علّة ذكر بعض المطالب الجزئية في القرآن الكريم 213
اكتشاف بعض الارتباطات الرياضية لكلمات القرآن الكريم 216
تفسير الآية ۴۵ من سورة النور 228
تفسير الآية ۴ من سورة الأحزاب 229
استفادة القرآن الكريم من ضمير الجمع بدل ضمير المفرد 230
ما هو المراد من خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام 231
ما هو المراد من «العرش» في قوله تعالى: «اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» 233

ما هو المراد من تبدّل الأرض والسماوات في القيامة 234
العناية الخاصّة بالقرآن الكريم..... 235
تفسير آية «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» 236
معنى الانتظار في حقّ الله تعالى 240
ما هو المراد من «ملكوت السماوات» و «الملكوت الأعلى» 240
علّة ابتلاء الشيطان بالمعصية 241
الآية 2 من سورة الفتح وعصمة النبيّ الأكرمﷺ..... 241
فضل القرآن الكريم على التوراة والإنجيل 243
المراد من «السماوات والأرضين السبع» 243
عالم الذرّ..... 243
قراءة القرآن الكريم 247
وجوب تلفّظ كلمات القرآن الكريم بالعربية الصحيحة 247
القراءة المغلوطة للقرآن في جلسات تعليم القرآن الكريم 248
قراءة القرآن باللغة المحلّية 248
جداول وأشكال هندسية مرسومة فى بعض طبعات القرآن الكريم 249
كيفية ختم سورة الأنعام 249
تقليد أصوات وألحان قرّاء القرآن الكريم الّذين لا يتّبعون مذهب أهل البيتعليهم السلام 250
حكم التواشيح مع الغناء 250

الاستخارة القرآنية بواسطة جهاز الحاسوب 251
موارد الاستخارة والعمل بالاستخارة..... 251

الفصل السابع: شرح الأحاديث.....٢٥٣

حديث الكنز..... 255
كيف يمكن أن يكون الجدّ والهزل على حدّ سواء في النكاح والطلاق 259
صحّة بعض الأحاديث المشهورة على ألسن عامّة الناس..... 260
الأحاديث الدالّة على الثواب الكثير لبعض الأعمال الصغيرة 280
ما هو المراد من الرواية الّتي مفادها عدم احتساب ذنوب الشخص إذا ذهب لأداء الحجّ وعاد إلى أربعة أشهر 281
كتاب «علل الشرائع» 284
ما هو المراد من حديث «الناسُ كلُّهم هالكونَ إلّا العالمون...»..... 285
آية التقوى و كلام أمير المؤمنين عليه السلام 287
حديث الصيام 288
أحاديث ردّ الشمس..... 293
ثواب قراءة سور القرآن 295
السادات المذنبون في القيامة 297
حديث «الفقر فخري»..... 304

الفصل الثامن: الدعاء ٣١٧

علّة تضرّع ومناجاة وطلب التوبة والعفو عن الذنوب في الأدعية الواردة عن المعصومين عليهم السلام 319

ماذا نفعل لإيجاد حالة التضرّع والخشوع والدعاء في أنفسنا 320

قراءة أذكار ليلة القدر باللغة الفارسية 321

المراد من الحور العين في الروايات 321

قراءة أدعية شهر رجب وتكليف المرأة 322

اعتبار دعاء «ناد عليّاً» 323

تكرار بعض عبارات الأدعية 323

حكم لعن غاصبي حقّ أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام 324

قراءة الأدعية بقصد الاستحباب 324

استحباب بعض الأدعية المعروفة 325

الفصل التاسع: فلسفة الأحكام ٣٢٧

السؤال عن فلسفة الأحكام الشرعية 329

المراد من «موقوتاً» في الآية الشريفة 331

علّة وجوب التقليد 334

من شرائط المرجع التقليد أن يكون رجلاً 334

اشتراط الذكورية في التصدّي للمناصب الّتي تتضمّن ولاية وحكومة على عامّة الناس ... 342

لماذا يجب على المرأة أن تستر بدنها في حال الصلاة إذا كانت تصلّي في مكان بعيد عن الأنظار 352
حكم خروج المرأة من المنزل مرتدية البنطلون والمانتو 360
سنّ التكليف الشرعي للبنات 363
حكم النكاح المنقطع 365
المراد من الآية الشريفة «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» 369
حكمة وجوب الجهر ببعض الصلوات اليومية والإخفات في البعض الآخر 373
فلسفة الحكم ببطلان الصوم إذا ما ارتمس الصائم في الماء 376
النيابة عن الأموات في الأُمور المستحبّة 377
علّة تحريم الشطرنج والورق 378
التدخين 384
التسمية على الذبيحة 386
قراءة الصلاة باللغات الأُخرى 387
حكمة التيمّم 391
العاقلة في الحقوق الإسلامية 393
لماذا لا تتّحد المرجعيات في الزمن الواحد 398
لبس السواد في مراسم الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام 399
هل يجوز تأجيل ذبح في منى وعزل ثمنه ثمّ يذبح عندما يعود إلى وطنه 406

أسئلة حول الموسيقى 407
الرقّيَّة في الإسلام 414
فلسفة وجوب الحجاب على المرأة 418
دليل حرمة حلق اللحية 418
علّة تحريم الاختلاط بين النساء والرجال 419
فلسفة حرمة لبس الذهب للرجال 419
علّة حرمة التشبّه بالكفّار 420
حكمة حرمة الرقص والغناء واللهو 421
فلسفة تفاوت دية الرجل عن دية المرأة وكذلك تفاوتهما في الإرث 421
فلسفة مبغوضية الطلاق 421

الفصل العاشر: الصوفية ٤٢٣

أسئلة حول الصوفية 425
انتساب الصوفية إلى رسول الله ﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام 435
الصوفية المصطلح بالعرفاء 436
حكم العشرية بدل الخمس 437
مسلك درويشي 440
اعتبار الأحاديث الموجودة في مدح الصوفية ۴۴۶

المصافحة بيدين عند الصوفية 451

الصوفية النوربخشية ٤٥٥

الفصل الحادي عشر: الذنوب ٤٥٩

قبول توبة المرتكب الكبيرة 461

حكم نيّة المعصية 461

إذا صادف شخص في موقف المعصية ولم يقدر على السيطرة على نفسه 462

حكم من يهيّئ الظروف المناسبة لشخص آخر كي يرتكب المعصية 462

حكم تفسير الأحلام 463

معنى الغيبة 463

الغيبة من الكبائر 463

دائرة حرمة الغيبة ٤٦٤

استماع الغيبة ٤٦٤

حكم انتقاد بعض المسؤولين في الدولة ٤٦٤

بيان خصوصيات بعض المرشّحين للحملات الانتخابية ٤٦٥

الغيبة في حالة طلب المشورة والنصح ٤٦٥

موارد جواز الغيبة ٤٦٦

هل أنَّ سلب الصفات الكمالية أو سلب الفضائل غيبة محرّمة ٤٦٦

الاستماع إلى كلام في رجل لا أعرفه 467
تدارك الغيبة 467
عفو الـمغتاب لساناً 468
معنى الكذب 468
حكم الكذب اضطراراً 468
موارد جواز الكذب 469
الكذب بقصد الهزل 469
الاستماع إلى الكذب 470
حكم القصص الخيالية 470
معنى التورية وحكمه 471
إفضاح أسرار الصاحب عند الآخرين 471
كشف أسرار الوالدين والآخرين للأصدقاء 471
وظيفتنا قبال الشخص الّذي يسبّ والديه وعائلته ومعلّميه و... 472
الاستهزاء ببعض الأقوام بقصد أن يضحك الآخرين 472
معنى الكبر 473
معنى الرئاء 473
قطيعة الرحم 473
معنى الرحم 474

مقابلة قاطع الرحم بالمثل، قطيعة الرحم الكافر 474
حدّ تحقّق الصلة الواجبة 474
العقائد الخرافية 475

الفصل الثاني عشر: التوبة ٤٧٧

تدارك الذنوب بالتوبة 479
كيفيته رفع آثار الذنوب الكبيرة 481
حكم توبة المريض والأفعال الّتي يؤدّيها بعد اطّلاعه على المسألة 481
كيفية تدارك عقوق الوالدين بعد وفاتهما 482

الفصل الثالث عشر: الغزو الثقافي ٤٨٣

تعريف الغزو الثقافي وطرق مواجهته هذا الغزو الثقافي 485

الفصل الرابع عشر: أسئلة متفرّقة ٤٩٧

لو اتّفق ذات يوم أنّ أكثر الإيرانيّين قالوا: لا نريد الإسلام فماذا نفعل 499
معنى الحرج وملاكه في الفقه الجعفري 500
كيفية تحقّق الاضطرار الرافع للحرمة وطريق تشخيصه 500
ولاية الفقيه 506
إجراء عقد الأُخوّة مع عدّة أشخاص 508

العطاس 508
ما هو الفرق بين الحكومة الإسلامية والجمهورية الإسلامية 508
حكم السلام في برامج الراديو والتلفزيون 509
ردّ السلام بغير اللغة العربية 509
الردّ على الرسائل والزيارات 509
حكم الناس الّذين يعيشون في مناطق لم يصلها نداء الإسلام وأحكامه 510
زواج أولاد آدم 511
موارد وجوب التقيّة وملاكها 513
لحظة طلوع الفجر 514

مصادر التحقيق ٥١٧